المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم الكتاب والسنة

الاستنباط عند الإمام ابن باديس في تفسيره "مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير"

(جمعا ودراسة)

رسالة مقدّمة استكمالا لمتطلّبات الحصول على درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن

إعداد الطالب:

جيلالي بن معمر قوادري

الرقم الجامعي (٤٣١٨٨٣٠٢)

إشراف فضيلة الشيخ:

د. علي الأمين عوض الله

الأستاذ المشارك بقسم الكتاب والسنة كلية الدعوة وأصول الدين

جامعة أم القرى

العام الجامعي: ١٤٣٥/١٤٣٦هـ

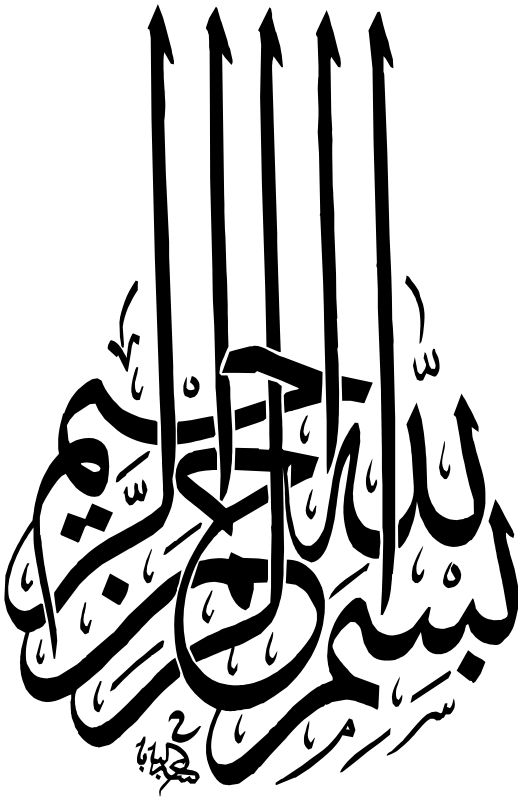
بسم الله الرحمن الرحيم

❑ ملخص الرسالة

❖ **عنوان الرسالة:** الاستنباط عند الإمام ابن باديس في تفسيره "مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير ".

❖ **الباحث:** جيلالي معمر قوادري.

❖ **التخصص:** تفسير وعلوم قرآن بقسم الكتاب والسنة – ماجستير–.

❖ **إشراف:** فضيلة الدكتور/ علي الأمين عوض الله.

❖ **الفكرة العامة للبحث:** يتناول البحث جمع ودراسة استنباطات ابن باديس من تفسيره «**مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير**»، وذلك بهدف الوقوف على استنباطاته ومعرفة آلياته في استنباطها، ومدى موافقتها للحق، ومعرفة الإضافات التي سجلتها هذه الاستنباطات وقيمتها الاستنباطية.

ولتحقيق هذا الهدف قسم الباحث الرسالة إلى: **مقدمة**، و**خمسة فصول**، **وخاتمة**.

- أما **المقدمة**، فاشتملت على أهمية الموضوع، أسباب اختيار الموضوع، أهداف الموضوع، الدراسات السابقة، منهج البحث وهيكل تفصيلي لخطة البحث.
- وأما **الفصل الأول**، فاشتمل على تمهيد بينتُ فيه حالة المجتمع الجزائري الذي عاش فيه الإمام ابن باديس، والتعريف بالإمام ابن باديس ومنهجه في تفسيره «**مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير**».
- وأما **الفصل الثاني**، فعرّفت فيه الاستنباط وبينتُ أهميته وشروطه.
- وأما **الفصل الثالث**، فذكرت فيه أقسام الاستنباط من حيث مجالاته وإفراده وتركيبه وظهوره وخفاءه.
- وأما **الفصل الرابع**، فتعرضت فيه لمنهج ابن باديس من حيث الطرق والدلالات التي وظفها في الاستنباط ومن حيث طريق وأسلوب عرض هذه الاستنباطات.

- وأما **الفصل الخامس**، فعمدت فيه إلى جمع استنباطات الإمام ابن باديس من تفسيره ودرستها دراسة علمية.
- وأما **الخاتمة**، فبينتُ فيها أبرز النتائج التي أسفرها هذا البحث والتي من أهمها:

-إن الاستنباط من القرآن له أصل في الشرع، من الكتاب والسنة وأئمة السلف، وأنه ليس من الرأي المنهيّ عنه في الحديث ((من قال في القرآن برأيه، وأصاب فقد أخطأ))[1]، وأن أهله ممدوحون.

-تعدّدت وتنوعت استنباطات ابن باديس من حيث مجالاتها وأقسامها وطرق دلالتها، وذلك لتنوع ثقافته وعلومه.

-تُعدّ استنباطات ابن باديس علاجا لأمراض المجتمعات المسلمة وغير المسلمة، وتصحيحا لمفاهيم خاطئة، وردّا لطعون واعتراضات وشبهات حول القرآن، وتربيةً على حسن فهم القرآن، ودعوةً إلى تدبره والعمل به.

-إن استنباطات ابن باديس في تفسيره، موافقة لشروط الاستنباط، وأنها تهدف إلى مقصد عام واحد، وهو الاهتداء والاقتداء بالقرآن وبمنهج القرآن في كل شيء، وأن كثيرا منها موافَقٌ عليه مع غيره، أو قريب منه، أو في طرف منه.

---

(١) الترمذي في التفسير، باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه (٥/٥٠ رقم ٢٩٥٢)، قال الترمذي: حديث غريب، وقد تكلم بعض أهل العلم في سهيل بن أبي حزم، وأبو داود في كتاب العلم، باب الكلام في كتاب الله بغير علم (٣/٣٥٨ رقم ٣٦٥٤)، وأخرجه الطبري في "جامع البيان" رقم (٨٠)، و في سنده سهيل بن أبي حزم لا يحتج به، قال الطبراني في المعجم الأوسط (٥/٢٠٨ رقم ٥١٠١) لما روى هذا الحديث: لم يسند سهيل بن أبي حزم عن أبي عمران الجويني إلا هذا الحديث، وضعفه الشيخ الألباني. انظر: مشكاة المصابيح بتحقيق الألباني (١/٧٩ رقم ٢٣٥)، وضعيف الجامع الصغير (٥/٢٠٨ رقم ٥٧٣٦).

Abstract

Title of the study: "**Deduction By Imam Ibn Badis In His Interpretation، " The Courses Of Recalling In The Speech Of Wise Expert**"

Researcher: **JILALI MUAMMAR QAWADRI**

Major: interpretation of the Qur'an Science، Department of the Quran and Sunnah - Master.

Supervisor: Dr. **ALI ALAMIN AWADALLAH**

General idea of the research: the research deals with the collection، investigation and deduction By Imam Ibn Badis in his interpretation، the courses of recalling in the speech of wise expert. To investigate his deductions and realization of his deduction mechanism، the extent of its correspondence with right، to identify the additions in these deductions and its deductive value.

To achieve this goal، the researcher has divided the study into an introduction، five chapters and a conclusion.

• **Introduction:** included the importance of the subject، the reasons for choosing the topic، the objectives of the study، the previous studies، the research methodology and the detailed structure of the research plan.

• **First Chapter:**: included a preface showing the state of the Algerian community in which he lived Imam Ibn Badis and the definition of Imam Ibn Badis and method of interpretation "to recall the words of the wise councils expert

• **Second Chapter:** I mentioned the deduction and showed its importance and conditions.

• **Third Chapter**: I mentioned the deduction sections in terms of its scope and its members، composition and appearance and disappearance.

• **Fourth Chapter:** introduced the approach of Ibn Badis in terms of methods، signs employed by the deduction and in terms of style and presentation through this deduction

• **Fifth Chapter:** in which I collected the deductions of Imam Ibn Badis interpretation and scientific study.

• **Conclusion:** in which I stated the most important results of this research as following:

- A deduction from the Koran is out in Shara‹ from the Quran and Sunnah and advances imams‹ it is not forbidden opinion to talk ((who said in the Koran in his opinion‹ he has made a mistake even right)) and that are estimated.

- Numerous deductions by Ibn Badis in terms of fields‹ departments and methods of significance‹ because of the diversity of his culture and sciences.

- The deductions by Ibn Badis are considered as treatment for diseases of Muslim and non-Muslim communities‹ and a correction for the wrong concepts‹ in response to appeals and objections and suspicions about the Quran‹ education accord to a good understanding of the Koran‹ and the invitation to its investigation and work.

- Deductions by Ibn Badis in his interpretation‹ corresponds the terms of deduction‹ it aims to one general attitude‹ it is guided and follow by the Koran approach in everything and that many of them Approved with others or close to it‹ or at the tip of it

المقدمة

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا، كتابا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، فجعله معجزة لنبيّه، وصلى الله وسلّم على محمد النبيّ الأميّ الذي شهد الله له بما أنزل إليه، وكفى بالله شهيدا، **وبعد:**

لقد خلق الله هذا الإنسان وشرّفه وكرمه على سائر المخلوقات بنعمة العقل، وركّز في فطرته معرفة الحق من الباطل والخطأ من الصواب، ولم تكن هذه الفطرة وهذا العقل كافيتين في معرفة الله عز وجل بأسمائه وصفاته ومراداته، وما يحبه وما يرضاه، وما يسخطه وينهاه، فأرسل الله إليه الرسل مبيّنة له ذلك بالأدلة والبراهين التي يقبلها عقله وفطرته التي خلقه الله عليها،فيستطيع أن يقف على أحقّية ما جاءت به الرسل، إذا هو استخدم عقله وفطرته ولجأ إليهما، فالحق تعرفه العقول الصحيحة والفطر السليمة، ما لم تتمرد عن أصل خلقتها.

وكان آخر الأنبياء عهدا بالرسالة والبيان عن الله عز وجل النبيّ محمد ﷺ، فأنزل عليه القرآن الكريم دستورا لحياة البشرية جمعاء من بعده ﷺ إلى يوم القيامة، أنزله بعلمه الذي أراد أن يطلع العباد عليه، فجعله معجزة لنبيّه، وكفى بالله شهيدا، وجعل حملته والمتفقهة فيه من أهل الله وخاصة، فيسّر سبحانه ألفاظه للحفظ، ومعانيه للاستنباط، وأحكامه للعمل، وضعّف الأجر لقارئه، ورغّب في تفهّمه وتدبّره، ولا يكون ذلك إلا بمعرفة علومه التي تعين على تفسيره وبيانه.

ومما منّ الله تعالى به عليّ أن حبّب إليّ القرآن وعلومه، ومن نعمته عليّ أن يسّر لي أبواب التفقه فيه.

وقد يسّر الله الالتحاق بقسم الكتاب والسنة، شعبة التفسير وعلوم القرآن، كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى، زادها الله تشريفا، فازددت تبصرة وانفتحت لي نوافذ في هذا العلم المبارك، وذلك باجتماعي بأهل الاختصاص في القرآن وعلومه، من أساتذة جامعة أم القرى في السنة المنهجية، بارك الله لهم في علمهم وتوجيهاتهم.

فكان اختياري بعد السنة المنهجية لموضوع من أهم المواضيع القرآنية دراسة وأعزّها تطرقا وأوعرها مسلكا، وهو جمع ودراسة للأحكام والمعاني الخفية الدقيقة المستنبطة عند مفسّر من المفسرين، وذلك بتحليلها وبيان وجهها وتقسيمها وتصنيفها وبيان الطرق التي سلكها في استنباطها، وتمييز المقبول منها والمردود.

فوقع اختياري على تفسير «**مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير**» للإمام العلامة عبد الحميد بن باديس الصنهاجي الجزائري (١٣٠٨هـ-١٣٥٩هـ) ليكون رسالتي للماجستير وذلك بعد عرضه على مرشدي أ.د/ سليمان البيرة وموافقته عليه وتشجيعه لي للإقدام عليه.

❑ أهمية الموضوع:

١- حاجة العباد إلى التفكر والتدبر في القرآن العظيم لإيجاد الحلول لقضاياهم ونوازلهم.

٢- تنوع معاني القرآن بين ما هو ظاهر يدرك بالتفسير، وبين ما هو عميق لا يدرك إلا بالتفكر والتدبر.

٣- عظيم النصوص التي جاءت في فضل الاستنباط وأهله.

٤- إظهار معجزة القرآن العظيم، وأنه صالح لكل زمان ومكان.

٥- قدرة الإمام ابن باديس العلمية في تفسير القرآن وحسن تفهيمه وبيانه.

❑ أسباب اختيار الموضوع:

١- السبب الأول خاص بشخصية المفسّر ممّا يشهد له به أصحابه الملازمون له، بل مما يشهد له به قلمه المترجم لفكره، فإنه قد قيل: "إن من كتب فقد عرض عقله على الناس"، فإن الرجل كان له ذوق خاص في فهم القرآن، وباع طويل في فهمه، وذكاء وبصيرة في نصوص الشرع، واطلاع واسع في العلوم الشرعية والإنسانية والكونية والاجتماعية.

٢- كونه مفسرا له حس دعوي إصلاحي، فكان له في القرآن رأي بنى عليه كل أعماله في العلم، والإصلاح، والتربية والتعليم: وهو أنه لا فلاح للمسلمين إلا بالرجوع إلى هداية القرآن والاستقامة على طريقه.

٣- ثروة وغزارة استنباطاته في كتابه «**مجالس التذكير**»، وقيمتها العلمية والعملية، مع التفنن في إيرادها وترتيبها.

٤- إبراز دعوة الإصلاح عند هذا الإمام القائمة على الفهم العميق لنصوص الكتاب والسنة وتطبيقاتها في ميادين الحياة.

٥- بيان القدوة الحسنة من العلماء الربانيين في هذا العلم الجليل النفيس "الاستنباط".

٦- رغبتي في المشاركة الميدانية -ولو بجهد المقل- في إبراز هذا العلم حتى ينضج وتتضح معالمه ومناهجه.

❑ أهداف البحث:

١- الوقوف على استنباطات الإمام ابن باديس في تفسيره «**مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير**».

٢- دراسة هذه الاستنباطات ومعرفة مدى موافقة هذه الاستنباطات للحق.

٣- معرفة الإضافات العلمية التي سجلتها هذه الاستنباطات.

٤- الوقوف على آليات الاستنباط عند ابن باديس في تفسيره «**مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير**».

❑ الدراسات السابقة:

بعد البحث والاطلاع لم أقف على بحث أو دراسة سابقة خاصة في هذا الموضوع "الاستنباط عند ابن باديس"، وهذا مما شجعني أن أخوض غمار البحث فيه،

علما بأنه قد كتبت في علم الاستنباط عموما، وسجلت فيه رسائل علمية بين ماجستير ودكتوراه وهي كالتالي:

- (منهج الاستنباط من القرآن الكريم)، رسالة ماجستير لفهد بن مبارك الوهيبي، سجلت ونوقشت في قسم القرآن وعلومه بكلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض.
- (الاستنباط عند ابن عطية في تفسيره المحرر الوجيز)، دراسة نظرية تطبيقية، رسالة للباحثة عواطف أمين البسطامي، سجلت في قسم الكتاب والسنة بكلية الدعوة وأصول الدين في جامعة أم القرى، ونوقشت في عام ١٤٣٠هـ.
- (استنباطات الشيخ عبد الرحمن السعدي من القرآن الكريم) –عرض ودراسة–، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في القرآن وعلومه، للباحث سيف بن منصر الحارثي، جامعة أم القرى ١٤٣٠هـ.
- (استنباطات السمعاني في كتابه "تفسير القرآن "ومنهجه فيها)، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في القرآن وعلومه، للباحث فهد بن سعد القويفل، جامعة أم القرى ١٤٣٢هـ.
- (استنباطات ابن جزي الكلبي في تفسيره " التسهيل لعلوم التنزيل") –جمعا ودراسة– رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في القرآن وعلومه، للباحث علي عبد الرحمن النجاشي، جامعة أم القرى ١٤٣٢هـ.
- (الاستنباط عند الشيخ أبي زهرة ت ١٣٩٤هـ في تفسيره " زهرة التفاسير") – دراسة نظرية تطبيقية– رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في تخصص التفسير وعلوم القرآن، إعداد الطالبة: منال بنت منصور القرشي.
- (الاستنباط عند الإمام القصاب من خلال تفسيره " نكت القرآن") –دراسة نظرية تطبيقية–رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في القرآن وعلومه، للباحث محمد بن عبد العزيز الصعب، جامعة أم القرى ١٤٣٣هـ.

أما ما كتب عن الإمام ابن باديس من بحوث حرة ورسائل جامعية فهي كالتالي:

❑ الرسائل العلمية:

- (عبد الحميد بن باديس وآراؤه الفلسفية بين النظرية والتطبيق)، ماجستير ١٩٨٢م، جامعة القاهرة كلية الآداب قسم الفلسفة.
- (الأخلاق عند عبد الحميد بن باديس بين النظرية والتطبيق)، ماجستير ١٩٨٩م، للباحث: بوعلام وناس، جامعة الجزائر معهد الفلسفة.
- (الرد التربوي لابن باديس على المشروع الاستعماري)، جامعة الجزائر معهد علم النفس.
- (منهجية التغيير عند عبد الحميد ابن باديس)، ماجستير للباحثة: جفال سامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية معهد أصول الدين.
- (البعد الاجتماعي في الفكر الدعوي عند عبد الحميد بن باديس)، ماجستير، للباحث: مخلوف مصطفى، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية.
- (الإمام عبد الحميد بن باديس وآراؤه الكلامية والأخلاقية)، ماجستير، جامعة القاهرة ١٩٩٣م، المشرف: محمد قدري أبو العز.
- (منهجية التفسير عند الإمام ابن باديس)، ماجستير، للباحث: عبد الرحيم صالحي، المعهد الوطني العالي لأصول الدين ١٩٩٣م، مكان الحفظ مركز الملك فيصل.
- (عبد الحميد ابن باديس وأثر دعوته في الجزائر)، بحث تكميلي ١٤٠٦هـ، للباحث: عبيد بن عبد العزيز الدخيل، جامعة الإمام محمد بن سعود، مكان الحفظ مركز الملك فيصل.
- (عبد الحميد بن باديس ومنهجه الإصلاحي)، ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود ١٤٠٦هـ، ملخص مركز الملك فيصل.
- (بنو باديس وحضارتهم بالقيروان والمهدية)، ماجستير، جامعة القاهرة ١٩٧٨م.

- (دراسة مقارنة بين مفهوم الدولة الاسلامية عند كل من جمال الدين الأفغاني وعبد القادر الجزائري وعبد الحميد بن باديس)، ماجستير، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي.
- (منهج ابن باديس في تفسيره مجالس التذكير)، ماجستير، ٢٠٠٦م جامعة اليمن.
- (الإمام ابن باديس ومنهجه في الدعوة من خلال آثاره في التفسير والحديث)، ماجستير، للباحث: عامر لعرابي، جامعة أم القرى ١٤١٧هـ.

❑ المؤلفات الحرّة:

- (آثار ابن باديس)، للمؤلف: عمار طالبي – الجزائر – دار النشر: مكتبة الشركة الجزائرية ١٩٦٨م.
- (عبد الحميد بن باديس رجل الإصلاح والتربية)، للمؤلف: عمر بن قنية – الجزائر– الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ١٩٧٤م.
- (الشيخ عبد الحميد بن باديس باعث النهضة الإسلامية العربية في الجزائر الحديثة)، للمؤلف: رابح تركي –الرياض– دار العلوم للطباعة والنشر ١٩٨٣م.
- (عبد الحميد بن باديس وبناء قاعدة الثورة الجزائرية)، للمؤلف: سالم العسلي – بيروت – دار النفائس (١٩٨٢).
- (الإمام عبد الحميد بن باديس)، للمؤلف: محمود قاسم – القاهرة – دار المعارف ١٩٦٧م.
- (الشيخ عبد الحميد بن باديس وفلسفته وجهوده في التربية والتعليم)، للمؤلف: رابح تركي – الجزائر – الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ١٩٦٩م.
- (عبد الحميد بن باديس رائد الحركة الإسلامية في الجزائر المعاصرة)، للمؤلف: محمد فتحي عثمان – الكويت– دار القلم للنشر ١٩٨٧م.

- (عبد الحميد بن باديس العالم الرباني والزعيم السياسي)، للمؤلف: مازن صلاح – دمشق- دار العلم ١٩٨٩م.
- (الإمام عبد الحميد بن باديس الزعيم الروحي لحرب التحرير الجزائرية)، للمؤلف: مبارك الميلي – القاهرة – دار المعارف ١٩٦٧م.
- (مقدمة مجلة الشهاب)، للمؤلف: عبد الرحمن شيبان -بيروت- دار الغرب الإسلامي ٢٠٠٠م.

❑ منهج البحث:

❖ المنهج العام للبحث:

وقد سلكت في بحثي هذا المنهج الاستقرائي التحليلي، وهو الذي يناسب طبيعة تناولي لبحثي، وهي الجمع والدراسة.

- **المنهج والطريقة التفصيلية لدراسة الاستنباطات:**

هذا هو منهج البحث العام، أما منهجه وطريقته التفصيلية التي سلكتها في دراسة آيات الأمثلة للاستنباط من تفسير ابن باديس «**مجالس التذكير**»، فأجملها في النقاط التالية، على هذا الترتيب غالبا:

١- أعطي عنوانا للاستنباط يجمع فكرته العامة.

٢- أذكر الآية، وأنبّه على موضع الشاهد للاستنباط منها، إن لم يكن ظاهرا.

٣- انقل استنباط ابن باديس بنصه كاملا من تفسيره، ولا أتصرف فيه بتلخيص أو اختصار، إلا ما كان لا بد منه.

٤- أنبه بعده على استنباط ابن باديس من هذه الآية، موضحا وملخصا له.

٥- أذكر الطريق الذي سلكه ابن باديس في ذلك الاستنباط.

٦- أذكر وجه دلالة الآية على ذلك الاستنباط إن ظهر لي، أو ألتمسه من كلام ابن باديس نفسه.

٧- أذكر الخلاف الموجود في الآية، إن كان هناك خلاف مؤثر، وأبيّن القول الذي اختاره ابن باديس وبنى عليه استنباطه.

٨- أذكر الأدلة من الكتاب والسنة وآثار الصحابة على ذلك الاستنباط إن وجدت شيئا من ذلك.

٩- أذكر الاستنباطات التي توافقت مع استنباط ابن باديس، أو قريب منه، أو بعضه، بكامل لفظه أو بمعناه، إن وُجدت منبّها على ذلك كله.

١٠- أذكر الملاحظات على الاستنباط، أو الاعتراضات والإيرادات، وأجيب عنها.

١١- أوجّه وأناقش من الأقوال ما يحتاج إلى مناقشة، ثم أختار ما أراه راجحا، بدليل أو تعليل، مستعينا في ذلك بفهوم أهل العلم وأنظارهم وتحقيقاتهم.

- **طريقة توثيق المادة العلمية في الرسالة:**

١- عزوت الآيات القرآنية إلى سورها بأرقامها.

٢- خرجت الأحاديث النبوية والآثار من مصادرها المعتمدة.

٣- إن كان الحديث أو الأثر في صحيح البخاري أوصحيح مسلم رحمهما الله، فأكتفي غالبا بذكر الكتاب والباب الذي ورد فيه، مع الجزء والصفحة والرقم.

٤- وإن كان خارجهما، فأكتفي ببعض المصادر التي أخرجته، مع نقل حكم أهل هذا الفن على الأحاديث المرفوعة.

٥- عزوت الأقوال إلى أصحابها من مصادرها الأصلية التي وردت فيها، بالجزء والصفحة فقط، من غير ذكر البطاقة المعرفة لذلك المرجع، اكتفاء بإثباتها في فهرس المصادر، إلا عند اللّبس أو أن يكون الكتاب غير مشهور، وإذا لم أجد المصدر الأصلي، أكتفي بنقل الناقل عنه.

٦- عرّفت بالأعلام إلا الصحابة رضي الله عنهم، والأئمة الأربعة أصحاب المذاهب، ومن لم أقف له على ترجمة.

- **(ملاحظة)**:

وقد اعتمدت في هذه الدراسة لاستنباطات «**مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير**»، نسخة المحقق أبي عبد الرحمن محمود الجزائري في طبعته الثانية ١٤٣٢هـ-٢٠١١م، مكتبة دار الرشد - دار ابن حزم- بيروت لبنان،لأنها طبعة محققه منقحة، قد عارضها صاحبها على عدة نسخ،كما أن فيها ملاحق زائدة على النسخ الأخرى.

❑ **خطة البحث:**

يتكون البحث من: (مقدمة، وخمسة فصول، وخاتمة، و فهارس علمية).

❖ **المقدمة:** تشتمل على: (أهمية الموضوع، أسباب اختيار الموضوع، أهداف الموضوع، منهج البحث، الدراسات السابقة، وهيكل تفصيلي لخطة البحث).

❖ **الفصل الأول:** التعريف بالإمام ابن باديس ومنهجه في تفسيره «**مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير**».

وفيه تمهيد وثلاثة مباحث:

- **المبحث الأول:** ترجمة ابن باديس وحياته العلمية ووفاته.

وفيه ثمانية مطالب:

❋ **المطلب الأول:** نشأته من الولادة إلى رحلته إلى الزيتونة بتونس، وشيوخه في هذه المرحلة (١٨٨٩-١٩٠٨م).

❋ **المطلب الثاني:** من رحلته إلى جامع الزيتونة واعتماده طالبا فيها، إلى عودته إلى الوطن وشيوخه في هذه المرحلة (١٩٠٨م.١٩١٣م).

❋ **المطلب الثالث:** من عودته إلى الوطن إلى رحلته إلى المشرق والأعمال التي قام

بها في هذه المرحلة (١٩١٣م-١٩١٣م).

* **المطلب الرابع**: من رحلته إلى المشرق، واتصاله بمجموعة من العلماء والمفكرين المصلحين، إلى عودته إلى الوطن، وشيوخه في هذه المرحلة (١٩١٣م-١٩١٣م).
* **المطلب الخامس**: من عودته إلى الوطن واستقراره بمسقط رأسه قسنطينة، إلى وفاته وأعماله في هذه المرحلة (١٩١٣م-١٩٤٠م).
* **المطلب السادس**: عقيدته ومذهبه الفقهي.
* **المطلب السابع**: وفاته.
* **المطلب الثامن**: آثاره وثناء العلماء عليه.

- **المبحث الثاني**: العوامل التي أثرت في تكوين شخصيته العلمية والعملية.

وفيه خمسة مطالب:

* **المطلب الأول**: تربية والديه الصالحة وتوجيههما له الوجهة الصحيحة.
* **المطلب الثاني**: بيئة الدراسة وتأثير المربين من المعلمين والشيوخ.
* **المطلب الثالث**: تعاون الشعب الجزائري معه ومساندته له.
* **المطلب الرابع**: مؤازرة زملاءه من العلماء الفضلاء من الجمعية وغيرهم.
* **المطلب الخامس**: القرآن الكريم.

- **المبحث الثالث**: التعريف بتفسير الإمام ابن باديس «**مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير**» وبيان منهجه فيه.

وفيه ثلاثة مطالب:

* **المطلب الأول**: التعريف بالتفسير «**مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير**».

❋ **المطلب الثاني**: مصادر ابن باديس في تفسيره.

❋ **المطلب الثالث**: منهج ابن باديس في تفسيره.

❖ **الفصل الثاني**: الاستنباط، تعريفه وأهميته وشروطه.

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

• **المبحث الأول**: تعريف الاستنباط.

وفيه ثلاثة مطالب:

❋ **المطلب الأول**: تعريف الاستنباط لغة.

❋ **المطلب الثاني**: تعريف الاستنباط اصطلاحا.

❋ **المطلب الثالث**: الفرق بين الاستنباط والتفسير وبيان العلاقة بينهما.

• **المبحث الثاني**: أهمية الاستنباط.

• **المبحث الثالث**: شروط الاستنباط.

وفيه مطلبان:

❋ **المطلب الأول**: شروط المستنبط.

❋ **المطلب الثاني**: شروط المعنى المستنبط.

❖ **الفصل الثالث**: أقسام الاستنباط عند ابن باديس في تفسيره «**مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير**».

وفيه ثلاثة مباحث:

• **المبحث الأول**: أقسامه باعتبار الموضوع.

وفيه عشرة مطالب:

❋ **المطلب الأول**: الاستنباطات العقدية.

❋ **المطلب الثاني**: الاستنباطات الفقهية والأصولية.

❋ **المطلب الثالث**: الاستنباطات التربوية التعليمية.

* **المطلب الرابع**: الاستنباطات الدعوية.
* **المطلب الخامس**: الاستنباطات في السياسة الشرعية.
* **المطلب السادس**: الاستنباطات في الإعجاز البياني.
* **المطلب السابع**: الاستنباطات في الإعجاز العلمي.
* **المطلب الثامن**: الاستنباطات في السنن الكونية.
* **المطلب التاسع**: الاستنباطات في علوم القرآن.
* **المطلب العاشر**: الاستنباطات في المناهج والآداب القرآنية.

- **المبحث الثاني**: أقسامه باعتبار الإفراد والتركيب.

وفيه مطلبان:

* **المطلب الأول**: الاستنباطات باعتبار الإفراد.
* **المطلب الثاني**: الاستنباطات باعتبار التركيب.

- **المبحث الثالث**: أقسامه باعتبار الظهور والخفاء.

وفيه مطلبان:

* **المطلب الأول**: الاستنباط الظاهر.
* **المطلب الثاني**: الاستنباط الخفي.

❖ **الفصل الرابع**: منهج ابن باديس في الاستنباط.

وفيه مبحثان:

- **المبحث الأول**: منهجه في طريق دلالة الاستنباط.

وفيه أربعة مطالب:

* **المطلب الأول**: الدلالات البلاغية، وتشمل:

◆ دلالات المخالفة لمقتضى الظاهر.

- دلالة الاستفهام.
- دلالة التقديم والتأخير.
- دلالات الحذف.

❋ **المطلب الثاني**: الدلالات الأصولية، وتشمل:

- دلالة الإيماء والتنبيه.
- دلالة الإشارة.
- دلالة مفهوم الموافقة.

❋ **المطلب الثالث**: دلالة الاقتران.

❋ **المطلب الرابع**: دلالة السياق، ويشمل:

- سياق المقال.
- سياق المقام.

● **المبحث الثاني**: منهجه في طريقة وأسلوب عرض الاستنباط.

❖ **الفصل الخامس**: دراسة استنباطات ابن باديس، مرتبة على ترتيب السور في المصحف.

❖ **الخاتمة**: وتشمل على أهم النتائج والتوصيات.

❖ **الفهارس العلمية**: وتشتمل على فهارس: (الآيات، والأحاديث النبوية، والآثار، والشعر، والغريب، والفرق والمذاهب، والمصادر والمراجع، والموضوعات) مرتبة على حروف المعجم.

❑ كلمة شكر وتقدير:

وأخيرا وقد جاء البحث على نهايته، أقول كما قال أخو العرب:

وألقت عصاها واستقرت بها النّوى كما قرّ عينا بالإياب المسافر[(١)].

فالحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وبتوفيقه تحقق المقاصد والغايات، فله سبحانه الفضل والمنّة على نعمة التمام، لا أحصي ثناء عليه سبحانه وتعالى، هو كما أثنى على نفسه.

ثم الشكر لأمي التي ما فتئت تدعو لي بالخير والحفظ والستر والتمام، وها قد حقق الله أمنيتها وقد تمت الرسالة بفضل الله عز وجل ثم بدعاء والدتي حفظها الله.

ثم الشكر لأبي رحمه الله الذي ربّانا تربية بعيدة عن رفقة السوء، وكان يخاف علينا من كل شيء يعترض طريقنا إلى التعلّم، فحقق الله أمنيته فينا، وحفظنا بسبب خوفه علينا، رحمه الله رحمة واسعة.

وإني لأكتب هذا، وأنا أعلم أن بيان وبسط حق وفضل الوالدين، لا تفي به أسفار فضلا عن هذه الأسطر في عجالة، ولكني أقول كما علمنا ربنا ﴿ رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ﴾ (الإسراء: ٢٤).

ثم الشكر لزوجتي رحمها الله، التي كانت لي عونا على طلب العلم، وصبرت صبرا جميلا، ورافقتني في أول رحلة البحث، ثم فرّق الموت بيننا، رحمها الله رحمة واسعة.

---

(١) هذا البيت لمعقر بن أوس بن حمار البارقي، وهو شاعر جاهلي وقولهم: ألقى عصاه، أي أقام وترك الأسفار، وهو مثل، وقال الشاعر: فألقت عصاها واستقرت بها النوى... ونوى: غربة أي بعيدة، وغربة النوى: بعدها، والنوى: المكان الذي تنوى أن تأتيه في سفرك، والنية والنوى الوجه الذي ينويه المسافر من قرب أو بعد، وهي مؤنثة لا غير، والنية والنوى جميعا: البعد، واستقرت نواهم أي أقاموا، يقال رفع فلان عصا السير إذا سافر، وألقى عصاه إذا أقام، وهذا البيت يضرب مثلا لكل من استقر من سفر وغيره. انظر: الصحاح (٦/٢٤٢٨) و(١/١٩٣)، ولسان العرب (١٥/٣٤٧)، وغريب الحديث للخطابي (ص٢٧١).

ثم الشكر موصول إلى كل من ساعد على الدخول في هذه الدراسة القرآنية من قريب أو من بعيد، وأخص بالذكر جامعة أم القرى الممثلة في كلية الدعوة وأصول الدين، والقائمين على برنامج الدراسات العليا، وعلى رأسهم عميد الكلية الدكتور/ محمد السرحاني، الرجل الإنساني المتفاهم لظروف طلبته، والشيخ الدكتور/ فيصل الغزاوي، وكيل الدراسات العليا على مساندته لي في الظروف التي مرّت بي أثناء إنجاز هذه الرسالة.

ثم الشكر موصول إلى رئيس القسم الأسبق الدكتور/ غالب الحامضي، ورئيس القسم الحالي الدكتور/ يوسف الباحوث، الذي لا يألو جهدا في خدمة الطلاب.

ثم الشكر موصول إلى الأساتذة الذين قبلوا تقويم هذا البحث وإبداء تصويباتهم وتوجيهاتهم.

ثم الشكر موصول أيضا لأساتذتي المشايخ الفضلاء في السنة المنهجية.

ثم الشكر موصول إلى مشرفي الفاضل الدكتور/ علي الأمين عوض الله، على ما أبداه من توجيهات وتصويبات وإرشادات مضيئة، استنارت بها طريق هذه الرسالة، ثم لا أنسى شيخي الدكتور/ طه عابدين، على ما أسداه من ملاحظات جوهرية قيّمة استقام بها منهج هذه الرسالة، فجزاه الله تعالى عنّي خير الجزاء، كما لا أنسى رئيس القسم الحالي الدكتور/ يوسف الباحوث، على ما أبداه من ملاحظات قيّمة، استفدت منها في تحسين هذه الرسالة، كما لا يفوتني ذكر إخواني وأخواتي بالشكر لما أسدوه إليّ من مساندة وتحفيز، وكذا جميع الزملاء والأصدقاء، فجزى الله الجميع عنّي خير الجزاء، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه تسليما كثيرا.

الفصـــل الأول

التعريف بالإمام ابن باديس ومنهجه في تفسيره

« مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير »

وفيه تمهيد وثلاثة مباحث:

- **المبحث الأول:** ترجمة ابن باديس وحياته العلمية ووفاته
- **المبحث الثاني:**

العوامل التي أثرت في تكوين شخصيته العلمية والعملية

- **المبحث الثالث:**

التعريف بتفسير الإمام ابن باديس «**مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير**» وبيان منهجه فيه

تمهيد

❑ حالة المجتمع الجزائري الذي نشأ وترعرع فيه ابن باديس:

❖ الحالة السياسية والثقافية:

لم يكن هدف الاستعمار الفرنسي من وراء احتلاله للجزائر عام ١٨٣٠م، هو فقط الاستحواذ على خيراتها الفلاحية والمعدنية، أو ما تتمتع به من مكانة وموقع استراتيجي هام في حوض البحر المتوسط، ولكن كان هدفه الرئيس من وراء هذا الغزو، هو محو الخصائص القومية والروحية لسكان هذا القطر من الأمة العربية، وذلك تمهيدا لإدماجه في الوطن الفرنسي.

ولقد ظلت هذه السياسة الاستعمارية مسيطرة لدى حكومة باريس، ولدى المعمرين من الفرنسيين، حتى برهنت حرب التحرير الجزائرية على فشلها.

وقد تجلت سياسة هذا الاستعمار الغاشم لتحطيم الشخصية القومية للجزائر في الأمور الآتية:

- القضاء على الدين الإسلامي.
- القضاء على الثقافة العربية الإسلامية بالجزائر.
- القضاء على اللغة العربية التي هي وعاء الفكر والثقافة في الجزائر.
- القضاء على الجنسية الجزائرية.
- تشويه تاريخ الجزائر في ظل الحضارة الإسلامية العربية.

◆ العمل على تفكيك الوحدة الوطنية للشعب الجزائري، عن طريق خلق الشقاق، وإثارة الفتن بين سكان الوطن الجزائري، بدعوى أن الجزائر يسكنها عنصران من السكان لا عنصر واحد، وهما: العرب والبربر[١] أي الأمازيغ)[٢].

وكانت منتهجة في ذلك سياسة تسير بخطوط متوازية تصب كلها في وجهة واحدة وهي القضاء والمحو لشخصية هذا الشعب ومقوماته، وهذه الخطوط العامة تتمثل في: **التفقير، التجهيل، الفرنسة، التنصير**.

أما سياسة التفقير، فتتمثل في اغتصاب أراضي الجزائريين التي هي مصدر رزقهم ومصادرة أملاكهم وعقاراتهم وإرهاقهم بالضرائب والغرامات ومصادرة الأوقاف الإسلامية التي كانت تُعدّ مصدرا للخدمات الخيرية وخاصة المشاريع التربوية كالمساجد والمدارس والزوايا)[٣].

جاء في تقرير اللجنة الاستطلاعية التي بعث بها ملك فرنسا إلى الجزائر يوم ١٨٣٣/٧/٧م ما يلي: (ضممنا إلى أملاك الدولة سائر العقارات التي كانت من أملاك الأوقاف واستولينا على أملاك طبقة من السكان كنا تعهدنا برعايتها وحمايتها... لقد انتهكنا حرمات المعاهد الدينية ونبشنا القبور واقتحمنا المنازل التي لها حرمتها عند المسلمين...)[٤].

---

(١) البربر (الأمازيغ) قال ابن خلدون: هذا الجيل من الآدميين هم سكان المغرب القديم... ولغتهم من الرطانة الأعجمية متميزة بنوعها، وهي التي اختصوا من أجلها بهذا الاسم... وهم من ولد كنعان بن حام بن نوح، وأن اسم أبيهم مازيغ... هؤلاء البربر جيل وشعوب وقبائل أكثر من أن تحصى، حسب ما هو =معروف في تاريخ الفتح بإفريقية والمغرب. تاريخ ابن خلدون "ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر" (١١٦/٦) فما بعدها بتصرف واختصار.

(٢) الشيخ عبد الحميد ابن باديس باعث النهضة الإسلامية العربية في الجزائر الحديثة لتركي رابح (ص٦٩-٧٠)، والإمام عبد الحميد ابن باديس لمحمود قاسم (ص٧).

(٣) عبد الحميد ابن باديس لمحمود قاسم (ص٩١).

(٤) تاريخ الجزائر العام لعبد الرحمن الجيلالي (٤٤٥/٣-٤٤٦).

أما سياسة تجهيل الجزائريين، فتتضح في أن فرنسا قد قضت على معظم المدارس والمعاهد التي كانت موجودة قبل الاحتلال، ثم استولت على أملاك الأوقاف الإسلامية التي كانت تقوم بالإنفاق على التعليم والثقافة في البلاد، وبذلك ماتت معاهد العلم التي سلمت من الدمار الاستعماري، وتفرَّق الطلبة والأساتذة شذر مذر.

كما طالت يد الحقد الصليبي المكتبات العامة والخاصة، حيث أحرقت مكتبة الأمير عبد القادر الجزائري سنة ١٢٥٩هـ/١٨٤٣م، وكان فيها من نوادر المخطوطات ونفائس المؤلفات التي لا تقدر بثمن، ونفس المصير واجهته معظم المكتبات الأخرى، أما عدد التلاميذ الجزائريين في المدارس الابتدائية الفرنسية فقد بلغ في عام ١٨٧٠م إلى (١٣٠٠٠) تلميذا، ثم هبط عددهم في عام ١٨٨٠م إلى (٣١٧٢) تلميذا، في حين أن عدد الأطفال الأوروبيين قد وصل في عام ١٨٧٠م إلى (٤٤٣٢٦) تلميذا، مما يدل على سياسة التجهيل التي كانت تسير عليها فرنسا في الجزائر، لذلك كانت الأمية منتشرة بين النساء الجزائريات بنسبة (٩٩%) وبين الرجال بنسبة (٩٥%)، وقد كانت نسبة المتعلمين في الجزائر تفوق نسبة المتعلمين في فرنسا قبل الاحتلال، فقد كتب الجنرال "فالز" سنة ١٨٣٤م بأن كل العرب الجزائريين تقريبا يعرفون القراءة والكتابة حيث أن هناك مدرستين في كل قرية...

أما الأستاذ "ديمتري" الذي درس طويلا الحياة الجزائرية في القرن التاسع عشر فقد أشار إلى أنه قد كان في قسنطينة وحدها قبل الاحتلال (٣٥) مسجدا تستعمل كمراكز للتعليم كما أن هناك سبع مدارس ابتدائية وثانوية يحضرها بين (٦٠٠) و(٩٠٠) طالبا ويدرس فيها أساتذة محترمون لهم أجور عالية[١].

وقد أُحصيت المدارس في الجزائر سنة ١٨٣٠م بأكثر من ألفي مدرسة بين ابتدائية وثانوية وعالية، وكتب الرحالة الألماني "فيلهلم شيمبرا" حين زار الجزائر في شهر ديسمبر ١٨٣١م يقول: (لقد بحثت قصدا عن عربي واحد في الجزائر يجهل القراءة والكتابة غير

(١) الشيخ عبد الحميد ابن باديس باعث النهضة الإسلامية العربية في الجزائر الحديثة (ص٩٣)بتصرف يسير، وعبد الحميد ابن باديس وجهوده التربوية (ص٤٨).

أني لم أعثر عليه في حين أني وجدت ذلك في بلدان جنوب أوروبا، فقلما يصادف المرء هناك من يستطيع القراءة من بين أفراد الشعب)[١].

أما سياسة فرنسة الجزائر، فتتضح في موقف الاستعمار الفرنسي من لغة البلاد، وهي اللغة العربية، فقد اتخذت الإدارة الاستعمارية منذ البداية موقفا عدائيا من اللغة العربية وأبعدتها إبعادا كاملا من الإدارة الحكومية ومن معاهد التعليم في جميع مراحله تقريبا كي تتمكن من فرنسة الجزائيين فرنسة كاملة، يدل على ذلك ما جاء في إحدى التعليمات التي صدرت في أوائل أيام الاحتلال عقب الشروع في تنظيم الإدارة الحكومية في الجزائر، فقد ورد فيها ما يلي: (أن بلاد الجزائر لن تصبح حقيقة مملكة فرنسية إلا عندما تصبح لغتنا هناك لغة قومية والعمل الجبار الذي يترتب علينا إنجازه هو السعي وراء نشر اللغة الفرنسية بين الأهالي الجزائريين بالتدريج إلى أن تقوم مقام اللغة العربية الدارجة بينهم الآن)[٢].

(وقد عمد الاستعمار إلى فرنسة سائر مظاهر الحياة الجزائرية حتى المدن أصبحت تحمل أسماء حكماء وجنرالات فرنسيين مثل: "باسكال"، و"فولتير"، و"فيكتور هيقو"، و"سانتارنو"، و"روفيقو"، و"لافاييت"، و"ميشال"...الخ، وكذلك أسماء الشوارع والميادين والساحات)[٣].

أما سياسة التنصير، وهي النقطة الرابعة في المخطط الاستعماري للقضاء على الشخصية القومية للشعب الجزائري فتتمثل في موقف الاستعمار الفرنسي من الإسلام وأوقافه ومحاكمه ومساجده ومعاهده العلمية، فمنذ البداية عمد قادة الاحتلال إلى الاستيلاء على المساجد وتحويلها إلى كنائس... وبعد احتلال مدينة الجزائر أرسل قائد الحملة إلى القسيس الذي رافقها خطابا قال له فيه: (إنكم جئتم معنا إلى هنا لتفتحوا من جديد أبواب المسيحية في أفريقيا... وكان الجنرال "بيجو" [٤] أحد قادة الاحتلال

---

(١) تاريخ الجزائر العام (ص٥٣٧).

(٢) الشيخ عبد الحميد ابن باديس باعث النهضة الإسلامية العربية في الجزائر الحديثة (ص٩٤).

(٣) المرجع السابق (ص٩٥).

(٤) الماريشال بيجو الحاكم العام للجزائر أيام الاستعمار الفرنسي (١٨٤٠م – ١٨٤٧م)، هو توماس روبير

يجمع الأطفال الجزائريين اليتامى ويأتي بهم إلى القسيس ويسلمهم له قائلا: (حاول يا أبتي أن تجعلهم مسيحيين وإذا فعلت ذلك فلن يعودوا إلى دينهم ليطلقوا علينا النار... وقد تولى الكاردنال "لافيجري" [١] مسؤولية تنفيذ سياسة تنصير واسعة النطاق في الجزائر حددها بقوله: (علينا أن نجعل من الأرض الجزائرية مهدا لدولة مسيحية تضاء أرجاؤها بنور منبع وحيها الإنجيل... تلك هي رسالتنا)[٢].

❖ **الحالة الاجتماعية والدينية:**

والحياة الاجتماعية والدينية كانت في تدهور وخمود مما دعا إلى ردّ الفعل ونشوء الحركات الإصلاحية في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي وأوائل القرن العشرين.

بيجو دولا بيكونيري (Thomas Bugeaud de la Piconnerie) المعروف بالدوق (دي زلي) ولد في ١٥ أكتوبر سنة ١٧٨٤م بليمونج، ومات بباريس (فرنسا) بالكوليرا ١٠ يونيو سنة ١٨٤٩، رقي إلى رتبة ماريشال فرنسا في ٣١ يوليو ١٨٤٣م، حارب قبل مجيئه إلى الجزائر في إسبانيا واشتهر هناك بالعنف، تولى بيجو الحكم في الجزائر في ٢٩ ديسمبر ١٨٤٠م إلى ٢٩ يونيو ١٨٤٧م، سلك خلال سنوات حكمه سياسة القهر والعنف والإبادة والتدمير والتهجير والنفي في إطار الحرب الشاملة التي مارسها تجاه الجزائريين. (ويكبيديا، الموسوعة الحرة).

(١) شارل مارسيال لافيجري، انتقل إلى الجزائر سنة ١٨٦٧م حيث أصبح كبير أساقفتها، واهتم بالتبشير فأسس سنة ١٨٦٨م جمعية المبشرين بالجزائر التي تعرف باسم الآباء البيض: (Les Pères Blancs)، وأسس في السنة الموالية جمعية الأخوات البيضاوات المسماة: Congrégation des Soeurs Missionnaires de Notre Dame d'Afrique)، وكان يهدف بعمله تحويل مسلمي الجزائر إلى الديانة المسيحية، معتبرا الجزائر بابا نحو القارة الإفريقية التي أرسل إليها بالفعل عددا من البعثات التبشيرية، وهو ما جعله يسمَّى "جاثليق إفريقيا" (Primatd'Afrique)، وتوفي بمدينة الجزائر في ٢٦ نوفمبر ١٨٩٢م، ويصرح "الكاردينال لافيجري" وهو من أكثر الناشطين على الساحة الجزائرية: "إن عهد الهلال في الجزائر قد ولى و قبر، وأن عهد الصليب قد بدأ وأنه يستمر إلى الأبد... وأن علينا أن نجعل أرض الجزائر مهدا لدولة مسيحية مضاءة أرجاؤها بنور مدينة منبع وحيها من الإنجيل، إن أيالة الجزائر لن تصبح حقيقة مملكة فرنسية إلا عندما تصبح هناك لغتنا قومية، والعمل الجبار الذي يترتب علينا إنجازه هو السعي وراء نشر اللغة الفرنسية بين الأهالي إلى أن تقوم مقام اللغة العربية الدارجة بينهم الآن". (ويكيبيديا، الموسوعة الحرة).

(٢) الشيخ عبد الحميد ابن باديس باعث النهضة الإسلامية العربية في الجزائر الحديثة (ص ٩٥).

يقول المؤرخ الجزائري إسماعيل حامت[١]: (كان للإلحاد الغربي مبلغ كبير من التأثير في جمهور ليس بالقليل من مسلمي الجزائر الذين وإن كانوا ما برحوا مسلمين في الظاهر فهم يجهلون حدّ ما وصلت إليه روحهم الدينية من التلاشي.

إن هؤلاء لا ينكرون الإسلام دينهم ومعتقدهم غير أنهم قد أضحوا من فتور الغيرة الدينية في نفوسهم بحيث غدوا لا يبالون البتة بنشره في نفوس الناس وبالدعوة إليه في غير المسلمين، فالإسلام عندهم إنما هو مقصور على مَن يأتي بعدهم من الأولاد والأحفاد فحسب، وليس يتناول أحدا سواه من الخلق أجمعين، فالحق أن الإسلام لبراء مما هم فاعلون وليس ذلك هو الحرية الفكرية على ما يزعمون بل إنما هو الفتور فالتلاشي)[٢].

وهذا رحالة بلجيكي[٣] يصف الجزائر قبيل الحرب العالمية، مشيرا إلى الأفكار الغربية التي أخذت تتسرب إلى الجزائريين، وخصوصا طبقة العمال: (إن الإسلام ليُرى متمزقا تمزق الثوب البالي على أرصفة الجزائر، فعمال المرفأ ونقلة الفحم وساقة الآلات البخارية على اختلاف جنسيتهم عادوا لا يبالون بالإسلام، بل ترى فيهم صبغة آداب العمال الأوربيين راسخة، وهم يشتركون مع زملائهم العمال الغربيين في السعي وراء الغرض ونيل الغاية، اشتراكا قائما على أساس واحد، هو وجوب مقاومة أرباب رؤوس الأموال ونزاعهم نزاعا اقتصاديا، فلو كان في الجزائر معامل مثل تلك المعامل التي في أوربا، لاختفى الإسلام السني من تلك الديار المغربية اختفاء الكاثولكية القديمة من ديارنا أمام تيار الصناعة وثورتها الكبرى)[٤].

(كما سيطرت الطرق الصوفية[٥] على الفكر الإسلامي والمجتمع المغربي في القرن التاسع عشر سيطرة مذهلة، فبلغ عدد الزوايا في الجزائر (٣٤٩٩) زاوية وعدد المريدين أو

---

(١) لم أعثر له على ترجمة.

(٢) آثار ابن باديس لعمار الطالبي (٤٨/١).

(٣) لم أقف على اسمه.

(٤) آثار ابن باديس لعمار طالبي (٤٩/١).

(٥) لم يتفق العلماء على بيان محدد لمفهوم التصوف عند الصوفيين، وذلك لإطلاق هؤلاء الصوفية عبارات شتى حسب ذوق كل فريق، وتخيلاته لمفهوم التصوف، إلا أن الحصيلة العامة لأقوالهم تلتقي حول أن التصوف هو: القرب من الله، وترك الاكتساب، والتمسك بالخلق الرفيع، والجود، ورفع التكاليف عن بعض فضلائهم

الإخوان (٢٩٥٠٠٠) مريدا ، والفقهاء الذين عُرفوا بمعارضتهم الصوفية أصبحوا بدورهم "طُرقيين"، فساد الظلام وخيّم الجمود، وكثرت البدع، واستسلم الناس للقدر، وأصبحوا إذا سئل أحدهم عن حاله أجاب: "نأكلْ القَوْت ونسْتَنَّى في الموْت".

وهذه الظاهرة الاجتماعية أدت إلى تعطيل الفكر وشل جميع الطاقات الاجتماعية الأخرى)[١].

يقول الشيخ العلامة محمد البشير الإبراهيمي[٢] واصفا هذه الحال: (كان من نتائج الدراسات المتكررة للمجتمع الجزائري بيني وبين ابن باديس منذ اجتماعنا بالمدينة المنورة ١٩١٣م أن البلاء المنصب على هذا الشعب المسكين آت من جهتين متعاونتين عليه وبعبارة أوضح من استعمارين مشتركين يمتصان دمه ويتعرّقان لحمه ويفسدان عليه دينه ودنياه: استعمار مادي هو الاستعمار الفرنسي يعتمد على الحديد والنار، واستعمار روحاني يمثله مشايخ الطرق المؤثرون في الشعب، المتّجرون بالدين المتعاونون مع الاستعمار عن رضى وطواعية، والاستعماران متعاضدان يؤيد أحدهما الآخر بكل قوته، ومظهرهما مع تجهيل الأمة لئلا تفيق بالعلم فتسعى في الانقلاب، وتفقيرها لئلا تسعى بالمال على الثورة)[٣].

حين يتصلون بالله عز وجل على حد زعمهم، ويصلون إلى درجة اليقين وظهور المكاشفات، ثم هم بعد ذلك درجات في تطبيق هذا المفهوم. ينظر: "فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها" للدكتور غالب بن علي عواجي (٨٨٦/٣).

(١) آثار ابن باديس (١٨/١).

(٢) محمد بن بشير بن عمر الإبراهيمي (١٣٠٦ - ١٣٨٥ هـ = ١٨٨٩ - ١٩٦٥ م)، من كبار العلماء، انتخب رئيسا لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ولد ونشأ بدائرة سطيف من أعمال قسنطينة، وتفقه وتأدب في رحلة إلى المشرق سنة ١٩١١م، فأقام في المدينة إلى سنة ١٩١٧م، وفي دمشق إلى حوالي ١٩٢١م، وعاد إلى الجزائر وقد نشطت حركة صديقه ابن باديس، وأنشأ جمعية العلماء ١٩٣١م وتولى ابن باديس رئاستها والإبراهيمي النيابة عنه... وكان من أعضاء المجامع العلمية العربية في القاهرة ودمشق وبغداد. الأعلام للزركلي (٥٤/٦) باختصار. قلت: (جمع نجله أحمد الطالب الإبراهيمي آثار أبيه وهي مطبوعة الآن في خمس مجلدات تحت عنوان: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي).

(٣) آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي (٢٨٢/٥).

هذا باختصار حالة المجتمع الجزائري سياسيا وثقافيا واجتماعيا ودينيا في الفترة التي عاشها ابن باديس، الذي ولد عام ١٨٨٩م، وتوفي عام ١٩٤٠م.

وهذه فرنسا المسيحية الحاقدة التي حلت بالجزائر المسلمة المجاهدة، وهذه هي مخططاتها واستراتيجياتها الرهيبة، منذ أن دخلت بالقوة إلى الجزائر عام ١٨٣٠م إلى أن أخرجت منها بالقوة عام ١٩٦٢م.

وهذا هو الاستعمار الثاني، المتمثل في الطرقية الساذجة التي خدرت العقول، وشوهت الدين، وتعاونت مع المستعمر، من حيث أنها تدري ومن حيث لا تدري.

فمن هو ذا عبد الحميد ابن باديس الذي قاوم كل هذه الجبهات، فأحبط مخططات فرنسا، ودحض فكر الصوفية الطرقية، وأخمد نارها، وكشف عوارها...؟

المبحث الأول

ترجمة ابن باديس وحياته العلمية ووفاته[١]

وفيه ثمانية مطالب:

- **المطلب الأول**: نشأته من الولادة إلى رحلته إلى الزيتونة بتونس وشيوخه في هذه المرحلة (١٨٨٩م-١٩٠٨م)
- **المطلب الثاني**: من رحلته إلى جامع الزيتونة واعتماده طالبا فيها إلى عودته إلى وطنه وشيوخه في هذه المرحلة (١٩٠٨م-١٩١٣م)
- **المطلب الثالث**: من عودته إلى وطنه إلى رحلته إلى المشرق والأعمال التي قام بها في هذه المرحلة (١٩١٣م)
- **المطلب الرابع**: من رحلته إلى المشرق واتصاله بمجموعة من العلماء والمفكرين المصلحين إلى عودته إلى وطنه وشيوخه في هذه المرحلة (١٩١٣م)
- **المطلب الخامس**: من عودته إلى وطنه واستقراره بمسقط رأسه، قسنطينة إلى وفاته وأعماله في هذه المرحلة (١٩١٣م-١٩٤٠م)
- **المطلب السادس**: عقيدته ومذهبه الفقهي
- **المطلب السابع**: وفاته
- **المطلب الثامن**: آثاره وثناء العلماء عليه

---

(١) ينظر ترجمة ابن باديس في المراجع التالية: "مقدمة مجالس التذكير" (ص٦) وما بعدها جمع (توفيق شاهين)، "الأعلام" للزركلي (٦٠/٤)، "ابن باديس حياته وآثاره" للدكتور عمار طالبي ٧٢/١، "معجم أعلام الجزائر" للنويهض (ص٨٢)، "معجم المفسرين" للنويهض ٢٥٩/١، "ابن باديس وعروبة الجزائر" للميلي (٩ص وما بعدها)، مجلة البيان (٨/١٣)، مجلة الرسالة (٦٨/٣٦٢).

❑ **المطلب الأول:**

نشأته من الولادة إلى رحلته إلى جامع الزيتونة (١٨٨٩م - ١٩٠٨م) وشيوخه في هذه المرحلة

● **اسمه ونسبه:**

هو عبد الحميد بن محمد المصطفى بن مكي بن باديس، وينتهي نسبه إلى المعز ابن باديس مؤسس الدولة الصنهاجية الأولى التي خلفت الأغالبة على مملكة القيروان.

● **مولده:**

ولد عبد الحميد ابن باديس بمدينة قسنطينة عاصمة الشرق الجزائري آنذاك في ربيع الثاني ١٣٠٨هـ الموافق لـ ٤ ديسمبر ١٨٨٩م.

● **شهرة أسرته:**

وعائلة ابن باديس عائلة مشهورة في الجزائر والمغرب العربي منذ قرون عديدة، فقد لعبت دورا كبيرا في تاريخ المغرب الإسلامي سياسيا، وعلميا، ودينيا، منذ القرن الرابع الهجري، وتولى أفراد منها السلطة فيه بعد انتقال مقر الخلافة الفاطمية من القيروان عاصمة أفريقيا والمغرب الأوسط إلى مصر في القرن الرابع الهجري.

ومن رجالات هذه الأسرة المشهورين في التاريخ الذين كان يحلو للشيخ عبد الحميد ابن باديس أن يفتخر بهم كثيرا "المعز لدين الله بن باديس"[(١)] الذي عمل قبل نهاية حكمه على انفصال المغرب الإسلامي سياسيا ومذهبيا عن الخلافة الفاطمية بمصر، وحارب الشيعة الرافضة في أفريقيا وأخذ يحمل الناس على اعتناق المذهب المالكي السني ونبذ المذهب الشيعي الرافضي، وقد نفذ هذا الانفصال في حدود عام ٤٤٣هـ وأصبح

---

(١) هو المعز بن باديس بن منصور بن بلكين بن زيري الحميري الصنهاجي، سلطان إفريقية وما والاها من المغرب، وكان رئيسا جليلا، عالي الهمة، محبا للعلماء، من بيت إمرة وحشمة، وكان مذهب أبي حنيفة ظاهرا بإفريقية، فحمل المعز أهل مملكته على مذهب مالك والاشتغال به، وحسم مادة الخلاف في المذاهب، وخلع طاعة المصريين، الذين كانوا تحت إمرة المستنصر العبيدي، وخطب للإمام القائم بأمر الله أمير المؤمنين، ولم يخطب لبني عبيد بعد ذلك بإفريقية، وكان مولده في سنة ٣٩٨هـ، وتوفي سنة ٤٥٤هـ. تاريخ الإسلام (٥٤/١٠) باختصار، ينظر ترجمته: وفيات الأعيان (٢٣٣/٥).

يدعو على منابر أفريقيا إلى الخليفة العباسي في بغداد "القائم بأمر الله"[١] بدل الدعوة إلى الخليفة الفاطمي بالقاهرة كما كان العمل جاريا عليه في السابق وقد اشتهرت عدة شخصيات من أسرة ابن باديس في العصر الحاضر في ميادين السياسة والعلم)[٢].

- **تعليمه الأول:**

(وقد تلقى ابن باديس تعليمه على الطريقة التقليدية، فحفظ القرآن الكريم أولا وسنّه ثلاثة عشر عاما، وكان المؤدب الذي حفظ عليه القرآن معجبا به إعجابا كبيرا نظرا لذكائه واستقامة خلقه وسيرته الطيبة، ولذلك قدمه لإمامة المصلين في صلاة التراويح لمدة ثلاث سنوات متوالية في الجامع الكبير بمدينة قسنطينة.

ولم يلتحق ابن باديس بالمدارس الفرنسية كغيره من أبناء العائلات الكبيرة في ذلك الوقت، لأن والده فضّل أن يربيه تربية إسلامية خالصة.

وبعد حفظه القرآن الكريم سنة ١٩٠٣م، اختار له والده أحد علماء قسنطينة[٣] المشهورين بالعلم والتقوى والصلاح لتلقينه العلوم العربية والإسلامية)[٤].

- **شيوخه في هذه المرحلة:**

فقد درج المترجمون لأشخاص ألاّ ينسبوا لمترجميهم شيخا إلا إذا كان قد تلقى عليه العلم في حلقة من حلقاته التي يلقيها،أو عن شيخ معروف بحمل العلم ونشره، وأما أنا "الباحث" فقد نسبت لصاحب ترجمتي أوَّلَ مشايخه، وأعظمَهم تأثيرا على تكوينه العلمي وتوجيهه الوجهة الصحيحة الصالحة في هذه المرحلة، **أبويه**.

---

(١) هو القائم بأمر الله عبد الله بن القادر بالله العباسي أمير المؤمنين، القائم بأمر الله، أبو جعفر عبد الله ابن القادر بالله أحمد ابن الأمير إسحاق ابن المقتدر بالله جعفر بن المعتضد العباسي البغدادي، مولده: في سنة ٣٩١هـ، كان ذا دين وخير وبر وعلم وعدل، عالما مهيبا،،وكان تاركا للملاهي، بويع سنة ٤٢٢هـ، وتوفي سنة ٤٦٧هـ رحمه الله. سير أعلام النبلاء (١٣٨/١)، ينظر ترجمته في: تاريخ بغداد (٤٧/١١).

(٢) الشيخ عبد الحميد بن باديس باعث النهضة الإسلامية العربية في الجزائر الحديثة (ص١٣).

(٣) هو حمدان لونيسي، انظر ترجمته (ص ٣١، هامش ٤).

(٤) الشيخ عبد الحميد بن باديس باعث النهضة الإسلامية العربية في الجزائر الحديثة (ص ١٦) بتصرف يسير.

يقول ابن باديس عن أبيه مشيدا بفضله عليه: (إن الفضل يرجع أولا إلى والدي الذي ربّاني تربية صالحة ووجهني وجهة صالحة ورضي لي العلم طريقة أتبعها ومشربا أرده...)[١].

ويقول عن أمه: (إن زغردة أمي لازالت ترُنّ في أذني لا أنساها) ، مشيرا إلى زغردتها لمّا رجع فائزا وقد نال شهادة التطويع من جامعة الزيتونة)[٢].

فهذه نبذة مختصرة عن هذين الوالدين العظيمين الكريمين.

◆ **فأما والده محمد المصطفى**: فهو من كبار الموظفين والوجهاء في قسنطينة شغل منصب مندوب مالي، وعضو في المجلس الأعلى، و"باشا آغا" شرفيا، ومستشار بلدي بمدينة قسنطينة، وكان من ذوي الفضل والخلق الحميد، ومن حفظة القرآن الكريم)[٣].

(ففي سنة ١٩٠٣م دخل الشاب عبد الحميد في طور جديد من أطوار دراسته، فخيّره والدُه بين أن يسلك طريق أجداده، أو طريقا آخر، فاختار طريق سلفه وهو طريق العلم والجهاد، فانتخب له أبوه أحدَ الشيوخ الصالحين من ذوي المعارف الإسلامية والعربية، وهو الشيخ حمدان لونيسي)[٤].

◆ **أم عبد الحميد ابن باديس**: وأما والدة الشيخ عبد الحميد فهي السيدة زهيرة بنت محمد بن عبد الجليل بن جلول، من أسرة ابن جلول المشهورة بالنبوغ والفضل والشجاعة في قسنطينة، لقد كانت كزوجها محمد ابن المصطفى متدينة، وكانت ذكية حصيفة العقل حسنة كريمة تحب الناس ويحبونها الناس، وكانت تحب العلم كل الحب وتوقر أهله وتشرف ذويه، فكانت تتضرع إلى الله في الصلوات، وتسأل الله من أعماقها أن يرزقها ذرية صالحة يكون منهم عالم صالح ينصر الدين ويحيي المسلمين، فحملت

---

(١) الشيخ عبد الحميد بن باديس باعث النهضة الإسلامية العربية في الجزائر الحديثة (ص٣١).

(٢) نهضة الجزائر الحديثة لعلي دبوز (ص٦١).

(٣) المرجع السابق (ص٤٨).

(٤) آثار ابن باديس (٤٧/١).

بعبد الحميد، وكان الولد البكر، فسُرّت بحملها وتضرعت إلى الله أن يكون ابنًا يحقق آمالها.

ومن شيوخه المباشرين في هذه المرحلة:

◆ **الشيخ محمد المداسي**[١]: (كانت الدروس التي تلقّاها ابن باديس هي حفظ القرآن الكريم على يد الشيخ "محمد المداسي"، فأتم حفظه وهو في الثالثة عشر من عمره، ولما أبدى نجابةً وذكاءً مميزين، قدّمه أستاذه لإمامة الناس في صلاة التراويح لمدة ثلاث سنوات، وذلك في الجامع الكبير بقسنطينة.

◆ **الشيخ حمدان لونيسي**[٢]: وبعد حفظه للقرآن الكريم، انتقل ابن باديس للدراسة على الشيخ "حمدان لونيسي" حيث تلقى على يديه علوم العربية والفقه والحديث، وقد توطدت الصلة بين التلميذ وأستاذه الذي أخذ عليه عهدا بأن لا يلي عملا حكوميا، لعلمه أن الوظيفة الحكومية تعيق الداعية عن عمله، بل تتجاوز ذلك أحيانا إلى الحطّ من كرامته وتقييد حريته)[٣].

---

(١) لم أعثر له على ترجمة.

(٢) هو الإمام العلامة الشيخ محمد بن أحمد بن محمد حمدان لونيسي، ولد سنة ١٨٥٦م بقسنطينة (الجزائر)، فحفظ القرآن الكريم ودرس اللغة والفقه والتفسير والحديث على كبار علماء عصره، تصدى للمبشرين والملاحدة، وحارب البدع والضلالات التي شوهت صورة الإسلام غداة الاستعمار الفرنسي للبلاد، تعرض لمضايقات كثيرة من طرف الفرنسيين، وهو ما دفع به إلى الهجرة مفضلا جوار الرسول ﷺ على جوار الاستعمار، فأكمل بقية حياته بها يدرس الفقه والحديث إلى أن وافته المنية سنة (١٣٣٨هـ-١٩٢٠م)، ودفن بمقبرة البقيع، رحمه الله رحمة واسعة. (ويكيبيديا، الموسوعة الحرة) باختصار.

(٣) عبد الحميد بن باديس العالم الرباني والزعيم السياسي لمازن مطبقاني (٣٠-٣١) باختصار.

❑ **المطلب الثاني:**

من رحلته إلى جامع الزيتونة واعتماده طالبا فيها إلى أن تخرّج منها وشيوخه في هذه المرحلة (١٩٠٨م - ١٩١٣م)

(هاجر الشيخ حمدان إلى المدينة المنورة ولمّا يكمل التلميذ "عبد الحميد" تعليمه بعدُ، فاتّجه إلى الزيتونة عام ١٣٢٦هـ -١٩٠٨م وعمره حينذاك (١٩) عاما، ليدرس هناك أربعة سنوات نال بعدها شهادة التطويع، ومكث سنة رابعة للتدريس في الزيتونة كما هو معمول به في مثل هذه المعاهد والجامعات)[١].

وفي رحاب الجامع الأعظم ،كما كان يطلق عليه إلى وقت قريب تفتّح عقل ابن باديس وذهنه على آفاق واسعة من الثقافة الإسلامية واطّلع على عدد وافر من الكتب والمصادر الهامة للدراسات الإسلامية والأدبية التي لم يعرفها في مسقط رأسه بقسنطينة.

(وقد سمحت له هذه الفترة بالاطلاع على العلوم الحديثة وعلى ما يجري في البلدان العربية والإسلامية من إصلاحات دينية وسياسية في مصر وفي الشام وغيرهما، مما كان لهذا المحيط العلمي والبيئة الاجتماعية والملازمات المستمرة لرجال العلم والإصلاح الأثر البالغ في تكوين شخصيته ومنهاجه في الحياة)[٢].

---

(١) عبد الحميد بن باديس العالم الرباني والزعيم السياسي لمازن مطبقاني (ص٣٠-٣١)، نقلا عن محمد صالح الجابري، النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس (١٩٠٠م - ١٩٦٢م).

(٢) موقع ويكيبيديا، الموسوعة الحرة .

●شيوخه في هذه المرحلة [١]:

وكان من المبرزين الذين تلقى عليهم العلم في هذه الجامعة: العلامة المفكر محمد النخلي القيرواني[٢]، زعيم النهضة الفكرية بالجامع، و الأستاذ الطاهر بن عاشور[٣]، باعث النهضة الإصلاحية بالجامع، والذي كان له تأثير كبير في تكوين عبد الحميد ابن باديس اللغوي،وفي الشغف بالأدب العربي والاعتزاز به، والأستاذ محمد الصادق النيفر[٤]، والأستاذ البشير صفر[٥]، السياسي والمؤرخ المجدد.

---

(١) ينظر: آثار ابن باديس (٧٥/١)، والشيخ عبد الحميد ابن باديس، باعث النهضة الإسلامية العربية في الجزائر الحديثة (ص١٩).

(٢) هو محمد بن محمد بن حمودة النخلي القصراوي القيرواني، ولد بمدينة القيروان (تونس)، حفظ القرآن الكريم ودرس العلوم الشرعية واللغوية على علماء القيروان، ثم التحق بجامع الزيتونة (١٨٨٢هـ) فنال شهادة التطويع (١٨٩٠هـ)، عمل مدرسًا بشهادة التطويع، وهو علم من أعلام الزيتونة الأفذاذ، وقد كان له التأثير العميق على تلامذته، والذين من بينهم عبد الحميد بن باديس، له عدة مؤلفات منها: "منظومة في علم العروض"، ورسالة بعنوان: "حياة اللغة العربية"، ورسالة في المرأة المسلمة، ورسالة في الفقه المالكي. (ويكيبيديا، الموسوعة الحرة) باختصار.

(٣) هو محمد الطاهر بن عاشور (١٢٩٦هـ - ١٣٩٣ هـ = ١٨٧٩م - ١٩٧٣ م)، رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس، مولده ووفاته ودراسته بها، عين عام ١٩٣٢م شيخا للإسلام مالكيا، وهو من أعضاء المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة، له مصنفات مطبوعة، من أشهرها "مقاصد الشريعة الإسلامية"، و"أصول النظام الاجتماعي في الإسلام"، و"التحرير والتنوير" في تفسير القرآن، صدر منه عشرة أجزاء، و"الوقف وآثاره في الإسلام". الأعلام للزركلي (١٧٣/٦).

(٤) هو محمد الصادق بن محمد الطاهر ابن محمود بن أحمد النيفر (١٢٩٩هـ - ١٣٥٦ هـ = ١٨٨٢م - ١٩٣٨م)، قاض من رجال الحركة الوطنية في تونس، تعلم بالمعهد الزيتوني وبالمدرسة الخلدونية، عين قاضيا للقضاة بتونس سنة ١٣٤١ هـ واستمر إلى أن توفي الحبيب ١٣٤٧ هـ، فاعتزل الناس إلى آخر حياته، وكان حلو الحديث خطيبا مرحا، له تذييلات لكتب بعض المؤرخين، وتكميلات منها "سلوة القلب المحزون في تذييل كشف الظنون". الأعلام للزركلي (١٦١/٦).

(٥) هو البشير صفر، ولد بمدينة تونس في ٢٧ فيفري ١٨٦٥م وتوفي عام ١٩١٧م، وهو أحد قادة الحركة الإصلاحية التونسية، وعندما قام الإصلاحيون التونسيون بإنشاء جريدة الحاضرة عام ١٨٨٨م، كان البشير صفر أحد محرريها، حيث اهتم بدراسة النظم السياسية والاجتماعية في أوروبا بهدف الحث على نبذ التواكل والتوفيق بين الأصالة ومستجدات العصر، كما ساهم البشير صفر عام ١٨٩٦م في بعث الجمعية الخلدونية التي أسندت إليه رئاستها عام ١٨٩٧م. (ويكيبيديا، الموسوعة الحرة) باختصار.

❑ **المطلب الثالث:**

من عودته من تونس إلى بداية رحلته إلى المشرق وأعمالُه في هذه المرحلة (١٩١٣م -١٩١٣م) [١]

ولما رجع الشيخ من تونس عاد شعلةً من الحماسة، وكله عزمٌ على بعث نهضة علمية جديدة، يكون أساسها الهداية القرآنية، والهدي النبوي المحمدي، والتفكير الصحيح، فقصد الجامع الكبير وأخذ في إلقاء الدروس، وابتدأ بتدريس كتاب "الشفا" للقاضي عياض[٢]، ولكن المكائد حيكت له، فعمل أعداءه من خصوم الإصلاح والتجديد على إقلاقه ومنعه، وأطفئوا عليه الضوء وهو في الدرس، فتحوّل هذا الأخير إلى الجامع الأخضر للتدريس به، بعد توسط والده لاستخراج إذنٍ بذلك.

❑ **المطلب الرابع:**

من رحلته إلى المشرق واتصاله بمجموعة من العلماء والمفكرين المصلحين إلى عودته إلى الوطن وشيوخه في هذه المرحلة (١٩١٣م)

وفي موسم الحج لعام ١٩١٣م، ارتحل ابن باديس إلى الديار المقدسة لأداء هذا الركن، فالتقى هناك بأستاذه الأول الشيخ حمدان لونيسي، وكذلك التقى بعالم الهند الكبير الشيخ حسين أحمد المدني[٣]، كما التقى في المدينة المنورة بالشيخ البشير الإبراهيمي.

---

(١) ينظر في هذا المطلب: آثار ابن باديس لعمار الطالبي (٣٠/١)، وعبد الحميد ابن باديس وجهوده التربوية لمصطفى محمد حميداتو (ص٦٥)، وعبد الحميد ابن باديس باعث النهضة الإسلامية العربية في الجزائر الحديثة (ص٢٦).

(٢) هو القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي، كان إمام وقته في الحديث وعلومه والنحو واللغة وكلام العرب وأيامهم وأنسابهم، وصنف التصانيف المفيدة منها "الإكمال في شرح كتاب مسلم" كمل به "المعلم في شرح مسلم" للمازري، ومنها "مشارق الأنوار"، وهو كتاب مفيد جداً في تفسير غريب الحديث المختص بالصحاح الثلاثة وهي: الموطأ والبخاري ومسلم، ولد سنة ٤٧٦هـ وتوفي سنة ٥٤٤هـ، رحمه الله تعالى. وفيات الأعيان (٤٨٣/٣) باختصار، ينظر ترجمته في: سير أعلام = النبلاء (٢١٢/٢٠).

(٣) لم أعثر له على ترجمة.

وقد ألقى الشيخ ابن باديس خلال الأشهر الثلاثة التي قضاها هناك، دروسا عديدة في مسجد رسول الله ﷺ، وأثناء عودته إلى الجزائر طاف بعدة بلدان عربية، فزار سوريا ومصر، التي التقى فيها بالشيخ محمد بخّيت المطيعي[١]، والشيخ أبي الفضل الجيزاوي[٢].

وقد تميزت هذه الرحلة بالنسبة للشيخ ابن باديس بحدَثين هامَين، كان لهما الأثر الكبير في توجّهه في مستقبل عمله.

◆ **الحدث الأول**: هو التقاءه بالشيخ أحمد الهندي، الذي نصحه بالعودة إلى الجزائر وخدمة الإسلام فيها والعربية بقدر الجهد، فحقق الله أمنية ذلك الشيخ بعودة ابن باديس إلى وطنه، وتفانيه في خدمة الدين واللغة إلى أن تكونت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، التي كان رئيسا لها...

◆ **الحدث الثاني**: هو التقاءه بالشيخ البشير الإبراهيمي، رفيق دربه في الذود عن الإسلام ولغة الإسلام في الجزائر، فكانت لقاءات المدينة المنورة التي جمعت بينهما، هي التي وُضعت فيها الخطط العريضة لمستقبل العمل في الوطن، وحُدّدت فيها الوسائل التي تنهض بالجزائر نهضة شاملة، تهتك أستار الظلام، الذي فرضه المستعمر على الأمة، عقودًا طويلة من الزمن)[٣].

---

(١) هو محمد بخيت بن حسين المطيعي الحنفي، مفتي الديار المصرية ومن كبار فقهائها،كان من أشد المعارضين لحركة الإصلاح التي قام بها الشيخ محمد عبده، وعين مفتيا للديار المصرية سنة (١٣٣٣ – ١٣٣٩هـ = ١٩١٤ – ١٩٢١م)، ولزم بيته يفتي ويفيد إلى أن توفي بالقاهرة، له كتب منها (إرشاد الأمة إلى أحكام أهل الذمة)، و(أحسن الكلام فيما يتعلق بالسنة والبدع من الأحكام)، و(حسن البيان في دفع ما ورد من الشبه على القرآن) وغيرها. الأعلام للزركلي (٤٩/٦).

(٢) هو محمد أبو الفضل الوراقي الجيزاوي (١٢٦٣ – ١٣٤٦ هـ = ١٨٤٧ – ١٩٢٧ م) شيخ الجامع الأزهر، فقيه مالكي، عالم بالأصول من أهل مصر، له كتب منها: (الطراز الحديث في فن مصطلح الحديث)، و(كتاب على شرح العضد وحاشيتي السعد والسيد)، و(تحقيقات شريفة) حاشية في أصول الفقه. الأعلام للزركلي (٣٢٩/٦) باختصار .

(٣) عبد الحميد ابن باديس وجهوده التربوية (ص٦٥-٦٦).

❑ **المطلب الخامس:**

من عودته إلى وطنه (الجزائر) واستقراره بمسقط رأسه، قسنطينة إلى وفاته وأعماله في هذه المرحلة (١٩١٣م-١٩٤٠م)

وحين عاد إلى الجزائر عام ١٣٣٢هـ أقام في مسقط رأسه قسنطينة، وكان قد بلغ الخامسة والعشرين من عمره، فشرع في وضع خطة العمل في ذلك الجوّ المظلم من الاستعمار الغاشم الذي كان يفرض أسطورةَ الجزائر الفرنسية، وفي الوقت الذي نجح فيه الفرنسيون في اصطياد بعض الناس من محترفي السياسة الجزائريين، قام ابن باديس بالعمل الهادئ لمحاصرة فرنسا في عزم ولين، من غير أن يلفِت الأنظار أو يثير العقبات، فبدأ بإعداد جيل صالح ينهض بالجزائر نهضة إسلامية عربية، وشرع بالتدريس في الجامع الكبير بقسنطينة، ولكن الحكومة الفرنسية منعته من التعليم فيه بسعي المفتي في ذلك العهد الشيخ المولود ابن الموهوب، فسعى أبوه لدى الحكومة الفرنسية، وكان ذا جاه عندها، فسمحت لولده عبد الحميد بن باديس بالتدريس في الجامع الأخضر بقسنطينة.

يقول ابن باديس: (لما قفلنا من الحجاز وحللنا بقسنطينة عام ١٣٣٢هـ وعزمنا على القيام بالتدريس، أدخلنا في برنامجنا دروسا لتعليم اللغة العربية وآدابها، والتفسير والحديث والأصول ومبادئ التاريخ والجغرافية والحساب وغيرها، ورأينا لزوم تقسيم المتعلمين إلى طبقات، واخترنا للطبقة الصغرى منهم بعض الكتب الابتدائية التي وضعتها وزارة المعارف المصرية، وأحدثنا تغييرا في أسلوب التعليم، وأخذنا نحثّ على تعلّم جميع العلوم باللسان العربي والفرنسي، وتحبيب الناس في فهم القرآن، وندعو الطلبة إلى الفكر والنظر في الفروع الفقهية، والعمل على ربطها بأدلتها الشرعية، ونرغبهم في مطالعة كتب الأقدمين ومؤلفات المعاصرين)[1].

(وبعد عودته إلى قسنطينة سنة ١٣٣٢هـ - ١٩١٣م ساهم في بلورة الفكر الإصلاحي ميدانيا وتطبيق مناهجه التربوية عمليا، ساعده زملاؤه الأفاضل من العلماء الذين شدّوا عضده وقوّوا زناده، فكان تعاونهم معه في هذه المهمّة الملقاة على عاتق الدعاة إلى الله تعالى منذ فجر النهضة دافعا قويا وعاملا في انتشار دعوته وسطوع نجمه،

(١) مجلة الجامعة الإسلامية (٦/٦-٧).

وذيع صيته، ومن أمثال هؤلاء الذين آزروه وساندوه الشيخ العربي التَّبَسِّي[١]، والشيخ محمّد البشير الإبراهيمي، والشيخ الطيّب العُقبي[٢] وغيرهم، كما ساعده أيضًا الواقع الذي كانت تمرّ به الجزائر بين الحربين العالميتين.

وقد شرع الإمام ابن باديس في العمل التربوي، وارتكز عمله على ثلاثة محاور أساسية:

◆ **المحور الأول**: السعي في إصلاح عقيدة أهل وطنه بالدرجة الأولى، ببيان التوحيد الذي يمثّل عمود الدعوة السلفية، وما يضادّه من الشرك، لذلك كانت دعوته قائمة على أخذ العقيدة من الوحيين وعلى فهم الأولين، والتحذير من الشرك ومظاهره، ومن بدعة التقليد الأعمى، ومن علم الكلام وجنايته على الأمّة.

قال رحمه الله: (كما أُدخلت على مذهب أهل العلم بدعة التقليد العامّ الجامد التي أماتت الأفكار، وحالت بين طلاّب العلم وبين السنّة والكتاب، وصيّرتها -في زعم قوم- غير محتاج إليهما من نهاية القرن الرابع إلى قيام الساعة، لا في فقه ولا في استنباط ولا تشريع، استغناء عنهما زعموا بكتب الفروع من المتون والمختصرات، فأعرض الطلاّب عن التفقّه في الكتاب والسنّة وكتب الأئمة، وصارت معانيها الظاهرة، بَلْهَ الخفية مجهولة حتى عند كبار المتصدّرين.

---

(١) هو العربي بن بلقاسم بن مبارك بن فرحات التبسي، أبو القاسم (١٣١٢ - ١٣٧٦هـ = ١٨٩٥ - ١٩٥٧م)، أحد رجال الفكر الإصلاحي، ومن أبرز أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.. تعلم بجامع الزيتونة بتونس ثم بالأزهر بمصر، وعاد سنة ١٩٢٧م فاشتغل بالتعليم العربي الإسلامي في بلده الجزائر، وشارك في الحركة الإصلاحية بقلمه، وفي سنة ١٩٣٥م اختير كاتبا عاما لجمعية العلماء، ثم نائبا لرئيسها الشيخ البشير الإبراهيمي، وفي ١٧ ابريل ١٩٥٧م خطفه الفرنسيون واغتالوه. معجم أعلام الجزائر (ص٦٠).

(٢) هو الطيب بن محمد بن إبراهيم بن الحاج صالح العقبي (١٣٠٧ - ١٣٧٩هـ = ١٨٩٠ - ١٩٦٠م)، خطيب، كاتب، صحفي، له شعر، من رجال الحركة الإصلاحية الإسلامية، هاجر مع أسرته إلى المدينة المنورة سنة ١٣١٣ هـ- ١٨٩٥م فنشأ بها وأخذ عن علمائها، وفي سنة ١٣٣٨هـ - ١٩٢٥م عاد إلى الجزائر فأظهر نشاطا كبيرا في محاربة البدع والضلالات، وأصدر جريدة "الإصلاح" سنة ٨ سبتمبر ١٩٢٧م فكانت منبرا لأقلام دعاة الإصلاح والحرية في الجزائر، شارك في تأسيس "جمعية العلماء =المسلمين" (١٩٣١م)، واختير نائبا للكاتب العام. معجم أعلام الجزائر (ص٢٣٨).

وقال: (قلوبنا معرّضة لخطرات الوسواس، بل للأوهام والشكوك، فالذي يثبّتها ويدفع عنها الاضطراب ويربطها باليقين هو القرآن العظيم، وقد ذهب قوم مع تشكيكات الفلاسفة وفروضهم، ومُماحكات المتكلمين ومناقضاتهم، فما ازدادوا إلاّ شكًّا وما ازدادت قلوبهم إلاّ مرضًا، حتى رجع كثير منهم في أواخر أيامهم إلى عقائد القرآن وأدلّة القرآن، فشفوا بعدما كادوا.

وقال أيضًا: (نحن معشر المسلمين قد كان منّا للقرآن العظيم هجر كثير في الزمان الطويل، وإن كنّا به مؤمنين، بَسَط القرآن عقائد الإيمان كلها بأدلتها العقلية القريبة القاطعة، فهجرناها وقلنا تلك أدلة سمعية لا تُحَصِّل اليقين، فأخذنا في الطرائق الكلامية المعقّدة، وإشكالاتها المتعدّدة، واصطلاحاتها المحدثة، مما يصعب أمرها على الطلبة فضلاً عن العامّة. لذلك ظهرت عنايته الأكيدة بتربية الجيل على القرآن وتعليم أصول الدين وعقائده من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وقد تجلّى ذلك في بعض مقالاته حيث يقول: (فإنّنا والحمد لله نربي تلامذتنا على القرآن من أول يوم، ونوجّه نفوسهم إلى القرآن في كلّ يوم)[1].

◆ **أمّا المحور الثاني**: فيتمثّل في إصلاح عقلية أهل وطنه، وذلك بإصلاح العقول بالتربية والتعليم، بتكوين أجيال قائدة في الجزائر، تعمل على بعث نهضة شاملة تخرُج بها من حالة الجمود والركود إلى الحيوية والنشاط، وقد كان يرى أنّ تحقيق هذه النهضة المنشودة يتوقّف بالدرجة الأولى على إصلاح الفرد الجزائري وتكوينه من الناحية الفكرية والنفسية.

◆ **والمحور الثالث**: يظهر في إصلاح أخلاق أهل وطنه، وهذا ميدان الذي تدهور كثيرًا نتيجة لفساد العقول وفساد العقيدة الدينية، وقد كانت عنايته به بالغة من داخل الفرد بتطهير الباطن الذي هو أساس الظاهر، وتهذيب النفوس وتزكيتها وإنارة العقول وتقويم الأعمال، وإصلاح العقيدة حتى يعمل الفرد على تغيير ما بنفسه لكي يغيّر الله ما به من سوء وانحطاط، عملاً بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟

---

[1] أرشيف منتدى الألوكة (٣٦٠٢٥٣) باختصار.

﴿مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ (الرعد: ١١)، هذا وقد اعتبر الشيخ عبد الحميد بن باديس أنّ سبيل النجاة والنهوض يكمن في الرجوع إلى فقه الكتاب والسنّة وعلى فهم السلف الصالح ، ولما رأى- رحمه الله- أنّ الحلقات العلمية في المؤسّسات التربوية والدروس المسجدية لا تفي بنشر دعوته على نطاق واسع وشامل، ولا تحقّق غاياتها السامية المسطّرة لها، إلاّ بتعزيزها بالعمل الصحفي مع توفير شروط نجاحه بتأمين مطبعة خاصة له على وجه الامتلاك، أقبل على تطبيق فكرته في سبيل الإصلاح وتجديد الدين بتأسيس أول صحيفة جزائرية بالعربية وسُميت بـ "المنتقد" كمرحلة معضدة قصد الدخول في التطبيق العملي لمقاومة المناهج العقدية والسلوكية التي كان ينشرها رجال التصوّف وأرباب الطُرُق من الزوايا وأماكن الأضرحة والقبور، ولما أوقفتها السلطات الفرنسية أصدر بعدها "الشهاب" وقد أخذ الشيخ العلامة –رحمه الله- يكثّف عمله، ويوسّع نشاطه، ويعمّق فكرته، من منبر المسجد والدروس المسجدية إلى منبر المجلّة إلى دعوة الأوساط السياسية المختلفة إلى الاتحاد والتغيير، مجسّدا طموحه بتأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة ١٣٥١هـ - ٥ ماي ١٣٣٢م برئاسته، وظلّ ابن باديس وفيًّا لهذا المسلك الشمولي في مواجهته للاستعمار خلال كلّ سنوات نشاطه السياسي المندرج في نشاطه العامّ إلى أن توفّي، تغمّده الله برحمته وأسكنه فسيح جنانه)[1].

❑ المطلب السادس:

عقيدته ومذهبه الفقهي

- **عقيدته:**

كان الشيخ ابن باديس على عقيدة السلف الصالح علما وعملا، يعتقدها بجنانه، ويدعو لها بلسانه، ويدافع عنها ببنانه.

قال في رسالة جواب سؤال عن سوء مقال: (اعلموا جعلكم الله من وعاة العلم، ورزقكم حلاوة الإدراك والفهم، وجملكم بعزة الإتباع، وجنبكم ذلة الابتداع، أن الواجب على كل مسلم في كل مكان وزمان أن يعتقد عقدا يتشرّبُه قلبُه وتسكن له نفسه؛

(١) أرشيف منتدى الألوكة (٣٦٠٢٥٣) باختصار.

وينشرح له صدره، ويلهج به لسانه، وتنبني عليه أعماله، أن دين الله تعالى من عقائد الإيمان، وقواعد الإسلام، وطرائق الإحسان، إنما هو في القرآن، والسنة الثابتة الصحيحة، وعمل السلف الصالح من الصحابة والتابعين وأتباع التابعين، وأن كل ما خرج عن هذه الأصول ولم يحظ لديها بالقبول –قولا كان أو عملا أو عقدا أو احتمالا– فإنه باطل من أصله مردود على صاحبه، كائنا من كان، في كل زمان ومكان، فاحفظوها واعملوا بها تهتدوا وترشدوا إن شاء الله تعالى، فقد تضافرت عليها الأدلة من الكتاب والسنة، وأقوال أساطين الملة من علماء الأمصار وأئمة الأقطار، وشيوخ الزهد الأخيار، وهي لعمر الحق لا يقبلها إلا أهل الدين والإيمان، ولا يردها إلا أهل الزيغ والبهتان، والله أسأل التوفيق لي ولكم ولجميع المسلمين، والخاتمة الحسنة والمنزلة الكريمة في يوم الدين آمين، والحمد لله رب العالمين)[1].

وللشيخ ابن باديس كتاب في العقائد، أبرز فيه عقيدته في الأسماء والصفات من إثبات وتنزيه على مذهب السلف الصالح، يقول في كتابه هذا تحت عنوان "عقيدة الإثبات والتنزيه"، ما نصه: (نثبت له تعالى ما أثبته لنفسه، على لسان رسوله، من ذاته وصفاته، وأسمائه، وأفعاله، وننتهي عند ذلك ولا نزيد عليه، وننزهه في ذلك عن مماثلة أو مشابهة شيء من مخلوقاته. ونثبت الاستواء والنزول ونحوهما، ونؤمن بحقيقتهما على ما يليق به تعالى بلا كيف، وبأن ظاهرها المتعارف في حقنا غير مراد، لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ (الشورى: ١١)[2].

- **مذهبه الفقهي:**

مذهب الشيخ ابن باديس الفقهي مذهب الإمام مالك في أصول الاستنباط، أما في الفروع فهو إمام بارع مجتهد يدور مع الدليل، يفقه كلام مالك والأئمة الآخرين، فيعرف ما يأخذ منه وما يترك وكل ذلك بدليل، وكل ذلك عن ثقة نفس، فقد توفرت فيه شروط الاجتهاد المعروفة عند العلماء، وزاد عليها ذوقا خاصا أوتيه في فهم النصوص

(١) آثار ابن باديس (٣ /١٦٣).

(٢) العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية للإمام ابن باديس (ص٧٦) باختصار.

وتنزيلها على المقاصد الشرعية، فهو يذم التقليد والجمود، ويشن حربا بلا هوادة على المقلدين الجامدين، ويعتبر التقليد الأعمى صورة عملية وفعلية من صور هجر القرآن، متوعدٌ صاحبه بقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾ (الفرقان: ٣٠).

قال رحمه الله مستنبطا من هذه الآية: (في شكوى النبي ﷺ من هجرة القرآن دليل على أن ذلك من أصعب الأمور وأبغضها لديه، وفي حكاية القرآن لهذه الشكوى وعيد كبير للهاجرين بإنزال العقاب بهم إجابة لشكوى نبيه، ولما كان الهجر طبقات أعلاها عدم الإيمان به، فلكل هاجر حظه من هذه الشكوى وهذا الوعيد)[1].

وقال في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾ (الفرقان: ٣١)، مستنبطا ترهيبا من هذه الآية للهاجرين للقرآن: (هؤلاء الذين سماهم الله تعالى أعداء لنبيه، ووصفهم بالإجرام، هم أولئك الذين هجروا القرآن وصدوا عنه، فهذا تخويف عظيم ووعيد شديد لكل من كان هاجرا للقرآن العظيم بوجه من وجوه الهجران)[2].

ويقول في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ (الإسراء: ٣٦): (المقلد في العقائد الذي لا دليل عنده أصلاً، وإنما يقول سمعت الناس يقولون فقلت- هذا آثم لاتباعه ما ليس له به علم، فأما إذا كان عنده دليل إجمالي كاستدلاله بوجود المخلوق على وجود خالقه فقد خرج من الإثم لتحصيل هذا الاستدلال له العلم. والمقلد في الفروع دون علم بأدلتها متبع لمفتيه فيها يصدق عليه باعتبار الأدلة التي يجهلها أنه متبع ما ليس له به علم، ولكنه له علم من ناحية أخرى وهي علمه بأن التقليد هو حكم الله تعالى في حق مثله من العوام بما أمر

(١) مجالس التذكير (٢/٤٣).

(٢) المرجع السابق (٢/٥٠).

تعالى من سؤال أهل العلم وما رفع عن العاجز من الإصر وهو من العامة العاجزين عن درك أدلة الأحكام)[1]. والله تعالى أعلم.

❑ المطلب السابع:
وفـــاتـه

توفي الشيخ عبد الحميد ابن باديس –بعد حياة حافلة بجلائل الأعمال– مساء الثلاثاء ٨ ربيع الأول سنة ١٣٥٩هـ الموافق لـ ١٦ أبريل ١٩٤٠م، ودفن في روضة أسرته، بحي الشهداء قرب مقبرة قسنطينة، رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جنانه.

❑ المطلب الثامن:
آثاره وثنـاء العلماء وأهل الفضل عليه

- **آثـاره:**

من مصنفاته:

١– «تفسير ابن باديس» المسمى «مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير».

٢– «من هدي النبوة » ، وهو شرح لموطأ الإمام مالك ، المسمى "مجالس التذكير من كلام البشير النذير"

٣– «رجال السلف ونساؤه».

٣– «القصص الهادف ».

٤– «العقائد الإسلامية».

٥– «مبادئ الأصول ».

٦– رسالة «جواب سؤال عن سوء مقال».

٧– «العاصم من القواصم لأبي بكر ابن العربي: تحقيق وتقديم».

٨– «تحفة المستهدي في إثبات خروج المهدي».

كما جمعت مقالات في "الشهاب"، و"البصائر" وغيرهما، ونشرت ضمن آثاره.

---

(١) المرجع السابق (٢٦٩/١).

- **تلامذته:**

وهم كثيرون من أبرزهم: العلامة الشيخ مبارك الميلي[١]، مؤلف رسالة "الشرك ومظاهره"، والشيخ الفضيل الورتلاني[٢]، والهادي السنوسي[٣]، ومحمد الصالح رمضان[٤] وغيرهم[٥].

---

(١) هو مبارك بن محمد بن مبارك الهلالي الميلي: مؤرخ، كاتب، من رجال الإصلاح، ولد في ميلية (القبائل الصغرى)، وتعلم بتونس، فتخرج في جامع الزيتونة بشهادة التطويع، وعاد سنة ١٩٢٢م، فعمل في حقلي التعليم والكتابة، وتأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة ١٩٣١م، فكان من أقطابها وألمع كتابها، من آثاره "تاريخ الجزائر في القديم والحديث"، و"رسالة الشرك ومظاهره"، وله مقالات كثيرة نشرت في الصحف الإصلاحية كالشهاب والبصائر، توفي يوم ٢٥ صفر ١٣٦٤هـ الموافق لـ ٩ فيفري ١٩٤٥م بمرض السكري، رحمه الله تعالى. (ويكيبيديا، الموسوعة الحرة) باختصار.

(٢) هو الفضيل الورثيلاني، ويقال الورثلاني، خطيب من رجال السياسة، ومن أبرز أعلام الحركة الإسلامية في الجزائر، الذين كان لهم دور مهم وفاعل في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة ١٩٣١م، حيث كان من أقرب الشخصيات للإمام ابن باديس و البشير الإبراهيمي –رحمهما الله–، فساهم مساهمة فعالة في التمكين لمبادئ الجمعية في الجزائر، ثم في فرنسا في صفوف العمال الجزائريين هناك، توفي رحمه الله سنة ١٩٥٩م، من آثاره "الجزائر الثائرة". ينظر ترجمته: معجم أعلام الجزائر للنويهض (ص ٣٤٠)، و (ويكيبيديا، الموسوعة الحرة).

(٣) هو محمد الهادي السنوسي الزاهري: من الشعراء الأدباء، ولد في قرية ليانة قرب بسكرة (الجزائر) سنة ١٣٢٠هـ-١٩٢٠ م، تعلم بقسنطينة وتونس، وشارك بقلمه في النهضة الإصلاحية، لم يطبع له ديوان، وقصائده موزعة في الصحافة الجزائرية، توفي سنة ١٣٨٣هـ- ١٩٦٣م، من آثاره "شعراء الجزائر في العصر الحاضر" . معجم أعلام الجزائر عادل النويهض (ص١٥٧).

(٤) هو الشيخ محمد الصالح رمضان، من أبناء الحركة الإصلاحية، كاتب وشاعر وباحث وأديب، ولد سنة ١٩١٤م، حفظ القرآن الكريم وأخذ مبادئ العربية والفقه والعقائد، وفي سنة ١٩٣٤م رحل إلى قسنطينة وانضم إلى طلبة الجامع الأخضر، فواظب على دروسه، رشحه ابن باديس للتدريس في مدرسة التربية والتعليم الإسلامية، فكان يدرس فيها الأدب والعروض والحساب والجغرافيا، وفي عام ١٩٥٣م عيّن مفتشا عاما لمدارس جمعية العلماء، وعضوا في المكتب الدائم للجنة التعليم بالعاصمة، وبعد الاستقلال شغل منصب مدير التعليم الديني بوزارة الأوقاف، من مؤلفاته: "جغرافية الجزائر والعالم العربي"، و"مبادئ الجغرافيا العامة". (موقع منار الجزائر) بتصرف واختصار.

(٥) مقدمة تحقيق مجالس التذكير لأبي عبد الرحمن محمود الجزائري (١/٣٧).

- **ثناء العلماء وأهل الفضل عليه:**

قال الشيخ محمد البشير الإبراهيمي-رحمه الله- عنه: (باني النهضتين الفكرية و العلمية بالجزائر، وواضع أسسها على صخرة الحق و قائد زحوفها المغيرة إلى الغايات العليا، و إمام الحركة السلفية، و منشئ مجلة (الشهاب)، مرآة الإصلاح و على التفكير الصحيح، و محيي دوارس العلم بدروسه الحية، ومفسّر كلام الله على الطريقة السلفية في مجالس انتظمت ربع قرن، وغارس بذور الوطنية الصحيحة وملقّن مبادئها، عالم البيان وفارس المنابر، الأستاذ الرئيس الشيخ عبد الحميد بن باديس)[١].

وقال عنه أيضا -وهو يبين خصائص التفسير الباديسي: (كان للأخ الصديق عبد الحميد بن باديس -رحمه الله- ذوق خاص في فهم القرآن كأنه حاسة زائدة خص بها، يرفده بعد الذكاء المشرق، والقريحة الوقادة، والبصيرة النافذة، ببيان ناصع، واطلاع واسع، وذرع فسيح في العلوم النفسية والكونية، وباع مديد في علم الاجتماع، ورأي سديد في عوارضه وأمراضه، يمد ذلك كله شجاعة في الرأي، وشجاعة في القول، لم يرزقهما إلاّ الأفذاذ المعدودون في البشر، وله في القرآن رأي بنى عليه كل أعماله في العلم، والإصلاح، والتربية والتعليم: وهو أنه لا فلاح للمسلمين إلاّ بالرجوع إلى هدايته والاستقامة على طريقته، وهو رأي الهداة المصلحين من قبله)[٢].

وقال الشيخ الطيب العقبي: (المصلح الفذّ، والعلامة الذي ما أنجبت الجزائر-منذ أحقاب- مثله إلا قليلا)[٣].

وقال الشيخ مبارك الميلي: (الأستاذ العظيم والمرشد الحكيم، عدّتنا العلمية وعمدتنا الإصلاحية)[٤].

---

(١) آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي (٥٥٢/٣).

(٢) مقدمة مجالس التذكير للمحقق أبو عبد الرحمن محمود الجزائري (١١/١-١٢).

(٣) مقدمة تحقيق مجالس التذكير لأبي عبد الرحمن محمود الجزائري (٣٨/١).

(٤) نفس المرجع السابق والصفحة.

وقال الشيخ العلامة محمد تقي الدين الهلالي[١] رحمه الله: (قام المصلح الشيخ عبد الحميد بن باديس سليل البطل المغربي المجاهد المعز بن باديس، فرأى البلاد مظلمة الأرجاء، متشعبة الأهواء، دوية الأدواء، يحار فيها اللبيب، وتعضل بالحكيم، فشمّر عن ساعد الجد، وقيض الله له أنصارا أطهارا أبرارا آزروه ونصروه، فبدؤوا عملهم وصدعوا بما أمرهم الله ورسوله به، فمر عليهم طور، وفتنوا كما فتن المصلحون من قبل، وثبتهم الله بالقول الثابت حتى اقتحموا العقبة الأولى، وهي أصعب العقبات، وأخذت دعوتهم تؤتي أكلها، وأينعت ثمارها، ودنى جناها، وفي أثناء ذلك ورد عليهم الأستاذ السلفي الداعية النبيل الشيخ الطيب العقبي)[٢].

(إمكانياته كبيرة، وجهوده عظيمة، أعطى الجزائر الكثير، واكتفى بالقليل قوتا ومتاعا)[٣].

ويرثيه شاعر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين محمد العيد آل خليفة [٤] بأبيات، منها:

يا قبر طبت وطاب فـــــيك عبير هل أنت بالضيف العزيز خبير

---

(١) هو العلامة المحدث و اللغوي الشهير و الأديب البارع محمد التقي المعروف بـ محمد تقي الدين، ولد الشيخ سنة١٣١١ هـ، بالمملكة المغربي، و قد ترعرع في أسرة علم و فقه، قرأ القرآن على والده و حفظه و هو ابن اثنتي عشر سنة، ثم توجه لطلب العلم في بلده إلى أن حصل على شهادة من جامع القرويين، عمل أستاذا بالجامعة الإسلامية من سنة ١٩٦٨م إلى سنة ١٩٧٤م، ثم عاد إلى بلده المغرب للتفرغ للدعوة إلى الله، من مصنفاته "الزند الواري والبدر الساري في شرح صحيح البخاري"، طبع منه المجلد الأول فقط، و"الإلهام والإنعام في تفسير الأنعام"، و"مختصر هدي الخليل في العقائد وعبادة الجليل"، و"الهدية الهادية للطائفة التجانية " وغيرها، توفي سنة ١٤٠٧هـ الموافق ١٩٨٧م. (ويكيبيديا، الموسوعة الحرة)، وموقع الآجري (www.ajury.com).

(٢) مقدمة مجالس التذكير للمحقق أبو عبد الرحمن محمود الجزائري (١/٣٨).

(٣) مقدمة آثار ابن باديس بقلم المفكر الجزائري مالك بن نبي (١/١٠-١١-١٢).

(٤) هو محمد العيد بن محمد علي بن خليفة، ولد بالجزائر عام ١٩٠٤م، حفظ القرآن الكريم، وتعلم مبادئ العلوم الدينية واللغوية، درس بالزيتونة بتونس ثم عاد إلى بلده سنة ١٩٢٣، واشتغل بالتدريس في المدارس الحرة ونشر بعض قصائده في صحف مختلفة منها: "صدى الصحراء"، "المنتقد"، "الشهاب"، "الإصلاح"، وعندما تأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة١٩٣١م، كان الشاعر من أبرز أعضائها، وأسهم في نشاطها التعليمي، له ديوان شعر يعد سجلا صادقا لأحداث عصره وتاريخ بلاده، توفي رحمه الله في سنة ١٩٧٩م. (منتدى نبع الجزائر) باختصار.

هذا "ابن باديس" الإمام المرتضى "عبد الحميد" إلى حماك يصير
العالم الفذ الذي لعلومه صيت بأطراف البلاد كبير
بعث الجزائر بعد طول سباتها فالشعب فيها بالحياة بصير[١]

وقال هذا الشاعر أيضاً وهو يثني على ابن باديس بمناسبة ختمه تفسير القرآن الكريم درسا [٢]:

بمثلك تعتز البلاد وتفتخر وتزهر بالعلم المنير وتزخر
طبعت على العلم النفوس نواشئا بمخبر صدق لا يدانيه مخبر
نهجت لها في العلم "نهج بلاغة" ونهج مفاداة كأنك "حيدر"
حبتك عمالات الجزائر حرمة مشرفة عظمى بها أنت أجدر
ففي كل وفد راشد لك دعوة وفي كل حفل حاشد لك منبر
يراعك في التحرير أمضى من الظبى وأقضى من الأحكام أيان يشهر
ودرسك في التفسير أشهى من الجنى وأبهى من الروض النضير وأبهر
ختمت كتاب الله ختمة دارس بصير له حل العويص ميسر
فكم لك في القرآن فهم موفق وكم لك في القرآن قول محرر[٣]

(١) ديوان محمد العيد آل خليفة (ص٤٣٠).
(٢) نشرت هذه القصيدة في مجلة الشهاب تحت "عنوان ختمت كتاب الله"، (العدد الخاص بختم تفسير القرآن الكريم) سنة ١٩٣٨م.
(٣) ديوان محمد العيد آل خليفة (ص ١٤٦).

المبحث الثاني

العوامل التي أثرت في تكوين شخصيته العلمية والعملية

وفيه خمسة مطالب:

- **المطلب الأول:**

تربية والديه الصالحة وتوجيههما له الوجهة الصحيحة

- **المطلب الثاني:**

بيئة الدراسة وتأثير المربين من المعلمين والشيوخ

- **المطلب الثالث:**

تعاون الشعب الجزائري معه ومساندته له

- **المطلب الرابع:**

مؤازرة زملاءه من العلماء الفضلاء من الجمعية وغيرهم

- **المطلب الخامس:**

القرآن الكريم

مما تقدم من حياة الشيخ ونشأته تتضح لنا العوامل المتكاملة التي ساعدت على تكوين شخصيته العلمية والعملية، وقد أشار إليها هو بنفسه في خطابه في وفود المحتفلين، بمناسبة ختمه لتفسير القرآن الكريم في مدينة قسنطينة في جوان ١٩٣٨م مُرجعا إليها الفضل بعد الله عز وجل.

❑ المطلب الأول:
تربية والديه الصالحة وتوجيههما له الوجهة الصحيحة

وقد أشار ابن باديس إلى هذا العامل فقال: (إن الفضل يرجع أولا إلى والدي الذي رباني تربية صالحة ووجهني وجهة صالحة، ورضي لي العلم طريقة أتبعها ومشربا أرده، ووقاني وأعاشني، وبراني كالسهم وراشني[١]، وحماني من المكاره صغيرا وكبيرا، وكفاني كلف الحياة)[٢].

ويقول عن أمه: (إن زغردة أمي لازالت ترن في أذني لا أنساها أبدا).

وقال: (لقد حقق الله آمالها فها أنا عالم عامل والحمد لله)[٣].

❑ المطلب الثاني:
بيئة الدراسة وتأثير المربين من المعلمين والشيوخ

والعامل الثاني يرجع إلى بيئة الدراسة وتأثير المربين من المعلمين والشيوخ الذين نموا استعداده وتعهدوه بالتوجيه والتكوين، وابن باديس يطيب له أن يذكر لنا فضل أساتذته عليه، في تخطيط مناهج العمل في الحياة قال: (وأذكر منهم رجلين كان لهما الأثر البليغ في تربيتي وفي حياتي العملية "حمدان لونيسي القسنطيني" نزيل المدينة المنورة ودفينها، وثانيهما الشيخ "محمد النخلي" المدرس بجامع الزيتونة المعمور رحمهما الله، وله مع كل من هذين المربيين واقعة هي التي جعلته يتجه اتجاها معينا سواء من الناحية العملية أو النظرية.

---

(١) راش السَّهْم رَيْشًا جعَل عَلَيْهِ الرِّيش، يقال: فلان لا يريش ولا يبري، أي لا يضر ولا ينفع، روش، وراش السهم ريشا حمل عليه الريش، والرجل أعانه وأغناه. المخصص (٢/٧٣)، وكتاب الأفعال (٢/٧٥).

(٢) الشيخ عبد الحميد ابن باديس باعث النهضة الإسلامية العربية في الجزائر الحديثة (ص٣١).

(٣) نهضة الجزائر الحديثة (ص٦٠).

وهذا حديثه عن تينك الواقعتين، قال: (وإني لأذكر للأول "حمدان لونيسي" وصية أوصاني بها، وعهدا عهد به إليّ، وأذكر أثر ذلك العهد في نفسي ومستقبلي وحياتي وتاريخي كله، فأجدني مدينا لهذا الرجل بمنة لا يقوم بها الشكر، فقد أوصاني وشدّد عليّ أن لا أقرب الوظيفة ولا أرضاها ما حييت، ولا أتخذ علمي مطية لها، كما كان يفعله أمثالي في ذلك الوقت.

وأذكر للثاني "محمد النخلي" كلمة لا يقل أثرها في ناحيتي العلمية عن أثر تلك الوصية في ناحيتي العملية، وذلك أني كنت متبرّما بأساليب المفسرين وإدخالهم لتأويلاتهم الجدلية واصطلاحاتهم المذهبية في كلام الله، ضيِّقَ الصدر من اختلافهم فيما لا اختلاف فيه من القرآن، وكانت على ذهني بقية غشاوة من التقليد واحترام آراء الرجال حتى في دين الله وكتاب الله، فذاكرت يوما الشيخ "النخلي" فيما أجده في نفسي من التبرم والقلق فقال لي: "اجعل ذهنك مصفاة لهذه الأساليب المعقدة، وهذه الأقوال المختلفة، وهذه الآراء المضطربة، يسقط الساقط ويبقى الصحيح وتستريح" فو الله لقد فتح بهذه الكلمة القليلة عن ذهني آفاقا واسعة لا عهد له بها.

فهذا النص في غاية الأهمية من حيث دلالته على مدى تأثره في تكوينه بهذين الأستاذين.

ومن الأساتذة الذين أثروا فيه وكونوا جانباً من أهم جوانبه، وهو جانب الأدب وتذوق الآثار الفنية الشيخ "محمد الطاهر بن عاشور" زميل الأستاذ "النخلي" في نسبتهما إلى البدعة والضلال اللذَين كانا يوصفان بهما، لأنهما يناضلان عن آراء "محمد عبده"[1] وينشرانها في صفوف طلابهم.

---

(١) هو محمد عبده بن حسن خير الله، من آل التركماني، من كبار رجال الإصلاح والتجديد في الإسلام، عمل في التعليم، وأجاد اللغة الفرنسية بعد الأربعين، وسافر إلى باريس فأصدر مع صديقه وأستاذه جمال الدين الأفغاني جريدة "العروة الوثقى"، وتولى منصب القضاء، ثم جعل مستشارا في محكمة الاستئناف، فمفتيا للديار المصرية سنة ١٣١٧ هـ، واستمر إلى أن توفي بالإسكندرية، ودفن في القاهرة، له "تفسير القرآن الكريم" لم يتمه، و"رسالة التوحيد"، و"شرح نهج البلاغة"، و"شرح مقامات البديع الهمذاني"، و"الإسلام والرد على منتقديه". الأعلام للزركلي (٦/٢٥٢).

يقول ابن باديس: (وإن أنْس فلا أنسى دروساً قرأتها من ديوان الحماسة على الأستاذ ابن عاشور، وكانت أوّلَ ما قرأت عليه، فقد حببتني في الأدب والتفقه في كلام العرب، وبثت فيَّ روحا جديدا في فهم المنظوم والمنثور، وأحيت مني الشعور بعزِّ العروبة والاعتزاز بها، كما أعتز بالإسلام)[١].

❑ المطلب الثالث:
مؤازرة زملائه وإخوانه في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

والعامل الثالث الذي أسهم في تكوين شخصية ابن باديس العلمية والعملية، هو مساندة ومؤازرة إخوانه في جمعية العلماء الذين ساندوه في الأعمال التي قام بها من أجل النهضة الجزائرية، يقول ابن باديس عن هؤلاء: (إذا كنت أستمد القوة والحياة، فإنما أستمدها ممن أوْلوني شرف الثقة والإخلاص لديني ولأمتي، وأخص منهم الأسود الكبار، وهم إخواني الأقوياء من رجال العلم الذين أجِدُني مهما وقفت موقفا إلا وجدتهم معي كالأسود)[٢].

❑ المطلب الرابع:
الشعب الجزائري وهو من أهم العوامل

ومن أهم العوامل التي ساعدت على تكوين الروح العملية للإمام ابن باديس، هو الشعب الجزائري، وذلك لما ينطوي عليه من أصول الكمال، واستعدادات عظيمة للخير، وهو ما عمل على تنميته والنضال من أجل تغليبه على جوانب النقص وعوامل السكون، كما سبق أن لوّحْنا إلى ذلك، ويصف الأمة الجزائرية بأنها أمة مِعوانة على الخير، منطوية على استعدادات الكمال، وأنها ذات نسب عريق في المحامد والفضائل)[٣].

---

(١) آثار ابن باديس (٧٧/١).

(٢) الشيخ عبد الحميد ابن باديس باعث النهضة الإسلامية والعربية في الجزائر الحديثة (ص٣٣).

(٣) آثار ابن باديس (٧٩/١).

❑ **المطلب الخامس:**

القــرآن الكــريم

والعامل الخامس والأخير و الذي يفوق جميع العوامل الأخرى، والذي كرَّس له ربع قرن من حياته، هو القرآن الكريم الذي صاغ نفسه، وهزَّ كيانه، واستولى على قلبه فاستوحاه في منهجه طوال حياته، وترسم خطاه في دعوته، وناجاه ليله ونهاره يستلهمه ويسترشده، ويتأمله فيعبُّ منه، ويستمدُّ علاج أمراض القلوب، وأدواء النفوس، ويذيب نفسه، ويبيد جسمه الهزيل في سبيل إرجاع الأمة الجزائرية إلى الحقيقة القرآنية، ومنبع الهداية الأخلاقية، والنهوض الحضاري.

وكان همه أن يكوِّن رجالاً قرآنيين يوجّهون التاريخ ويغيّرون الأمة، ولذلك فإنه جعل القرآن قاعدة أساسية ترتكز عليها تربيته وتعليمه للجيل، قال: (فإننا -والحمد لله- نربِّي تلامذتنا على القرآن من أول يوم، ونوجه نفوسهم إلى القرآن في كل يوم...)[1].

(١) آثار ابن باديس (٧٩/١).

المبحث الثالث

التعريف بتفسير الإمام ابن باديس « مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير » وبيان منهجه فيه

وفيه ثلاثة مطالب:

- **المطلب الأول:**

التعريف بالتفسير «مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير»

- **المطلب الثاني:**

مصادر ابن باديس في تفسيره

- **المطلب الثالث:**

منهجه في مجالس التذكير

□المطلب الأول:

التعريف بالتفسير « مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير »[1]

تفسير ابن باديس، الذي هو موضوع دراستنا، ليس هو التفسير الذي كان يلقيه في "الجامع الأخضر" بقسنطينة، والذي بدأه من الفاتحة إلى أن ختمه درسا في قرابة الربع قرن من الزمن، بدأه سنة ١٣٣٢هـ- ١٩١٣م، وختمه سنة ١٣٥٧هـ- ١٩٣٨م، وكان يوم ختمه حفلا تاريخيا، وعيدا جزائريا خاصا، ويوما إسلاميا مشهودا، اجتمع له الناس والعلماء من داخل وخارج البلاد، وإنما التفسير الذي بين أيدينا، هو آيات متفرقات من سور متفرقات من القرآن، كان الشيخ يرى أنه مناسب الكلام فيها آنذاك، فكان يفسرها ويكتبها بخط يده، وينشرها على شكل مقالات تحت عنوان: «**مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير**» في افتتاحية مجلة "الشهاب"، التي أسسها هو بنفسه سنة ١٩٢٩م، وبعد موته –رحمه الله- جُرِّدت من "الشهاب" وجمعت، ثم طبعت بعد ذلك من بعض طلبة الشيخ.

فهذه قصة «**مجالس التذكير**» المطبوع المتداول، وأما تفسيره الذي كان يلقيه درسا بالجامع المذكور، فلم يصلنا منه شيء، لعدم تقييد طلبته له، ولأن الشيخ لم يكن يكتب التفسير، وإنما كان يلقيه من ذاكرته إلقاء، إلا ما كان من الشيخ النبيه والصديق الحميم "البشير الإبراهيمي" في تقييد ما ألقاه ابن باديس من تفسير المعوذتين يوم حفل الختم، وهو مطبوع ملحق مع «**المجالس**»، وهو عبارة عن ملخص لما ألقاه الإمام ابن باديس يومذاك، لهذا فإنك ترى –وأنت تقرأ التفسيرين «**المجالس**» كتابة والمعوذتين درسا- فرقا واضحا جليا بين التفسيريين في الأسلوب، وفي ترتيب المادة العلمية، وفي نصب الأدلة، وفي عنونة المعاني المستنبطة، وفي مناقشة الأفكار... فاتضح لنا أن للشيخ ابن باديس رحمه الله منهجين في التفسير: منهج في كتابته، ومنهج في إلقائه ودرسه.

---

(١) ينظر في هذا المطلب: آثار ابن باديس (١٠٥/٢)، وعبد الحميد ابن باديس وجهوده التربوية لمصطفى حميداتو (ص٩٥).

- **أشهر طبعات الكتاب:**

١- طبعة أحمد بو شمال رحمه الله، الذي جرّد من تلك المجالس آيات مختارة من سورة الفرقان فقط، وطبعت بالمطبعة الجزائرية الإسلامية بقسنطينة سنة ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م، مصدرة بمقدمة ضافية بقلم العلامة محمد البشير الإبراهيمي رحمه الله.

٢- طبعة الأستاذ محمد الصالح رمضان بمشاركة الأستاذ توفيق شاهين المصري، اللذين عملا على تجريد المجالس من المجلة، ولم يفتهما منها سوى القليل، فخرج الكتاب في (٥٣٨) صفحة، ونشره دار الكتاب الجزائري بالجزائر، وطبع بمطبعة الكيلاني بالقاهرة سنة ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م.

٣- طبعة وزارة الشؤون الدينية بالجزائر، وطبع بدار البعث بقسنطينة، سنة ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

٤- طبعة دار الكتب العلمية ببيروت، سنة ١٤١٦هـ-١٩٩٥م، مصورة عن الطبعة الثانية، وعلق عليها وخرّج أحاديثها أحمد شمس الدين.

٥- طبعة مكتبة دار الرشد - دار ابن حزم- ببيروت لبنان ١٤٣٢هـ-٢٠١١م، بتحقق أبي عبد الرحمن محمود الجزائري.

❑ **المطلب الثاني:**

مصادر ابن باديس في تفسير « مجالس التذكير »

وقد بيّن الشيخ نفسه مصادره ومراجعه في دروس التفسير.

قال رحمه الله تعالى: (وعمدتنا فيما نرجع إليه من كتب الأئمة:

- تفسير "ابن جرير الطبري"، الذي يمتاز بالتفاسير النقلية السلفية، وبأسلوبه الترسلي البليغ في بيان معنى الآيات القرآنية، وبترجيحاته لأولى الأقوال عنده بالصواب.
- وتفسير "الكشاف" الذي يمتاز بذوقه البياني في الأسلوب القرآني، وتطبيقه فنون البلاغة على آيات الكتاب، والتنظير لها بكلام العرب، واستعمالها في أفانين الكلام.
- وتفسير "أبي حيان الأندلسي" الذي يمتاز بتحقيقاته النحوية واللغوية، وتوجيهه للقراءات.
- وتفسير "الرازي" الذي يمتاز ببحوثه في العلوم الكونية، مما يتعلق بالجماد والنبات والحيوان والإنسان، وفي العلوم الكلامية، ومقالات الفرق، والمناظرة والحجاج في ذلك.

إلى غير هذا مما لا بد لنا من مراجعته من كتب التفسير والحديث والأحكام، وغيرها مما يقتضيه المقام[1].

❑ **المطلب الثالث:**

منهجه في « مجالس التذكير »

منهج ابن باديس في التفسير منهج العلماء الراسخين في العلم، فقد فسّر القرآن بالقرآن، وبالسنة النبوية القولية والعملية، وبآثار السلف وأقوالهم، وبالبيان العربي، فهذا منهجه العام الذي سلكه في تفسيره.

---

(١) مجالس التذكير (١/٣٠).

وأما طريقته في تفسير كل آية، فقد ذكر هو نفسه منهجه فيها، قال رحمه الله: (فقد عدنا -والحمد لله تعالى- إلى مجالس التذكير، من دروس التفسير نقتطف أزهارها، ونجني من ثمارها، بيسرٍ من الله تعالى وتيسير، على عادتنا في تفسير الألفاظ بأرجح معانيها اللغوية، وحمل التراكيب على أبلغ أساليبها البيانية، وربط الآيات بوجوه المناسبات، معتمدين في ذلك على صحيح المنقول، وسديد المعقول، مما جلاه أئمة السلف المتقدمون، أو غاص عليه علماء الخلف المتأخرون، رحمة الله عليهم أجمعين)[1].

وهذه طريقته التفصيلية ومنهجه في تفسير الآية مجملة في النقاط التالية:

- يأتي بالآية أو الآيات المراد تفسيرها، يصدِّر بها الكلام، واضعا لها عنوانا جامعا لمعانيها، محورا لموضوعها.
- يأتي غالبا بين يدي التفسير بتوطئة وتمهيد.
- يشرع بعد ذلك في شرح المفردات والتراكيب للآية المفسرة.
- يذكر بعد ذلك المعنى التفسيري للآية أو الآيات، بحسب ما أفاده وتضمنه تحليل المفردات والتراكيب، مع الأخذ بعين الاعتبار كل احتمالات اللفظة القرآنية والتركيب ووجوه القراءات.
- يستطرد في مباحث لها مناسبة وتعلق بالآية.
- يردُّ ويفند الأفكار المنحرفة والفهوم الخاطئة والعادات المستحكمة والتقليد الأعمى والجمود الفكري، وكل ذلك بذكر الأسباب والعلاج من الآية.
- ينزل الآية القرآنية على واقع حال الأمة الإسلامية، مشخصا للداء وبيان الدواء الذي ذكرته الآية.
- يبين هداية القرآن والغاية التي أنزل من أجلها.
- يبين حكمة التشريع وأسرار النظم القرآني والنكات البلاغية في الآية.
- يبين الإعجاز العلمي والبياني الذي جاء في الآية.

---

(١) نفس المرجع (١/٩٢-٩٣).

- يبين ويبرز منهج القرآن في الموضوع الذي تكلمت عنه الآية، ظاهرا أو خفيا، في مجال التربية والتعليم والدعوة والإصلاح والسياسة والنظام والقيم والأخلاق، وغير ذلك من المجالات.
- يدعو إلى الاقتداء بالقرآن والتخلق به والرجوع إلى هدايته في جميع شؤون الحياة، وهذا كان هدفه الرئيس من تفسير القرآن وفي دعوته الإصلاحية.
- يردُّ على إشكالات أو شبهات وردت أو قد ترِد على الآية .
- يرى بعدم تفسير القرآن بالاصطلاحات الحادثة.
- لا يتعرض للخلافات التي لا ينبني عليها عمل.
- يبين مجمل القرآن ومطلقه، بالقرآن و بالسنة القولية والعملية للنبي ﷺ.
- يعمِّم الخطاب الموجه للنبي ﷺ إلى أمته، وإلحاقها به في التشريع ما لم يدل دليل على الخصوصية.

وأخيرا أقول عن ابن باديس ومنهجه، بعد هذه الرحلة الطويلة مع حياة الشيخ الإمام العلمية والعملية:

إن ابن باديس –رحمه الله– بنى منهجه واعتمد في دينه على الاستنباط من الوحيين وعمل سلفه الصالح، لا على خيال فلسفي، ولا رأي قياس، ولا غير ذلك من الأمور المبتدعات، وهذه شهادة عيان وحقّ من رفيق درب، وصديق ودّ، وأمين سرّ، وخليفته على جمعيته بعد موته، يدلي بها للتاريخ لكي لا يظلم العظماء، ولكي ينزل الناس منازلهم، وتعرف لهم أقدارهم، فلا يُسوّى بين الرأس والذنب، قال–رحمه الله: (وعبد الحميد ابن باديس عظيم بأكمل ما تعطيه هذه الكلمة من معنى، فهو عظيم في علمه، عظيم في أعماله، عظيم في بيانه وقوّة حجّته، عظيم في تربيته وتثقيفه لجيل كامل، عظيم في مواقفه من المألوف الذي صيره السكوت دينا، ومن المخوف الذي صيره الخضوع إلها، عظيم في بنائه وهدمه، عظيم في حربه وفي سلمه، عظيم في اعتزازه بإخوانه، ووفائه لهم، وعرفانه لأقدارهم، وإذا كان من خوارق العادات في العظماء أنهم يبنون من الضعف قوّة، ويخرجون من العدم وجودا،

وينشئون من الموت حياة، فكل ذلك فعل عبد الحميد ابن باديس بالأمّة الجزائرية)[1]. والله تعالى أعلم.

(١) آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي (٢/٥٨٩).

الفصل الثاني

الاستنباط تعريفه وأهميته وشروطه

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

❖ **المبحث الأول:**

تعريف الاستنباط.

❖ **المبحث الثاني:**

أهمية الاستنباط.

❖ **المبحث الثالث:**

شروط الاستنباط.

المبحث الأول
تعريـــــف الاستنبـــاط

وفيه ثلاثة مطالب:

- **المطلب الأول:**

تعريف الاستنباط لغة.

- **المطلب الثاني:**

تعريف الاستنباط اصطلاحا.

- **المطلب الثالث:**

الفرق بين الاستنباط والتفسير وبيان العلاقة بينهما.

□المطلب الأول:

تعريف الاستنباط لغة:

نَبَطَ الماء نُبُوطاً: نَبَعَ... وأَنْبَطْتُ الماء: أخرجته بالحفر عنه، ولغة نَبَطْتُهُ وكذلك كل شيء أظهرته[١].

ونَبَطَ العلم، أظهره ونشره في الناس، وهو مجاز[٢].

والنَّبَطُ –محرّكة– أوّل ما يظهر من ماء البئر كالنُّبْطَة بالضم.

وأَنْبَطَ الحافر: انتهى إليها، واسْتَنْبَطَ الكلام استخرجه... وكل ما أُظهر بعد خفاء فقد أُنْبِطَ، واسْتُنْبِطَ مجهولين[٣].

والاسْتِنْبَاطُ: الاستخراج، ومنه الحديث ((ورجل ارتبط فرسا لِيَسْتَنْبِطَهَا))[٤]، أي: يطلب نسلها ونتاجها [٥].

فممّا تقدم من كلام أهل اللغة، تبيّن أنّ كلمة "استنبط" فيها معنى الطلب لشيء، لأن "السين والتاء" تزاد في أول الكلمة للدلالة على الطلب.

فالاستنباط إذن: طلب النَّبَط، كالاستسقاء طلب السقيا، والاستشفاء طلب الشفاء.

❑ المطلب الثاني:

تعريف الاستنباط اصطلاحا:

فهذه أقوالٌ لعلماء أصوليين وفقهاء ومفسرين، في تعريف الاستنباط في اصطلاح الشرع، مستندين في ذلك إلى مدلول اللفظ اللغوي للاستنباط، الذي هو إخراج من الباطن إلى الظاهر.

---

(١) كتاب الأفعال لابن القطاع الصقلي (٣/٢٢١) باختصار.

(٢) تاج العروس (٢٠/١٣٤).

(٣) القاموس المحيط (١/٦٨٩).

(٤) رواية "ليستنبطها" روتها بعض كتب اللغة، وكتب غريب الحديث، كغريب الحديث للخطابي (١/٥٢٠)، والفائق في غريب الحديث للزمخشري (٣/٧٣)، وغريب الحديث لابن الجوزي (٢/٣٨٧)، والنهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٥/٨)، ولم أجدها في كتب الحديث المسندة، ولا كتب التخريج فيما اطلعت عليه.

(٥) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٥/٨).

قالوا رحمهم الله: (والاستنباط هو إخراج الشيء من كونه باطنا إلى أن يظهر، وقد يكون ذلك بالقياس، وقد يكون بغيره، لأنه يقال لمن استدل على الشيء بخفي النصوص، قد استنبط هذا الحكم من هذه النصوص) [١].

(والاستنباط مختص باستخراج المعاني من ألفاظ النصوص)[٢].

(الاستنباط هو استخراج المعنى المودع من النص حتى يبرز ويظهر) [٣].

(الاستنباط ليس إلا استخراج المعنى من المنصوص بالرأي) [٤].

(الاستنباط هو استخراج المعاني من النصوص بفرط الذهن وقوة القريحة)[٥].

ونستطيع أن نضع تعريفا اصطلاحيا للاستنباط جمعا بين التعريف اللغوي له، وشروط صحة قبوله التي وضعها العلماء، وسيأتي بيانها في شروط الاستنباط.

فنقول: إذا كان المعنى اللغوي للاستنباط هو: استخراج ما خفي إلى الظاهر والعيان، وكان من شروطه المهمة التي لا يصح أن تتخلف في أي استنباط وهي:

- صحة ذلك المعنى المسْتَنْبَط في نفسه.
- دقة ذلك المعنى وخفائه.
- كون هذا المعنى الصحيح في نفسه مرتبطا بالآية.

فهذه الشروط هي المهمّة في أي استنباط، وبقية الشروط مكمّلة، فإذًا نقول: الاستنباط اصطلاحا هو: "**استخراج المعاني والأحكام الدقيقة الخفية الصحيحة، بطريق صحيح، من النصوص الشرعية، بالتفكّر وعمق التدبّر**". والله أعلم.

---

(١) المعتمد في أصول الفقه لأبي الحسين البصري المعتزلي (٢/٢٢٦).

(٢) الحاوي الكبير للماوردي (١٦/١٣٠).

(٣) قواطع الأدلة في الأصول لأبي المظفر السمعاني (٢/٩٢).

(٤) أصول السرخسي (٢/١٢٨).

(٥) التعريفات للجرجاني (١/٢٢).

❑ **المطلب الثالث:**

الفرق بين الاستنباط والتفسير وبيان العلاقة بينهما

وقبل أن أتطرق إلى التفرقة بين الاستنباط والتفسير وبيان العلاقة بينهما، لابد أن أذكر بين يدي هذا التفريق مفهوم ومعنى التفسير، بعد ما بيّنا في المبحث الأول من هذا الفصل، معنى الاستنباط ومفهومه لغة واصطلاحا، لكي يتمّ لنا تصور المعنيين، وبالتالي القدرة على التمييز والتفرقة بينهما والحكم على كل واحد منهما، إذ الحكم على الشيء فرع عن تصوره، فأقول:

- **التفسير لغة:**

(فَسَر: الفاء، والسين، والراء، كلمة واحدة تدل على بيان شيء وإيضاحه من الفَسْر، يقال: فَسَرْتُ الشيءَ وفَسَّرتُه)[١].

(التفسير: الشرح والبيان)[٢].

(يقال: فَسَّر الشيء، يُفَسِّره، ويَفْسِره، وفَسَّره، أبانه)[٣].

(الفَسْر: الإبانة، وكشف المغطى كالتَّفْسير)[٤].

فالملاحظ أنّ هذه المعاجم اللغوية قد أجمعت على المدلول اللغوي لكلمة "تَفْسِير" وهو: **البيان والكشف والإيضاح عن معنى ذلك اللفظ.**

- **التفسير اصطلاحا:**

قال الزركشي[٥]: (التفسير علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد ﷺ وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه، واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو

---

(١) مقاييس اللغة لابن فارس (٥٠٤/٤).

(٢) المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية بالقاهرة (٦٨٨/٢).

(٣) تاج العروس للمرتضى الزبيدي (٣٢٣/١٣).

(٤) القاموس المحيط للفيروز آبادي (٤٥٦/١).

(٥) هو بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، ولد سنة ٧٤٥هـ، وأخذ عن الإسنوي ومغلطاي وابن كثير وغيرهم، وألف تصانيف كثيرة في عدة فنون، منها الخادم على الرافعي والروضة، وشرح المنهاج، والديباج، وشرح جمع الجوامع وشرح البخاري، والتنقيح على البخاري، وشرح التنبيه، والبرهان في علوم القرآن، والقواعد في الفقه، وغير ذلك، مات يوم الأحد ثالث رجب سنة ٧٩٤هـ، ودفن بالقرافة الصغرى.

والتصريف، وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات، ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ)[١].

وقال في موضع آخر: (هو علم نزول الآية وسورتها وأقاصيصها والإشارات النازلة فيها، ثم ترتيب مكّيها ومدنيها، ومحكمها ومتشابها، وناسخها ومنسوخها، وخاصها وعامها، ومطلقها ومقيدها ومجملها ومفسرها، وزاد قوم فقالوا: وعلم حرامها وحلالها، ووعدها ووعيدها، وأمرها ونهيها، وأمثالها وغيرها)[٢].

وقال ابن عاشور: (والتفسير في الاصطلاح نقول: هو اسم للعلم الباحث عن بيان معاني ألفاظ القرآن، وما يستفاد منها باختصار أو توسع)[٣].

وقال الجرجاني[٤]: (التفسير علم يبحث فيه عن أحوال كلام الله المجيد من حيث دلالته على مراده)[٥].

وقال الزرقاني[٦]: (هو علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية)[٧].

حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة للسيوطي (٤٣٧/١)، ينظر ترجمته في: شذرات الذهب في أخبار من ذهب (٥٧٣/٨).

(١) البرهان في علوم القرآن (١٣/١).

(٢) المرجع السابق (١٤٨/٢).

(٣) التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور (١١/١).

(٤) هو علي بن محمد بن علي، المعروف بالشريف الجرجاني (٧٤٠ - ٨١٦ هـ = ١٣٤٠ – ١٤١٣م)، من كبار العلماء بالعربية، تخرج به أئمة نحارير، وكثرت أتباعه وطلبته، واشتهر ذكره، وبعد صيته، كان شيخا أبيض اللحية، نيرا وضيئا، ذا فصاحة وطلاقة وعبارة رشيقة، ومعرفة بطرق المناظرة والمباحثة والاحتجاج، ذا قوة في المناظرة، وطول روح، وعقل تام، ومداومة على الإشغال والاشتغال، من كتبه: "التعريفات"، و"شرح السراجية في الفرائض"، و "رسالة في فن أصول الحديث" وغيرها. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع للسخاوي (٣٢٩/٥-٣٣٠). ينظر ترجمته في: الأعلام للزركلي (٧١/٥) باختصار.

(٥) شرح مقدمة الكشاف للجرجاني، نقلا عن مفهوم التفسير لمساعد الطيار (ص٥٥).

(٦) هو محمد عبد العظيم الزرقاني، من علماء الأزهر بمصر، تخرج بكلية أصول الدين، وعمل بها مدرسا لعلوم القرآن والحديث، وتوفي بالقاهرة سنة (١٣٦٧ هـ =١٩٤٨ م)، من كتبه "مناهل العرفان في علوم القرآن". الأعلام للزركلي (٦ /٢١٠).

(٧) مناهل العرفان (١٩٣/١).

وقال الشيخ العثيمين-رحمه الله-: (التفسير في الاصطلاح، هو بيان معاني القرآن الكريم)[١].

وهذه التعاريف الثلاثة الأخيرة مع اختصارها، فهي أحسن التعاريف، لأنها حرّرت معنى التفسير كعلم مستقل بذاته، وميّزته عن الاستنباط، فهي إذًا تعاريف جامعة مانعة.

- **الفرق بين التفسير والاستنباط:**

فإذا من خلال ما تمّ استعراضه من معاني التفسير ومعاني الاستنباط لغة واصطلاحا نستطيع أن نلمس الفرق بينهما فيما يلي:

- التفسير-كما هو مدلول اللفظ لغة واصطلاحا-الكشف والبيان والتوضيح لألفاظ القرآن وعباراته، من غير إعمال جهد كبير في إيضاح هذا المعنى، والاستنباط - كما هو مدلول اللفظ لغة واصطلاحا-إعمال جهد كبير، وفكر وتدبر، في استخراج ما وراء العبارة، ومن ثنايا الكلام من معاني خفية.
- التفسير هو بيان المعاني التي تؤخذ من وضع العبارة، والاستنباط هو بيان المعاني التي تستفاد من طريق الإشارة.
- التفسير قد علم كل ما جاء فيه عن النبي ﷺ والصحابة والتابعين، والاستنباط لا يمكن لأحد ادعاء معرفة جميع ما تحتمله الآية من الفوائد والأحكام.
- إذا أطلق التفسير فينطلق إلى القرآن فقط في عرف الشرع، وإذا أطلق الاستنباط فينصرف للقرآن ولغيره من السنة والعلوم الأخرى.
- معاني التفسير تكون بقدر الألفاظ، ومعاني الاستنباط لا قدر لها.

والله تعالى أعلم.

- **العلاقة بين التفسير والاستنباط:**

فمن خلال هذه الفروق بين التفسير والاستنباط، تظهر العلاقة بينهما وتتضح، فالملاحظ هنا في هذه الفروق، أن التفسير والاستنباط يجتمعان في شيء، وهو إبراز المعنى القرآني وكشفه وإظهاره، فهذا المعنى يعمهما جميعا.

---

(١) تفسير ابن عثيمين (المقدمة ص٢٨).

وينفرد التفسير ويختص ببيان المعنى الظاهر من اللفظ والكشف عن مدلوله،

وينفرد الاستنباط ويختص ببيان وإبراز المعنى الباطن من اللفظ.

فإذاً ، اشتركا في شيء وانفرد كل واحد منهما بشيء، فالعلاقة بينهما إذاً علاقة عموم وخصوص وجهي، وهو أن يجتمع الشيئان في مادة وينفرد كل واحد منهما بمادة، فيجتمعان في البيان والإظهار لمعاني القرآن، ويفترق كل واحد منهما بمادة، وهو أن التفسير ينفرد ببيان المعاني الظاهرة من منطوق اللفظ، والاستنباط ينفرد ببيان المعاني من باطن اللفظ. والله أعلم.

المبحث الثاني
أهميـــة الاستنبـــاط

❑ المبحث الثاني:
أهمية الاستنباط

١-لما كانت النصوص متناهية والحوادث لا تتناهى، ولما كان من أحكام الله ما هو منصوص عليه، ومنها ما هو غير منصوص عليه، وإنّما هو مودع في النص، فكان لابد بل ومن الضروري مِن تصدُّر أناس للبيان عن مراد الله وحكمه، وللبيان عما انطوى عليه هذا الكتاب المعجز من أسرار وخبايا وحكم، وللبيان عما احتواه من ذخائر وكنوز وحقائق ومناهج وهدايات ونظم، فتنار الطريق للعالمين، وليتفاضل الناس في العلم بها ويثابون على الاستنباط لها.

قال تعالى: ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾ (النساء: ٨٣)،

فقد حوت هذه الآية معاني منها: أنّ في أحكام الحوادث ما ليس بمنصوص عليه بل مدلول عليه.

ومنها: أنّ على العلماء استنباطه والتوصل إلى معرفته برده إلى نظائره من المنصوص)[١].

قال ابن قتيبة[٢]: (لو كان القرآن كله ظاهرا مكشوفا حتى يستوي في معرفته العالم والجاهل لبطل التفاضل بين الناس وسقطت المحنة وماتت الخواطر، ومع الحاجة تقع الفكرة والحيلة ومع الكفاية يقع العجز والبلادة)[٣].

---

(١) أحكام القرآن الجصاص (١٨٣/٣).

(٢) هو العلامة الكبير ذو الفنون، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، وقيل: المروزي، الكاتب صاحب التصانيف، نزل بغداد وقد ولي قضاء الدينور، وكان رأسا في علم اللسان العربي، والأخبار، وأيام الناس، وقال أبو بكر البيهقي: كان يرى رأي الكرامية، وصنف وجمع، وبعد صيته، من تصانيفه: "غريب القرآن"، "غريب الحديث"، "المعارف"، "مشكل القرآن"، "مشكل الحديث"، "أدب الكاتب"، "عيون الأخبار". سير أعلام النبلاء (٢٩٩/٢٥).

(٣) تأويل مشكل القرآن (ص٥٨).

٢-ولأهمية الاستنباط وفضله وحاجة الأمة إليه جاءت النصوص من الكتاب والسنة في الحث والتشويق والترغيب فيه والمدح لأهله، قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (النحل: ٤٤).

(فحث على التفكير وحرضنا على الاستنباط والتدبر وأمرنا بالاعتبار لنتسابق إلى إدراك أحكامه وننال درجة المستنبطين والعلماء الناظرين)[١].

(وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾ (النساء: ٨٣)، وفي هذه الآية دليل على جواز الاستنباط من الخبر والكتاب لأنّ الله تعالى قد أجاز الاستنباط من قبل الرسول ﷺ وأهل العلم)[٢].

فقد حوت هذه الآية معاني منها: أنّ في أحكام الحوادث ما ليس بمنصوص عليه بل مدلول عليه.

ومنها: أنّ على العلماء استنباطه والتوصل إلى معرفته برده إلى نظائره من المنصوص)[٣].

قال ابن القيم الجوزية[٤] استنباطا من هذه الآية: (وقد مدح الله تعالى أهل الاستنباط في كتابه وأخبر أنهم أهل العلم) [٥].

---

(١) أحكام القرآن للجصاص (٤/٣٤).

(٢) تفسير السمرقندي (١/٣٢٢).

(٣) أحكام القرآن الجصاص (٣/١٨٣).

(٤) هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي، ثم الدمشقي الفقيه الأصولي، المفسر النحوي العارف، شمس الدين أبو عبد الله بن قيم الجوزية، تفقه في المذهب وبرع، تتلمذ لشيخ الإسلام ابن تيمية حتى كان لا يخرج عن شيء من أقواله، وسجن معه في قلعة دمشق، وأهين وعذب بسببه، وكان حسن الخلق محبوبا عند الناس، وأفتى وتفنن في علوم الإسلام، وكان عارفا بالتفسير لا يجارى فيه، وبأصول الدين، وإليه فيهما المنتهى، والحديث ومعانيه وفقهه، ودقائق الاستنباط منه، لا يلحق في ذلك، وبالفقه وأصوله وبالعربية، وكان رحمه الله ذا عبادة وتهجد وطول صلاة، توفي سنة ٧٥١هـ رحمه الله، تصانيفه كثيرة منها: "إعلام الموقعين"، و"الطرق الحكمية في السياسة الشرعية"، و"شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل"، و"زاد المعاد" وغيرها كثير. ينظر ترجمته في: ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب الحنبلي =(٥/١٧٠)، والأعلام للزركلي (٦/٥٦) باختصار.

(٥) إعلام الموقعين (١/٢٢٥).

قال الجصاص[١]: (وفي الآية دلالة على وجوب القول بالقياس واجتهاد الرأي في أحكام الحوادث)[٢].

قال الرازي[٣]: (الآية دالة على أمور: أحدها أنّ في أحكام الحوادث ما لا يعرف بالنص بل بالاستنباط، وثانيها أنّ الاستنباط حجة)[٤].

وقال القاسمي[٥]: (الآية ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾ هذا أصل عظيم في الاستنباط والاجتهاد)[٦].

٣-وكانت سيرته ﷺ القولية والعملية منهجا واضحا في توجيه الصحابة وتربيتهم على التدبر والتفكر والاجتهاد والاستنباط.

---

(١) هو إمام أصحاب الرأي في وقته، كان مشهورا بالزهد والورع، ورد بغداد في شبيبته ودرس الفقه على أبي الحسن الكرخي، ولم يزل حتى انتهت إليه الرياسة، ورحل إليه المتفقهة، توفي سنة ٣٧٠هـ، له تصانيف كثيرة مشهورة منها: "أحكام القرآن "، و"الفصول أصول الفقه". تاريخ بغداد وذيوله (٧٢/٥).

(٢) أحكام القران للجصاص (١٨٣/٣).

(٣) هو محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري، أبو عبد الله، فخر الدين الرازي الإمام المفسر، أوحد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل، وهو قرشي النسب، أصله من طبرستان، ومولده في الري وإليها نسبته، ويقال له ابن خطيب الري، توفي سنة ٦٠٦هـ، من تصانيفه "مفاتيح الغيب" في تفسير القرآن الكريم، و"لوامع البينات في شرح أسماء الله تعالى والصفات"، و"معالم أصول الدين"، و"محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين". ينظر ترجمته في: طبقات الشافعية الكبرى (٨٢/٨) و الأعلام للزركلي (٣١٣/٦).

(٤) تفسير الرازي (١٥٤/١٠).

(٥) هو جمال الدين أو محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق، من سلالة الحسين السبط، إمام الشام في عصره، مولده ووفاته في دمشق، كان سلفي العقيدة لا يقول بالتقليد، توفي سنة ١٣٣٢هـ، من مصنفاته "موعظة المؤمنين" اختصر به إحياء علوم الدين للغزالي، و"تنبيه الطالب إلى معرفة الفرض والواجب"، و"تعطير المشام في مآثر دمشق الشام"، و"قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث"، و"محاسن التأويل" في تفسير القرآن الكريم وغيرها. الأعلام للزركلي (١٣٥/٢) باختصار.

(٦) محاسن التأويل (٢٣٦/٣).

قال ابن عمر رضي الله عنهما: ((كنا عند النبي ﷺ فأتى بجمّار[١] فقال: إني لأعلم شجرة مثلها كمثل الرجل المسلم، فوقع في نفسي أنها النخلة فأردت أن أتكلم ثم نظرت فإذا أنا أصغر القوم فسكت فقال النبي ﷺ هي النخلة))[٢].

(استنبط ابن عمر من قرينه الجمّار الذي أُهدي إلى النبي ﷺ أنّ الشجرة المسئول عنها هي النخلة، لأنّ النبي ﷺ إنما طرح هذا السؤال بعد إهدائه الجمّار الذي هو رأس النخلة فدل على أنها هي)[٣].

(وفيه التحريض على الفهم في العلم وقد بوّب عليه المؤلف –البخاري– باب الفهم في العلم)[٤].

وردّ رسول الله ﷺ عمر رضي الله عنه لما سأله عن الكلالة إلى آية الصيف، فعن زيد بن أسلم[٥] أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سأل رسولَ الله ﷺ عن الكَلالة، فقال له رسولُ الله ﷺ: ((يكفيكَ من ذلك الآيةُ التي أنزلت في الصيف[٦] في آخر سورة النساء))[٧].

---

(١) قال الزمخشري في حديث النبي ﷺ ((لا قطع في ثمر ولا كثر)): الكثر جمار النخل وهو شحمه الذي يخرج به الكافور، وهو وعاء الطلع من جوفه، سمي جمارا وكثرا، لأنه أصل الكوافير وحيث تجتمع وتكثر. الفائق في غريب الحديث والأثر (٢٧٤/٣).

(٢) أخرجه البخاري (١٣٦/١) في كتاب العلم، باب طرح الإمام المسألة على أصحابه ليختبر ما عندهم، وباب قول المحدث: حدثنا وأخبرنا وأنبأنا، وباب الفهم في العلم، وباب الحياء في العلم، وفي البيوع، باب بيع الجمّار وأكله، وفي تفسير سورة إبراهيم، وفي الأطعمة، باب أكل الجمار، وباب بركة النخل، وفي الأدب، باب ما لا يستحيي من الحق في التفقه في الدين، وباب إكرام الكبير، ومسلم برقم (٢٨١١) في المنافقين، باب مثل المؤمن مثل النخلة.

(٣) منار القاري شرح مختصر البخاري لحمزة محمد قاسم (١٥٧/١).

(٤) فتح الباري (١٤٦/١).

(٥) هو زيد بن أسلم أبو عبد الله العدوي العمري الإمام، الحجة، القدوة، المدني الفقيه، وكان له حلقة للعلم في مسجد رسول الله ﷺ، قال أبو حازم الأعرج: (لقد رأيتنا في مجلس زيد بن أسلم أربعين فقيها، أدنى خصلة فينا التواسي بما في أيدينا، وما رأيت في مجلسه متماريين، ولا متنازعين في حديث لا ينفعنا) اهـ، مات في ذي الحجة سنة ١٣٦هـ. سير أعلام النبلاء (٣١٦/٥) (رقم ١٥٣).

(٦) أي الآية التي نزلت في الصيف، وهي الآية التي في آخر سورة النساء، والتي في أولها نزلت في الشتاء. النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٦٨/٣).

(٧) أخرجه مالك في الموطأ في كتاب الفرائض، باب ميراث الكلالة (٧٣٥/٣) (رقم ١٨٧٨)، وأخرجه مسلم

(ولاشك أن عمر ﷺ لا يخفى عليه معنى الكلالة من جهة اللغة، وذلك يدل على أن معنى الكلالة شرعا غير مفهوم من الاسم لغة، ولذلك لم يُجب رسول الله ﷺ عمر ﷺ عن سؤاله في معنى الكلالة ووكله إلى استنباطه، وفي ذلك دليل على جواز تفويض الإجماع إلى آراء المستنبطين كما فوضها رسول الله ﷺ إلى رأي عمر ﷺ، وفيه دلالة على بطلان قول من يقول: لا يجوز استنباط معاني القرآن)[١].

٤-ومن سيرته ﷺ القولية التي فيها حثٌ وترغيبٌ وتشويقٌ إلى التدبر والتفكر والتفقه والتفهُّم، قوله:ﷺ ((نضّر الله امرأ سمع منّا حديثا فحفظه حتى يبلغَه فرُبّ حاملِ فقهٍ إلى من هو أفقه منه ورُبّ حاملِ فقهٍ ليس بفقيه)[٢].

(وفي قوله ﷺ: ((رُبَّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه) دليل على كراهية اختصار الحديث لمن ليس بالمتناهي في الفقه، لأنه إذا فعل ذلك فقد قطع طريق الاستنباط والاستدلال لمعاني الكلام من طريق التفهم، وفي ضمنه وجوبُ التفقهِ والحثِ على استنباط معاني الحديث واستخراج المكنون من سرّه)[٣].

٥-ولفضل الاستنباط وأهمّيته وعظيم شأنه، لا تنال درجة الاجتهاد إلا به، قال الشاطبي[٤] رحمه الله: (إنّما تحصل درجة الاجتهاد لمن اتصف بوصفين: إحداهما فهم مقاصد الشريعة على كمالها، الثاني التمكن من الاستنباط بناء على فهمه فيها)[٥].

=في كتاب الفرائض باب ميراث الكلالة (١٢٣٦/٣) (رقم ١٦١٧).

(١) أحكام القرآن للكيا الهراسي (٣٦٠/٢).

(٢) أخرجه الترمذي في السنن في أبواب العلم، باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع (٣٣٠/٤) (رقم ٢٦٥٦)، وأبو داود في كتاب العلم باب فضل نشر العلم (٣٦٠/٣) (رقم ٣٦٦٢)، وابن ماجه في باب من بلغ العلم (٣٦٠/٣) (رقم ٣٦٦٢) وغيرهم، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٧٦٠/١) (رقم ٤٠٤).

(٣) معالم السنن للخطابي (١٨٧/٤).

(٤) هو الإمام المحدث المتبحر المحدث الأصولي النظار الجهبذ أبي إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي صاحب "الموافقات"، و"الاعتصام"، و"المقاصد الشافية في شرح خلاصة الكافية" وغير ذلك، توفي سنة ٧٩٠هـ. ينظر ترجمته في: فهرس الفهارس لعبد الحي الكتاني (١٩١/١)، الأعلام للزركلي (٧٥/١).

(٥) الموافقات (٤١/٥).

٦-كما يكفيه فضلا، بل ذهابه بكل الفضل أنه هو الفقه الحقيقي، قال الزركشي - نقلا عن ابن سراقة [١] رحمه الله: (وحقيقة الفقه عندي الاستنباط)[٢].

٧-ومما يدل على أهميته وعظيم شأنه، أنّ الإجماع لا ينعقد عند بعض العلماء إلا بالعلماء الذين لهم قدرة على الاستنباط، قال الرازي: (ومذهبنا أنّ الإجماع لا ينعقد إلا بقول العلماء الذين يمكنهم استنباط أحكام الله من نصوص الكتاب والسنة وهؤلاء هم المسمّون بأهل الحل والعقد في كتب أصول الفقه)[٣].

(١) هو محيي الدين ابن سراقة محمد بن محمد بن إبراهيم بن الحسين بن سراقة، الأنصاري الأندلسي الشاطبي، ولد في رجب سنة ٥٩٢هـ بشاطبة، وتوفي سنة ٦٠٢هـ بالقاهرة، سمع الكثير وولي مشيخة دار الحديث البهائية بحلب، ثم قدم إلى الديار المصرية، وولي مشيخة دار الحديث الكاملية بالقاهرة، إلى حين وفاته، وكان أحد الأئمة المشهورين بغزارة الفضل وكثرة العلم والجلالة والنبل، وأحد المشايخ المعروفين. فوات الوفيات لابن شاكر (٢٤٥/٣). ينظر ترجمته في: حسن المحاضرة(٣٨١/١).

(٢) البحر المحيط في الأصول (٣٦/١).

(٣) تفسير الرازي (١١٧/١٠).

المبحث الثالث

شـــروط الاستنبـــاط

وفيه مطلبان:

- **المطلب الأول:**

شروط المستنبِط.

- **المطلب الثاني:**

شروط المعنى المستنبَط.

إذا جوّز العلماء الاستنباط من القرآن، فليس معنى هذا أنّ لكل أحد أن يستنبط وفق ما يهوى، فليست هي عملية تشهي، وإنّما هو علم مضبوط ومحكوم بقواعد وشروط تحدد صحته وقبوله، فليس لأحد أن يستنبط إلا وفق قواعد الشرع ومقاصده الكلية، وليس لأحد أن يدعي استخراج معنى من نصوص الوحي إلا إذا كان ذلك المعنى جاريا على شروط الاستنباط.

وقد وضع العلماء للمفسر المستنبِط، و للمعنى المستنبَط من نصوص الوحي، شروطا يصح مع وجودها وجوده، ومع عدمها رده وعدم قبوله، كما هو شأن الشرط وحده.

❑ المطلب الأول:

شروط المُستنبط (١)

- أن يكون للمستنبط قريحة صافية، وذهن نيِّر، وقدرة فطرية على النظر والاستدلال.
- أن يكون صحيح الاعتقاد، ملازما لسنة الدين، متجردا عن الهوى، صحيح المقصد.
- أن يكون متعمقا في أسرار البيان العربي.
- أن يكون متفهّما لروح السنة النبوية، المبينة لمقاصد القرآن،الشارحة لأغراضه بالقول والعمل.
- أن يكون واسع الاطلاع على فهوم علماء القرون الأولى المفضلة.
- أن يكون كثير التأمل في سنن الله في الكائنات.
- أن يكون مطّلعا على ما أنتجته العلوم الاختبارية من كشف لتلك السنن.
- أن يكون عالما بأصول الفقه،لأنه ضروري في عملية الاستنباط من نصوص الشرع.

---

(١) ينظر في هذا المطلب: الإتقان في علوم القرآن (٦/٢٢٧٤)، ومقدمة تفسير ابن باديس للبشير الإبراهيمي (ص١٧)، ومنهج الاستنباط من القرآن الكريم، رسالة ماجستير لفهد الوهبي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (ص١٩٩).

◆ أن يكون مُلمّا بعلوم القرآن وقواعد تفسيره.

ومع هذه العلوم والأدوات لابد له من تقوى الله عز وجل، لأن الفهم والاستنباط من القرآن عطاء من الله يؤتاه المرء، كما جاء في أثر عليّ ﷺ فيما رواه أبو جحيفة [١] عنه قال: ((سألنا عليا، فقلنا: هل عندكم من رسول الله شيء سوى القرآن؟، فقال: لا والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، إلا أن يعطي الله عز وجل، عبدا فهما في كتابه، أو ما في هذه الصحيفة، قلت: وما في الصحيفة؟ قال: فيها لعقل وفكاك الأسير، وأن لا يقتل مسلم بكافر))[٢].

قال السلمي[٣]: (قيل: إنّ استنباط القرآن على مقدار تقوى العبد في ظاهره وباطنه وتمام معرفته، وهذا أجلّ مقامات الإيمان)[٤].

(وإنما ينكشف للراسخين في العلم من أسراره بقدر غزارة علومهم وصفاء قلوبهم، وتوفر دواعيهم على التدبر، وتجرد هم للطلب، ويكون لكل واحد حد في الترقي إلى درجة أعلى منه، أما الاستيفاء فلا مطمع فيه ولو كان البحر مدادا والأشجار أقلامًا، فأسرار كلمات الله تعالى لَانهاية لها، فمن هذا الوجه يتفاوت الخلق في الفهم بعد معرفة ظاهر التفسير، وظاهر التفسير لَا يغني عنه)[٥].

---

(١) هو أبو جحيفة السوائي الكوفي، وهب بن عبد الله صاحب النبي ﷺ، من صغار الصحابة، ولما توفي النبي ﷺ كان وهب مراهقا وكان صاحب شرطة علي ﷺ، حدث عن النبي ﷺ وعن: علي والبراء، اختلفوا في موته، والأصح أنه توفي ٧٤هـ. سير أعلام النبلاء (٢٠٢/٣) (رقم ٤٤) باختصار.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب العلم باب كتابة العلم (٥٣/١ رقم ١١١)، وفي أبواب متفرقه من صحيحه (٢٨٨٢-٦٥٧٠-٦٥١٧)، والترمذي في أبواب الديات باب ما جاء لا يُقتل مسلم بكافر (٧٧/٣ رقم ١٤١٢)، والنسائي كتاب القسامة باب سقوط القود من المسلم للكافر (٣٩٢/٨ رقم ٤٧٥٨).

(٣) هو محمد بن الحسين بن موسى، أبو عبد الرحمن الأزدي السلمي، كان شيخ الصوفية وعالمهم بخراسان، وكان ذا عناية تامة بأخبار الصوفية، صنف لهم سننا وتفسيرا وتاريخا وغير ذلك، وتصانيفه يقال إنها ألف جزء، وله كتاب سماه "حقائق التفسير" ليته لم يصنفه، فإنه تحريف وقرمطة، فدونك الكتاب فسترى العجب!!، ورويت عنه تصانيفه وهو حي، توفّي في شعبان سنة ٤١٢هـ. تاريخ الإسلام للذهبي (٢٠٨/٩). ينظر ترجمته في: طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (١٤٤/٤).

(٤) تفسير السلمي (١٥٧/١).

(٥) إحياء علوم الدين (٢٩٣/١).

❑ **المطلب الثاني:**

شروط المعنى المُستنبَط

قال ابن القيم رحمه الله: (وتفسير الناس يدور على ثلاثة أصول:

- تفسير على اللفظ وهو الذي ينحو إليه المتأخرون.
- وتفسير على المعنى وهو الذي يذكره السلف.
- وتفسير على الإشارة والقياس وهو الذي ينحو إليه كثير من الصوفية وغيرهم.

قال: (وهذا – أي التفسير الأخير الذي يُعدّ من الاستنباط – لا بأس به بأربعة شروط:

١– أن لا يناقض معنى الآية.

٢– أن يكون معنى صحيحا في نفسه.

٣– أن يكون في اللفظ إشارة به.

٤– أن يكون بينه وبين الآية ارتباط وتلازم.

فإذا اجتمعت هذه الأمور الأربعة كان استنباطا حسنا)[١].

وذكر ابن باديس شروط المعنى المستنبط فقال:

- أن يكون المعنى صحيحا في نفسه.
- أن يكون مأخوذا من التركيب القرآني أخذا عربيا صحيحا.
- أن يكون ما يشهد له من الشرع.

قال: (وكل ما استجمع هذه الشروط الثلاثة فهو صحيح مقبول... أما ما لم تتوفر فيه الشروط المذكورة، وخصوصا الأول والثاني فهو الذي لا يجوز في تفسير كلام الله)[٢].

والله تعالى أعلم.

---

(١) التبيان في أقسام القرآن (٧٩/١).

(٢) مجالس التذكير (٢٢٧/٢).

الفصـل الثـالث

أقسام الاستنباط عند ابن باديس في تفسيره

« مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير »

وفيه ثلاثة مباحث:

❖ **المبحث الأول:**

أقسامه باعتبار الموضوع.

❖ **المبحث الثاني:**

أقسامه باعتبار الإفراد والتركيب.

❖ **المبحث الثالث:**

أقسام الاستنباط باعتبار الظهور والخفاء.

المبحث الأول
أقسام الاستنباط باعتبار الموضوع

وفيه عشرة مطالب:

- **المطلب الأول**: الاستنباطات العقدية.
- **المطلب الثاني**: الاستنباطات الفقهية والأصولية.
- **المطلب الثالث**: الاستنباطات التربوية التعليمية.
- **المطلب الرابع**: الاستنباطات الدعوية.
- **المطلب الخامس**: الاستنباطات في السياسة الشرعية.
- **المطلب السادس**: الاستنباطات في الإعجاز البياني.
- **المطلب السابع**: الاستنباطات في الإعجاز العلمي.
- **المطلب الثامن**: الاستنباطات في السنن الكونية.
- **المطلب التاسع**: الاستنباطات في علوم القرآن.
- **المطلب العاشر**: الاستنباطات في المناهج والآداب القرآنية.

تنوعت استنباطات ابن باديس لتنوع علومه ثقافته، فشملت مجالات عدّة: عقدية، وأصولية، وفقهية، وتربوية تعليمية، ودعوية، وسياسة شرعية، وإعجازية، وعلوم قرآن، ومناهج قرآنية.

❑ المطلب الأول:
الاستنباطات العقدية

يرى ابن باديس أن للعقيدة دوراً مهماً في توجيه سلوك العبد، بل كل أعماله وسلوكاته تنبني عليها، فيجب أولاً الاعتناء بها وتصحيحها والتربية عليها.

قال في تفسير قوله تعالى: ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴾ (الإسراء: ٨٤) تحت عنوان انبناء الأعمال على العقائد والأخلاق: (فإن الآية -وإن كانت بالخطاب الأول للمشركين ثم لأمثالهم من الكافرين- تفيد أن كل أحد تبنى أعماله على مذهبه وطريقته، التي هي خلقه وطبيعته، ونأخذ من هذا أن الذي نوجه إليه الاهتمام الأعظم في تربية أنفسنا وتربية غيرنا هو تصحيح العقائد، وتقويم الأخلاق، فالباطن أساس الظاهر، وفي الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله)[1].

وابن باديس له فهم للعقيدة ومنهج بحث يختلف عن منهج هؤلاء المتكلمين، فهو ينادي في كافة المجالات، وفي هذا المجال خصوصا، بالرجوع إلى القرآن، وطريقة القرآن والسنة النبوية الصحيحة في استخراج عقائدنا منها وبنائها عليها، كما كان عليه سلفنا الصالح من القرون المفضلة الأولى، لا على طريقة المتكلمين، فهو يؤكد هذا في كل مناسبة وفي كل كتاباته ودروسه، يبين أن القرآن هو الذي ينشأ التصورات والعقائد والحقائق والمفاهيم.

فينادي ويأمر بالرجوع إلى القرآن وصحيح السنة لبناء العقائد والأحكام والآداب عليها، قال رحمه الله: (فأدلة العقائد مبسوطة في القرآن العظيم بغاية البيان ونهاية التيسير، وأدلة الأحكام أصولها مذكورة كلها فيه، وبيانها وتفاصيلها في سنة النبي ﷺ الذي أرسل

(١) مجالس التذكير (٣٦٨/١).

ليبيّن للناس ما نزل إليهم، فحق على أهل العلم أن يقوموا بتعليم العامة لعقائدها الدينية، وأدلة تلك العقائد من القرآن العظيم، إذ يجب على كل مكلف أن يكون في كل عقيدة من عقائده الدينية على علم، ولن يجد العامي الأدلة لعقائد سهلة قريبة إلاّ في كتاب الله، فهو الذي يجب على أهل العلم أن يرجعوا في تعليم العقائد للمسلمين إليه.

أما الإعراض عن أدلة القرآن والذهاب مع أدلة المتكلمين الصعبة ذات العبارات الاصطلاحية، فإنه من الهجر لكتاب الله وتصعيب طريق العلم إلى عباده وهم في أشد الحاجة إليه، لقد كان من نتيجة هذا ما نراه اليوم في عامة المسلمين من الجهل بعقائد الإسلام وحقائقه)[1].

وهذا مثال من استنباطات ابن باديس في العقيدة من تفسيره، قال عند تفسير قوله تعالى: ﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ۚ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴾ (الإسراء: ٥٤): (فلا يقطع لأحد بأنه من أهل النار لجهل العاقبة سواء كان من أهل الكفر، أو كان من أهل الفسق، أو كان من أهل الابتداع، كما لا يقطع لأحد بالجنة كذلك، إلاّ من جاء النص بهم، فلا يقال للكافر عند دعوته أو مجادلته، إنك من أهل النار، ولكن تذكر الأدلة على بطلان الكفر، وسوء عاقبته، ولا يقال للمبتدع: يا ضال، وإنما تبين البدعة وقبحها، ولا يقال لمرتكب الكبيرة: يا فاسق، ولكن يبين قبح تلك الكبيرة وضررها وعظم إثمها، فتقبح القبائح والرذائل في نفسها، وتجتنب أشخاص مرتكبها)[2].

❑ المطلب الثاني:
الاستنباطات الفقهية و الأصولية

لم يأخذ هذا النوع من الاستنباط، بمعناه الاصطلاحي عند الشيخ في تفسيره، حظه من التوسع، رغم أن الشيخ يُعدّ من الفقهاء الأصوليين المجتهدين، وله مشاركات كتابية في هذين المجالين الفقه وأصوله، فكتب في الأصول "مبادئ الأصول"، وهو

(١) مجالس التذكير (١/٢٧١).

(٢) المرجع السابق (١/٢٩٢-٢٩٣).

مطبوع متداول، و"مجالس التذكير في هدي البشير النذير"، وهو شرح لموطأ مالك، كما له فتاوى في الفقه العام، وعلى قلتها فيمكن تقسيمها إلى قسمين:

القسم الأول: الفقه، القسم الثاني: أصول الفقه.

- **القسم الأول: الفقه**

(وهو معرفة الأحكام الشرعية التي طريقها الاجتهاد)[١].

وهذا مثال من استنباطات ابن باديس في هذا المجال، قال عند تفسير قوله تعالى: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا ﴾ (الإسراء: ٧٨) تحت عنوان استنباط: (من تخصيص صلاة الفجر بجملة التذييل المؤكدة، وما اشتملت عليه من هذه المزية، أخذ جماعة من أهل العلم أفضليتها على غيرها)[٢].

- **القسم الثاني: أصول الفقه**

يُعرَّف أصول الفقه باعتباره علماً على هذا الفن بأنه: (معرفة دلائل الفقه إجمالا وكيفية الاستفادة منها وحال المستفيد)[٣].

وقيل: (هو العلم بالقواعد التي يتوصل بها إلى استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية)[٤].

وهذا مثال من تفسير ابن باديس في هذا المجال، قال عند تفسير قوله تعالى: ﴿ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴾ (المائدة: ١٥)، وقوله تعالى:﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴾ (التغابن: ٨)، مع قوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (النحل: ٤٤)، مستنبطا قاعدة أصولية، وهي أن خبر الواحد يردّ إذا خالف القطعي من القرآن، قال

---

(١) الورقات في أصول الفقه للجويني (ص٧).

(٢) مجالس التذكير (٣٢٥/١).

(٣) منهاج الوصول إلى علم الأصول للبيضاوي بشرح نهاية السول للإسنوي (ص ٧).

(٤) شرح مختصر الروضة (١٢١/١).

رحمه الله: (في هذه الآية وصف محمد ﷺ بأنه نور، ووصف القرآن بأنه مبين، وفي آيات أخرى وصف القرآن بأنه نور، كقوله: ﴿ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ﴾ ووصف الرسول ﷺ بأنه مبين كقوله: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾، وهذا ليبين لنا الله تعالى أن إظهار النبي ﷺ وبيانه وإظهار القرآن وبيانه واحد، نستفيد من هذا أن السنة النبوية والقرآن لا يتعارضان، ولهذا يُرَدُّ خبر الواحد إذا خالف القطعي من القرآن)[1].

❑ المطلب الثالث:
الاستنباطات التربوية التعليمية

إذا رجعنا إلى معاجم اللغة العربية، وجدنا لكلمة التربية أصولا لغوية ثلاثة:

الأصل الأول: ربا يربو بمعنى زاد ونما، وفي هذا المعنى نزل قوله تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ (الروم: ٣٩).

الأصل الثاني: ربي يربى على وزن خفي يخفى، ومعناها: نشأ وترعرع.

الأصل الثالث: رَبَّ يربُّ بوزن مدَّ يمدُّ بمعنى أصلحه، وتولى أمره، وساسه وقام عليه ورعاه.

وقد اشتق بعض الباحثين من هذه الأصول اللغوية تعريفًا للتربية، ففي كتاب مفردات الراغب الأصفهاني[2]:(الربّ في الأصل التربية، وهو إنشاء الشيء حالا فحالا إلى حد التمام) [3]

وعلى هذه الأصول اللغوية كذلك، حدّد ابن باديس مفهوم التربية. قال في تفسير قوله تعالى: ﴿ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾ (الناس: ١): (هو مربيهم ومعطيهم في كل مرتبة من

---

(١) مجالس التذكير (١/١١٠-١١١).

(٢) هو الحسين بن محمد الراغب أبو القاسم الأصبهاني، أحد أعلام العلم ومشاهير الفضل، متحقق بغير فن من العلوم، وله تصانيف كثيرة، توفي سنة ٥٠٢هـ، من كتبه: "كتاب تفسير القرآن"، "كتاب أحداق عيون الشعر"، "كتاب المحاضرات"، "كتاب الذريعة إلى معالم الشريعة"، "كتاب المفردات من تفسير القرآن". معجم الأدباء لياقوت الحموي (١١٥٦/٣). ينظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (١٨/ ١٢٠)، والأعلام للزركلي (٢٥٥/٢).

(٣) أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة (ص ١٦).

مراتب الوجود وما يحتاجون إليه لحفظها... وأصله من ربّه يربّه ربّا، إذا قام على نشأته وتعهده في جميع أطواره إلى التمام والكمال)[١].

ولهذا كان من أهداف التفسير عنده -الذي كرسّ له ربع قرن من الزمن يدرسه- هو التربية على القرآن، يقول: (فإننا والحمد لله نربِّي تلامذتنا على القرآن من أول يوم، ونوجه نفوسهم إلى القرآن في كل يوم)[٢].

ويقول في موطن آخر: (إن كل ما نأخذه من الشريعة المطهرة علما وعملا فإننا نأخذه لنبلغ به ما نستطيع من كمال في حياتنا الفردية والاجتماعية)[٣].

فالهدف عند ابن باديس من التربية هو إيجاد الفرد المسلم الصالح الذي يصفه بقوله: (فالصالح هو من استنار قلبه بالإيمان والعقائد الحقة، وزكت نفسه بالفضيلة والأخلاق الحميدة، واستقامت أعماله وطابت أقواله... وهذا هو معنى الصالحين حيثما جاء، كما في قوله تعالى: ﴿ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ (النساء: ٦٩)، وكما في حديث التشهد: "السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين")[٤].

ويرى أنه ليس هناك طريق ولا منهج في إيجاد هذا الفرد بهذه الصفات إلا القرآن، فقد آمن أن القرآن الذي كوّن رجال السلف، لا يكترث عليه أن يكوّن رجالا في الخلف، إذا أُحسن فهمه وحملت الأنفس على منهاجه.

فلهذا اتخذ رحمه الله التفسير مجالا للتنظير لعلم التربية واستخراج قواعدها ومبادئها منه في جميع مجالات التربية المتعلقة بالنفس البشرية، الروحية منها والبدنية، وهذه نماذج وأمثلة من تفسيره.

- **التربية الروحية:**

فعند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامًا ﴾ (الفرقان: ٦٨)، قال رحمه

(١) مجالس التذكير (٣٦٨/٢).
(٢) آثار ابن باديس (٨٠/١).
(٣) المرجع السابق (٣٠٩/٢).
(٤) مجالس التذكير (٣٤٦/١).

الله تعالى: (وقدم إثبات الطاعات على انتفاء المعاصي، تنبيهاً على أن من راض نفسه على الطاعة ودانت نفسه بالإخبات والانقياد للأوامر الشرعية، ضعفت منه أو زالت دواعي الشر والفساد، فانكف عن المعصية، فمن هنا نعلم أن على المسلم الذي يعمل لتزكية نفسه، أن يواظب على الطاعات بأنواعها، وأن يجتهد في حصول الأنس بها، والخشوع فيها، فإن ذلك زيادة على ما يثبت فيه من أصول الخير، يقلع منه أصول الشر ويميت منه بواعثه) [١].

- **التربية البدنية:**

فعند تفسير قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴾ (المؤمنون: ٥١)، قال رحمه الله تعالى: (تتوقف الأعمال على سلامة الأبدان، فكانت المحافظة على الأبدان من الواجبات، ولهذا قدم الأمر بالأكل على الأمر بالعمل) [٢].

❑ المطلب الرابع: الاستنباطات الدعوية

استنبط ابن باديس رحمه الله تعالى من حكمة نزول القرآن مفرقا حسب الأحداث والوقائع من قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ﴾ (الفرقان: ٣٢)، تعليما وقدوة في مراعاة الخطباء والدعاة إلى الله، أحوال المخاطبين والمدعوِّين عند كل خطاب وعند كل دعوة، وذلك بأن تكون خطب أئمة المساجد جارية على مقتضى أحوال الناس، وهمومهم ووقائعهم المعاصرة، قال رحمه الله: (انظر إلى هذه الحكمة في هذا الترتيل كيف كانت تنزل آياته على حسب الوقائع، أليس في هذا قدوة صالحة لأئمة الجُمَع وخطبائها في توخّيهم بخطبهم الوقائع النازلة، وتطبيقهم خطبهم على مقتضى الحال؟ بلى والله، بلى والله) [٣].

---

(١) مجالس التذكير (١٣٢/٢).

(٢) المرجع السابق (١٣٢/٢).

(٣) المرجع السابق (٥٨/٢-٥٩).

❑ المطلب الخامس:
الاستنباطات في السياسة الشرعية

تطلق كلمة السياسة في اللغة إطلاقات كثيرة، وفي جميع إطلاقاتها يدور مفهومها على معنى واحد، وهو تدبير الشيء والتصرف فيه بما يصلحه[(١)].

وأما السياسة الشرعية في اصطلاح الفقهاء، فقد قيل هي: (ما يراه الإمام، أو يصدره من الأحكام، والقرارات زجرًا عن فسادٍ واقعٍ، أو وقاية من فسادٍ متوقع، أو علاجًا لوضعٍ خاص...وقيل: (هي تدبير شئون الدولة الإسلامية التي لم يرد بحكمها نص صريح، أو التي من شأنها أن تتغير وتتبدل بما فيه مصلحة الأمة، ويتفق مع أحكام الشريعة، وأصولها العامة، والسياسة العادلة لأية أمة هي تدبير شئونها الداخلية والخارجية بالنظم والقوانين التي تكفل الأمن لأفرادها وجماعاتها والعدل بينهم، وتضمن تحقيق مصالحهم وتمهيد السبيل لرقيهم وتنظيم علاقتهم بغيرهم) [(٢)].

ومن هذا المنطلق لمفهوم السياسة الشرعية، جاءت استنباطات في تفسير ابن باديس في هذا المجال، فقد استنبط من قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (النور: ٦٢) أحكاما سياسية شرعية، فيما يتعلق بالجماعة مع إمامها، وذلك عند دعوتها إلى اجتماع يهمّ مصالح المسلمين العامّة فيجب عليها ألاّ تتأخر عن ذلك، وألا تغادر المجلس إلا لعذر مع استئذان إمامها في الانصراف.

---

(١) جاء في "المصباح المنير" (٢٩٥/١): (ساس زيد الأمر يسوسه أي: دبره وقام بأمره) .وجاء في لسان العرب (١٠٨/٦): (السَّوس الرئاسة، يقال: ساسوهم سوسًا، وإذا رأّسوا الشخص قيل: سوّسوه وأساسوه، ونقول: ساس الأمر سياسة أي: قام به، ونقول: سوّسه القوم أي: جعلوه يسوسهم، ويقال: سوّس فلانٌ أمر بني فلانٍ أي: كُلّف سياستهم، والسياسة هي القيام على الشيء بما يصلحه) .

(٢) ينظر: كتاب السياسة الشرعية المؤلف: مناهج جامعة المدينة العالمية (ص١٣)، وكتاب السياسة الشرعية في الشئون الدستورية والخارجية والمالية لعبد الوهاب خلاف (ص٢٤).

قال رحمه الله: (لما كان الاجتماع شُرع للمصلحة، والذهاب بدون استئذان حرم للمفسدة؛ فالمشروعية والتحريم دائمان بدوام المصلحة والمفسدة، فأحكام الآية مستمرة الأحكام عامة للمسلمين، في كل زمان وكل مكان، مع أئمتهم وقادتهم المقدّمِين منهم فيهم، في كل ما يعرض من اجتماع لصالح عام)[١].

واستنبط نفس هذا الحكم من الآية التي بعد هذه[٢]، قال رحمه الله: (أمراء المسلمين وقادتهم، ومن يتولون أمراً من أمورهم العامة، تجب دعوتهم إذا دعوا لأمر عام وشأن، مما يرتبط بما في عهدتهم من أمر الناس، ويسرع إليهم، ولا يتسلل من مجالسهم، ذلك لما لهم من حق الخلافة عن الرسول فيما كان يقوم به من أمر الناس، وتدبير شؤونهم، وضبط نظامهم، ورعاية مصالحهم)[٣].

❑ المطلب السادس:

الاستنباطات في الإعجاز البياني

(ومعنى الإعجاز: الفوت والسبق، يقال: أعجزني فلان أي: فاتني)[٤].

(والإعجاز في الاصطلاح هو: عدم القدرة على محاكاة القرآن وامتناع الإتيان بمثله)[٥].

قال الشيخ محمد أبو موسى –حفظه الله– وهو يبيّن معنى الإعجاز البلاغي عند الباقلاني: (والإعجاز البلاغي عند الباقلاني، هو خلوصه مما لا ينفك عنه كلام الناس، وذلك هو التلون والاختلاف، وهذا التلون والاختلاف مرجعه إلى عدم استواء الكلام على مدرجة واحدة وضرب واحد، من حيث الفصاحة والسهولة، وعذوبة الألفاظ،

---

(١) مجالس التذكير (١/٤٢٤).

(٢) قوله تعالى: ﴿ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ النور: ٦٣

(٣) المرجع السابق (١/٤٣٠).

(٤) ينظر: الصحاح للجوهري (٣/٨٨٤)، والمفردات في غريب القرآن للأصفهاني (ص ٥٤٨)، ومعجم مقاييس اللغة (٤/٢٣٢)، ولسان العرب (٥/٣٦٩)، ومعجم اللغة العربية المعاصرة (٢/١٤٥٩).

(٥) معجم اللغة العربية المعاصرة (٢/١٤٥٩).

وقربها، وسخاؤها ووضوحها، وتساوق النغم، وتتابعه على النظام الذي تراه في المصحف لا يطرد على هذا الحد في كلام البشر)[١].

وهذا مثال من تفسير ابن باديس في الإعجاز اللغوي البياني، قال رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱلۡأَرۡضَ فَرَشۡنَٰهَا فَنِعۡمَ ٱلۡمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾ (الذاريات: ٤٧ - ٤٩): (لما كانت السماء متلاحمة الأجزاء في العلاء، ثابتة على حالة مستمرة في هذه الدنيا على البقاء، ناسبها لفظ البناء، ولما كانت مظهر العظمة والجلال، ناسبها لفظ القوة، ولما كانت الأرض يطرأ عليها التبديل والتغيير بما ينقص البحر من أطرافها، وبما قد يتحول من سهولها وجبالها، وبما يتعاقب عليها من حرث وغراسة وخصب وجدب، ناسبها لفظ الفراش الذي يبسط ويطوى، ويبدل ويغير، ولما كانت أسباب الانتفاع بها الميسرة، ضرورية للحياة عليها، وكلها مهيأة وكثير منها مشاهد، وغيره معد يتوصل إليه بالبحث والاستنباط، ناسب ذكر التمهيد، ولما كانت الأزواج مكونًا بعضها من بعض، ناسبها لفظ الخلق، ولما كان النظر في الزوجين هو نظر في أساس التكوين لتلك المذكورات السابقة -وهو محصل للعلم الذي يحصل من النظر فيها- قرن بلفظ التذكر)[٢].

❑ المطلب السابع:
الاستنباطات في الإعجاز العلمي

ويُعرّف اصطلاحا بأنه: (إخبار القرآن الكريم، أو السنة النبوية بحقيقة أثبتها العلم التجريبي أخيرا، وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية، في زمن الرسول ﷺ)[٣].

وهذا مثال لبعض الحقائق العلمية جاءت في آيات قرآنية تضمنها تفسير الإمام ابن باديس.

---

(١) الإعجاز البلاغي دراسة تحليلية لتراث أهل العلم، للدكتور محمد أبي موسى (ص٢٣٦-٢٣٧).

(٢) مجالس التذكير (٢/٣٠٧).

(٣) موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة لمحمد راتب النابلسي (١/١٤).

قال رحمه الله عند تفسير قوله تعالى ﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ (الإسراء: ١٢): (المحو هو الإزالة: إزالة الكتابة من اللوح، وإزالة الآثار من الديار، فمحو "آية اللَّيل" إزالة الضوء منها، وهذا يقتضي أنه كان فيها ضوء ثم أزيل، فتفيد الآية أن القمر كان مضيئاً، ثم أزيل ضوءه فصار مظلماً.

وقد تقرر في علم الهيئة أن القمر جرم مظلم يأتيه نوره من الشمس.

واتفق علماء الفلك في العصر الحديث بعد الاكتشافات والبحوث العلمية أن جرم القمر-كالأرض- كان منذ أحقاب طويلة وملايين السنين شديد الحمو والحرارة ثم برد، فكانت إضاءته في أزمان حموه وزالت لما برد.

لنقف خاشعين متذكرين أمام معجزة القرآن العلمية: ذلك الكتاب الذي جعله الله حجة لنبيه ﷺ، وبرهاناً لدينه على البشر مهما ترقوا في العلم، وتقدموا في العرفان!!

فإن ظلام جرم القمر لم يكن معروفاً أيام نزول الآية عند الأمم إلاّ أفراداً قليلين من علماء الفلك.

وإن حمو جرمه أولاً، وزواله بالبرودة ثانياً، ما عرف إلاّ في هذا العهد الأخير، والذي تلا هذه الآية وأعلن هذه الحقائق العلمية منذ نحو أربعة عشر قرناً نبي أمي، من أمة أمية، كانت في ذلك العهد أبعد الأمم عن العلم، فلم يكن ليعلم هذا إلاّ بوحي من الله الذي خلق الخلائق وعلم حقائقها!!)[1].

❑ المطلب الثامن:

الاستنباطات في السنن الكونية

(وهي القوانين التي يخضع لها البشر في تصرفاتهم وأفعالهم وسلوكهم في الحياة، وما يكونون عليه من أحوال، وما يترتب على ذلك من نتائج كالرفاهية والضيق في العيش، والسعادة والشقاء، والعز والذل، والرقي والتخلف، والقوة والضعف) [2].

واستنباط ابن باديس هنا يتعلق بسنة كونية من سنن الله في الأمم والجماعات والأفراد، سنة ربط الأسباب بالمسببات، بمقتضى إرادة الله وتقديره، أو ما يسمّى بقانون

(١) مجالس التذكير (١/١٥٥-١٥٦).

(٢) السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد، عبد الكريم زيدان (ص ١٢).

السببية، وهو سنة من السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد، سنة لا تتبدل ولا تتغيّر.

قال ابن باديس عند تفسير قوله تعالى ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ (الإسراء:١٨-١٩): (وقد أفادت هذه الآيات كلها، أن الأسباب الكونية التي وضعها الله تعالى في هذه الحياة وسائل لمسبباتها، موصلة – بإذن الله تعالى– من تمسك بها إلى ما جعلت وسيلة إليه، بمقتضى أمر الله وتقديره وسنته في نظام هذه الحياة والكون، ولو كان ذلك المتمسك بها لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر ولا يصدق المرسلين.

ومن مقتضى هذا: أن من أهمل تلك الأسباب الكونية التقديرية الإلهية، ولم يأخذ بها لم ينل مسبباتها ولو كان من المؤمنين)[1].

❑ المطلب التاسع:

الاستنباطات في علوم القرآن

بعد الاستقراء والتتبع لكلام ابن باديس في تفسيره، وجدت أنّ هناك ثلاثة أنواع من علوم القرآن، تعرضت لها استنباطاته، وهي:

١- علم المناسبات.

٢- علم موهم التناقض والتعارض.

٣- علم ردّ الشبهات ودفع الاعتراضات والإشكالات عن القرآن.

- **النوع الأول من علوم القرآن: علم المناسبات**

والمراد بالمناسبة هنا هو بيان وجه الارتباط بين السور فيما بينها وبين آيات السورة الواحدة وبين كلمات الآية الواحدة في الجملة منها وذلك ليبرز لنا اتساق المعاني وانتظام الكلام.

(١) مجالس التذكير (١/١٦٢).

والمناسبة عند ابن باديس في تفسيره بعد الاستقراء والتتبع ثلاثة أقسام:

- **القسم الأول: المناسبات بين السور**

استنبط ابن باديس رحمه الله تعالى مناسبة خاصة بين ترتيب المعوذتين مع سورة الإخلاص.

قال رحمه الله: (وأما المناسبة الخاصة بين السورتين وبين سورة الإخلاص، فهي: أن سورة الإخلاص قد عرفت الخلق بخالقهم بما فيها من التوحيد والتنزيه والتمجيد، فإذا قرأت القرآن وتدبرته على ترتيبه، ووجدت توحيد الله منبثاً في آياته وسوره، متجلياً ذلك التجلي الباهر بما عرضه وصوره –ساداً ببراهينه على النفوس كل ثنية وكل مطلع– كانت آخر مرحلة يقطعها فكرك من مراحل التوحيد في القرآن، هذه السورة المعجزة على قصرها، فكأنها توكيد لما امتلأت به نفسك من معاني التوحيد، وكأنها وصية مودع مشفق بمهم يخشى عليك نسيانه، فيعمد فيها من الكلام إلى ما قل ودل ولم يمل، ومن صدقك في توحيدك لله في ربوبيته وإلهيته أن تنقطع عن هذا الكون وتكون منه وكأنك لست منه بصدق معاملتك لله، وإخلاص توحيدك إياه، فأنت وقد آمنت وصدقت وخرجت من سورة الإخلاص متشبعا بمعانيها –ومنها معنى الصمد– تستشعر أن العالم كله عجز وقصور، وأن خيراته مكدرة بالشرور، وأن لا ملجأ إلاّ ذلك الفرد الصمد، الذي لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، فتجيء المعوذتان بعد الإخلاص مبينتين لذلك الالتجاء الذي هو من تمام التوحيد.

ولأجل هذه المناسبة والارتباط بين السور الثلاثة جمع بينهن في التسمية:

ففي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها: ((أن النبي ﷺ كان ينفث عن نفسه بالمعوذات))[1].

(١) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته (٤/١٦١٤، رقم ٤١٧٥)، و أخرجه في أبواب عدة من صحيحه رقم: (٤٧٢٨، ٤٧٢٩، ٥٤٠٣، ٥٤١٦، ٥٤١٩، ٥٩٦٠)، وأخرجه مسلم في كتاب الآداب، باب رقية المريض بالمعوذات والنفث (٤/١٧٢٣، رقم ٢١٩٢).

وسياق النسائي لحديث عقبة بن عامر المتقدم: ((أن رسول الله ﷺ قرأ وقرأت معه في الإخلاص، ثم قل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس، فلما ختمهن، قال: ((ما تعوذ بمثلهن أحد))[١].

وكما جمع ﷺ بينهن في التسمية والتعوذ، جمع بينهن عملياً في قراءة الوتر.

هذا إجمال المناسبة الخاصة بين السور الثلاث)[٢].

- **القسم الثاني: المناسبة بين الآيات في السورة الواحدة**

استنبط رحمه الله من هذه الآية ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ ﴾(يس: ١١) مناسبة لطيفة في مجيئها بعد قوله تعالى: ﴿ وَسَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ (يس: ١٠)، قال رحمه الله: (لما ذكر تعالى الميئوس من انتفاعهم بإنذار النبي ﷺ ذكر الذين ينتفعون به تأنيساً له بهم، وتقوية له بظهور ثمرة إنذاره فيهم)[٣].

- **القسم الثالث: المناسبة بين كلمات الآية الواحدة**

ويشمل:

– أولا: مناسبة الفاصلة القرآنية

والمقصود بها هنا (كلمة آخر الآية كقافية الشعر وقرينة السجع فالكلمة الأخيرة في الآية أو العبارة أو الجملة الأخيرة من الآية هي الفاصلة القرآنية.

وسميت فاصلة لقوله تعالى: ﴿ كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ﴾ (فصلت: ٣) ولأنها ينفصل عندها كلامان: آخر الآية التي ذكرت فيها، وأول الآية التي تليها)[٤].

وهي أنواع، ونقتصر هنا على ذكر فواصل الأسماء الحسنى ومناسبتها للآيات التي ذيّلت بها.

---

(١) السنن الصغرى للنسائي بشرح السيوطي وحاشية السندي (٦٤٣/٨ رقم ٥٤٤٥)، وصححه الشيخ الألباني: ينظر صحيح الجامع الصغير (١٣١٦/٢، رقم ٧٩٤٧)، وصحيح سنن أبي داود (٢٠٤/٥).

(٢) مجالس التذكير (٣٤٥/٢-٣٤٦).

(٣) المرجع السابق (٢٩٥/٢).

(٤) ينظر البرهان في علوم القرآن (٥٣/١-٥٤).

يقول العز بن عبد السلام: (والمختار في الصفات الواردة في القرآن أن تكون مناسبة لسياق ما قرنت به)[١].

وقد جاء بيان هذا النوع من المناسبات في تفسير ابن باديس، وهذا مثال منها.

قال رحمه الله عند تفسير قوله تعالى ﴿ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴾ (الإسراء: ٢٥): (ولما ذكر من وصف الصالحين كثرة رجوعهم إليه، ذكر من أسمائه الحسنى ما يدل على كثرة مغفرته ليقع التناسب في الكثرة من الجانبين، ومغفرته أكبر، وليعلم أن كثرة الرجوع إليه يقابله كثرة المغفرة منه، فلا يفتأ العبد راجعاً راجياً للمغفرة، ولا تقعده كثرة ما يذنب عن تجديد الرجوع، ولا يضعف رجاءه في نيل مغفرة الغفور كثرة الرجوع)[٢].

– ثانيا: مناسبة ترتيب الألفاظ في النظم القرآني مراعاة لموافقة ترتيب معانيها في الحال والواقع

استنبط رحمه الله من قوله تعالى: ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (الفرقان: ٧٠) في ترتيب هذه المعاني في الذكر النظم من هذه الآية مراعاة لواقع حال العاصي التائب.

قال رحمه الله: (يكون العاصي في غمرات معصيته، فإذا ذكر الله ووفقه الله، أسف على حاله ورجع إلى ربه، وهذه أول الدرجات في توبته، فإذا استشعر قلبه اليقين، واطمأن قلبه بذكر الله، صمم على الإعراض عن المعصية والإقبال على الطاعة، فإذا كان صادقا في هذا العزم، فلا بد أن يظهر أثر ذلك على عمله، فلهذا روعيت الحالة الأولى فذُكِرت التوبة، والثانية فذُكِر الإيمان، والثالثة فذُكِر عملُ عملٍ صالح)[٣].

---

(١) فوائد في مشكل القرآن (ص ١١٥)، نقلا عن كتاب "دلالة السياق" لردة الطلحي، وهي رسالة دكتوراه بجامعة أم القرى ١٤٢٤هـ.

(٢) مجالس التذكير (١/٢١٤).

(٣) المرجع السابق (٢/١٤٤).

◆ **القسم الرابع: مناسبة تخلل آية بين آيات في الموضوع الواحد**

وصورتها أن تأتي آيات تتكلم عن موضوع مّا ثم قبل إنهاء الموضوع آياته تأتي آية خارجة تماما عن آيات الموضوع وبعدها يواصل الموضوع آياته وسياقه.

وقد جاء في تفسير ابن باديس بيان المناسبة والنكتة البلاغية الخفية لوجود هذه الآية في هذا الموضع.

قال رحمه الله عند تفسير قوله تعالى ﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴾ (الإسراء: ٢٥): (ووضع هذه الآية أثناء ذلك، وهي متعلقة بالنفس وصلاحها... لينبه الخلق على أصل الصلاح الذي منه يكون، ومنشؤه الذي منه يبتدئ، فإذا صلحت النفس قامت بالتكاليف التي تضمنتها هذه الآيات الجامعة لأصول الهداية، وهذا هو وجه ارتباط هذه الآية بما قبلها وما بعدها، الذي يكون قبل التدبر خفياً)[1].

● **النوع الثاني من علوم القرآن: موهم الاختلاف والتعارض**

(وهو ما يوهم التعارض بين آياته، وكلام الله جل جلاله منَزَّهٌ عن الاختلاف، كما قال تعالى: ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ (النساء: ٨٢)، ولكن قد يقع للمبتدئ ما يوهم اختلافا وليس به فاحتيج لإزالته، كما صنف في مختلف الحديث وبيان الجمع بينهما)[2].

وهذا مثال من تفسير ابن باديس، دفع فيه عن آيات قرآنية الإشكال وما يوهم التعارض بينها.

استنبط رحمه الله من قوله تعالى: ﴿ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ (النمل: ١٩)، وقوله تعالى: ﴿ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (النحل: ٣٢)، توافقًا وجمعًا بين هاتين الآيتين اللتين يوهم مدلول ظاهرها الاختلاف والتعارض.

---

(١) المرجع السابق (١/٢٠٩).

(٢) البرهان في علوم القرآن (٢/٤٥).

قال: (قال الله تعالى: ﴿ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾، فأفاد أن الأعمال سبب في دخول الجنة، وفي هذه الآية: ﴿ بِرَحْمَتِكَ ﴾ فأفاد أن الدخول بالرحمة ولا منافاة ما بينهما، فالأعمال سبب شرعي لدخول الجنة، والهداية إليه والتوفيق فيه وقبوله هو رحمة من الله، والعمل من حيث ذاته لا يستحق على الله جزاء، لأنه لا ينتفع به، إذ هو الغني عن خلقه، وإنما تفضل فجعله سبباً في نيل ثوابه، ثم تفضل فجعل الجزاء مضاعفاً إلى عشرة أضعاف كثيرة، إلى الموفي للصابرين أجرهم بغير حساب)[1].

- **النوع الثالث من علوم القرآن: ردّ الشبهات والطعون ودفع الاعتراضات وسوء الفهم عن آي القرآن.**

وهذا قريب من موهم الاختلاف والتعارض إلا أن الموهم يكون في آيات ظواهرها متعارضة فيما يبدو لغير المتأمل، وأما الاعتراضات والشبهات و الإشكالات والطعون، فقد تكون كذلك في آيات متعارضة الظواهر، وقد تكون في آية واحدة تردُ عليها الشبهات ، وقد يُعترض عليها بعدم موافقتها للواقع، وقد يكون لسوء فهْمٍ أو وهْمٍ ، لما في الآية من إشكال في لفظها أو في معناها.

فإذًا هذا النوع من علوم القرآن أعمّ من موهم الاختلاف والتعارض المتقدم الذكر.

وقد عدّ ابن باديس هذا النوع من علوم القرآن.

قال رحمه الله عند تفسير قوله تعالى ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ (الفرقان: ٣٣): (إذا تتبعت آيات القرآن وجدتها قد أتت بالعدد الوافر من شُبَه الضالين واعتراضاتهم، ونقضتها بالحق الواضح والبيان الكاشف في أوجز لفظ وأقربه وأبلغه.

وهذا قسم عظيم جليل من علوم القرآن يتحتم على رجال الدعوة والإرشاد أن يكون لهم به فضل عناية، ومزيد دراية وخبرة، ولا نحسب شبهة تَرِدُ على الإسلام، إلاّ وفي القرآن العظيم ردُّها بهذا الوعد الصادق من هذه الآية الكريمة، فعلينا عند ورود كل شبهة من كل ذي ضلالة أن نفزع إلى آي القرآن، ولا إخالنا إذا أخلصنا

(١) مجالس التذكير (٢/٢٢٢).

القصد وأحسنّا النظر إلاّ واجديها فيها، وكيف لا نجدها في آيات ربنا التي هي الحق وأحسن تفسيراً ؟!)[١].

وهذا مثال من تفسير ابن باديس، دفع فيه إشكالا عن قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ (الأنبياء: ١٠٥) ، وقع على الآية من أناس اعترضوا عليها بمخالفة الواقع لها بأن قالوا : إننا نرى الأرض يرثها الصالحون وغير الصالحين، فليست الأرض هنا أرض الدنيا، وإنما هي أرض الجنة ، فعطلوا ما أرشدت إليه من دعوة القرآن الناس إلى إصلاح أنفسهم لكي يفوزوا بهذا الوعد، وتلحقهم سنة الله الكونية في الحياة والعمران والاجتماع بمقتضى حكمة الله ومشيئته في ملك الأرض وسيادة الأمم.

قال رحمه الله: (قال أناس: إن أرض الدنيا كما يستولي عليها الصالحون، ويستولي عليها غيرهم، والأرض التي لا يرثها إلا الصالحون هي أرض الجنة، فيجب تأويل الآية بها.

والجواب: أن هذا التأويل إنما يحتاج إليه أن لو كانت الآية هكذا: "إن الأرض لا يرثها إلا عبادي الصالحون" بطريق الحصر فيهم، أما لما كانت الآية لا حصر فيها فلا حاجة إلى هذا التأويل، بل في لفظ الإرث وربطه بوصف الصلاح دلالة على أنها كانت لغيرهم فانتقلت إليهم، وأنها تزول مع زوال وصف الصلاح)[٢].

❑ المطلب العاشر:

الاستنباطات في المناهج القرآنية

والمراد بالمناهج القرآنية هنا، الأساليب والطرق التي ينتهجها ويوظفها القرآن في الدعوة إلى غرض من أغراضه، أو في تحقيق وبلوغ غرض من أغراضه.

(والأسلوب هو الطريقة الكلامية التي يسلكها المتكلم في تأليف كلامه واختيار ألفاظه أو هو المذهب الكلامي الذي انفرد به المتكلم في تأدية معانيه ومقاصده من كلامه أو هو طابع الكلام أو فنه الذي انفرد به المتكلم كذلك... والأسلوب غير

(١) مجالس التذكير (٢/٦٢-٦٣).

(٢) المرجع السابق (١/٣٩٨).

المفردات والتراكيب التي يتألف منها الكلام وإنما هو الطريقة التي انتهجها المؤلف في اختيار المفردات والتراكيب لكلامه)[١].

وإذا تبين هذا، فهذا أنموذج لبعض المناهج والأساليب التي سلكها القرآن، في بيان غرض من أغراضه، أو تحقيق هدف من أهدافه، جاءت في تفسير ابن باديس.

قال ابن باديس رحمه الله، وهو يبيّن منهج القرآن في الدعوة إلى الألوهية،(وهو الاستدلال عليها بالربوبية)، عند تفسير قوله تعالى ﴿ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾ (النمل: ٢٥): (السجود مظهر لغاية الذل والخضوع والانقياد والاستسلام، وتلك أصل العبادة، ولا يستحقها من العبد إلاّ من هو –حقيقة– المنعم الغني الكامل القوي، وما هو إلاّ خالقه، فاستدل على استحقاق الله السجود دون غيره، بما ذكر من إخراجه الخبء[٢]، ويشمل علمه لما خفي وما علن، وذلك متضمن لكماله وإنعامه وشمول علمه وعموم سلطانه)[٣].

وهذا مثال ثانٍ، استنبط فيه ابن باديس منهجا قرآنيا في التربية على امتثال الأوامر والنواهي التكليفية، وذلك بذكر الفوائد والمضار للأمر والنهي التكليفي في الدنيا والآخرة.

قال عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴾ (الفرقان: ٦٨ – ٦٩).

قال رحمه الله: (إذا أمر القرآن بشيء ذكر فائدته وثمرته للعباد في الدارين، وكذلك إذا نهى عن شيء ذكر مضرته وسوء عاقبته عليهم فيهما. فلما ذكر في صدر الآية نفي تلك المعاصي عن عباد الرحمن الذي يفيد النهي عنها ذكر هذا الوعيد لبيان سوء عاقبتها وقبح أثرها.

---

(١) مناهل العرفان (٣٠٣/٢).

(٢) يقال ذلك لكلّ مدّخر مستور، ومنه قيل: جارية مُخْبَأَة، والخُبْأَة: الجارية التي تظهر مرّة، وتخبأ أخرى، والخِبَاءُ: سمة في موضع خفيّ. المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني (ص٢٤٧).

(٣) مجالس التذكير (٢٤٤/٢).

هذه هي سنة القرآن في التربية، وهي أنجح الطرق في جعل المأمور والمنهي، يتمثل للأمر والنهي من كل نفسه، ويعمل لتنفيذهما بعقله وإرادته، فالتربية التي تنبني على امتثال الأمر والنهي من غير المعصوم، والانقياد لهما – انقياداً أعمى– مخالفة لتربية القرآن، والخير كله في اتباع القرآن، في جميع ما يفيده القرآن)[1].

(١) مجالس التذكير (٢/١٣٨).

المبحث الثاني

أقسام الاستنباط عند ابن باديس باعتبار الإفراد والتركيب

وفيه مطلبان:

- **المطلب الأول:**

الاستنباط من آية واحدة.

- **المطلب الثاني:**

الاستنباط من آيتين فأكثر.

❑ **المطلب الأول:**

الاستنباط من آية واحدة

والمقصود من هذا المطلب هو الاكتفاء في استنباط ذلك المعنى من نص واحد، من غير ضميمته إلى نص أو نصوص أخرى، فاستقل ذلك النص المفرد بهذا المعنى المستنبط، ولم يحتج في إخراجه إلى تركيبه مع غيره، وهذا معظم استنباطات ابن باديس في تفسيره.

وهذا أنموذج من تفسير ابن باديس في هذا النوع من الاستنباط.

قال رحمه الله عند تفسير قوله تعالى ﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴾ (النمل: ٢٠): (من حق الرعية على راعيها أن يتفقدها، ويتعرف أحوالها، إذ هو مسئول عن الجليل والدقيق منها، يباشر بنفسه ما استطاع مباشرته منها، ويضع الوسائل التي تطلعه على ما غاب عليه منها، وينيط بأهل الخبرة والمقدرة والأمانة تفقد أحوالها حتى تكون أحوال كل ناحية معروفة مباشرة لمن كلف بها.

فهذا سليمان -عليه السلام- على عظمة ملكه واتساع جيشه وكثرة أتباعه، قد تولى التفقد بنفسه، ولم يهمل أمر الهدهد على صغره وصغر مكانه، وقد كان عمر بن الخطاب ﷺ يقول: ((لو أن سخلة [1] بشاطئ الفرات يأخذها الذئب ليسأل عنها عمر))[2]، وهذا التفقد والتعرف هو على كل راع في الأمم والجماعات والأسر والرفاق وكل من كانت له رعية)[3].

---

(١) "سَخْلَة" بفتح فسكون: ولد المعز.

(٢)الطبقات الكبرى لابن سعد (٢٣٢/٣)، مصنف ابن أبي شيبة (٩٩/٧ رقم٣٤٤٨٦)، السنة لأبي بكر الخلال (٣١٧/٢ رقم ٣٩٦)، حلية الأولياء لأبي نعيم (٥٣/١)، تاريخ دمشق (٣٥٦/٤٤)، ولم أعثر على من حكم على هذا الأثر.

(٣) مجالس التذكير (٢٢٥/٢).

❑ المطلب الثاني:
الاستنباط من آيتين فأكثر

والغرض من هذا المطلب هو بيان كيفية وطريقة وصول الإمام ابن باديس إلى معنى وحكم -بالجمع بين آيتين أو آيات- ليس بينها عموم وخصوص ولا إطلاق وتقييد، وتركيبها واستنباط ما ينتج عنها بطريقة سليمة صحيحة، واستثمار هذه الطريقة في الدلالة على حكم أو معنى من المعاني في آيات القرآن، بغض النظر عن الاختلاف بين أهل العلم في ذلك المعنى أو الحكم المستنبط هل هو راجح أم مرجوح، فإن كان غير الراجح ما ذهب إليه ذلك المستنبط هنا، نكون قد استفدنا من المسلك الذي سلكه، فنوظفه في الاستنباط من القرآن في أشباهه ونظائره من الآيات.

وقد جاءت معان وأحكام في تفسير ابن باديس، استنبطها بهذا المسلك، منها ما استنبطه رحمه الله من مجموع هذه الآيات من قوله تعالى: ﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴾ (يس: ٦)، مع قوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ (الإسراء: ١٥)، وقوله تعالى: ﴿ أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (المائدة: ١٩)، أن العرب قبل بعثة النبي ﷺ أهل فترة ناجون عدا من جاء بهم نص خاص كعمرو بن لحي[1] وغيره، قال رحمه الله: (لما كان العرب لم يأتهم نذير قبل النبي ﷺ بنص هذه الآية وغيرها، فهم في فترتهم ناجون لقوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾، ولقوله: ﴿ أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ﴾ وغيرهما، وكلها آيات وقواطع في نجاة أهل الفترة، ولا يستثنى من ذلك إلاّ من جاء فيهم نص ثابت خاص)[2].

---

(١) عمرو بن لحيّ بن حارثة بن عمرو ابن عامر الأزدي، من قحطان وهو جدّ خزاعة، أول من غير دين إسماعيل ودعا العرب إلى عبادة الأوثان، كان قد تولى حجابة البيت الحرام بمكة، وزار بلاد الشام فوجد أهلها يعبدون الأصنام فأعجب بها، فأخذ عددا منها فنصبها بمكة ودعا الناس إلى تعظيمها والاستشفاء بها، فكان أول من فعل ذلك من العرب. الأعلام للزركلي (٥/٨٤).

(٢) مجالس التذكير (٢/٢٧٨).

المبحث الثالث
أقسامه باعتبار الظهور والخفاء

وفيه مطلبان:

- **المطلب الأول:**

الاستنباط الظاهر.

- **المطلب الثاني:**

الاستنباط الخفي.

❑ **المطلب الأول:**

الاستنباط الظاهر

والمقصود من هذا المطلب، هو بيان الاستنباطات التي يكاد أن ينطق بها اللفظ ولم ينطق ولا تعدُّ من منطوقه، كبعض لوازمه الظاهرة، كدلالة مفهوم المخالفة مثلا، فإنه لازم لا يحتاج إلى كبير جهد في استخراجه واستنباطه، ومع ذلك يعدُّ من الاستنباط لا من التفسير، على التفريق الذي مرَّ بين التفسير والاستنباط، وعلى أن كل معنى أدلت به الآية ولم ينطق به اللفظ فهو استنباط، يبقى فقط أن هناك تفاوت بين هذه الاستنباطات في الخفاء والظهور.

وهذا مثال من هذا النوع من الاستنباط من تفسير ابن باديس.

قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْأَخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴾ (الإسراء: ١٩).

استنبط ابن باديس –رحمه الله– من هذه الآية أن من لم يرد الآخرة لم يكن سعيه مشكورا.

قال –رحمه الله: (أفاد هذا الشرط أن من لم يرد الآخرة لم يكن سعيه مشكوراً)[1].

واستنباط الشيخ لهذا المعنى ظاهر لا يحتاج إلى كبير جهد فكري وتدبر عميق، فهذا لازم قوي للآية بحيث أنه يفهم من اللفظ عند إطلاقه وليس هو من منطوقه.

❑ **المطلب الثاني:**

الاستنباط الخفي

والمقصود من هذا الباب هو التمثيل و الدراسة للمعاني والأحكام التي كانت قبل التدبر خفية فاستخرجت واستنبطت من الآية بقوة الجهد والتفكر والتدبر العميق وهي المعاني اللطيفة الجليلة النفيسة،ومعظم استنباطات الشيخ ابن باديس –رحمه الله– من هذا النوع الخفي من الاستنباط.

وهذا مثال من تفسيره.

---

(١) مجالس التذكير (١/١٦٦).

قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾ (النمل: ١٨).

استنبط الشيخ ابن باديس -رحمه الله- من هذه الآية التي تذكر قصة النملة مع سليمان عليه السلام واجب الزعيم والقائد في الأمة والصفات التي يجب أن يتصف بها.

قال -رحمه الله: (هذه النملة هي كبيرة النمل، فقد كان عندها من قوة الإحساس ما أدركت به الخطر قبل غيرها، فبادرت بالإنذار، فلا يصلح لقيادة الأمة وزعامتها إلاّ من كان عنده من بُعد النظر، وصدق الحدس، وصائب الفراسة، وقوة الإدراك للأمور قبل وقوعها، ما يمتاز به عن غيره، ويكون سريع الإنذار بما يحس وما يتوقع)[1]. والله تعالى أعلم.

(١) المرجع السابق (٢/٢١٧).

الفصل الرابع
منهج ابن باديس في الاستنباط

وفيه مبحثان:

❖ **المبحث الأول:**

منهجه في طريق دلالة الاستنباط.

❖ **المبحث الثاني:**

منهجه في طريقة وأسلوب عرض الاستنباط.

المبحث الأول
منهجه في طريق دلالة الاستنباط

وفيه أربعة مطالب:

- **المطلب الأول:**

الدلالات البلاغية.

- **المطلب الثاني:**

الدلالات الأصولية.

- **المطلب الثالث:**

دلالة الاقتران.

- **المطلب الرابع:**

دلالة السياق.

❑ المبحث الأول:
منهجه في طريق دلالة الاستنباط

تنوعت دلالات الاستنباط وطرقه عند ابن باديس في تفسيره، فكانت ما بين دلالات بلاغية، ودلالات أصولية، ودلالات سياقية، ودلالة اقتران، وسأبينها في أربعة مطالب:

❖ المطلب الأول:
الدلالات البلاغية

• دلالة المخالفة لمقتضى الظاهر:

والمقصود من هذه الطريق والدلالة، هو بيان المعاني اللطيفة والنكات البلاغية والإيحاءات الذكية والأحكام الدقيقة النفيسة التي دلّلت عليها هذه المخالفة لمقتضى ظاهر الكلام، والتي لم تكن هذه المعاني لتبرز لولا وجود هذا التنويع والتلوين في الخطاب، ولولا وجود هذا الخروج عن مقتضى ظاهر التعبير.

وهذه المخالفة لمقتضى الظاهر لها صور وضروب وأقسام وأنواع، ذكرها علماء البيان في كتبهم، منها:

(الالتفات، أسلوب الحكيم، الإضمار في مقام الإظهار وعكسه، التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي وعكسه، التغليب، وضع الخبر موضع الإنشاء وعكسه، الانتقال من الماضي إلى المضارع وبالعكس، تجاهل العارف، القلب)[1].

فهذه ضروب من الأساليب لم تجر على مقتضى القواعد المقررة المتعارفة في علم العربية، والذي يهمنا منها هنا، ما جاء في تفسير ابن باديس وهما أسلوبان:

– **الأسلوب الأول**: الالتفات ويسمى عند البعض: "تنويع وتلوين الخطاب".

---

(١) انظر: الإيضاح في علوم البلاغة للقزويني (٨٥/٢ وما بعدها)، تلوين الخطاب لابن كما باشا (ص ٣٥٨ وما بعدها)، أنوار الربيع في أنواع البديع لابن معصوم (ص ١٢٦ وما بعدها)، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة لعبد المتعال الصعيدي (٤٥/١ وما بعدها)، البلاغة الواضحة لعلي الجارم ومصطفى أمين (ص١٨٢).

- **الأسلوب الثاني**: الإظهار في مقام الإضمار أي: "وضع الظاهر موضع الضمير".

- **الأسلوب الأول: دلالة المخالفة لمقتضى الظاهر في تنويع وتلوين الخطاب أو بما يسمى عند بعضهم: "بالالتفات"**

(وقد اشتهر في تحديد الالتفات مذهبان: مذهب الجمهور ومذهب السكاكي[١][٢].

أما الجمهور فيقولون في تحديده: إنه التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة بعد التعبير عنه بطريق آخر منها، والطرق الثلاثة هي: التكلم، والخطاب، والغيبة)[٣].

ولكن بعض علماء البلاغة لم يرض بهذا التحديد الذي ذكره الجمهور، لأنه يخرج صورا كثيرة تدخل تحت حقيقة الالتفات بمقتضى تسميته لغة، إذ (حقيقته مأخوذة من التفات الإنسان عن يمينه وشماله، فهو يقبل بوجهه تارة كذا وتارة كذا.

---

(١) هو يوسف بن أبي بكر بن محمد أبو يعقوب السكاكي من أهل خوارزم، علامة إمام في العربية والمعاني والبيان والأدب والعروض والشعر، متكلم فقيه متفنن في علوم شتى، وهو أحد أفاضل العصر الذين سارت بذكرهم الركبان، ولد سنة ٥٥٤هـ، وصنف "مفتاح العلوم" في اثني عشر علما أحسن فيه كل الإحسان، وله غير ذلك. معجم الأدباء للحموي (٢٨٤٦/٦)، وتاريخ الإسلام للذهبي (٨٢٨/١٣).

(٢) فالسكاكي لا يشترط تقدم التعبير، بل يتحقق الالتفات عنده بتغيير واحد، والجمهور يشترطونه، فهو يوافق الجمهور في تسمية ما تقدم التعبير عنه بطريق آخر من الطرق الثلاثة التفاتا، ويخالفهم في جعل ما لم يتقدم التعبير عنه بطريق آخر، مما كان مقتضى الظاهر أن يعبر عنه بغيرها منها من باب الالتفات، فقول القائل، وهو يعني نفسه: ويحك ما فعلت وما صنعت ليس التفاتا عند الجمهور، وإن كان مقتضى الظاهر أن يقول: ويحي ما فعلت وما صنعت،، وهذا يعد التفاتًا عند السكاكي؛ لأنه يعني به أن يعبر بطريق من هذه الطرق عما عبر عنه بغيره، أو كان مقتضى الظاهر أن يعبر عنه بغيره، وهذا القسم الأخير هو ما خالف فيه الجمهور، ويشمل ما ذكرناه من قول القائل: ويحك ما فعلت؛ لأنه عبر عن المتكلم بطريق المخاطب، وكان مقتضى الظاهر أن يعبر عنه بطريق التكلم، ولهذا قالوا: إن كل التفات عند السكاكي التفات عند الجمهور من غير عكس. ينظر: خصائص التراكيب للشيخ محمد أبو موسى (ص ٢٥٠-٢٥١).

(٣) خصائص التراكيب للشيخ محمد أبو موسى (ص ٢٥٠-٢٥١).

وكذلك يكون هذا النوع من الكلام خاصة، لأنه ينتقل فيه عن صيغة، كانتقال من خطاب حاضر إلى غائب، أو من خطاب غائب إلى حاضر، أو من فعل ماض إلى مستقبل، أو من مستقبل إلى ماض، أو غير ذلك)[١].

يقول العلوي[٢]: (ومعناه فى مصطلح علماء البلاغة: هو العدول من أسلوب فى الكلام إلى أسلوب آخر مخالف للأول، وهذا أحسن من قولنا: هو العدول من غيبة إلى خطاب، ومن خطاب إلى غيبة، لأن الأول يعم سائر الالتفاتات كلها، والحدّ الثانى إنما هو مقصور على الغيبة والخطاب لا غير، ولا شك أن الالتفات قد يكون من الماضي إلى المضارع، وقد يكون على عكس ذلك، فلهذا كان الحدّ الأول هو أقوى دون غيره)[٣].

وهذا مثال وأنموذج من تفسير ابن باديس.

قال في قوله تعالى ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠ ﴾ (الذاريات: ٤٩):

(جاءت الثلاث الآيات الأُوَل كما يكون قولها من الله، وجاءت هذه الآية كما يكون قولها من النبي ﷺ تنويعاً للخطاب وتفنناً، فإنه لما كان في هذه الآية، هو المقصود حول أسلوب الكلام من الإخبار إلى الأمر، تجديداً لنشاط السامع، وبعثاً لاهتمام المخاطبين، وحَثًّا لهم وتوكيداً عليهم.

وفيه تنبيه على أن ما يقوله النبي ﷺ مثل ما يقوله الله في وجوب الإيمان والامتثال)[٤].

---

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير (١٣٥/٢).

(٢) هو الإمام المؤيد بالله يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم بن محمد بن إدريس بن علي بن جعفر بن علي بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين السبط بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، ولد بمدينة صنعاء سابع وعشرين من صفر سنة ٦٦٩هـ، واشتغل بالمعارف العلمية وتبحر في جميع العلوم، وصنف التصانيف الحافلة في جميع الفنون وكان من الأئمة العادلين الزاهدين في الدنيا، وهو مشهور =بإجابة الدعوة والكرامات عديدة ومات في سنة ٧٠٥هـ بمدينة ذمار، من تصانيفه "نهاية الوصول إلى علم الأصول"، و"الحاوي" في أصول الفقه، و "الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز... وغيرها). البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع للشوكاني (٣٣١/٢). ينظر ترجمته في: الأعلام (١٤٣/٨).

(٣) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز (٧١/٢).

(٤) مجالس التذكير (٣١٩/٢).

◆ **الأسلوب الثاني: دلالة المخالفة لمقتضى الظاهر بوضع المظهر موضع المضمر**

(أما وضع المظهر موضع المضمر، فإنه يشير إلى معان قد يكون بعضها من خصوص دلالة الاسم الظاهر الذي أوثر وضعه موضع المضمر... وهذا الأسلوب يردُ في القرآن كثيرا، ووراءه إشارات مستحسنة)[١].

وقد جاءت معاني لطيفة في تفسير بن باديس استنبطها بدلالة هذه الظاهرة الأسلوبية.

وهذا أنموذج ومثال منها:

قال عند تفسير قوله تعالى ﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴾ (الإسراء: ٢٥): (وقد كان مقتضى الظاهر في تركيب الآية أن يقال: إن تكونوا صالحين فإنه كان لكم غفورا؟ لأن المقام للإضمار، لكنه عدل عن الضمير إلى الظاهر فقيل: ﴿ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴾ (الإسراء: ٢٥)، لينص على شرط المغفرة وهو الأوبة والرجوع، وعلم من ذلك أن الصالح عندما تقع منه الذنوب مطالب—كغيره- بالأوبة، لتحصيل المغفرة، لأن فرض الأوبة إلى الله من المعاصي عام على الجميع)[٢].

● **دلالة الاستفهام:**

(الاستفهام هو طلب فهم شيء لم يتقدم لك علم به، بأداة من إحدى أدواته)[٣].

ويأتي أسلوب الاستفهام لمعان منها: الإنكار، التقرير، الأمر، الوعيد، والتخويف، الاستبطاء، التعجب، التوبيخ، التهكم، التحقير، التهويل[٤].

---

(١) خصائص التراكيب باختصار (ص٢٤٤) وما بعدها.

(٢) مجالس التذكير (١/٢١٥).

(٣) علوم البلاغة البيان، المعاني، البديع، لأحمد المراغي (ص٦٤).

(٤) ينظر: الصاحبي في فقه اللغة (ص ١٢٣)، مختصر المعاني للتفتزاني (ص١٢٩)، مفتاح العلوم للسكاكي (ص٣١٤)، نهاية الأرب في فنون الأدب لشهاب الدين النويري (٧/٦٥)، الإيضاح في علوم البلاغة للقزويني (٣/٦٨).

والذي يهمنا من هذه المعاني في مطلبنا هذا هو مجيء الاستفهام بمعنى الأمر، كما هو في استنباط ابن باديس.

وهذا مثاله من تفسير ابن باديس.

قال رحمه الله عند تفسير قوله تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴾ (الفرقان: ٢٠): (الاستفهام في ﴿أَتَصْبِرُونَ﴾ بمعنى الأمر، أي: اصبروا، وخرج الأمر في صورة الاستفهام تنبيها على قلة الصبر في الوجود، فهو من الأمر المعدوم الذي يسأل عنه هل يوجد، وفي ذلك بعث للهمم على تحصيله والتمسك به)[1].

- **دلالة التقديم والتأخير:**

والمقصد من هذا المطلب هنا، هو بيان دلالة هذه الظاهرة الأسلوبية في الكلام، وما توحيه من أحكام ومعان دقيقة، وأسرار ونكات لطيفة، ما كانت لتظهر لو جاء الكلام على النظام والجادة، وهذه الظاهرة تعد من باب المخالفة لمقتضى الظاهر إلا أننا أفردناه بمطلب خاص، لما له من مزايا، ولما له من عناية خاصة في كتب البلاغة، أفردتُ له بابا خاصا به، ولما له من جريان على جميع أجزاء الجملة، وعلى ترتيب المعاني في النظم، وعلى بعض الأسماء المتلازمة من تقديم وتأخير على بعضها البعض.

- **أنواع وأقسام التقديم والتأخير في تفسير ابن باديس:**

وبالاستقراء والتتبع لتفسير ابن باديس ، فإننا نحصر استنباطاته بهذه الظاهرة الأسلوبية في ثلاثة أنواع:

١- التقديم والتأخير بين أجزاء الجملة "متعلقات الفعل"، تقديم المفعول على الفاعل.

٢- التقديم والتأخير بين بعض الأسماء المتلازمة.

٣- التقديم والتأخير في ترتيب المعاني في النظم القرآني.

وهذه نماذجها وأمثلتها من تفسيره.

---

(١) مجالس التذكير (٢/٣٠).

◆ **التقديم والتأخير بين أجزاء الجملة "متعلقات الفعل" تقديم المفعول على الفاعل:**

استنبط الشيخ –رحمه الله– من قول الله تعالى: ﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾ (الإسراء: ٢٠)، ردّا لاعتقاد وتصور خاطئ ومغلوط لدى البعض في ظنهم أن رزق الله في هذه الدنيا، متاح للبعض دون البعض، بل هو ممدود للجميع.

قال رحمه الله: (وقدم المفعول، وهو ﴿ كُلًّا ﴾ ردّا على من يعتقد أن الله تعالى يمد بعضا دون بعض)[1].

◆ **التقديم والتأخير بين بعض الأسماء المتلازمة "كالجن والإنس مثلا":**

فقد جاء في نظم القرآن الكريم تقديم الإنس على الجن في مواطن اقتضاها المقام، وفي مواطن تقديم الجن على الإنس لداعي المقام والحال كذلك، وقد التمس العلماء رحمهم الله لهذه الظاهرة الأسلوبية نكاتا وأسرارا وحكما، وقد تطرق ابن باديس لبيان هذه الظاهرة الأسلوبية في تفسيره.

قال رحمه الله: (ومن دقائق القرآن ولطائفه في البلاغة، أنه يقدم أحد الاسمين المتلازمين في آية، لسر من أسرار البلاغة يقتضيها ذلك المقام، ثم يؤخر ذلك المقدَّم في آية أخرى لسرّ آخر: فيقدم السماء على الأرض في مقام، ويؤخرها عليها في مقام آخر، ومن هذا الباب تقديم الإنس على الجن في آية الأنعام، لأن معرض الكلام في عداوتهم للأنبياء، وهي من الإنس أظهر، ودواعيها من التكذيب والإيذاء أوضح، وفي آية "الناس" قدم الجنة على الناس، لأن الحديث عن الوسوسة، وهي من شياطين الجن أخفى وأدق، وإن كانت من شياطين الإنس أعظم وأخطر وأدهى وأمرّ، فشيطان الجن يستخدم شيطان الإنس للشر والإفساد، فيربى عليه ويكون شرا منه، لأنه بمثابة السلاح الذي يفتك به، ورُبّ كلمة

(١) المرجع السابق (١/١٧٥).

واحدة صغيرة يوحيها جني لإنسي، ويوسوس إليه بتنفيذها، فتتولد منها فتن، ويتمادى شرها من قرن إلى قرن ومن جيل إلى جيل...)[١].

◆ **التقديم والتأخير في ترتيب المعاني في النظم القرآني:**

قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾ (الفرقان: ٦٨).

استنبط الشيخ –رحمه الله– من هذه الآية معنى وسرا ومنهجا قرآنيا بليغا في تزكية النفس وتربيتها، وهو أن المواظبة على الطاعات سبب للانكفاف عن المعاصي.

قال رحمه الله: (وقدم إثبات الطاعات على انتفاء المعاصي، تنبيها على أن من راض نفسه على الطاعة، ودانت نفسه بالإخبات والانقياد للأوامر الشرعية، ضعفت منه أو زالت دواعي الشر والفساد، فانكف عن المعصية)[٢].

● **دلالة الحذف:**

(وهو لغة: الإسقاط، ومنه حذفت الشعر، إذا أخذت منه.

واصطلاحا: إسقاط جزء الكلام أو كله لدليل)[٣].

(وهو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر، أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة، أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبن)[٤].

وأنواع الحذف في القرآن، وفي أيّ كلام، يكون بحذف حرف، أو حذف كلمة مفردة، أو حذف جملة كاملة، أو أكثر من جملة.

---

(١) المرجع السابق (٣٧٦/٢).

(٢) المرجع السابق (١٣٢/٢).

(٣) البرهان في علوم القرآن (١٠٢/٣).

(٤) دلائل الإعجاز لعبد القاهر للجرجاني (١٤٦/١).

والذي يهمنا في مطلبنا هذا، وهو الذي تطرق تفسير ابن باديس لبيان أسراره وبلاغته، هو حذف الكلمة المفردة من الجملة، ويشمل:

أ- حذف المفعول به.

ب- حذف الفاعل.

◆ **حذف المفعول به:**

وقد ذكر البلاغيون أغراضا كثيرة لحذف المفعول به، وخير من أبرز لطائف وأسرار حذفه، هو إمام هذا الفن عبد القاهر الجرجاني[1] في كتابه "دلائل الإعجاز"، ولأهميته ونفيس بيانه، أنقل منه باختصار ما يقوم به الغرض.

قال –رحمه الله: (فاعلم أن أغراض الناس تختلف في ذكر الأفعال المتعدية، فهم يذكرونها تارة ومرادهم أن يقتصروا على إثبات المعاني التي اشتقت منها للفاعلين، من غير أن يتعرضوا لذكر المفعولين. فإذا كان الأمر كذلك، كان الفعل المتعدي كغير المتعدي مثلاً، في أن كلا ترى له مفعولا لا لفظا ولا تقديرا.

– **القسم الأول**: حذف المفعول لإثبات معنى الفعل لا غير، ومثالُ ذلك قولُ الناس: "فلانٌ يحُلُّ ويعقد، ويأمر وينهى، ويضر وينفع"، المعنى في جميع ذلك على إثباتِ المعنى في نفسهِ للشيء على الإطلاقِ وعلى الجملة، من غير أن يتعرَّضَ لحديثِ المفعولِ، حتى كأنك قلتَ: "صار إليه الحل والعقد، وصار بحيث يكون منه حل وعقد، وأمر ونهي، وضر ونفع"، وعلى هذا القياس.

وعلى ذلك قولُه تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الزمر: ٩)، المعنى: هل يستوي من له علم ومن لا علم له؟ من غَيْرِ أن يقصدَ النص على معلوم. وكذلك قولُه تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُحْيِۦ وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ (غافر: ٦٨)، وقوله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴾ (النجم: ٤٣ –

(١) هو أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، وكان شافعيا، عالما، أشعريا، ذا نسك ودين، توفي سنة ٤٧١هـ، وقيل: سنة ٤٧٤هـ، رحمه الله من كتبه: "إعجاز القرآن"، و "مختصر شرح الإيضاح"، و"العوامل المائة"، وكتاب "المفتاح"، "الجمل"، وغير ذلك. سير أعلام النبلاء (٤٣٢/١٨). وينظر ترجمته في: إنباه الرواة على أنباه النحاة (١٨٨/٢)، وطبقات الشافعيين لابن كثير (٤٦٥/١).

٤٤)، وقوله: ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغۡنَىٰ وَأَقۡنَىٰ ﴾ (النجم: ٤٨)، المعنى هو الذي منه الإحياء والإماتة والغناء والإقناء، وهكذا كل موضع كان القصد فيه أن تثبت المعنى في نفسه فعلا للشيء، وأن تخبر بأن من شأنه أن يكون منه، أو لا يكون إلا منه، أو لا يكون منه، فإن الفعل لا يعدى هناك، لأن تعديته تنقض الغرض وتغير المعنى.

– **وقسم ثان:** وهو أن يكون له مفعول مقصودا قصده معلوم، إلا أنه يحذف من اللفظ لدليل الحال عليه، كقولهم: "أصغَيْتُ إليه"، وهم يُريدون "أذني"، و"أغضيت عليه"، والمعنى "جفني")[1].

وهذا مثال من تفسير ابن باديس، يذكر فيه السر والحكمة من حذف المفعول به.

قال عند تفسير قوله تعالى ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾ (النحل: ١٢٥): (وحذف مفعول "ادع" لإفادة العموم إلى هذه السبيل، فقال تعالى: ﴿ ٱدۡعُ ﴾)[2].

◆ **حذف الفاعل:**

قد ذكرت كتب البلاغة لحذف الفاعل أسرارا، وأغراضا، ودواعٍ كثيرة، منها:

الخوف على الفاعل الحقيقي، الخوف منه، تحقيره، الجهل به، ضيق المقام، تكثير الفائدة، أو لأنه ليس الغرض قصد فاعل معين... إلى غير ذلك من الأغراض والأسباب)[3].

وهذا مثال لحذف الفاعل من تفسير ابن باديس، يبيّن فيه الغرض البلاغي الذي من أجله حذف الفاعل وبُني فعله لما لم يسمّى فاعله.

---

(١) دلائل الإعجاز (١/١٥٤).

(٢) مجالس التذكير (١/١٣٥).

(٣) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة (٢/٤)، اللباب في علل البناء والإعراب لأبي البقاء العكبري (١/١٥٧).

قال رحمه الله عند تفسير قوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴾ (الفرقان: ٧٣): (وبُنى الفعل للنائب لأن التذكير بالآيات يجب قبوله من أي مذكر كان)[١].

❑ المطلب الثاني:
الدلالات الأصولية

قسّم الحنفية دلالة الألفاظ على المعاني إلى: دلالة عبارة، ودلالة إشارة، ودلالة نص، ودلالة اقتضاء، أما الجمهور فقد قسموها إلى قسمين رئيسين: منطوق ومفهوم[٢].

فقد استعمل ابن باديس في تفسيره بعضا من هذه الدلالات في استنباط المعاني والأحكام من الذكر الحكيم وهذه نماذج منها.

- **دلالة الإيماء والتنبيه:**

وعرفها الأصوليون بقولهم: (هو اقتران الوصف بحكم لو لم يكن الوصف – أو نظيره– للتعليل لكان ذلك الاقتران بعيدا من فصاحة كلام الشارع، وكان إتيانه بالألفاظ في غير مواضعها، مع كون كلام الشارع منزه عن الحشو الذي لا فائدة فيه)[٣].

وقد أكثر ابن باديس في استنباطه بهذه الدلالة الأصولية.

فقد استنبط –رحمه الله– من قوله تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ (الإسراء: ٢٣)، برّ الوالدين و الإحسان إليهما على أية حال كانا، من كفر أو إيمان، برّ أو فجور، محسنين لولدهما أو مسيئين إليهما.

---

(١) مجالس التذكير (١٦٢/٢).

(٢) انظر: أصول البزدوي (١١٧/١)، وأصول السرخسي (٢٣٦/١)، والمستصفى (٢٥/١)، وروضة الناظر وجنة المناظر (٧٠/١)، وشرح تنقيح الفصول للقرافي (٢٥/١)، والمهذب في علم أصول الفقه لعبد الكريم النملة (١٠٢٩/٣).

(٣) مختصر التحرير شرح الكوكب المنير (١٢٥/٤).

قال -رحمه الله: (وفي تعليق الحكم - وهو الأمر بالإحسان - بلفظ الوالدين المشتق من الولادة، إيذان بعليتها في الحكم، فيستحقان الإحسان بالوالدية، سواء أكانا مؤمنَين أم كافرَين، بارَّين أو فاجرَين، محسنَين إليه أو مسيئَين)[١].

• **دلالة الإشارة:** وقد عرّفها الشيخ الشنقيطي[٢] قائلا: (وإيضاح دلالة الإشارة أنها دلالة اللفظ على معنى ليس مقصودا في الأصل، ولكنه لازم للمقصود، فكأنه مقصود بالتبع لا بالأصل)[٣].

وقد جاءت أكثر استنباطات ابن باديس بهذه الدلالة.

وهذا أنموذج من تفسيره.

قال عند تفسير قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴾ (الفرقان: ٧٧): (لما كانت مقادير العباد عند ربهم بحسب عبادتهم، فالأنبياء -عليهم السلام- أعلى الناس منزلة عند الله، فهم أعظمهم عبادة لله، وهم أتقاهم له وأشدهم خشية منه)[٤].

• **دلالة مفهوم الموافقة:**

ويسمى فحوى الخطاب، ولحن الخطاب، والقياس الجلي، ويسمَّى بالتنبيه.

(ومفهوم الموافقة ما يكون وصف مسكوته يوافق وصف منطوقه، وقد يكون أولى بذلك الوصف الذي هو مظنة الحكم ومقتضى الحكمة، ويسمى فحوى الخطاب، ولحن الخطاب، ومنه قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ ﴾ (الإسراء: ٢٣)[٥].

---

(١) مجالس التذكير (١/١٩٤).

(٢) هو محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، مفسر، مدرّس، من علماء شنقيط "موريتانيا"، ولد وتعلم بها، وحج سنة ١٣٦٧هـ واستقر مدرسا في المدينة المنورة، ثم الرياض، وأخيرا في الجامعة الإسلامية بالمدينة سنة ١٣٨١هـ، وتوفي بمكة، له كتب منها: "أضواء البيان في تفسير القرآن"، و"منع =جواز المجاز"، و"منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات"، و"دفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب"، و"آداب البحث والمناظرة" وغيرها. الأعلام للزركلي (٦/٤٥).

(٣) مذكرة الأصول للشنقيطي (ص٢٨٣).

(٤) مجالس التذكير (٢/١٨٤).

(٥) تقويم النظر في مسائل خلافية ذائعة ونبذ مذهبية نافعة لأبي شجاع فخر الدين ابن الدَّهَّان (١/٩٥).

هذا، وقد استنبط ابن باديس بهذه الدلالة معاني وأحكاما، وهذا مثال من تفسيره.

قال رحمه الله عند تفسير قوله تعالى ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾ (الفرقان: ٥٢): (وفي ذكر الكافرين تنبيه على العصاة على التنبيه بالأعلى على الأدنى، لاشتراكهم في العلة وهي المخالفة)[١].

- **دلالة الاقتران:**

وصورة دلالة الاقتران: أن يدخل حرف الواو بين جملتين تامتين كل منهما مبتدأ وخبر، أو فعل وفاعل، بلفظ يقتضي الوجوب في الجميع أو العموم في الجميع، ولا مشاركة بينهما في العلة، ولم يدل دليل على التسوية بينهما، كقوله تعالى: ﴿ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ﴾ (الأنعام: ١٤١)[٢].

وقال الإسنوي[٣] مبيِّناً كذلك معنى وصورة هذه الدلالة: (ومعناه أن يَرِدَ لفظ لمعنى ويقترن به لفظ آخر يحتمل ذلك المعنى وغيره)[٤].

وهذا مثال من تفسير ابن باديس في استنباطه معاني وأحكاما بهذه الدلالة.

قال عند تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (النور: ٦٢).

---

(١) مجالس التذكير (١/ ١٨٨).

(٢) البحر المحيط في الأصول (١٠٩/٨) وما بعدها.

(٣) هو جمال الدين عبد الرحيم، شيخ الشافعية، وصاحب التصانيف السائرة، ولد سنة ٤٠٧هـ، وأخذ عن التقي السبكي وأبي حيان وغيرهما، وبرع في الأصول والعربية والعروض، وتقدم في الفقه فصار إمام زمانه، وانتهت إليه رياسة الشافعية، مات سنة ٧٧٢هـ، من تصانيفه "المبهمات على الروضة فقه"، و"الهداية إلى أوهام الكفاية"، و"الأشباه والنظائر"، "نهاية السول شرح منهاج الأصول"، و"التمهيد في تخريج الفروع على الأصول"...وغيرها) . حسن المحاضرة (٤٢٩/١). ينظر ترجمته في: الأعلام للزركلي (٣٤٤/٣).

(٤) التمهيد تخريج الفروع على الأصول (٢٧٣/١).

(هنالك المصلحة العامة وهنالك المصلحة الخاصة، ومحال أن تساوى هذه بتلك: انظر إلى الذكر الحكيم كيف عبّر عن الأولى بالأمر الجامع، وفي هذا ما فيه من تفخيم، وعبّر عن الثانية ببعض الشأن، وفي هذا ما فيه من التحقير والتقليل.

وفي قرنها بالاستغفار تنبيه على ترجيح الأولى على الثانية، وأنها ما كانت تعتبر إلاّ على وجه الرخصة، والاستغراق في الاهتمام والتدبير للمصلحة العامة أحق وأولى)[١].

❑ المطلب الرابع:

دلالة السياق

ويشمل:

- سياق المقال.
- سياق المقام.

(والسياق: هي ظروف يقع فيها الحديث أو يساق فيها الكلام)[٢].

وقد جاءت معان وأحكام لطيفة في تفسير الإمام ابن باديس، مستنبطة بدلالة السياق بنوعيه، وهذه أمثلة ونماذج منه.

- **دلالة سياق المقال، وهو "السياق الداخلي واللغوي واللفظي وسياق النص"**

قال رحمه الله عند تفسير قوله تعالى ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا ﴾ (الإسراء: ٥٦): (ودلت الآية أيضا على أنه لا يجوز دعاء غير الله من المخلوقين، أي مخلوق كان لدفع ضر، ومثله جلب نفع، لأن الآية نعت على المشركين دعاءهم من لا يملك كشف الضر ولا تحويله، وهذا أمر يشترك فيه جميع المخلوقين، فلا مخلوق يستطيع كشف الضر أو تحويله عن نفسه ولا عن غيره، فلا مخلوق يجوز دعاؤه)[٣].

---

(١) مجالس التذكير (١/٤٢٦-٤٢٧).

(٢) معجم اللغة العربية المعاصرة مادة: " س"، و"ق" (٢/١١٣٩).

(٣) مجالس التذكير (١/٢٩٧).

• **دلالة سياق المقام:** ويعبر عن هذا السياق بالحال أو الأحوال، المشاهدة، والمشاهد، والدليل، والقرينة والقرائن، والمقام، والموقف[١].

وقد جاءت معان وأحكام في تفسير ابن باديس استنبطها بهذه الدلالة.

قال رحمه الله: (قد يتماثل اللفظان، ولكن يجب أن يعبر كل واحد بمعنى لائق بالمقام الذي قيل فيه، كما أنه قد قال عنها: ﴿ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ (النمل: ٢٣)، وقال عن الله عز وجل: ﴿ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ (النمل: ٨٦).

فعرش عظيم بين عروش الملوك، وعرش الله عظمته أعظم من السموات والأرض.

وهكذا لا بد من اعتبار المقام في فهم الكلام)[٢].

(١) ينظر دلالة السياق (ص٤٢).

(٢) مجالس التذكير (٢/٢٤٧).

المبحث الثاني
منهجه في طريقة وأسلوب عرض الاستنباط

❑ **المبحث الثاني:**

منهجه في طريقة وأسلوب عرض الاستنباط

سلك ابن باديس –رحمه الله– طريقة مميّزة في عرضه الاستنباط، نستطيع أن نلخصها في النقاط التالية:

- ◆ يصرّح في بعض المواطن بالاستنباط، فيأتي بالمعنى المستنبَط تحت عنوان "استنباط"، وهذا في ستة مواطن من تفسيره(١).
- ◆ يوجّه – أحيانا – القول الذي بنى عليه الاستنباط.

قال–رحمه الله–تحت عنوان: **توجيه واستنباط،** موجها قول ابن عباس–رضي الله عنهما–الذي بنى عليه استنباطه،في تفسيره العذاب الشديد في قوله تعالى ﴿ **لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَنٍ مُّبِينٍ** ﴾ (النمل: ٢١)، بنتف الريش، ما يلي: (ليس في الآية ما يفهم خصوص نتف الريش من لفظ العذاب الشديد، وإنما فهم ابن عباس– رضي الله عنهما– وأئمة من التابعين ذلك بالنظر العقلي والاعتبار، فإن نتف ريشه يعطل خاصية الطيران فيه، فيتحول من حياة الطير إلى حياة دواب الأرض، وذلك نوع من المسخ، وقد علم أن المسخ في القرآن أشنع عقوبة في الدنيا، فلهذا فسّروا العذاب الشديد بنتف الريش)(٢).

- ◆ يعنون للاستنباط الذي يذكره، وذلك في غالب استنباطاته.

قال–رحمه الله–تحت عنوان:**واجب القائد والزعيم:**

(هذه النملة هي كبيرة النمل، فقد كان عندها من قوة الإحساس ما أدركت به الخطر قبل غيرها، فبادرت بالإنذار،فلا يصلح لقيادة الأمة وزعامتها إلاّ من كان عنده من بعد النظر، وصدق الحدس، وصائب الفراسة، وقوة

(١) ينظر استنباط رقم: (٢١،٢٢،٣٢،٤٢،٤٩،٥٣).

(٢) مجالس التذكير(٢/٢٢٩).

الإدراك للأمور قبل وقوعها، ما يمتاز به عن غيره، ويكون سريع الإنذار بما يحس وما يتوقع)[١].

- يورد – أحيانا – الاستنباط على شكل سؤال وجواب، أو إيراد وجوابه، أو إشكال وجوابه.

قال –رحمه الله–تحت عنوان:**إشكال وجوابه:**

(قال أناس: إن أرض الدنيا كما يستولي عليها الصالحون، ويستولي عليها غيرهم، والأرض التي لا يرثها إلا الصالحون هي أرض الجنة، فيجب تأويل الآية بها.

والجواب: أن هذا التأويل إنما يحتاج إليه أن لو كانت الآية هكذا: "إن الأرض لا يرثها إلا عبادي الصالحون" بطريق الحصر فيهم، أما لما كانت الآية لا حصر فيها فلا حاجة إلى هذا التأويل، بل في لفظ الإرث وربطه بوصف الصلاح دلالة على أنها كانت لغيرهم فانتقلت إليهم، وأنها تزول مع زوال وصف الصلاح)[٢].

- يذكر ما يؤيد استنباطه بدليل أو تعليل.

قال–رحمه الله–تحت عنوان:**بيان نبوي:**

(خرج مسلم في صحيحه من طريق أبي هريرة– رضي الله عنه– أن رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم قال: ((أيها الناس، إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبا، وإن الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴾ (المؤمنون: ٥١)، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ ﴾ (البقرة: ١٧٢)، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه

(١) مجالس التذكير (٢/٢١٧).

(٢) المرجع السابق (١/٣٩٨).

إلى السماء: يا رب، يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك)) [١]»)[٢]

◆ يذكر- نادرا - طريق دلالة الاستنباط.

قال -رحمه الله: (وفي تعليق الحكم - وهو الأمر بالإحسان - بلفظ الوالدين المشتق من الولادة، إيذان بعليتها في الحكم، فيستحقان الإحسان بالوالدية، سواء أكانا مؤمنين أم كافرين، بارين أو فاجرين، محسنين إليه أو مسيئين)[٣].

فقوله (**وفي تعليق الحكم - وهو الأمر بالإحسان - بلفظ الوالدين المشتق من الولادة، إيذان بعليتها في الحكم**)، هذا شروع منه-رحمه الله-في ذكر وبيان طريق دلالة هذا الاستنباط المذكور.

◆ يذكر – أحيانا - وجه دلالة الآية على ذلك الاستنباط

قال –رحمه الله-تحت عنوان: **توجيه واستنباط**، مبيّنا وجه دلالة الآية على الاستنباط الذي ذكره: (كان في جواب الهدهد حجة بينة لسبب غيابه، وذلك لأنه لم يذهب عابثا، ولا لغرض خاص به، وإنما ذهب مستطلعا مكتشفا، فحصل علما، وجاء بخبر عظيم في زمن قصير، فرجحت هذه الفوائد العظيمة بتركه لمركزه في الجند فسقطت عنه المؤاخذة... وهذه الآية مأخذ من مآخذ الأصل القائل: إن المخالف للأمر عن غير انتهاك للحرمة لا يؤاخذ بتلك المخالفة).)[٤].

◆ يَرُدّ الإشكالات والإيرادات على الاستنباط، في بعض الأحيان.

قال-رحمه الله:(من تخصيص صلاة الفجر بجملة التذييل المؤكدة، وما اشتملت عليه من هذه المزية، أخذ جماعة من أهل العلم أفضليتها على غيرها.

فإن قلتَ: إن صلاة العصر أيضا لها من هذه المزية، كما تقدم في حديث مالك.

---

(١) يأتي تخريجه صفحة (٢٣٩).

(٢) مجالس التذكير(١/٤١٨).

(٣) المرجع السابق (١/١٩٤).

(٤) المرجع السابق (٢/٢٣٣).

قلتُ: إن ثبوت هذه المزية للفجر قطعي بنص القرآن، ومتفق عليه في روايات الحديث بخلاف العصر، فقد جاء في بعض الروايات دون بعض، وتبقى الفجر ممتازة بتخصيصها بالتأكيد في نص الكتاب وكفى هذا مرجحا لها)[1].

- ينزّل الاستنباط – غالبا – على الواقع، وذلك بتطبيقه على أحوال المسلمين اليوم.

لمّا استنبط من قوله تعالى:(﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا ﴾ (الإسراء: ٥٦)، أنه لا يجوز دعاء غير الله من المخلوقين لدفع ضر أو جلب نفع، وأن كشف الضر وجلب النفع إنما هو للمعبود الحق، كما سيأتي في الاستنباط التاسع عشر صفحة (٢٠٠)، والاستنباط العشرين صفحة(٢٠٢) من هذه الرسالة.

قال–رحمه الله–تحت عنوان: **تطبيق،** مُنزلا هذه الأحكام التي استنبطها من الآية على حال المسلمين في العالم الإسلامي اليوم: (إذا علمت هذه الأحكام، فانظر إلى حالتنا معشر المسلمين الجزائريين وغير الجزائريين، تجد السواد الأعظم من عامتنا غارقا في هذا الضلال، فتراهم يدعون من يعتقدون فيهم الصلاح من الأحياء والأموات، يسألونهم حوائجهم من دفع الضر، وجلب النفع، وتيسير الرزق، وإعطاء النسل، وإنزال الغيث، وغير ذلك مما يسألون. ويذهبون إلى الأضرحة التي شيدت عليها القباب، أو ظلمت بها المساجد فيدعون من فيها، ويدقون قبورهم، وينذرون لهم، ويستثيرون حميتهم، بأنهم خدامهم وأتباعم، فكيف يتركونهم؟؟ وقد يهددونهم بقطع الزيارة، وحبس النذور، وتراهم هنالك في ذل وخشوع وتوجه، قد لا يكون في صلاة من يصلي منهم!!

(١) المرجع السابق (١/٣٢٥).

فأعمالهم هذه من دعائهم وتوجههم كلها عبادة لأولئك المدعوين، وإن لم يعتقدوها عبادة؛ إذ العبرة باعتبار الشرع، لا باعتبارهم.

فيا حسرتنا على أنفسنا كيف لبسنا الدين لباسا مقلوبا، حتى أصبحنا في هذه الحالة السيئة من الضلال)[1]. والله تعالى أعلم.

(١) المرجع السابق (١/٢٩٨).

الفصل الخامس

دراسة استنباطات ابن باديس في تفسيره

«مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير »

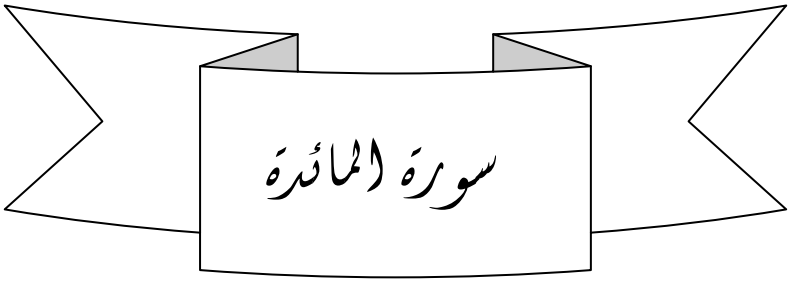
سورة المائدة

❖ **الاستنباط الأول:**

● **من أدب الدعوة إلى الله اختيار أحسن ما يُدعَى ويسمَّى به المدعو.**

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴾ (المائدة: ١٥).

قال ابن باديس –رحمه الله تعالى: (هذا هو أدب الإسلام في دعوة غير أهله، ليعلمنا كيف ينبغي أن نختار عند الدعوة لأحد أحسن ما يدعى به، وكيف ننتقي ما يناسب ما نريد دعوته إليه) (١).

◆ **الدراسة:**

استنبط ابن باديس –رحمه الله– من قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ في هذه الآية، أدبا دعويا قرآنيا في دعوة الناس إلى الحق، وذلك باختيار أحسن ما يسمّى و يُدعى به ذلك المدعو.

وطريق هذا الاستنباط، هو الاقتداء بالقرآن فيما دلت إشارة الآية عليه في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾.

ووجه هذا الاستنباط، هو ما ذكره ابن باديس نفسه، وهو أنّ دعاء الشخص بما يحب مما يلفته إليك، ويفتح لك سمعه وقلبه، ودعاؤه بما يكره يكون أوّلَ حائل يبعد بينك وبينه، وإذا كان هذا الأدب عامًّا في كل تداع وتخاطب، فأحقّ الناس بمراعاته هم الدعاة إلى الله، والمبيّنون لدينه، سواء دعَوا المسلمين أو غير المسلمين) (٢).

وما استنبطه ابن باديس أدب صحيح، مأخوذ من الاقتداء بأسلوب القرآن وهديه في دعوة اليهود والنصارى بما يتشرفون به، فيكون نداءهم بـ ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ تحفيز وحثّ وباعث لهم على موافقته والإقبال عليه و الإيمان به، لأنهم أهل كتاب والنبيّ

(١) مجالس التذكير (١/١٠٦).

(٢) المرجع السابق (١/١٠٦).

ﷺ جاء بكتاب، فالاقتداء بهذا الأدب في دعوة جميع الناس إلى الله، ممّا يجب التحلّي به، وأخذه بعين الاعتبار.

وقد جاءت نصوص من الشرع تشهد لهذا الاستنباط.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٤٠﴾ ﴾ البقرة: ٤٠

وقَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ البقرة: ١٨٣

وقَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ ﴾ الأحزاب: ٤٥

وقال تعالى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡ ﴾ (الإسراء: ٥٣).

وقد جاء عن بعض المفسرين ما يؤيّد ويعضّد هذا الاستنباط.

قال أبو السعود[١] -رحمه الله: (التفات إلى خطاب الفريقين على أن الكتاب جنس شامل للتوراة والإنجيل إثر بيان أحوالهما، من الخيانة وغيرها من فنون القبائح، ودعوة لهم إلى الإيمان برسول الله ﷺ والقرآن، وإيرادهم بعنوان أهلية الكتاب لانطواء كلام المصدر به على ما يتعلق بالكتاب)[٢].

وقال عزّت دروزة[٣] -رحمه الله: (وأسلوب الدعوة في الآيتين قوي موجّه إلى العقل

---

(١) هو محمد بن محمد بن مصطفى العمادي المولى أبو السعود (٨٩٨ -٩٨٢هـ = ١٤٩٣ -١٥٧٤م)، مفسر شاعر، من علماء الترك المستعربين، ولد بقرب القسطنطينية، كان بحرا زاخرا، وطودا باذخا، وهو صاحب التفسير المعروف باسمه وقد سماه: "إرشاد العقل السليم إلى مرايا الكتاب الكريم"، ومن كتبه "تحفة الطلاب" في المناظرة، و"رسالة في المسح على الخفين"، و"رسالة في مسائل الوقوف" وغيرها) . شذرات الذهب في أخبار من ذهب (٥٨٤/١٠)، الأعلام للزركلي (٥٩/٧).

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (١٧/٣).

(٣) هو محمد عزة دروزة (١٣٠٥ -١٤٠٤هـ = ١٨٨٧ -١٩٨٤م) الباحث، المؤرِّخ، الموسوعي، ولد في مدينة نابلس، ألّف في تاريخ العرب والمسلمين وفي القضية الفلسطينية، وارتاد مجالات فكرية عديدة أديباً وصحفيا وناقدا ومترجما ومؤرخا وعالم دين، من تصانيفه: "عصر النبي ﷺ وبيئته"، "القرآن والمرأة"، "القرآن والضمان الاجتماعي"، "القرآن المجيد- مقدمة للتفسير الحديث"، و"التفسير الحديث- حسب النزول". ينظر ترجمته

والقلب معا كما هو ظاهر، والمتبادر أنه ينطوي فيه قصد التأنيس والتذكير بما يجمع بين هذه الدعوة وأهل الكتاب من رسالات الله وكتبه ومواثيقه، وتقرير كونها بمثابة إنقاذ لهم مما هم فيه من خلاف ونزاع، وفرصة للسير في طريق الأمن والسلام)[١].

وقال أبو زهرة[٢] -رحمه الله: (وفي نداء اليهود والنصارى فائدتان:

إحداهما: ما يمتازون به عن المشركين بالعلم، وأنهم ليسوا أُميين، بل هم مدركون عمن دونهم.

والفائدة الثانية: تقريعهم ولومهم بأنهم مع أنهم معروفون بعلمهم بالكتابة ومصاحبتهم لهم قد أخفوا كثيرا)[٣].

❖ **الاستنباط الثاني:**

- **تجنب ذكر العيوب والمثالب عند الدعوة إلى الله عز وجل.**

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴾ (المائدة: ١٥).

قال ابن باديس -رحمه الله: (على الداعي إلى الله والمناظر في العلم، أن يقصد إحقاق الحق وإبطال الباطل، وإقناع الخصم بالحق وجلبه إليه؛ فيقتصر من كل حديثه على ما يحصل له ذلك، ويتجنب ذكر العيوب والمثالب، ولو كانت هنالك عيوب

في: تكملة معجم المؤلفين لمحمد خير رمضان يوسف (٥٢٣/١).

(١) التفسير الحديث (٧٧/٩).

(٢) هو محمد بن أحمد أبو زهرة، من كبار علماء الشريعة الإسلامية في عصره، تولى تدريس العلوم الشرعية =والعربية ثلاث سنوات، وعلم في المدارس الثانوية سنتين ونصفا، وبدأ اتجاهه إلى البحث العلمي في كلية أصول الدين (١٩٣٣م)، وعين أستاذا محاضرا للدراسات العليا في الجامعة (١٩٣٥م)، وعضوا للمجلس الأعلى للبحوث العلمية، من كتبه: (زهرة التفاسير)، و(الخطابة)، و(تاريخ الجدل في الإسلام)، و(أصول الفقه)، و(الملكية ونظرية العقد في الشريعة الإسلامية وغيرها). الأعلام للزركلي (٢٥/٦).

(٣) زهرة التفاسير (٢٠٨٦/٤).

ومثالب اقتداء بهذا الأدب القرآني النبوي، في التجاوز مما في القوم عن كثير)[١].

◆ **الدراسة:**

استنبط ابن باديس -رحمه الله- من قوله تعالى: ﴿ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴾ في هذه الآية أدبا قرآنيا في الدعوة إلى الله وفي المناظرات العلمية، وذلك بتجنب ذكر عيوب المناظَر أثناء المناظرة، وتجنب ذكر عيوب المدعو أثناء دعوته.

وطريق هذا الاستنباط، هو الاقتداء بالقرآن فيما دلت الإشارة إليه في قوله تعالى: ﴿وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴾

ووجه هذا الاستنباط، هو ما ذكره ابن باديس، وهو أنّ في ذكر العيوب والمثالب خروج عن القصد، وبعدٌ عن الأدب، وتعدّ على الخصم وإبعاد له، وتنفير عن الاستماع والقبول، وهما المقصود من الدعوة والمناظرة) [٢].

وما استنبطه ابن باديس أدب صحيح، دلت عليه إشارة القرآن، وقد جاء عن بعض المفسرين ما يقرُب من معناه فيما استنبطوه من خلق النبيّ ﷺ مع أهل الكتاب في هذه الآية.

قال القشيري[٣] -رحمه الله: (ووصفه بالعفو عن كثير من أفعالهم، وذلك من أمارات خلقه، إذ لولا خلقه لما فعل ذلك، فإظهار ما أبداه دليل علمه، والعفو عما أخفى برهان حلمه)[٤].

وقال البقاعي[٥] -رحمه الله: (﴿وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴾أي: فلا يفضحكم بإظهاره

---

(١) مجالس التذكير (١/١٠٨).

(٢) مجالس التذكير (١/١٠٨).

(٣) هو أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة القشيري، الخراساني النيسابوري الشافعي، الإمام، الزاهد، القدوة، الأستاذ، الصوفي، المفسر، صاحب "الرسالة"، ولد سنة ٣٧٥هـ، الفقيه الشافعي، كان علامة في الفقه والتفسير والحديث والأصول والأدب والشعر والكتابة وعلم التصوف، توفي سنة ٤٦٥هـ. سير أعلام النبلاء (١٨/٢٢٧). ينظر ترجمته في: طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٥/١٥٣).

(٤) لطائف الإشارات (١/٤١٣).

(٥) هو إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط - بضم الراء وتخفيف الباء - بن علي بن أبي بكر البقاعي، أبو الحسن برهان الدين الشافعي، المحدّث، المفسّر، الإمام، العلّامة، المؤرّخ، صنّف تصانيف عديدة، من أجلّها: "نظم

امتثالاً لأمرنا له بذلك – كما تقدم أنه إحسان منه ﷺ إليكم، لأنه لا فائدة في إظهاره إلا فضيحتكم) [١]، وغيرهما ممّن قرّب من هذا المعنى[٢]. والله تعالى أعلم.

❖ **الاستنباط الثالث:**

● **ردُّ خبر الواحد إذا خالف القطعيَّ من القرآن.**

قال تعالى: ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴾ (المائدة: ١٥)، وقوله تعالى: ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (التغابن: ٨)، مع قوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (النحل: ٤٤).

◆ **الدراسة:**

استنبط ابن باديس –رحمه الله– من هذه الآيات، باجتماعها وتركيبها، مسألة أصولية، وهو أن خبر الواحد يردّ إذا خالف القطعي من القرآن.

قال –رحمه الله: (في هذه الآية وصف محمد ﷺ بأنه نور، ووصف القرآن بأنه مبين، وفي آيات أخرى وصف القرآن بأنه نور، كقوله: ﴿ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ﴾ ووصف الرسول ﷺ بأنه مبين كقوله: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾.

وهذا ليبين لنا الله تعالى أن إظهار النبي ﷺ وبيانه وإظهار القرآن وبيانه واحد.

وقد صدقت عائشة رضي الله عنها لما سئلت عن خُلُق النبي ﷺ فقالت: ((كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ))[٣].

الدرر في تناسب الآي والسور" في التفسير، و "عنوان الزمان بتراجم الشيوخ والأقران"، توفي بدمشق سنة ٨٨٥هـ عن ست وسبعين سنة رحمه الله. ينظر ترجمته في: شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد (٥٠٩/٩)، والبدر الطالع بمحاسن من بعد القرن التاسع للشوكاني (١٩/١) ، و الأعلام للزركلي (٥٦/١).

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٦٢/٦).

(٢) ينظر: المحرر الوجيز لابن عطية (١٧٠/٢)، محاسن التأويل للقاسمي (٩١/٤)، الوسيط لسيد طنطاوي (٨٩/٤)، أيسر التفاسير لأبي بكر الجزائري (٦٠٩/١).

(٣) هذا طرف من حديث أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب جامع صلاة الليل ومن نام عنه أو مرض (٥١٢/١ رقم ٧٤٦)، وأحمد في مسنده (١٥/٤٣ رقم ٢٥٨١٣)، وأبو داود في كتاب التطوع باب في صلاة الليل (٥١٢/١ رقم ١٣٤٤).

نستفيد من هذا، أن السنة النبوية والقرآن لا يتعارضان، ولهذا يُرَدُّ خبر الواحد إذا خالف القطعيَّ من القرآن)[١].

والمراد بخبر الواحد هو: (ما نقله واحد عن واحد أو واحد عن جماعة أو جماعة عن واحد ولا عبرة للعدد إذا لم تبلغ حد المشهور، وقيل: هو الذي لا ينتهي إلى حد التواتر)[٢].

وطريق هذا الاستنباط، هو دلالة الإشارة، فإن هذا الحكم الذي استنبطه الشيخ ابن باديس هنا، لم ينطق به لفظ الآيات، ولم يكن مقصودا أصالة، ولم يُسق له الكلام، وإنما جاء تبعا واستنتاجا لضم معاني الآيات بعضها إلى بعض.

ووجه هذا الاستنباط، هو أن آية المائدة ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴾ (المائدة: ١٥)، فيها التصريح بوصف النبي ﷺ أنه نور، وبوصف القرآن أنه مبين، وفي آية التغابن ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (التغابن: ٨) وُصف القرآن بأنه نور، وفي آية النحل ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (النحل: ٤٤) وُصف النبي ﷺ بأنه مبين.

فاجتمع للنبي ﷺ وصف النور والبيان، وللقرآن وصف النور والبيان.

فكان إذاً ما يقوله القرآن كالذي يقوله النبي ﷺ لا يتعارضان، فإن وُجد خبرُ آحاد يعارض القطعي من القرآن رُدّ.

وما استنبطه الشيخ بالجمع بين هذه الآيات، من أن خبر الواحد إذا عارض القطعي من القرآن يُردّ، قاعدةٌ صحيحة لا غبار عليها، إذ هو قول لا خلاف فيه بين العلماء[٣].

---

(١) مجالس التذكير (١/١١٠-١١١).

(٢) ينظر: أصول الشاشي (٢٧٢)، وتقويم النظر في مسائل خلافية ذائعة ونبذ مذهبية نافعة لأبي شجاع ابن الدَّهَّان (٢/١٨٣).

(٣) ينظر: اللمع في أصول الفقه للشيرازي (١/٧٢)، أصول السرخسي (٢/١٨)، شرح مختصر الروضة للطوفي (٣/٦٧٣)، الموضوعات لابن الجوزي (١/١٠٦)، شرح ألفيَّة السُّيوطي في الحديث المسماة: إسعاف ذوي الوطر بشرح نظم الدرر في علم الأثر لشيخنا محمد آدم الأثيوبي (١/٢٩٥).

قال الخطيب البغدادي[١] وهو يعدد الأمور التي يُردّ بها خبر الواحد، فذكر منها: (والثاني: أن يخالف نص الكتاب أو السنة المتواترة، فيعلم أنه لا أصل له أو منسوخ)[٢].

– اعتراض على استنباط ابن باديس وجوابه:

وقبل الكلام على هذه القاعدة، أودّ أن أنبه على تفريق مهم، خلط وزلق فيه من لم يعط لكلام الشيخ مقامه، فافترى على الشيخ بما لم يسطره بنانه، ولم يعتقده جنانه، وهو أن هناك مسألة حجية خبر الواحد في المسائل القطعية العقدية، وهناك مسألة خبر الواحد إذا خالف القطعي من القرآن، وهو موضوع استنباطنا، وبين المسألتين مفاوز.

أما مسألة حجية الخبر الواحد في القطعيات أو في أمور الاعتقاد، فتلك مسألة خلاف بين جمهور أهل السنة، وبين المعتزلة[٣] وبعض المتكلمين الذين انتهجوا منهجهم، وليس في كلام ابن باديس هنا في هذا الموقع، ما يشير إليها لا من قريب ولا من بعيد، وليست هي موضوع دراستنا.

والقول الراجح فيها هو قول جمهور أهل الفقه والأثر، القائلين بصحة الاحتجاج بخبر الواحد المرفوع للنبي ﷺ بإسناد صحيح في مسائل الأحكام وغيرها من مسائل

---

(١) هو الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن أحمد بن مهدي البغدادي، المعروف بالخطيب، صاحب "تاريخ بغداد"، أحد حفاظ الحديث وضابطيه، توفي سنة ٤٦٣هـ، من كتبه: "تاريخ بغداد"، "الفقيه والمتفقه"، "المؤتلف والمختلف". ينظر ترجمته في: وفيات الأعيان (٩٢/١)، طبقات الشافعيين (٤٤١/١).

(٢) الفقيه والمتفقه (٣٥٤/١).

(٣) المعتزلة: هم أتباع واصل بن عطاء الغزال المتوفى سنة ١٣١هـ، ثم افترقت المعتزلة إلى فرق كثيرة تجمعها أصول خمسة وهي: ١- التوحيد: ويتضمن عندهم نفي صفات الباري جل وعلا، والقول بخلق القرآن. ٢- العدل: وبه ينفون القدر، زاعمين أن الله لم يشأ ما لم يأمر به أو نهى عنه من أعمال العباد. ٣- الوعد والوعيد: وبه يوجبون على الله أن يثيب المطيع ويعاقب العاصي. ٤- المنزلة بين المنزلتين ويعنون بذلك أن مرتكب لكبيرة يخرج من الإيمان ولا يدخل في الكفر فهو بمنزلة بينهما، وفي الآخرة خالد مخلد في النار. ٥- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ويتضمن عندهم وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، ولو بالسيف، وأمر غيرهم بما يأتمرون به ونهيه عما ينتهون عنه، وقتال المخالف لهم في أصولهم، والخروج على السلطان الجائر. انظر: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين لأبي الحسن الأشعري (ص١٥٥) وما بعدها، والتنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع لأبي الحسين المَلَطي العسقلاني (ص٣٦) وما بعدها، والفرق بين الفرق لأبي منصور الإسفراييني (ص٩٣) وما بعدها، والملل والنحل لأبي الفتح الشهرستاني (٤٣/١) وما بعدها.

الاعتقاد، ولم يفرقوا بين ما كان قطعيا وما كان ظنيا، وهو كذلك مذهب ابن باديس كما يدل عليه صنيعه في تفسيره، وفي كتابه "العقائد الإسلامية".

قال ابن عبد البر[١]: (الذي نقول به إنه يوجب العمل دون العلم كشهادة الشاهدين والأربعة سواء، وعلى ذلك أكثر أهل الفقه والأثر، وكلهم يدين بخبر الواحد العدل في الاعتقادات ويعادى ويوالى عليها، ويجعلها شرعا ودينا في معتقده، على ذلك جماعة أهل السنة)[٢].

أما مسألتنا، وهي ردُّ خبر الواحد إذا تعارض مع القطعي من القرآن، فهي قاعدة صحيحة لا طعن فيها، وبها قال المحققون من أهل العلم سلفا وخلفا، كما سنبينه إن شاء الله تعالى.

وكان الداعي إلى هذا التفريق والتمييز بين المسألتين، هو ما اعترض به بعض أهل العلم على هذه المسألة على ابن باديس في استنباطه هذا، مع أنه لا علاقة بما اعترضوا به مع ما استنبطه ابن باديس، فكان الشيخ مشرّقا وكانوا هم مغرّبين، وشتان بين مشرّق ومغرّب.

وهذا ملخص كلامهم، مع كل احترامنا لمكانتهم العلمية، وليس فيها مما يقلّل من شأن فضيلتهم حفظهم الله.

قال أبو عبد الرحمن محمود الجزائري[٣]، محقق مجالس التذكير-حفظه الله- وهو

---

(١) هو أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، إمام عصره في الحديث والأثر، من كتبه: "التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد" ورتبه على أسماء شيوخ مالك على حروف =المعجم، ثم صنع كتاب "الاستذكار لمذاهب علماء الأمصار فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار" شرح فيه الموطأ على وجهه ونسق أبوابه، وجمع في أسماء الصحابة كتاباً جليلاً مفيداً سماه "الاستيعاب"، وله كتاب "جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله" وغيرها، توفي سنة ٤٦٣هـ بمدينة شاطبة من شرق الأندلس. وفيات الأعيان (٦٦/٧) باختصار. ينظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٤٩٨/١٥).

(٢) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٨/١).

(٣) هو الشَّيخ المحقق أبو عبد الرحمن محمود الجزائري، من المشايخ الفضلاء له مؤلفات وتحقيقات نافعة مفيدة أشهرها: تحقيق "رسالة الشرك ومظاهره" للعلاَّمة الشَّيخ مبارك ميلي رحمه الله، وتحقيق "تفسير ابن باديس" رحمه الله، وله رسالة "الأدلة اللماعة على وجوب صلاة الجماعة". موقع منتديات البيضاء العلمية.

يعقب على هذه المسألة في "المجالس": (فيه نظر من وجهين:

الأول: أن خبر الواحد الثابت –الصحيح والحسن– حجة في العقائد والأحكام، في القطعيّات والظنيّات، والتفريق بينهما بدعة اعتزالية –وهو مذهب بعض المتكلمين– لم يعرفها السلف الصالح من أهل القرون الثلاثة الأولى المشهود لها بالخيرية على لسان خير البرية.

الوجه الآخر: أن هذا قائم – عند القائلين به – على أن خبر الواحد لا يفيد إلا الظن الراجح، ولا يفيد اليقين والعلم القاطع، وهذا ليس مسلّما على إطلاقه، فإن خبر الواحد يفيد العلم واليقين في كثير من الأحيان، من ذلك الأحاديث التي تلقتها الأمة بالقبول)[١].

وقال الدكتور الشيخ محمد علي فركوس[٢]، الأستاذ بكلية أصول الدين بالجزائر– حفظه الله: (فإنّ ما قرّره ابن باديس في تفسيره من أن خبر الواحد لا يقبل إذا خالفه القطعي هو مذهب المعتزلة وبعض المتكلمين... وعموم نصوص الكتاب والسنة تقضي بوجوب قبول خبر الواحد مطلقا من غير تفريق بين القطعي والظني... وعليه فإن أقوى الأقوال دليلا وأصحها نظرا مذهب الجمهور القائلين بصحة الاحتجاج بخبر الواحد المرفوع للنبي ﷺ بإسناد صحيح، سواء في القطعيات أو الظنيات، وضعف أدلة ما سواه على ما هو مثبت في موضعه)[٣].

---

(١) مجالس التذكير (١/١١١).

(٢) هو أبو عبد المعز محمد علي بن بوزيد بن علي فركوس القبي الجزائري، المعروف بمحمد علي فركوس، أستاذ بمعهد أصول الدين بالجزائر، ولد سنة ١٩٥٤م، حفظ القرآن الكريم وشيئا من العلوم الأساسية ثم التحق بالمدارس النظامية الحديثة التي أتم فيها المرحلة الثانوية، ثم كلية الحقوق والعلوم الإدارية التي أنهى دراسته بها، و توجه لإكمال دراسته بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، فتخرّج منها بالماجستير في الشريعة سنة ١٤٠٧هـ، ثم عاد إلى الجزائر سنة ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م، قصد التفرغ لاستكمال أطروحة الدكتوراه، من مؤلفاته: "تقريب الوصول إلى علم الأصول" لابن جُزَيّ الكلبي دراسة وتحقيق، "الإشارة في معرفة الأصول والوجازة في معنى الدليل" لأبي الوليد الباجي دراسة وتحقيق، "مختارات من نصوص حديثية في فقه المعاملات المالية"، "الفتح المأمول في شرح مبادئ الأصول" شرح لكتاب الشيخ عبد الحميد بن باديس. (ويكيبيديا، الموسوعة الحرة).

(٣) أرشيف ملتقى أهل الحديث (٤٩/٥٤) باختصار.

وبعد هذا الاعتراض والتعقيب على ابن باديس من هذين الشيخين -حفظهما الله- فسوف أنقل جوابا وردّا مؤصلا نفيسا للدكتور محمد حاج عيسى[١] -حفظه الله- بيانا منه للحق وردّا للأمور إلى نصابها، ودفاعا منه عن ابن باديس.

قال -حفظه الله- وهو يشرح مقولة ابن باديس: "إن السنة النبوية والقرآن لا يتعارضان، ولهذا يرد خبر الواحد إذا خالف القطعي من القرآن":

(وقوله: "ولهذا يردّ خبر الواحد إذا خالف القطعي من القرآن" رَدّ خبر الواحد إذا عارض النص القطعي من القرآن قاعدة صحيحة لا غبار عليها، ويلزم من يخالف في هذا أن يردّ نص القرآن القطعي ولا قائل بهذا، ولا يقال إنّ ذلك لا يلزم بإمكان الجمع بينهما، لأنّا نقول لا تعارض ولا ترجيح في حال إمكان الجمع. ويدلنا على هذا الترجيح الذي هو من قطعيات علم الأصول ترتيب الأدلة بحسب القطعية والظنية.

قال الشافعي-رحمه الله: (نحكم بالكتاب والسنة المجتمع عليها التي لا اختلاف فيها، فنقول لهذا حكمنا بالحق في الظاهر والباطن. ونحكم بالسنة قد رويت من طريق الانفراد لا يجتمع الناس عليها، فنقول حكمنا بالحق في الظاهر لأنه قد يمكن الغلط فيمن روى الحديث)[٢].

ولا تعارض بين القطعي والظني فيقدم القرآن والسنة المتواترة على خبر الواحد الذي ظاهره الصحة، ولا خلاف في هذا... وقد نص أكثر الأصوليين على تقديم الإجماع القطعي على خبر الواحد الظني أيضا.

قال الشافعي -رحمه الله: (والإجماع أكبر من الخبر المنفرد)[٣].

ولما تحدث الأصوليون عن تعارض خبر الواحد مع عمل أهل المدينة، قال كثير منهم -وهو الصحيح- إذا كان العمل متصلا فيقدم على خبر الواحد لأنه نقل متواتر، ويكون

---

(١) هو أستاذ بجامعة الجزائر، وداعية معروف، متخرج من كلية العلوم الإسلامية، تولى الخطابة ببعض مساجد العاصمة بالجزائر، له كتب منها: "عقيدة ابن باديس السلفية وبيان مخالفته للعقيدة الأشعرية"، =و"أصول الدعوة السلفية عند ابن باديس"، و"إعلام الراغب بحكم درس الجمعة الراتب"، وغيرها من كتب ورسائل. ينظر التعريف به في: أرشيف ملتقى أهل الحديث.

(٢) الرسالة (ص٥٩٨).

(٣) آداب الشافعي ومناقبه لابن أبي حاتم (ص٢٣٢).

الخبر المرجوح في هذه الأحوال، إما منسوخا وإما غلطا، لكن لم يظهر عند من يرده دليل النسخ أو وجه القدح في إسناده، ومما هو معلوم أن المحدثين يعتبرون مخالفة القرآن والسنة المتواترة وغيرها من الأخبار المتفق على صحتها في نقد الروايات والكلام في الرواة، بل هم يعتبرون إجماع الصحابة والعمل في نقدها، وهذا أمر لا غبار عليه.

قال ابن رجب[١] –رحمه الله: (ومن جملة الغرائب المنكرة: ما هو شاذ المتن كالأحاديث التي صحت الأحاديث بخلافها أو أجمعت أئمة العلماء على القول بغيرها)[٢].

ومن الأمثلة على ذلك ردّ البخاري وابن المديني[٣] لحديث: ((خلق الله التربة يوم السبت...))، الحديث[٤] الذي فيه بيان الخلق في سبعة أيام، لمعارضته للقرآن الذي ينص

---

(١) هو عبد الرحمن بن أحمد بن حسن بن رجب البغدادي ثم الدمشقي، الشيخ زين الدين المعروف بابن رجب الحنبلي المحدث الحافظ، مات في شهر رجب سنة ٧٩٥هـ، ويقال أنه جاء إلى شخص حفار فقال له احفر لي هنا لحدا وأشار إلى بقعة قال الحفار فحفرت له فنزل فيه فأعجبه واضطجع، وقال هذا جيد، فمات بعد أيام فدفن فيه، من كتبه "شرح جامع الترمذي"، و"جامع العلوم والحكم" في الحديث، وهو المعروف بشرح الأربعين، و"الاستخراج لأحكام الخراج"، و"القواعد الفقهية"، و"لطائف المعارف"، و"فتح الباري شرح صحيح البخاري" لم يتمه، وغيرها كثير. ينظر ترجمته في: ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد لأبي الطيب المكي الحسني الفاسي (٧٢/٢)، والدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني، والبدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع للشوكاني (٣٢٨/١).

(٢) شرح علل الترمذي لابن رجب الحنبلي(ص٢٣٦).

(٣) هو علي بن عبد الله بن جعفر بن نجيح بن المديني، الشيخ الإمام الحجة، أمير المؤمنين في الحديث، الإمام المبرز في هذا الشأن، صاحب التصانيف الواسعة والمعرفة الباهرة، روى عنه البخاري وأبو داود وأحمد بن حنبل وأبو حاتم الرازي وطائفة، قال أبو حاتم: كان ابن المديني علما في الناس في معرفة الحديث والعلل، وعن ابن مهدي قال: علي بن المديني أعلم الناس بحديث رسول الله ﷺ، وقال النسائي: كأن الله خلق علي بن المديني لهذا الشأن، من أقواله: التفقه في معاني الحديث نصف العلم، ومعرفة الرجال نصف العلم، توفي سنة ٢٣٤هـ. ينظر ترجمته في: تاريخ بغداد (٤٢١/١٣)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال للحافظ المزي (٢١/٥)، سير أعلام النبلاء (٤١/١١).

(٤) مسند الإمام أحمد (٨٢/١٤ رقم ٨٣٤١)، ومسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب ابتداء الخلق وخلق آدم عليه السلام (٢١٤٩/٤ رقم ٢٧٨٩)، وتمامه عن أبي هريرة، قال: أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فقال: ((خلق الله عز وجل التربة يوم السبت، وخلق فيها الجبال يوم الأحد، وخلق الشجر يوم الاثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبث فيها الدواب يوم الخميس، وخلق آدم عليه السلام بعد العصر من يوم الجمعة، في آخر الخلق، في آخر ساعة من ساعات الجمعة، فيما بين العصر إلى الليل))، والنسائي في السنن الكبرى، كتاب التفسير قوله تعالى: {إن في خلق السموات والأرض} [البقرة: ١٦٤] (٢٠/١٠ رقم ١٠٩٤٣)، والبيهقي في الأسماء والصفات، باب بدء الخلق قال الله عز وجل: {وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده} [الروم: ٢٧] (٢٣٣/٢ رقم ٧٩٨) وغيرهم. =قال ابن تيمية: (هذا الحديث طعن فيه من هو أعلمُ من مسلم مثلُ يحيى بن معين ومثل البخاري وغيرهما، وذكر البخاري أن هذا من كلام كعب الأحبار، وطائفة اعتبرت صحته مثل أبي بكر ابن الأنباري، وأبي الفرج ابن الجوزي

على أن الخلق كان في ستة أيام.

وأما المسألة المترجمة في كتب الأصول بحجية خبر الواحد في القطعيات، فهي مسألة أخرى غير مسألة معارضته للقرآن، ومقصود أصحاب هذه الترجمة البحث في حجية خبر الواحد في العقائد لأنهم جعلوا العقائد قطعية ومسائل الفقه ظنية، ومذهب أهل السنة قاطبة حجيتها خلافا للمعتزلة ومن وافقهم، وكلام ابن باديس لا علاقة له بمسألة مجال الاحتجاج بخبر الواحد، وإنما في تقرير تقديم القرآن القطعي على الخبر الظني، وثمة فرق شاسع بين من يقدم عقله على الخبر ومن يقدم كلام رب العالمين المفيد لليقين على خبر يحتمل الصواب والخطأ)[1]. انتهى كلام الدكتور محمد حاج عيسى.

وما ردّ به الدكتور محمد حاج عيسى – حفظه الله – وجيه ومصيب، والناظر في استنباط ابن باديس وكلام الذين ردّوا عليه، يلاحظ صحة ووجاهة هذا الردّ.

وغيرهما، والبيهقي وغيره وافقوا الذين ضعفوه، وهذا هو الصواب، لأنه قد ثبت بالتواتر أن الله خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام، وثبت أن آخر الخلق كان يوم الجمعة، فلزِم أن يكون أول الخلق يوم الأحد وهكذا عند أهل الكتاب، وعلى ذلك تدل أسماء الأيام، وهذا المنقول الثابت في أحاديث وآثار أُخَر، ولو كان أول الخلق يوم السبت وآخره يوم الجمعة لكان قد خلق في الأيام السبعة، وهو خلاف ما أخبر به القرآن، مع أن حذاق علم الحديث يثبتون علة هذا الحديث من غير هذه الجهة). الفتاوى (١/٢٥٦)، و(١٧/٢٣٦). وقال المناوي: (قال بعضهم: هذا الحديث في متنه غرابة شديدة، فمن ذلك: أنه ليس فيه ذكر خلق السماوات، وفيه ذكر خلق الأرض وما فيها في سبعة أيام، وهذا خلاف القرآن، لأن الأربعة خلقت في أربعة أيام، ثم خلقت السماوات في يومين). فيض القدير (٣/٤٤٨).

(١) أرشيف ملتقى أهل الحديث (١٤٤/١٨٠) باختصار.

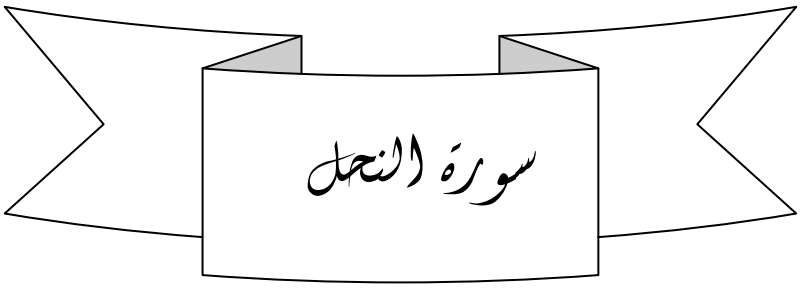
سورة النحل

❖ **الاستنباط الرابع:**

● **دعوة النبي ﷺ عامة لجميع الناس، برهم وفاجرهم، مؤمنهم وكافرهم.**

قال تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ ﴾ (النحل: ١٢٥).

قال ابن باديس -رحمه الله: (وحذف معمول ﴿ ٱدۡعُ ﴾ لإفادة العموم - إلى هذه السبيل، فقال تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ ﴾)[1].

◆ **الدراسة:**

استنبط ابن باديس من قوله تعالى: ﴿ ٱدۡعُ ﴾، عموم دعوة النبي ﷺ.

وطريقة دلالة هذا الاستنباط، هو الدلالة البلاغية، المتمثلة في حذف مفعول فعل الأمر ﴿ ٱدۡعُ ﴾، فأفاد هذا الحذف للمفعول دعوة عموم الناس، مؤمنهم وكافرهم عربهم وعجمهم، أشرافهم ووضعائهم، عبيدهم وأسيادهم، المخالفين والمناوئين، الموافقين والمسالمين.

ووجه دلالة الآية على هذا الاستنباط، هو أنه لو ذكر هذا المفعول المحذوف، الذي أمر الله عز وجل نبيه بدعوته، لاقتصر عليه البيان في الدعوة، فانحصر واتجه إذا نحو مدعوّين معينين، ومع هذا الحذف فالدعوة إذا تتجه لكل ما يصلح للمقام، وهذا من لطائف وأسرار وأغراض حذف المفعول في هذا الموضع.

وما استنبطه ابن باديس رحمه الله من دلالة هذا الحذف هنا معنى صحيح، دلت عليه أغراض حذف المفعول التي يذكرها علماء البلاغة في كتبهم، كما أشرنا إلى ذلك في دلالة حذف المفعول به، من مطلب الدلالات البلاغية من الفصل الرابع[2].

وقد دلّت نصوص من الشرع على هذا الاستنباط.

قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ (٢٨: سبأ).

---

(١) مجالس التذكير (١/١١١).

(٢) انظر (ص١١٩).

وقال ﷺ: ((وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة) [١].

وقد أشار إلى هذا الاستنباط في الآية أبو السعود، مع إعطائه معنى ثان لهذا الحذف.

قال-رحمه الله: (﴿ ٱدۡعُ ﴾ أي من بعثت إليهم من الأمة قاطبة، فحذف المفعول للتعميم، أو افعل الدعوة، كما في قولهم: "يعطي ويمنع" أي يفعل الإعطاء والمنع، فحذفه للقصد إلى إيجاد نفس الفعل، إشعارا بأن عموم الدعوة غني عن البيان، وإنما المقصود الأمر بإيجادها على وجه مخصوص)[٢].

وقول أبي السعود: (فحذف المفعول للتعميم)، فهذا المعنى والغرض قد توافق فيه مع استنباط ابن باديس.

وأما قوله: (فحذفه للقصد إلى إيجاد نفس الفعل... الخ)، فهذا كذلك غرض من أغراض حذف المفعول به التي ذكرها علماء البلاغة، فيكون الفعل المتعدي منزّلا منزلة الفعل اللازم الذي ليس له مفعول به أصلاً.

وكذا قال ابن عاشور (وحذف مفعول ﴿ ٱدۡعُ ﴾ لقصد التعميم، أو لأن الفعل نزل منزلة اللازم، لأن المقصود الدوام على الدعوة لا بيان المدعوين، لأن ذلك أمر معلوم من حال الدعوة...)[٣].

فما الغرض والقصد إذا من حذف المفعول به في هذه الآية؟ هل الأول أم الثاني؟ أم هما معا على أساس أن النكات البلاغية لا تتزاحم؟

أقول :كلٌّ مرادٌ ومقصودٌ، ولكل غرض له ما يدل عليه من القرآن، فالتعميم معلوم أن النبي ﷺ أرسل للناس كافة لقوله تعالى:﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا

(١) البخاري في كتاب التيمم (٧٤/١ رقم ٣٣٥)، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة (٣٧٠/١ رقم٥٢١)، وتمامه عند مسلم عن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي، كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى كل أحمر وأسود، وأحلت لي الغنائم، ولم تحل لأحد قبلي، وجعلت لي الأرض طيبة طهورا ومسجدا، فأيما رجل أدركته الصلاة صلى حيث كان، ونصرت بالرعب بين يدي مسيرة شهر، وأعطيت الشفاعة)).

(١) تفسير أبي السعود: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (١٥١/٥).

(٢) تفسير أبي السعود: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (١٥١/٥).

(٣) التحرير والتنوير (٣٢٧/١٤).

﴿وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾ سبأ: ٢٨، وتنزيل المفعول المتعدي منزلة اللازم لقصد الدوام على الدعوة، لا بيان المدعوين، له ما يشهد له من القرائن الخارجية من سبب نزول والسياق الداخلي، وهو أمره ﷺ بإيجاد الدعوة على وجه مخصوص، كما قال أبو السعود وهو الدعوة إلى سبيله سبحانه وتعالى بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن في جميع دعوته وإيقاعها على هذا الأسلوب.

وبعض العلماء رجّح الأول على الثاني، بعد ذكره للمعنيين.

قال: (وحذف المفعول للتعميم، لكونه بُعث إلى الناس كافة، أو المعنى افعل الدعاء، والأول أولى، وكأن المعنى وخاطب الناس في دعائك لهم)[1].

والمعنى الثاني الذي ذكره العلماء لهذا الحذف تحتمله الآية، وهو من بلاغة القرآن في توسّعه في البيان، فتكون هذه الاحتمالات في الآية الواحدة كالآيات المتعدّدات، كما هو الشأن في القراءات.

واستنباط ابن باديس متجه إلى الاحتمال الأول، الذي هو تعميم دعوة النبي ﷺ لكل من يصلح أن تقع عليه الدعوة، ولا يتنافى استنباطه مع الاحتمال الثاني، إذ هما معنيان غير متناقضين. والله تعالى أعلم.

(١) الشوكاني في فتح القدير (٢٤٢/٣)، وصديق حسن خان في فتح البيان (٣٣٩/٧).

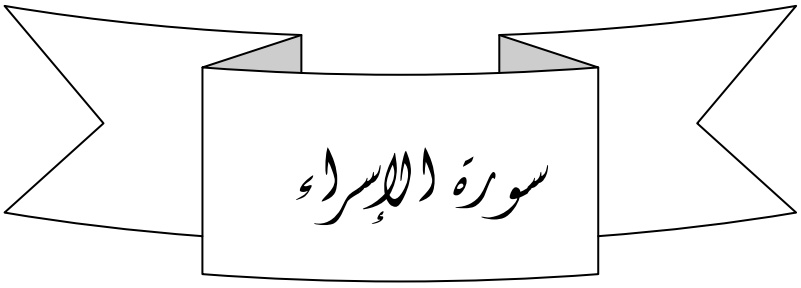
سورة الإسراء

❖ **الاستنباط الخامس:**

• **القمر جرم مظلم يأتيه نوره من الشمس.**

﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴾ (الإسراء: ١٢).

قال ابن باديس-رحمه الله: (﴿ فَمَحَوْنَآ ﴾ المحو هو الإزالة: إزالة الكتابة من اللوح، وإزالة الآثار من الديار. فمحو "آيَةَ اللَّيْلِ" إزالة الضوء منها، وهذا يقتضي أنه كان فيها ضوء ثم أزيل، فتفيد الآية أن القمر كان مضيئاً، ثم أزيل ضوءه فصار مظلماً.

وقد تقرر في علم الهيئة أن القمر جرم مظلم يأتيه نوره من الشمس، واتفق علماء الفلك في العصر الحديث بعد الاكتشافات والبحوث العلمية أن جرم القمر -كالأرض- كان منذ أحقاب طويلة وملايين السنين شديد الحمو والحرارة ثم برد، فكانت إضاءته في أزمان حموه وزالت لما برد.

لنقف خاشعين متذكرين أمام معجزة القرآن العلمية: ذلك الكتاب الذي جعله الله حجة لنبيه ﷺ، وبرهاناً لدينه على البشر مهما ترقوا في العلم، وتقدموا في العرفان!!

فإن ظلام جرم القمر لم يكن معروفاً أيام نزول الآية عند الأمم إلاّ أفرادا قليلين من علماء الفلك، وإن حمو جرمه أولا، وزواله بالبرودة ثانيا، ما عرف إلاّ في هذا العهد الأخير.

والذي تلا هذه الآية وأعلن هذه الحقائق العلمية منذ نحو أربعة عشر قرناً نبيّ أميّ، من أمة أميّة، كانت في ذلك العهد أبعدَ الأمم عن العلم، فلم يكن ليُعلم هذا إلاّ بوحي من الله الذي خلق الخلائق وعَلِم حقائقها!!)[1].

(١) مجالس التذكير (١/١٥٦).

◆ **الدراسة:**

استنبط ابن باديس رحمه الله من قوله تعالى: ﴿ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً ﴾ إعجازا علميا يتعلق بالقمر، وأنّه كان مضيئا عند خلقه ثمّ طمس نوره، فأصبح جرما مظلما لا ضوء فيه، وإنما يأتيه نوره الذي نشاهده فيه، من انعكاس أشعة الشمس عليه.

وطريق هذا الاستنباط، هو الدلالة اللغوية للفظة ﴿ فَمَحَوْنَآ ﴾ التي استعملها القرآن، والتي معناها الإزالة، أي إزالة ضوء القمر، و كذلك ما تقرر في علم الهيئة من معطيات في هذا الأمر.

وقد اختلف أهل التفسير في معنى قوله تعالى: ﴿ فَمَحَوْنَآ ﴾ على قولين.

قال ابن الجوزي[١]: (﴿ فَمَحَوْنَآ ﴾ فيه قولان: أحدهما أن آية الليل القمر، ومحوها ما في بعض القمر من الاسوداد، وإلى هذا المعنى ذهب علي، وابن عباس رضي الله عنهما في آخرين، والثاني آية الليل محيت بالظلمة التي جعلت ملازمةً لليل فنسب المحو إلى الظلمة إذ كانت تمحو الأنوار وتبطلُها)[٢].

وعلى القول الأول بنى ابن باديس استنباطه، وهو أن المحو واقع على نفس جرم القمر، وهو القول الصحيح إن شاء الله، وبه قال كثير من المفسرين[٣]، ويشهد لهم علم الهيئة الحديث، بل هذه آية كونية فلا يفسرها في مجالها العلمي حقيقة التفسير إلا العلوم

---

(١) هو أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد البغدادي، الفقيه الحنبلي الواعظ، الملقب جمال الدين الحافظ، كان علاّمة عصره وإمام وقته في الحديث وصناعة الوعظ، صاحب التصانيف المشهورة، من تصانيفه: "كتاب المغني في علم القرآن"، "كتاب زاد المسير في علم التفسير"، "كتاب نزهة النواظر في الوجوه والنظائر"، "كتاب عيون علوم القرآن" هو: كتاب فنون الأفنان، "كتاب كشف مشكل الصحيحين"، "كتاب الموضوعات" وغيرها كثير. ينظر ترجمته في: وفيات الأعيان (١٤٠/٣)، تاريخ الإسلام (١١٠٠/١٢).

(٢) زاد المسير (٣١/٣).

(٣) انظر: تفسير عبد الرزاق (٢٤١/٣)، تفسير البغوي (١٣٢/٣)، تفسير البيضاوي (٢٥٠/٣)، تفسير القرطبي (٢٢٧/١٠)، تفسير الشوكاني (٢٥٣/٣).

الكونية، فكلما تقدمت الكشوفات العلمية اتضح في القرآن وفُسّر ما كان غيباً مستورا يوم نزول القرآن، وبما أنّ القرآن هداية للعالمين، فمن أسباب هذه الهداية ووسائلها، الانكشاف للناس ما تضمنه لآيات كتاب الله الكونية، من حقائق ودلائل علمية، فيتعمق إيمان العبد، ويطمئن قلبه إلى ربه، ولا ينبهر أمام هذا الكشف العلمي ويحتقر دينه وكتاب ربه، بل يزيد إيمانه وتعلقه بدينه، لمّا يرى أن هذا المكتشَف ذكرته الآية أو الآيات التي يقرأها صباح مساء، فيتربَّ في نفسه أنّ هذه الحقائق العلمية الكونية كشْفٌ فقط ،ليس إلاّ، بل الله ربُّه الذي يعبده هو الذي خلق ودبّر ، بل يزداد إيمانا ويقينا وهو يسمع ويرى، أن العلم الحديث لم يُخطِّئ- يوما مّا- آيةً في القرآن ، وقد خطَّأ كثيرا من النظريات التي قيلت في الزمان الماضي، تخمينا وليس عن علم وتجربة وحقيقة علمية كشفية، مما يدل على أن القرآن كلام الله، وأن هذا الكون خلق الله، فلا تعارض لخلقه مع كلماته. فسبحان من خلق فهدى ، وعلّم الإنسان ما لم يعلم ، وأراه آياته في الآفاق وفي نفسه حتى يتبيّن له أنّ الله خالقَه هو الحقُّ وهو القادر ، وأنه سبحانه على كل شيئ شهيد.

وموضوع استنباطنا وآيته من هذا النوع، فلم يكن في وسع أحد أيام نزول القرآن ولا بقرون بعده، قبل تمكين الله عباده بهذا العلم ووسائله، أن يفسر هذه الآية تفسيرا علميا لمحو ضوء القمر، ولا معرفة وتفسير كيف كان قبل محو ضوءه، إلا إذا جاء الخبر به عن المعصوم.

وقد جاء في تفسير الآية ما يوافق هذه الحقيقة العلمية، وهي كون القمر جرم مظلم لا ضوء له، وأنه كان قبل ملايين السنين، ذا ضوء وحرارة مثل الشمس، ثم أذهب الله نوره وطمسه، فأصبح جرم لا ضوء له، ونوره الذي نراه اكتسبه من انعكاس ضوء الشمس عليه، وهذا هو المحو المذكور في الآية ﴿ فَمَحَوْنَآ ﴾.

فبهذا نطقت الآية، وبهذا حدّث علم الهيئة الحديث، فكانت هذه الظاهرة الكونية، إذاً من معجزات القرآن العلمية.

ومما جاء صريحا مما يوافق هذه الحقيقة العلمية – والتي هي موضوع استنباط ابن

باديس- عن بعض قدامى المفسرين، قول مقاتل بن سليمان[١] ﴿ ءَايَتَيۡنِ ﴾ يعني علامتين مضيئتين فكان ضوء القمر مثل ضوء الشمس، فلم يعرف الليل من النهار، يقول الله تعالى: ﴿ فَمَحَوۡنَآ ﴾ يعني علامة القمر، فالمحو السواد الذي في وسط القمر، فمحي من القمر تسعة وستين جزءا فهو جزء واحد من سبعين جزءا من الشمس فعرف الليل من النهار، ﴿ ءَايَةَ ﴾ يعني علامة ﴿ ٱلنَّهَارِ ﴾ وهي الشمس، ﴿ مُبۡصِرَةً ﴾ يعني أقررنا ضوءها فيها)[٢].

وروى الطبري[٣] عن ابن عباس أنه قال في الآية: (كان القمر يضيء كما تضيء الشمس، والقمر آية الليل، والشمس آية النهار، فمحونا آية الليل: السواد الذي في القمر)[٤].

ونقل السمرقندي[٥] في تفسيره عن محمد بن كعب القرظي[٦] أنه قال: (كانت شمس بالليل، وشمس بالنهار، فمحيت شمس الليل.

---

(١) هو مقاتل بن سليمان البلخي أبو الحسن، كبير المفسرين، قال ابن المبارك – وأحسن –: ما أحسن تفسيره لو كان ثقة اهـ، مات سنة نيف وخمسين ومائة، قال البخاري: مقاتل لا شيء ألبتة اهـ، قلت: أجمعوا على تركه. سير أعلام النبلاء (٢٠١/٧). ينظر ترجمته في: تاريخ بغداد (٢٠٧/١٥)، تاريخ دمشق (١٠٩/٦٠).

(٢) تفسير مقاتل (٥٢٤/٢).

(٣) هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري،الإمام، العلم، المجتهد، عالم العصر، أبو جعفر الطبري، صاحب التصانيف البديعة، طوَّفَ الأقاليم، ولقي نبلاء الرجال، كان أحد الأئمة الذين يُحكم بقولهم ويُرجع إلى رأيهم لمعرفته وفضله، اختار من أقاويل الفقهاء وتفرد بمسائل حُفظت عنه، كان إماما في فنون كثيرة، وكان من الأئمة المجتهدين، لم يقلد أحدا، وكان ثقة في نقله، وتاريخه أصح التواريخ وأثبتها، توفي سنة ٣١٠هـ، من تصانيفه: "أخبار الرسل والملوك" يعرف بتاريخ الطبري، و"جامع البيان في تفسير القرآن" يعرف بتفسير الطبري، و"اختلاف الفقهاء"، و"المسترشد في علوم الدين"، و"جزء في الاعتقاد"، و"القراءات" وغير ذلك. ينظر ترجمته في: تاريخ دمشق (١٨٨/٥٢)، ووفيات الأعيان(١٩١/٤)، وسير أعلام النبلاء (٢٦٧/١٤).

(٤) تفسير الطبري (٣٩٥/٧).

(٥) هو أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي، الإمام، الفقيه، المحدث، الزاهد، من أئمة الحنفية ومن الزهاد المتصوفين، له تصانيف نفيسة، منها "تفسير القرآن"، وله "عمدة العقائد"، و"بستان العارفين" تصوف سماه: "البستان" و"خزانة الفقه" رسالة، و"تنبيه الغافلين" وغير ذلك، مات سنة ٣٧٥هـ). سير أعلام النبلاء (٣٢٢/١٦). ينظر ترجمته في: تاريخ بغداد (٣١٠/١)، الأعلام للزركلي (٢٧/٨).

(٦) هو محمد بن كعب بن حيان بن سليم القرظي، أبو حمزة، ويقال: أبو عبد الله، توفي سنة ١٠١هـ أو ١١٠هـ، وهو تابعي مدني. تاريخ دمشق لابن عساكر (١٣٠/٥٥)، وسير أعلام النبلاء (٦٥/٥).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: كان في الزمان الأول لا يعرف الليل من النهار، فبعث الله جبريل، فمسح جناحه بالقمر، فذهب ضوءه وبقي علامة جناحه، وهو السواد الذي في القمر)[١].

وقال السمعاني[٢]: (وقال قتادة[٣] وجماعة من المفسرين، وهو محكي أيضا عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قالوا: (إن الله تعالى خلق الشمس والقمر مضيئين نيرين كل واحد منهما مثل الآخر في الضياء، فلم يكن يعرف الليل من النهار، والنهار من الليل، فأمر جبريل حتى مسح بجناحه وجه القمر)[٤].

وقد أشار ابنُ عاشور إلى طرف من هذا الاستنباط.

قال رحمه الله: (ويكون معنى المحو أن القمر مطموس لا نور في جرمه ولكنه يكتسب الإنارة بانعكاس شعاع الشمس على كرته، ومعنى كون ﴿ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبۡصِرَةً﴾ أن الشمس جعل ضوئها سبب إبصار الناس الأشياء، فـ ﴿مُبۡصِرَةً﴾ اسم فاعل (أبصر) المتعدي، أي: جعل غيره باصرا، وهذا أدق معنى وأعمق في إعجاز القرآن بلاغة وعلما فإن هذه

---

(١) تفسير السمرقندي (٣٠٣/٢). ينظر: تفسير ابن أبي حاتم (٢٣٢٠/٧، رقم ١٣٢٠٢)، الدر المنثور (٢٤٧/٥).

(٢) هو منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد، الإمام أبو المظفر السمعاني التميمي المروزي الحنفي ثم الشافعي، تفقه على والده حتى برع في مذهب أبي حنيفة رحمه الله، وصار من فحول النظر، ومكث كذلك ثلاثين سنة ثم صار إلى مذهب الشافعي، مات سنة ٤٨٩هـ رحمه الله، من كتبه: "القواطع في أصول الفقه"، وكتاب "الانتصار في الرد على المخالفين"، وكتاب "المنهاج لأهل السنة" وغيرها. طبقات الشافعيين (٤٨٩/١). ينظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (١١٤/١٩).

(٣) هو قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز السدوسي، وقيل: قتادة بن دعامة بن عكابة، حافظ العصر، قدوة المفسرين والمحدثين، أبو الخطاب البصري الضرير الأكمه، وكان مع علمه بالحديث رأسا في العربية، ومفردات اللغة، وأيام العرب والنسب، وقد يدلّس في الحديث، من الطبقة الرابعة "طبقة تلى الوسطى من التابعين"، روى له "البخاري - مسلم - أبو داود - الترمذي - النسائي - ابن ماجه"، رتبته عند ابن حجر: ثقة ثبت، توفي سنة مائة وبضع عشرة للهجرة بواسط. ينظر ترجمته في: الطبقات الكبرى لابن سعد (٢٢٩/٧)، وسير أعلام النبلاء (٢٦٩/٥)، ورواة التهذيبين (رقم٥٥١٨).

(٤) تفسير السمعاني (٢٢٤/٣). ينظر كذلك: الدر المنثور للسيوطي (٢٤٧/٥).

حقيقة من علم الهيئة، وما أعيد لفظ (آية) إلا لأجلها)[١].

وقال في موضع آخر عند تفسير قوله تعالى ﴿ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴾ (الشمس: ٢): (وفي الآية إشارة إلى أن نور القمر مستفاد من نور الشمس، أي من توجه أشعة الشمس إلى ما يقابل الأرض من القمر، وليس نيرا بذاته، وهذا إعجاز علمي من إعجاز القرآن)[٢].

وهنا سؤال قد يرد على هذا الاستنباط:

وهو أنه إذا كانت هذه الحقيقة معلومة عند السلف من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم كما جاء النقل عنهم، فكيف تُعدُّ من الإعجاز العلمي إذًا؟

والجواب، أنه لا يشترط في الإعجاز العلمي أن تكون تلك الحقيقة العلمية المكتشفة مجهولة بالمرة لدى الناس قبل اكتشافها، فقد تكون معلومة لديهم ولكن من غير إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية، وهذا القيد جدّ مهم في تعريف وبيان مفهوم الإعجاز العلمي.

وكلام ابن باديس: (فإن ظلام جرم القمر لم يكن معروفا أيام نزول الآية عند الأمم إلا أفرادا قليلين من علماء الفلك، وإن حمو جرمه أولا، وزواله بالبرودة ثانيا، ما عرف إلا في هذا العهد الأخير)، منزَّل على هذا المفهوم، بدليل قوله: (إلا أفرادا قليلين من علماء الفلك)، وإلا فليس يجهل ابن باديس ما نقل عن السلف في أن القمر كان مضيئا أوّلَ ما خلق ثم طمس ضوءه.

وهم قد عرفوا ذلك بمقتضى مدلول ﴿ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ ﴾ لغة، أو بسماع من النبي ﷺ أو من أخبار بني إسرائيل، ولم تكن وسائل الكشف البشرية آنذاك تمكنهم من ذلك.

وقد أخرج البيهقي في دلائل النبوة أن عبد الله بن سلام رضي الله عنه سأل رسول الله ﷺ عن السواد الذي في القمر فقال: ((كانا شمسين، فقال: قال الله: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ ﴾ فالسواد الذي رأيت من المحو))[٣].

---

(١) التحرير والتنوير (١٥/٤٤).

(٢) المرجع السابق(٣٠/٣٦٧).

(٣) دلائل النبوة (٦/٢٦٢)، لم أعثر على من حكم على هذا الحديث.

وذكرَه الحافظ ابن كثير[١] في كتاب "دلائل النبوة" ضمن كتابه الشهير "البداية والنهاية".

قال رحمه الله: (باب المسائل التي سئل عنها رسول الله ﷺ فأجاب عنها بما يطابق الحق الموافق لها في الكتب الموروثة عن الأنبياء)[٢]، ثم ذكر حديث البيهقي هذا.

قلت: ورواية البيهقي وابن كثير لهذا الحديث في دلائل النبوة، دليل على أن هذا من الإعجاز العلمي، ودليل لاستنباط ابن باديس. والله تعالى أعلم.

❖ الاستنباط السادس:

- **الأسباب الكونية التي وضعها الله العليم الخبير لنظام هذه الحياة، موصلة لمسبباتها بإذن الله وتقديره الكوني، وهي متاحة لجميع الخلق.**

قال تعالى: ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴾ (الإسراء: ١٨- ١٩).

قال ابن باديس رحمه الله: (وقد أفادت هذه الآيات كلها، أن الأسباب الكونية التي وضعها الله تعالى في هذه الحياة وسائل لمسبباتها، موصلة – بإذن الله تعالى– من تمسك بها إلى ما جعلت وسيلة إليه، بمقتضى أمر الله وتقديره وسنته في نظام هذه الحياة والكون، ولو كان ذلك المتمسك بها لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر ولا يصدق المرسلين.

ومن مقتضى هذا: أن من أهمل تلك الأسباب الكونية التقديرية الإلهية، ولم يأخذ بها لم ينل مسبباتها ولو كان من المؤمنين)[٣].

---

(١) هو إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، الإمام الحافظ المفسّر المؤرّخ الكبير، كان كثير الاستحضار قليل النسيان جيد الفهم، تزوج ابنة المزي فلازمه وأكثر عنه، وتخرّج بابن تيمية، توفي سنة ٧٧٤هـ، من كتبه: له "البداية والنهاية" انتهى فيه إلى حوداث سنة ٧٦٧هـ، و"شرح صحيح البخاري" لم يكمله، و"طبقات الفقهاء الشافعيين"، و"تفسير القرآن الكريم"، و"جامع المسانيد" وغيرها. ينظر ترجمته في: ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد (٤٧١/١) لتقي الدين الفاسي (المتوفى: ٨٣٢هـ)، وشذرات الذهب (٦٧/١).

(٢) البداية والنهاية (١٩٢/٦).

(٣) مجالس التذكير (١٦٢/١).

وقال في موطن آخر، عند تفسير قوله تعالى: ﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾ (الإسراء: ٢٠).

(وقد أفادت الآية -حسبما تقدم- أن أسباب الحياة والعمران والتقدم فيهما مبذولة للخلق على السواء، وأن من تمسك بسبب بلغ -بإذن الله- إلى مسببه، سواء أكان برا أو فاجرا، مؤمنا أو كافرا... فهذه الآية من أنجع الدواء لفتنة المسلم المتأخر بغيره المتقدم، لما فيها من بيان أن ذلك المسلم ما تأخر بسبب إسلامه، وأن غيره تقدم بعدم إسلامه، لأن السبب في التقدم والتأخر هو التمسك أو الترك للأسباب، ولو أن المسلم تمسك بها كما يأمره الإسلام، لكان - مثل سالف أيامه- سيد الأنام) [١].

◆ **الدراسة:**

استنبط الشيخ ابن باديس من هذه الآية، سنّةً من سنن الله الكونية التي أوجدها الله عزّ وجل في هذا العالم وقدّر نتائجها بمقتضى إرادته وتقديره الكوني، وهي ربط الأسباب بالمسببات.

و طريق هذا الاستنباط، هو دلالة الإشارة.

وما استنبطه ابن باديس معنى صحيح، دلت عليه الآيات بإشاراتها، ويدلّ عليه الواقع المشاهد للأمم والمجتمعات قديما وحديثا، وهو يتعلق بسنة كونية من سنن الله في الأمم والجماعات والأفراد في ربط الأسباب بالمسببات بمقتضى إرادة الله وتقديره، أو ما يُسمَّى بقانون السببية، وهو سنة من السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد، سنة لا تتبدل ولا تتغيّر، و(هي القوانين التي يخضع لها البشر في تصرفاتهم وأفعالهم وسلوكهم في الحياة، وما يكونون عليه من أحوال، وما يترتب على ذلك من نتائج كالرفاهية والضيق في العيش، والسعادة والشقاء، والعز والذل، والرقي والتخلف، والقوة والضعف)[٢].

وهذا الذي أفادته الآية الكريمة مشاهد في تاريخ المسلمين قديما وحديثا: فقد تقدموا حتى سادوا العالم، ورفعوا علم المدنية الحقة بالعلوم والصنائع لما أخذوا بأسبابها

---

(١) مجالس التذكير (١/١٧٧).

(٢) السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد، عبد الكريم زيدان (ص ١٢).

كما يأمرهم دينهم، وقد تأخروا حتى كادوا يكونون دون الأمم كلها بإهمال تلك الأسباب فخسروا دنياهم، وخالفوا مرضاة ربهم، وعوقبوا بما هم عليهم اليوم من الذل والانحطاط.

ولن يعود إليهم ما كان لهم إلا إذا عادوا إلى امتثال أمر ربهم في الأخذ بتلك الأسباب(١).

◆ **ثمرة معرفة سنن الله الكونية:**

(والعلم بسنن الله تعالى من أهم العلوم وأنفعها، والقرآن يحيل عليه في مواضع كثيرة، وقد دلنا على مأخذه من أحوال الأمم، إذ أمرنا أن نسير في الأرض لأجل اجتلائها ومعرفة حقيقتها... ومن الثمرات التي نجنيها من التفاعل مع هذا العلم، أننا حين ندرك إدراكاً عميقاً أن كل شيء في هذا الوجود خاضع لسنن لا تتبدل ولا تتحول، ثم نترجم هذا الإدراك إلى نتاج عملي من خلال تعاملنا الواقعي مع سنن الله تعالى في الخلق، فعندئذ نصبح – بعون الله تعالى– قادرين على تسخير الكون من حولنا وفق الطريقة القويمة التي أمرنا الله عز وجل بها، وبهذا نتمكن أن نخرج من أزمة تخلفنا، وهي نتيجة طبيعية لغفلتنا عن العلاقة بين الجهد البشري وسنن الله تعالى في الخلق... والسنن مرتبطة أساساً بالله سبحانه وتعالى، بمعنى أن كل ناموس من نواميس الكون يستهدف ربط الإنسان بالقوانين العلمية والموضوعية للكون، فهو سبحانه الذي خلق الكون وخلق كل شيء فيه، وقدّر العلاقات المختلفة بين عناصره ومفرداته، وجعل السنن على هذه الصورة البديعة المتناسقة، وأوجد أسبابها، وقدّر نتائجها، وجعل العلاقة بين السبب والمسبَّب أو النتيجة قائمة وفق نظام مطرد، قابل للتكرار كلما توافرت شروطه وانتفت موانعه...) (٢).

وهذه بعض السنن الإلهية في الأمم والأفراد والجماعات ذكرها القرآن الكريم:

(**فمنها سنة الله في الأسباب والمسببات،** أو قانون السببية: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ

(١) مجالس التذكير (١/١٧٨).

(٢) مجلة البيان (٢٠٧/٢٥).

﴿ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴾ ﴿ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠ ﴾ (الليل: ٥ – ١٠).

ومنها سنة الله في الفتنة، أو قانون الابتلاء: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ (الكهف: ٧).

ومنها سنة الله في الظلم والظالمين، أو قانون الظلم: ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ ﴾ (يونس: ١٣).

ومنها سنة الله في الطغيان والطغاة، أو قانون الطغاة: ﴿ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝١١ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ۝١٢ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ۝١٤ ﴾ (الفجر: ١١ – ١٤).

ومنها سنة الله في بطر النعمة وتغييرها؛ أو قانون النعم وتغييرها: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ (الأنفال: ٥٣).

ومنها سنة الله في الذنوب والسيئات، أو قانون الذنوب والسيئات: ﴿ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ﴾ (الأنفال: ٥٢).

ومنها سنة الله في الاستدراج، أو قانون الاستدراج: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ۝٤٤ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٤٥ ﴾ (الأنعام: ٤٤ – ٤٥).

ومنها أيضاً: سنة المدافعة، أو قانون التدافع الحضاري: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (البقرة: ٢٥١).

وهو القانون الإلهي، أو السنة الإلهية التي تفرز الأصوب والأبقى والأصلح في كل شيء، سواء كانت أفكاراً أو آراء أو أفراداً أو أمماً، فإذا توقفت تلك العملية التدافعية

الحضارية المختلفة الصور لكان الفساد، وهذا من فضله – سبحانه – من أجل ديمومة واستمرارية العملية الاستخلافية الإعمارية في الأرض.

ومنها سنة المداولة، أو قانون التداول الحضاري: ﴿ **وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ** ﴾ (آل عمران: ١٤٠).

وكذلك سنة الاستبدال، أو قانون الاستبدال: ﴿ **وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم** ﴾ (محمد: ٣٨) [١].

وجملة القول في مسألة سنن الله تعالى في نظام الكون وسنن الاجتماع والعمران: أن ما ثبت منها فهو مقتضى حكمته، وأنه غير مقيد لعموم مشيئته وشمول قدرته، وأن ما ثبت في كتابه أو في خليقته من آياته المخالفة للمعروف من تلك السنن فهو من تصرفه بمشيئته واختياره، لحكمة يعلمها في ذلك وقد يعَلِّمها من شاء من خلقه، كمعجزات رسله عليهم السلام، فإن حكمتها ظاهرة بيَّنها علماء أتباع الرسل أحسن البيان) [٢].

وقد أجمل الإشارة إلى استنباط ابن باديس سيدُ قطب[٣].

قال–رحمه الله: (من هذه الإشارات إلى آيات الله التي أعطاها للرسل ينتقل السياق إلى آيات الله الكونية في هذا الوجود، يربط بها نشاط البشر وأعمالهم، وجهدهم

---

(١) المرجع السابق (١٠/٣١٥).

(٢) مجلة المنار (٣٣/٢٣).

(٣) هو سيد قطب بن إبراهيم (١٣٢٤– ١٣٨٧هـ = ١٩٠٦– ١٩٦٧م)، مفكر إسلامي مصري، تخرج بكلية دار العلوم بالقاهرة سنة (١٣٥٣هـ = ١٩٣٤م)، وعمل في جريدة الأهرام، عين مدرسا للعربية، فموظفا في ديوان وزارة المعارف، ثم مراقبا فنيا للوزراة، وأوفد في بعثة لدراسة برامج التعليم في أميركا (١٩٤٨م — ٥١ ١٩م)، ولما عاد انتقد البرامج المصرية وكان يراها من وضع الانجليز، وطالب ببرامج تتمشى والفكرة الاسلامية، وبنى على هذا استقالته وانضم إلى الإخوان المسلمين، فترأس قسم نشر الدعوة وتولى تحرير جريدتهم (١٩٥٣م — ١٩٥٤م) وسجن معهم، فعكف على تأليف الكتب ونشرها وهو في سجنه، إلى أن صدر الأمر بإعدامه فأعدم، من كتبه: "النقد الادبي أصوله ومناهجه"، و"العدالة الاجتماعية في الإسلام"، و"التصوير الفني في القرآن"، و"مشاهد القيامة في القرآن"، و"في ظلال القرآن". الأعلام للزركلي (٣/ ١٤٨).

وجزاءهم، وكسبهم وحسابهم، فإذا نواميس العمل والجزاء والكسب والحساب مرتبطة أشد ارتباط بالنواميس الكونية الكبرى، محكومة بالنواميس ذاتها، قائمة على قواعد وسنن لا تتخلف، دقيقة منظمة دقة النظام الكوني الذي يصرف الليل والنهار مدبرة بإرادة الخالق الذي جعل الليل والنهار)[١].

وأشار إليه كذلك الشعراوي[٢].

قال –رحمه الله: (والمتأمل في حضارات البشر وارتقاءاتهم في الدنيا يجدها نتيجة لتفاعل الناس مع مقومات الحياة بجوارحهم وطاقاتهم، فتتفاعل معهم مقومات الحياة، ويحدث التقدم والارتقاء.

وقد يرتقي الإنسان ارتقاء آخر، بأن يستفيد من النوع الأول من مقومات الحياة، والذي يعطيه دون أن يتفاعل معه، استفادة جديدة، ومن ذلك ما توصل إليه العلماء من استخدام الطاقة الشمسية استخدامات جديدة لم تكن موجودة من قبل.

إذن: فهذه نواميس في الكون، الذي يحسن استعمالها تعطيه النتيجة المرجوة، وبذلك يثري الإنسان حياته ويرتقي بها، وهذا ما أسميناه سابقا عطاء الربوبية الذي يستوي فيه المؤمن والكافر، والطائع والعاصي... ولابد لنا أن نتنبه إلى أن عطاء الربوبية الذي جعله الله للمؤمن والكافر، قد يغفل عنه المؤمن ويترك مقومات الحياة وأسبابها يستفيد منها الكافر ويتفاعل معها ويرتقي بها، ويتقدم على المؤمن، ويمتلك قوته ورغيف عيشه، بل وجميع متطلبات حياتهم، ثم بالتالي تكون لهم الكلمة العليا والغلبة والقهر، وقد يفتنونك عن دينك بما في أيديهم من أسباب الحياة، وهذا حال لا يليق بالمؤمن، ومذلة لا يقبلها الخالق سبحانه لعباده)[٣].

---

(١) في ظلال القرآن (٤/٢٢١٦).

(٢) هو محمد متولي الشعراوي (١٩١١م – ١٩٩٨م)، عالم وداعية مصري، تقلد مهام دعوية وحكومية كثيرة، اختير عضواً بمجلس الشورى بجمهورية مصر العربية ١٩٨٠م، وعين وزيراً للأوقاف وشئون الأزهر بجمهورية مصر العربية ١٩٧٦م، يعد من أشهر مفسري معاني القرآن الكريم في العصر الحديث، حيث عمل على تفسير القرآن الكريم بطرق مبسطة، له مؤلفات من أشهرها وأعظمها: "تفسير الشعراوي للقرآن الكريم"، و"الإسراء والمعراج"، و"الإسلام والفكر المعاصر" وغيرها. (ويكيبيديا، الموسوعة الحرة).

(٣) تفسير الشعراوي (١٤/٨٤٣٤).

وأشار إليه أبو بكر الجزائري[١]، قال: (يعطي الله تعالى الدنيا من يحب ومن لا يحب، وعطاؤه قائم على سنن له في الحياة يجب معرفتها والعمل بمقتضاها لمن أراد الدنيا والآخرة)[٢].

❖ **الاستنباط السابع:**

● **من لم يرد الآخرة بعمله لم يكن عمله هذا مشكورا عند الله تعالى.**

قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴾ (الإسراء: ١٩).

قال ابن باديس: (أفاد هذا الشرط أن من لم يرد الآخرة لم يكن سعيه مشكوراً)[٣].

◆ **الدراسة:**

وطريق هذا الاستنباط، ودلالته هو مفهوم المخالفة.

أما وجه هذا الاستنباط، هو أنه لما تقرر في الشرع أن الأعمال بالنيات، وأن الله لا يقبل إلا ما كان خالصا لوجهه تعالى، فمتى عمل الإنسان عملا في هذه الدنيا، أخلص فيه لله تعالى، فإن الله يشكره له، ويقبله منه فينال جزاء عمله وثوابه في الآخرة التي أرادها بنيّته وقصده وتوجهه.

---

(١) هو أبو بكر جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر الجزائري، ولد في ولاية بسكرة جنوب بلاد الجزائر عام ١٩٢١م، وفي بلدته نشأ وتلقى علومه الأولية، وبدأ بحفظ القرآن الكريم وبعض المتون في اللغة والفقه المالكي، وجملة من العلوم النقلية والعقلية، ثم ارتحل مع أسرته إلى المدينة النبوية، وفي المسجد النبوي الشريف استأنف طريقه العلمي حيث حصل بعدها على إجازة من رئاسة القضاء بمكة المكرمة للتدريس في المسجد النبوي... عمل مدرساً في بعض مدارس وزارة المعارف، وفي دار الحديث في المدينة المنورة، وأستاذا بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة منذ أن فتحت أبوابها عام ١٣٨٠هـ حتى أحيل إلى التقاعد عام ١٤٠٦هـ، وما يزال يقوم بالوعظ والتدريس في المسجد النبوي الشريف، من كتبه: (أيسر التفاسير)، و (عقيدة المسلم)، و(منهاج المسلم) في الفقه، وغيرها. (ويكيبيديا، الموسوعة الحرة).

(٢) أيسر التفاسير لأبي بكر الجزائري (١٨٦/٣).

(٣) مجالس التذكير (١٦٦/١).

وما استنبطه ابن باديس معنى صحيح، وهو لازم قوي من لفظ الآية، ولا يفهم من كلام ابن باديس هنا أن هذا الشرط كاف وحده في قبول العمل (أي: شرط إرادة الآخرة)، ولكن لا بد من توفر ثلاثة شروط لقبول العمل مذكورة في نفس الآية، ولهذا قال: (إن السعي المشكور لابد له من شروط ثلاثة، وهي التي ذكرتها الآية نفسها.

الشرط الأول: أن يقصد بعمله ثواب الآخرة قصداً مخلصاً، كما يفيده فعل الإرادة في: ﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ ﴾، ولام الأجل في: ﴿ وَسَعَىٰ لَهَا ﴾.

الشرط الثاني: أن يعمل لها عملها المعروف في الشرع اللائق بها الذي لا عمل يفضي إلى نيل ثوابها سواه، وهو طاعة الله تعالى وتقواه، بامتثال أوامره ونواهيه، والوقوف عند حدوده.

الشرط الثالث: أن يكون مؤمناً موقناً بثواب الله تعالى وعظيم جزائه.

فإذا توفرت هذه الشروط الثلاثة لهم ﴿ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴾ متقبلاً مثاباً عليه بحسن الثناء، وجميل الجزاء، على الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، وإذا اختل واحد منها فليس العمل بمتقبل ولا بمثاب عليه، بضرورة انعدام المشروط بانعدام شرطه)[1].

(١) مجالس التذكير (١/١٦٤).

وحكى الخازن[١] عن بعض السلف أنه قال: (من لم يكن معه ثلاث لم ينفعه عمله، إيمان ثابت، ونية صادقة، وعمل مصيب، وتلا هذه الآية قوله عز وجل: ﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْأَخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴾[٢].

وهنا نكتة بديعة ذكرها النيسابوري[٣] في تفسيره للآية.

قال –رحمه الله: (وفي قوله: ﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْأَخِرَةَ ﴾ دون أن يقول: (من أراد العاجلة) كما قال: ﴿ ٱلْأَخِرَةَ ﴾ إشارة إلى أن مريد نفع الدنيا لا يكون مذموماً إلا إذا كان غالباً في ذلك ثابت القدم فسيح الأمل، ومريد الآخرة يكون محموداً بأدنى التفاتة بعد وجود الشرط)[٤].

والمعنى الذي أشار إليه النيسابوري هنا، نُكتَتُه التعبير بـ "كان" التي تفيد الاستمرار والثبوت، واتصاف اسمها بالخبر في غالب الأحوال.

ونكتة أخرى ذكرها ابن عاشور، أوْمَأ إليها التنويع بين فعل الإرادة باستعماله مضارعا لمريد الدنيا، وماضيا لمريد الآخرة.

قال: (والاختلاف بين جملة من كان يريد العاجلة، وجملة ﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْأَخِرَةَ ﴾ بجعل الفعل مضارعاً في الأولى وماضياً في الثانية، للإيماء إلى أن إرادة الناس العاجلة متكررة متجددة، وفيه تنبيه على أن أمور العاجلة منقضية زائلة، وجعل فعل إرادة الآخرة ماضياً، لدلالة المضي على الرسوخ، تنبيهاً على أن خير الآخرة أولى بالإرادة، ولذلك

---

(١) هو علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر بن خليل البغدادي الصوفي علاء الدين ولد ببغداد، وسكن دمشق مدة، وكان خازن الكتب بالسميساطية، مات سنة ٧٠٣هـ، له تصانيف منها: "لباب التأويل في معاني التنزيل" في التفسير يعرف بتفسير الخازن، و"عدة الأفهام في شرح عمدة الأحكام " في فروع الشافعية، و"مقبول المنقول " في الحديث). الدرر الكامنة (١١٦/٤). ينظر ترجمته في: الإعلام للزركلي (٥/٥).

(٢) لباب التأويل في معاني التنزيل (الخازن) (١٢٦/٣).

(٣) هو الحسن بن محمد بن الحسين القمي النيسابوري، نظام الدين، ويقال له الأعرج، مفسر له اشتغال بالحكمة والرياضيات، أصله من بدلة (قم) ومنشأه وسكنه في نيسابور، له كتب منها: "غرائب القرآن ورغائب الفرقان" يعرف بتفسير النيسابوري، ألفه سنة ٨٢٨هـ، و"أقاف القرآن"، و"لبّ التأويل"، و"شرح الشافية" في الصرف، توفي سنة ٨٥٠ هـ). الأعلام للزركلي (٢١٦/٢).

(٤) تفسير النيسابوري (٣٣٥/٤).

جُردت الجملة من "كان"، ومن "المضارع")[١].

❖ **الاستنباط الثامن:**

• **عطاء الله في هذه الدنيا متاح للجميع لا يُمنع منه أحد.**

قال الله تعالى: ﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾ (الإسراء: ٢٠).

قال ابن باديس رحمه الله: (وقدم المفعول، وهو ﴿ كُلًّا ﴾ رداً على من يعتقد أن الله تعالى يمد بعضا دون بعض)[٢].

◆ **الدراسة:**

استنبط الشيخ ابن باديس من هذه الآية ردّا لاعتقاد وتصور خاطئ ومغلوط لدى البعض في ظنهم أنّ رزق الله في هذه الدنيا، متاح للبعض دون البعض، بل هو ممدود متاح للجميع.

وطريق هذا الاستنباط هو الدلالة البلاغية المتمثلة في تقديم ما حقّه التأخير، فإن ﴿ كُلًّا ﴾ في الآية مفعول به، ورتبته التأخير عن الفعل ﴿ نُّمِدُّ ﴾، وقُدِّم هنا للإدلاء بهذا المعنى الذي ذُكِر في الاستنباط.

وما استنبطه ابن باديس هنا، معنى صحيح مبني على تفسير صحيح، وهو أن "العطاء" المذكور في الآية هنا هو الرزق في هذه الدنيا مقسم بين الناس جميعا، برّهم وفاجرهم، مؤمنهم وكافرهم.

وهو قول جمهور المفسرين[٣]، ويؤيده الأغراض البلاغية لتقديم المفعول به على عامله التي يذكرها علماء البلاغة في كتبهم، وله كذلك ما يشهد له من أدلة الشرع.

---

(١) التحرير والتنوير (٦٠/١٥).

(٢) مجالس التذكير (١٧٤/١).

(٣) تفسير الماوردي (٢٣٧/٣)، وكذا قال بهذا التفسير ابن عطية، وأورده احتمالا ثانيا (٤٤٦/٣)، وأبو حيان (٢٩/٧) وغيرهم.

قال الضحاك[١] -رحمه الله- في الآية ﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ﴾: (أي أن الله قسم الدُّنْيَا بين البر والفاجر، والآخرة خصوصًا عند ربك للمتقين، وعن قتادة –رحمه الله– قال: (إن الله عز وجل قسم الدنيا بين البر والفاجر، والآخرة خصوصا عند ربك للمتقين، وعن الحسن[٢] –رحمه الله– قال: (كلا نرزق في الدنيا البر والفاجر، وعن السدي[٣] -رحمه الله- قال: (نمد الكفار والمؤمنين من عطاء ربك بقول أو يقول من الرزق)[٤].

ومن الأدلة على هذا الاستنباط قوله تعالى: ﴿ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ (الأعراف: ٣٢).

والشاهد فيها ﴿ خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾، ووجه ذلك، فإنه لمّا قال: (خالصة للمؤمنين) يفهم منه أن الدنيا ليست خالصة للمؤمنين في العطاء من الرزق وأمور الدنيا الأخرى، بل يشاركهم فيها الكفار، بخلاف الآخرة فهي خالصة لهم.

---

(١) هو الضحاك بن مزاحم الهلالي صاحب (التفسير)، من صغار التابعين، كان من أوعية العلم، وليس بالجود لحديثه، وهو صدوق في نفسه، كان فقيه مكتب كبير إلى الغاية فيه ثلاثة آلاف صبي، فكان يركب حمارا ويدور على الصبيان، وله باع كبير في التفسير والقصص، قال سفيان الثوري: كان الضحاك يعلم ولا يأخذ أجرا اهـ، روى له: (أبو داود – الترمذي – النسائي – ابن ماجه)، توفي بعد المائة. ينظر ترجمته في: رواة التهذيبين (رقم٢٩٧٨)، تاريخ دمشق (٣٦٨/٢٤)، سير أعلام النبلاء (٥٩٨/٤).

(٢) هو الحسن بن أبي الحسن البصري رحمه الله، ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر رضي الله عنه، رأى عشرين ومائة من أصحاب النبي ﷺ، مات في شهر رجب سنة ١١٠هـ وهو ابن تسع وثمانين سنة. سير السلف الصالحين لإسماعيل بن محمد الأصبهاني (٧٢٧/١).

(٣) هو إسماعيل بن عبد الرحمن ابن أبي كريمة، الإمام، المفسر، أبو محمد الحجازي، ثم الكوفي، الأعور، السدي، أحد موالي قريش، من عظماء أهل أصبهان، توفي في ولاية مروان سنة ١٢٧هـ، كان عريض اللحية، إذا جلس غطى لحيته صدره، وسمي السدي لأنه نزل بالسدة، قيل إنه رأى سعد بن أبي وقاص، روى عنه الثوري، وشعبة، وزائدة، والحسن بن صالح، وأبو عوانة، رأى أنس بن مالك، والحسن بن علي، وعمرو بن حريث وعدة من الصحابة. ينظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٢٦٤/٥)، الطبقات الكبرى لابن سعد (٣٢٣/٦)، تاريخ أصبهان (٢٤٧/١).

(٤) روى هذه الآثار ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٣٢٢/٧)، وابن جرير الطبري (٤١١/١٧)، والسيوطي في الدرر (٢٥١-٢٥٥/٥).

وقوله تعالى: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ (الأعراف: ١٥٦) والكفار أشياء، فتسعهم رحمته سبحانه في الدنيا، لا في الآخرة، ومن رحمته سبحانه لهم في الدنيا إمدادهم بالرزق.

وجاء في الحديث، عن ابن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ: ((إن الله قسم بينكم أخلاقكم، كما قسم بينكم أرزاقكم))[(١)].

وقد أشار إلى هذا الاستنباط أبو السعود.

قال: (وتعيين المضاف إليه المحذوف دفع التوهم كونه أفراد الفريق الأخير وتأكيد للقصر المستفاد من تقديم المفعول)[(٢)].

وقال أيضا: (﴿ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ ﴾ (الإسراء: ٢) أي دنيويا كان أو أخرويا وإنما أظهر إظهارا لمزيد الاعتناء بشأنه وإشعارا بعليته للحكم) [(٣)].

ولهذا جاء المفعول ﴿ كُلًّا ﴾ مقدما للاهتمام به والاختصاص حتى يدفع به ما قد يعلق بالذهن من أن عطاء الله عز وجل في هذه الدنيا يكون لمن أرادها فقط، كما هو حال الكفار الذين لا يؤمنون بالآخرة كما أخبرت عنهم الآية، وأما المؤمنون فبمعزل عن خيرات الدنيا -إما ممنوعة بالمرة أو منقوصة عنهم- أو أن يتوهم متوهم أن الله يعطي في

---

(١) عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: ((إن الله قسم بينكم أخلاقكم، كما قسم بينكم أرزاقكم، وإن الله عز وجل يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب، ولا يعطي الدين إلا لمن أحب، فمن أعطاه الله الدين، فقد أحبه، والذي نفسي بيده، لا يسلم عبد حتى يسلم قلبه ولسانه، ولا يؤمن حتى يأمن جاره =بوائقه، قالوا: وما بوائقه يا نبي الله؟ قال: غشمه وظلمه، ولا يكسب عبد مالا من حرام، فينفق منه فيبارك له فيه، ولا يتصدق به فيقبل منه، ولا يترك خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار، إن الله عز وجل لا يمحو السيئ بالسيئ، ولكن يمحو السيئ بالحسن، إن الخبيث لا يمحو الخبيث))، مسند الإمام أحمد (١٨٩/٦) رقم (٣٦٧٢)، المعجم الكبير للطبراني (٢٠٣/٩) رقم (٨٩٩٠)، الأدب المفرد للبخاري باب حسن الخلق (ص ١٤٤)، المستدرك للحاكم كتاب الإيمان (٨٠/١) رقم (٩٤)، وهذا الحديث صححه الحاكم (٨٨/١ رقم ٩٤) ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٤٨٢/٦ رقم ٢٧١٤)، وفي صحيح الأدب المفرد (١١٩/١ رقم ٢٠٩).

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (١٦٤/٥).

(٣) المرجع السابق (١٦٥/٥).

هذه الدنيا ويمد من آمن به وأطاعه فقط، ويُحْرم من عصاه وكفر به، فجاء هذا التقديم للمفعول دافعا لهذا الاعتقاد والتصور والتوهم. والله تعالى أعلم.

وقول أبي السعود: (وإنما أظهر إظهارا لمزيد الاعتناء بشأنه، وإشعارا بعليته للحكم)، يريد أن هذا العطاء أظهر معه لفظة "ربك"، ولم يضمر، فلم يقل: "وما كان عطاءنا"، وإلا فالمقام للإضمار، فأفادنا هذا الإظهار فائدتين:

الأولى: الاعتناء بشأن الربوبية.

الثانية: أنّ هذا العطاء اقترن بوصف الربوبية فكان إذاً هذا الوصف علة في الحكم الذي هو الإمداد والعطاء.

فهو إذاً عطاء سببه الربوبية التي عطاءها يشمل كل المربوبين، فاستوى فيه المؤمن والكافر، والبَرّ والفاجر، وبهذا البيان يكون قول أبي السعود هذا متوافق مع استنباط ابن باديس. والله تعالى أعلم.

❖ **الاستنباط التاسع:**

- **برّ الوالدين واجب على أيّة حالة كانا، من كفر أو إيمان، أو برّ أو فجور، محسنَين لولدهما أم مسيئَين له.**

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ (الإسراء: ٢٣).

قال ابن باديس –رحمه الله: (وفي تعليق الحكم – وهو الأمر بالإحسان– بلفظ الوالدين المشتق من الولادة، إيذان بعليتها في الحكم، فيستحقان الإحسان بالوالدية سواء أكانا مؤمنين أم كافرين، بارَّين أو فاجرَين، محسنَين إليه أو مسيئَين)[1].

◆ **الدراسة:**

استنبط ابن باديس رحمه الله من هذه الآية، وجوب برّ الوالدين والإحسان إليهما

(١) مجالس التذكير (١/١٩٤).

على أية حال كانا، من كفر أو إيمان، برّ أو فجور، محسنين لولدهما أو مسيئين إليه.

وطريق هذا الاستنباط، هو دلالة الإيماء والتنبيه، كما ذكره الشيخ نفسه في استنباطه هذا.

ووجه هذا الاستنباط، هو أن الوالدين كانا سببا في وجود ولدهما بعد الله عز وجل، فكل ما يلحقه من نعيم في الدنيا و الآخرة يرجع إلى سببهما بعد الله تعالى، بغض النظر عن حالهما كيفما كانا.

والشاهد لهذا الاستنباط في الآية هو لفظ ﴿ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ ﴾ المشتق من الولادة.

وما استنبطه ابن باديس معنى صحيح، دلت عليه الآية بإيمائها، وله ما يشهد له من أدلة الشرع، ففي صحيح البخاري عن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما قالت: ((قدمت أمي وهي مشركة في عهد قريش إذ عاهدوا رسول الله ﷺ ومدتهم مع أبيها، فاستفتيت رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله إن أمي قدمت وهي راغبة، أ فأصلها؟ قال: نعم، صلي أمك))[1].

وهذا الحكم ما لم يكن الوالدان كافرين محاربين، فحينئذ فلا موالاة ولا برّ ولا إحسان، لقوله تعالى: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ﴾ (الممتحنة: ٨).

وقال أبو القاسم الضرير المقرئ[2] في كتابه "الناسخ والمنسوخ":(سورة بني إسرائيل نزلت بمكة إلا آيات نزلت بالمدينة، تحتوي من المنسوخ على ثلاث آيات: الآية الأولى نسخ

(١) أخرجه البخاري في كتاب الهبة وفضلها، باب الهدية للمشركين (٢/٩٢٤ رقم ٢٤٧٧)، وأخرجه في أبواب متفرقة من صحيحه برقم: (٣٠١٢، ٥٦٣٣، ٥٦٣٤)، ومسلم في باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوج والأولاد والوالدين ولو كانوا مشركين (٢/٦٩٦ رقم ١٠٠٣).

(٢) هو هبة الله بن سلامة بن نصر بن علي، أبو القاسم الضرير، المقرئ المفسر النحوي البغدادي، كان من أحفظ الناس لتفسير القرآن والنحو والعربية، وكانت له حلقة في جامع المنصور ببغداد، توفي يوم الثلاثاء، ودفن يوم الأربعاء العاشر من رجب سنة ٤١٠هـ في مقبرة جامع المنصور، صنف "كتاب الناسخ والمنسوخ"، و"المسائل المنثورة في النحو والتفسير". ينظر ترجمته في: تاريخ بغداد (١٦/١٠٧)، ومعجم الأدباء لياقوت الحموي (٦/٢٧٧١).

بعض معاني ألفاظها، وقال بعض المفسرين نسخ من دعائها أهل الشرك وهي قوله تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ هذا محكم، وقوله تعالى: ﴿ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ هذا واجب إلى قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ هذا في أهل القبلة وغير أهل القبلة، وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾ يقول: إذا بلغا من الكبر فوليت من أمرهما ما كانا يليان من أمرك في حال الصغر، فلا تقل لهما عند ذلك أف ولا تنهرهما، وذلك أن جميع الآيتين محكم إلا بعض معانيهما في أهل الشرك، وهو إذا مات الأبوان على الشرك فليس للولد أن يترحم عليهما ولا يدعو لهما)[1].

والشاهد من كلام أبي القاسم الضرير قوله: (﴿ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ هذا واجب إلى قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ هذا في أهل القبلة وغير أهل القبلة، وهو بهذا متوافق مع استنباط ابن باديس، من أن الوالدين يستحقان الإحسان والطاعة مطلقا، ما لم يكونا كافرين محاربين. والله تعالى أعلم .

❖ الاستنباط العاشر:

- **بيان الحكمة في اقتران وذكر حق الله تعالى مع حق الوالدين، في النظم القرآني الحكيم.**

قال تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾ (الإسراء: ٢٣ - ٢٤).

قال ابن باديس: (الله هو الخالق، والوالدان - بوضع الله - هما السبب المباشر في التخليق.

والله هو المبتدئ بالنعم عن غير عمل سابق، وهما يبتدئان بالإحسان عن غير

(١) الناسخ والمنسوخ (١/١١٥).

إحسان تقدم.

والله يرحم ويلطف وهو الغني عن مخلوقاته، وهم الفقراء إليه، وهما يكنفان بالرحمة واللطف الولد، وهما في غنى عنه، وهو في افتقار إليهما.

والله يوالي إحسانه ولا يطلب الجزاء، وهما يبالغان في الإحسان دون تحصيل الجزاء.

فلهذه الحالة التي خصهما الله بها وأعانهما بالفطرة عليها، قرن ذكرهما بذكره؟ فلما أمر بعبادته أمر بالإحسان إليهما في هذه الآية، وفي قوله تعالى: ﴿ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ (النساء: ٣٦)، ولما أمر بشكره أمر بشكرهما فقال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ ﴾ (لقمان: ١٤).

وفي هذا الجمع في القضاء والحكم بالإحسان، والأمر بالشكر لهما مع الله تعالى، أبلغ التأكيد وأعظم الترغيب، ثم زاد هذا الحكم وهذا الأمر تقريراً بلفظ التوصية بها في قوله تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ﴾(العنكبوت: ٨) ليحفظ حكم الله وأمره فيهما، ولا يضيع شيء من حقوقهما، فكان حقهما بهذه الوصاية، أمانة خاصة، ووديعة من الله عظيمة عند ولدهما، وكفى بهذا داعياً إلى العناية بهذه الأمانة وحفظها وصيانتها)[1].

◆ **الدراسة:**

استنبط الشيخ ابن باديس –رحمه الله– مناسبة قرن طاعة الله وعبادته بطاعة الوالدين والإحسان إليهما في هذه الآية.

وهذا الاستنباط يختلف عن الذي قبله، من جهة المعنى، ومن جهة طريق دلالته.

فالذي سبق كان في وجوب الإحسان إلى الوالدين مهما كانا، مؤمنين أو كافرين، محسنين لولدهما أو مسيئين إليه، بارَّين أو فاجرين، وكانت طريق دلالته الإيماء والتنبيه.

أما في هذا الاستنباط، ففيه بيان السرّ والحكمة في قرن حق الوالدين المتمثل في طاعتهما والإحسان إليهما وعدم أذيتهما، مع حق الله تعالى في النظم والذكر.

وطريق دلالة هذا الاستنباط، هو الاقتران في النظم والجمع بين هذين الأمرين وذلك بعطف الأمر بالإحسان إلى الوالدين على الأمر بطاعة الله.

---

(١) مجالس التذكير (١/٩٢-١٩٣).

ووجه هذا الاستنباط، هو أنه لما كان الإنعام والتربية والرحمة من الله عز وجل حاصلة للعبد ابتداء من غير أن يسألها العبد، وهو سبحانه في غنى عن هذا العبد، وكان من الوالدين لولدهما كذلك هذا العطف والشفقة والرحمة والتربية والتكفل. فلما كان هذا في الواقع موجودا في حياة العبد، ناسب أن يجمع بينهما وأن يعطف حق أحدهما على حق الآخر في النظم.

ووجه آخر، وهو أنه لما اجتمعت أولوية الإيجاد من الله عز وجل ومن الوالدين في الواقع، ناسب اجتماع ذكر شكرهما مقرونين في النظم.

ووجه آخر، في مناسبة هذا الربط والجمع بين الحقين في الذكر، هو أنه لما كان هذا الإنسان خلق من ضعف ثم تقوى إلى أن اشتد، وكان الله خالقه هو الذي قواه، وكان والداه سببا مباشرا كذلك في هذه التقوية من الضعف إلى القوة، فناسب هذا الجمع في الذكر، وذلك لتذكير الإنسان بضعفه في أول أمره، وأنه لوتُرك لحاله لكان عاجزا عن القيام بأمور نفسه وهو صغير، فيدفعه هذا إلى شكر أصحاب النعمة والتربية عليه ابتداء، وأن لا يتكبر على من قوّاه وساعده حين كان في حاجة إلى العطف والرحمة والمساعدة.

وقد أشار إلى هذا الاستنباط مع تغيّر في العبارة كلّ من:

الكيا الهراسي[١]، قال: (قرن ذكر الوالدين بعبادة الله سبحانه، فنبه به على عظيم إنعام الله تعالى المقتضي للشكر، ونبه بعد ذلك على عظيم نعم الوالدين)[٢].

وقال الزمخشري[٣]: (ولقد بالغ سبحانه في التوصية بهما حيث افتتحها بأن شفع

---

(١) هو أبو الحسن علي بن محمد بن علي الطبري الكيا الهراسي، شيخ الشافعية، رحل فتفقه بإمام الحرمين، وبرع في المذهب وأصوله، وقدم بغداد، فولي النظامية سنة ٤٩٣هـ إلى أن مات، تخرج به الأئمة، وكان أحد الفصحاء، ومن ذوي الثروة والحشمة، له تصانيف حسنة منها: "أحكام القرآن"، مات الكيا في المحرم سنة ٥٠٤هـ وله ثلاث وخمسون سنة وشهران. وفيات الأعيان (٢٨٦/٣).

(٢) أحكام القرآن (٢٥٣/٤).

٣ هو أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الزمخشري العلامة، كبير المعتزلة، الخوارزمي، النحوي، صاحب الكشاف، كان رأسا في البلاغة والعربية والمعاني والبيان، قال السمعاني: برع في الآداب، وصنف التصانيف، ورد العراق وخراسان، ما دخل بلدا إلا واجتمعوا عليه، وتلمذوا له، وكان علامة نسابة، جاور مدة حتى

الإحسان إليهما بتوحيده، ونظمهما في سلك القضاء بهما معا، ثم ضيق الأمر في مراعاتهما حتى لم يرخص في أدنى كلمة تنفلت من المتضجر مع موجبات الضجر ومقتضياته، ومع أحوال لا يكاد يدخل صبر الإنسان معها في استطاعة)[١].

قال القاسمي: (قال القاشانِي[٢]: قرن سبحانه وتعالى إحسان الوالدين بالتوحيد وتخصيصه بالعبادة، لكونهما مناسبين للحضرة الربوبية، لتربيتها إياك عاجزاً صغيراً ضعيفاً لا قدرة لك ولا حراك بك، وهما أول مظهر ظهر فيه آثار صفات الله تعالى من الإيجاد والربوبية، والرحمة والرأفة بالنسبة إليك، ومع ذلك فإنهما محتاجان إلى قضاء حقوقهما، والله غني عن ذلك، فأهم الواجبات بعد التوحيد إذاً، إكرامهما والقيام بحقوقهما ما أمكن)[٣].

وقد قال البقاعي: (ولما أمر بمعرفة الحق المحسن المطلق منبهاً على وجوب ذلك باسم الرب، أتبعه الأمر بمعرفة الحق لأول المربين من الخلق)[٤].

وقد أشار القشيري إلى مناسبة لطيفة لهذا الاقتران، قال: (ويقال إنّ الحقّ أمر العباد بمراعاة حقّ الوالدين وهما من جنس العبد... فمن عجز عن القيام بحقّ جنسه أنّى له أن يقوم بحقّ ربه)[٥].

هبت على كلامه رياح البادية، مات ليلة عرفة، سنة ٥٣٨هـ، من كتبه "الفائق في غريب الحديث"، و"ربيع الأبرار"، و"أساس البلاغة"، و"الكشاف في التفسير"، وغيرها كثير، وكان داعية إلى الاعتزال، الله يسامحه. سير أعلام النبلاء (١٤٥/٣٩) باختصار.

(١) الكشاف (٦٥٧/٢-٦٥٨).

(٢) لم اهتد إلى تمييز من هو هذا القاشاني، لأن كثير من الأعلام بهذه النسبة، ولعلّ القريب أنه هو الذي ذكره الزركلي في "الأعلام" لاشتغاله بالتفسير، ولأنه بلديُّ جمالِ الدين القاسمي الذي نقل كلامه، قال الزركلي في ترجمته: القاشاني هو عبد الرزاق جمال الدين بن أحمد كمال الدين ابن أبي الغنائم محمد الكاشي، أو الكاشاني، أو القاشاني، صوفي مفسر من العلماء، توفي سنة ٧٣٠هـ، له كتب منها: (كشف الوجوه =الغر) في شرح تائية ابن الفارض، و(اصطلاحات الصوفية)، و(السراج الوهاج) في تفسير القرآن، و(شرح فصوص الحكم لابن عربي) وغيرها. الأعلام للزركلي (٣٥٠/٣).

(٣) محاسن التأويل (٤٥٣/٦).

(٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٤٠١/١١).

(٥) لطائف الإشارات (٣٤٤/٢).

وغيرهم[١] كثير، ممن أشار إلى هذه المناسبة أو قريب منها.

وقد جاء هذا الاقتران بين عبادة الله عز وجل و الإحسان إلى الوالدين والشكر لهما في آيات عديدة، منها قوله تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا.

﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ (النساء: ٣٦).

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ (البقرة:٨٣).

وكما جاء برّ الوالدين مقرونا في القرآن بعبادة الله عز وجل، جاء هذا الاقتران في السنة كذلك.

قال رسول الله ﷺ: ((ألا أخبركم بأكبر الكبائر قلنا بلى يا رسول الله قال: الإشراك بالله وعقوق الوالدين))[٢].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: ((سألت النبي ﷺ أي العمل أحب إلى الله؟ قال: الصلاة على وقتها، قال ثم أي؟، قال: ثم بر الوالدين، قال ثم أي؟، قال: الجهاد في سبيل الله، قال حدثني بهن و لو استزدته لزادني))[٣].وغير ذلك من الأدلة.

---

(١) تفسير الرازي (٣٢١/٢)، وتفسير أبي حيان (٥٣/٧)، وتفسير الشنقيطي (٨٥/٣)، وتفسير الشوكاني (٢٥٩/٣)، وتفسير ابن عاشور (٦٨/١٥)، وتفسير الشعراوي (٨٤٥٣/١٤)، وتفسير سيد قطب (٣٢٦١/١)، وتفسير سيد طنطاوي (٣٢٥/٨).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الاستئذان، باب من اتكأ بين يدي أصحابه (٢٣١٤/٥ رقم:٥٩١٨)، والترمذي (١٢٣/٤ رقم ٢٣٠١)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢٠٧/١٠ رقم ٢٠٣٨٠).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل الصلاة لوقتها (١١٢/١ رقم ٥٢٧)، وفي أبواب أخرى من صحيحه برقم: (٢٧٨٢-٥٩٧٠)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال (٩٠/١ رقم ٨٥)، وابن حبان في صحيحه (٣٤٠/٤ رقم ١٤٧٦)، والحاكم في مستدركه وصححه (٢٤٨/٢ رقم ٢٨٩٩) وغيرهم.

❖ **الاستنباط الحادي عشر:**

- **التذكير بصورة الطير مع فراخه، لقياسها على صورة الوالدين مع أبنائهما في حال صغرهما للاعتبار - على الأقل- في ردّ جميلهما.**

قال تعالى: ﴿ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ﴾ (الإسراء: ٢٤).

قال ابن باديس رحمه الله: (وفي ذكر هذه الصورة التي تشاهد من الطير تذكير بليغ مرقق للقلب موجب للرحمة، وتنبيه للولد على حالته التي كان عليها معهما في صغره، ليكون ذلك أبعث له على العمل وعدم رؤية عمله أمام ما قدما إليه) [1].

◆ **الدراسة:**

وطريق هذا الاستنباط، هو الدلالة البلاغية المتمثلة في التشبيه التمثيلي، وهو تشبيه صورة واقعية ماضية غائبة عن المشاهدة، بصورة واقعية مشاهدَة، من أجل التذكير والاعتبار.

ووجه هذا الاستنباط، هو أنّ هذه الصورة من الطير تذكّر الولد بما مضى في أوّل عمره حيث كان صغيرا، وحيث لم يعقل فعل والديه، أثناء هذه العمر وهو ضعيف لا يقدر على دفع أو جلب شيء لنفسه، ليتذكر كيف كانا يحنّان ويعطفان عليه ويطعمانه، وكل ذلك شفقة ورحمة ومحبة له منهما صادرة عن قلب، وبما أنّه لم يكن في إمكانه عقل فِعْلِهما هذا في بداية سنّه، فجاء القرآن ليذكّره بهذه الصورة من الطير مع فراخه ليعتبر بها في تعامله مع أبويه اللذين بلغا مرحلة الضعف الذي كان يعتريه في بداية حياته ، وألاّ يملّ ويتضجر من خدمتهما، وأن لا يضيق صدره من تصرفهما كما فعلا هما به ذلك، فأصبح والداه عنده الآن في هذه السن كالفراخ الضعيفة المحتاجة للراحة والدفء والقوت والشفقة والرحمة والمساعدة والضم وخفض الجناح ولين الجانب، فلينظر إلى الطير كيف هي مع فراخها، فهذا مثل عظيم ضربه الله له ليتعقل ويتذكر.﴿ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ لِلنَّاسِ

(١) مجالس التذكير (١/٢٠١).

لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (إبراهيم: ٢٥).

وما استنبطه ابن باديس معنى صحيح، وهو في موضوع برّ خاص وعناية خاصة بالوالدين والاعتناء بهما، وذلك عند ضعفهما وبلوغهما الكبر، وهو مستفاد من تركيب الآية في تشبيهها بهذه الصورة للطير مع فراخه، وبأسلوبها في التعبير عنه، واختيار الألفاظ ﴿ وَٱخۡفِضۡ ﴾، ﴿ جَنَاحَ ٱلذُّلِّ ﴾، ﴿ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ ﴾.

وقد جاءت نصوص كثيرة من الشرع في برّ الولدين مؤيّدة لهذا الاستنباط.

عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: ((سألت رسول الله ﷺ أي الأعمال أحب إلى الله تعالى قال الصلاة لوقتها قلت، ثم أي قال بر الوالدين قلت ثم أي قال الجهاد في سبيل الله تعالى)).

عن جابر بن عبد الله ﷺ أن رجلا قال: ((يا رسول الله إن لي مالا وولدا، وإن أبي يريد أن يجتاح مالي، فقال: أنت ومالك لأبيك))[(١)].

وكان ابن عمر رضي الله عنهما يطوف بالبيت فرأى رجلا يطوف بالبيت حاملا أمه وهو يقول:

إِنِّي لَهَا بَعِيرُها المُذَلَّلْ • إِنْ أُذْعِرَتْ رِكَابُها لَمْ أُذْعَرْ • أَحْمِلُها وَما حَمَلَتْنِي أَكْثَرْ

أتراني يا ابن عمر جزيتها؟، قال: ((لا ولا زفرة[(٢)]واحدة))[(٣)].

(والخلاصة أنه سبحانه بالغ في التوصية بالوالدين مبالغة تقشعرّ منها جلود أهل العقوق، وتقف عندها شعورهم، من حيث افتتحها بالأمر بتوحيده وعبادته، ثم شفعهما

---

(١) مسند الإمام أحمد (٥٠٣/١١ رقم٦٩٠٢)، سنن ابن ماجه (٧٦٩/٢ رقم ٢٢٩١)، صحيح ابن حبان (١٤٢/٢ رقم ٤١٠)، قال محقق صحيح ابن حبان شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح، وصححه الشيخ الألباني في الإرواء (٣٢٣/٣ رقم ٨٣٨).

(٢) زفرة: بفتح الزاي وسكون الفاء: المرة من الزفير وهو تردد النفس حتى تختلف الأضلاع، وهذا يعرض للمرأة عند الوضع.

(٣) البر والصلة للحسين ابن حرب (ت٢٤٦هـ) (١٩/١ رقم ٣٧)، الأدب المفرد للبخاري (١٨/١ رقم١١)، أخبار مكة للفاكهي (ت٢٧٢هـ) (٣١٢/١ رقم ٦٤٢)، البر والصلة لابن الجوزي (٤٢/١)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الأدب المفرد (٣٦/١).

بالإحسان إليهما ثم ضيّق الأمر في مراعاتهما حتى لم يرخّص في أدنى كلمة تنفلت من المتضجر، مع موجبات الضجر، ومع أحوال لا يكاد الإنسان يصبر معها، وأن يذلّ ويخضع لهما، ثم ختمها بالدعاء لهما والترحم عليهما، وهذه الخمسة الأشياء جعلها سبحانه من رحمته بهما، مقرونة بوحدانيته، وعدم الشرك به) [١].

و قد أشار إلى هذا الاستنباط المراغي[٢].

قال رحمه الله: (وقد مثل حاله معهما بحال الطائر إذا أراد ضم فرخه إليه لتربيته، فإنه يخفض له جناحه، فكأنه قال للولد: أكفل والديك، بأن تضمهما إلى نفسك، كما فعلا ذلك حال صغرك) [٣].

وأشار إليه كذلك الشعراوي.

قال رحمه الله: (وهذه صورة محسّة لنا، يدعونا الحق سبحانه وتعالى أن نقتدي بها، وأن نعامل الوالدين هذه المعاملة، فنحنو عليهم، ونخفض لهم الجناح، كناية عن الطاعة والحنان والتواضع لهما، وإياك أن تكون كالطائر الذي يرفع جناحيه ليطير بهما متعاليا على غيره.

وكثيرا ما يعطينا الشرع الحكيم أمثلة ونماذج للرأفة والرحمة في الطيور، ويجعلها قدوة لنا بني البشر، والذي يرى الطائر يحتضن صغاره تحت جناحه، ويزقهم الغذاء يرى عجبا، فالصغار لا يقدرون على مضغ الطعام وتكسيره، وليس لديهم اللعاب الذي يساعدهم على أن يزدردوا الطعام فيقوم الوالدان بهذه المهمة ثم يناولانهم غذاءهم جاهزا يسهل بلعه، وإن تيسر لك رؤية هذا المنظر فسوف ترى الطائر وفراخه يتراصون فرحة وسعادة)[٤].

---

(١) تفسير المراغي (١٥/ ٣٥).

(٢) أحمد بن مصطفى المراغي (٠٠٠ - ١٣٧١ هـ = ٠٠٠ - ١٩٥٢ م)، مفسر مصري، من العلماء، تخرج بدار العلوم سنة ١٩٠٩م، ثم كان مدرّس الشريعة الإسلامية بها، وولي نظارة بعض المدارس، وعين أستاذا للعربية والشريعة الإسلامية بكلية غوردون بالخرطوم، وتوفي بالقاهرة، له كتب منها: (الحسبة في الإسلام) رسالة، و (الوجيز في أصول الفقه)، و (تفسير المراغي)، و (علوم البلاغة). الأعلام للزركلي (١/٢٥٨).

(٣) تفسير المراغي (١٥/٣٥).

(٤) تفسير الشعراوي (١٤/٨٤٦٣).

ما السرّ في تشبيه القرآن صورة الوالدين مع ولدهما، وقد كبرا في السن، بصورة الطائر مع فراخه خصوصا دون غيره من الحيوان؟

جاء في كتاب الحيوان للجاحظ[١] ما يبيّن هذه الحكمة وهذا السرّ في هذا التشبيه القرآني البليغ.

قال: (وليس في الأرض طائر، ولا سبع ولا بهيمة، أحنى على ولده، ولا أشدّ به شعفا[٢]، وعليه إشفاقا من العصافير، فإذا أصيبت بأولادها، أو خافت عليها العطب، فليس بين شيء من الأجناس من المساعدة، مثل الذي مع العصافير، لأن العصفور يرى الحيّة قد أقبلت نحو حجره وعشّه ووكره، لتأكل بيضه أو فراخه، فيصيح ويرنّق[٣]، فلا يسمع صوته عصفور إلا أقبل إليه وصنع مثل صنيعه، بتحرّق ولوعة، وقلق، واستغاثة وصراخ، وربما أفلت الفرخ وسقط إلى الأرض- وقد ذهبت الحيّة- فيجتمعن عليه، إذا كان قد نبت ريشه أدنى نبات، فلا يزلن يهيّجنه، ويطرن حوله، لعلمها أن ذلك يحدث للفرخ قوة على النّهوض، فإذا نهض طرن حواليه ودونه، حتى يحثنه[٤] بذلك العمل، ولو أن إنسانا أخذ فرخي عصفور من وكره، ووضعهما بحيث يراهما أبواهما في منزله، لوجد العصفور يتقحّم في ذلك المنزل، حتى يدخل في ذلك القفص، فلا يزال في تعهّده بما يعيشه حتى يستغني عنه، ثم يحتملان في ذلك غاية التغرير والخطار، **وذلك من فرط الرّقة على أولادهما**)[٥].

---

(١) هو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الليثي، المعروف بالجاحظ، أحد شيوخ المعتزلة، وإليه تنتسب الفرقة المعروفة بالجاحظية من المعتزلة، وكان تلميذ أبي إسحاق إبراهيم بن سيار البلخي المعروف بالنظام المتكلم المشهور، ومن أحسن تصانيفه وأمتعها كتاب "الحيوان" فلقد جمع كل غريبة، وكذلك كتاب " البيان والتبين "، قال عنه الذهبي: كان من أذكياء بني آدم وأفرادهم وشياطينهم، توفي سنة ٢٥٥هـ. ينظر ترجمته في: تاريخ بغداد (١٢٤/١٤)، تاريخ دمشق (٤٣١/٤٥)، وفيات الأعيان (٤٧٠/٣)، تاريخ الإسلام (١١٩٣/٥).

(٢) الشَّعَف: إحراق الحب القلب مع لذة يجدها.

(٣) رَنَقَ الطائر: إذا بسط جناحيه في طيرانه ولم يبرح.

(٤) الحَثُّ: الاستعجال. ينظر: جمهرة اللغة (٨٠٧/٢)، لسان العرب (١٢٩/٢) و(١٧٧/٩).

(٥) كتاب الحيوان (١١٧/٥).

❖ **الاستنباط الثاني عشر:**

● **كثرة الرجوع إلى الله يقابلها كثرة المغفرة منه سبحانه.**

قال تعالى: ﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴾ (الإسراء: ٢٥).

قال ابن باديس: (ولمّا ذكر من وصف الصالحين كثرة رجوعهم إليه، ذكر من أسمائه الحسنى ما يدل على كثرة مغفرته ليقع التناسب في الكثرة من الجانبين، ومغفرته أكبر. وليعلم أن كثرة الرجوع إليه يقابله كثرة المغفرة منه، فلا يفتأ العبد راجعاً راجياً للمغفرة، ولا تقعده كثرة ما يذنب عن تجديد الرجوع، ولا يضعف رجاءه في نيل مغفرة الغفور كثرة الرجوع)[1].

● **الدراسة:**

استنبط ابن باديس رحمه الله من هذه الآية مناسبة ورابطا قويا بين فاصلة هذه الآية لما قبلها، وذلك باستعمال لفظ الجلالة الذي يدل على المبالغة ﴿ غَفُورًا ﴾ مناسبا لما قبله من لفظ يدل على الكثرة والمبالغة ﴿ لِلْأَوَّابِينَ ﴾، ليفيدنا أنّ كثرة الرجوع إليه سبحانه يقابلها كثرة المغفرة منه.

وطريق هذا الاستنباط، هو الدلالة الصّرفية، لأن "أوّاب" على وزن "فَعَّال"، الذي يفيد الكثرة والمداومة والمبالغة، وكذلك "غفور"، هو صيغة مبالغة متحوِّل عن "فَاعِل" أي غافر.

ووجه هذا الاستنباط، هو أن صيغة "أوّاب"، لمّا كانت للمبلغة في كثرة الرجوع والتوبة إلى الله من المخلوقين، ناسب أن يقابلها اسم من أسماء الله تعالى، مفيدا للمبالغة في كثرة المغفرة، فتقابل إذًا اللفظان في المبالغة والحدث فتناسبا.

وما استنبطه ابن باديس هنا معنى صحيح، يؤيده أسلوب القرآن في اختياره الألفاظ المناسبة لبعضها البعض.

---

(١) مجالس التذكير (١/٢١٤).

(وهذا أسلوب من أساليب القرآن في مراعاة مناسبة المقام في قرن الأسماء الإلهية بالأفعال والأحكام)[١].

ويؤيده كذلك قواعد اللغة العربية، فإن صيغة "فَاعِل" تتحول عند إرادة التكثير والمبالغة في الحدث إلى خمسة أوزان مشهورة، تُسَمَّى صِيغ المبالغة، وهي "فَعَّال": بتشديد العين، كأَكَّال وشرَّاب، و"مِفْعَال": كمِنحار، و"فَعُول": كغَفُور، و"فَعِيل": كسميع، و"فَعِل": بفتح الفاء وكسر العين كحَذِرٌ[٢].

وقد جمع ابن مالك هذه الأوزان في ألفيته، فقال:

فَعَّالٌ أو مِفْعَالٌ أو فَعُولُ في كَثْرَةٍ عن فَاعِلٍ بَدِيلُ
فَيَسْتَحِقُ مَالَهُ مِنْ عَمَلِ وفي فَعِيلٍ قَلَّ ذَا وفَعِلِ[٣]

وقد يستشهد لهذا الاستنباط بقوله ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل: ((يقول الله تبارك وتعالى: من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وأزيد، ومن جاء بالسيئة فجزاء سيئة مثلها أو أغفر، ومن تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا، ومن تقرب مني ذراعا، تقربت منه باعا، ومن أتاني يمشي، أتيته هرولة، ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة ثم لا يشرك بي شيئا، لقيته بمثلها مغفرة))[٤]. والله تعالى أعلم.

---

(١) تفسير المنار (٢٢٤/٧).

(٢) ينظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك (١١١/٣)، وأوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لابن هشام (١٨٤/٣)، و(الفلاح شرح المراح) لابن كمال باشا (ص ٦٧)، وشذا العرف في فن الصرف للحملاوي (ص٦٢) وغيرها.

(٣) ألفية ابن مالك في النحو والصرف (ص ٣٩).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: {ويحذركم الله نفسه} [آل عمران: ٢٨] (١٢١/٩ رقم ٧٤٠٥)، وفي أبواب متفرقة من صحيحه حديث (رقم: ٧٠٦٦-٧٠٩٨-٧٠٩٩)، و مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب الحث على ذكر الله تعالى (٢٠٦١/٤ رقم ٢٦٧٥) وغيرهما.

❖ **الاستنباط الثالث عشر:**

- **العبد مهما كان صلاحه مطالب كغيره من الناس بالأوبة والرجوع إلى الله، إذا وقعت منه المعصية لتحصل له المغفرة.**

قال تعالى: ﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴾ (الإسراء: ٢٥).

قال ابن باديس رحمه الله: (وقد كان مقتضى الظاهر في تركيب الآية أن يقال: "إن تكونوا صالحين فإنه كان لكم غفورا"، لأن المقام للإضمار، لكنه عدل عن الضمير إلى الظاهر فقيل: ﴿ لِلْأَوَّابِينَ ﴾ لينص على شرط المغفرة وهو الأوبة والرجوع، وعلم من ذلك أن الصالح عندما تقع منه الذنوب مطالب -كغيره- بالأوبة، لتحصيل المغفرة، لأن فرض الأوبة إلى الله من المعاصي عام على الجميع)[1].

◆ **الدراسة:**

استنبط الشيخ رحمه الله من هذه الآية السرّ والنكتة والداعي البلاغي الذي من أجله وضع الاسم المظهر "الأوابين" موضع المضمر "لكم"، وكان مقتضى الظاهر أن يعبر بالمضمر، فعدل عنه، وذلك لينصّ على أنّ وجوب الرجوع والأوبة إلى الله تعالى، عام على الجميع لا يخرج عنه أحد.

وطريق هذا الاستنباط، هو الدلالة البلاغية المتمثلة في هذه الظاهرة الأسلوبية، وذلك بوضع الاسم الظاهر موضع الضمير.

ووجه هذا الاستنباط، هو أن الكناية والتعريض ليستا في درجة واحدة من الإفصاح والكشف والبيان عن المراد، فإن الضمير يشير إلى ما يعود عليه ويحضره في الذهن، إلا أنه لا يستطيع حمل ما يحمله الاسم الظاهر من المعاني التنصيصية الصريحة، وكذلك هو الحال في استنباط ابن باديس هنا، فإنه لو لم يصرح بهذا الاسم الظاهر ﴿ لِلْأَوَّابِينَ ﴾ ما كنّا لنعرف أن هذه الآية دلت على أن فرض التوبة والرجوع إلى الله

(١) مجالس التذكير (١/٢١٥).

من المعاصي، عام على الجميع.

وما استنبطه ابن باديس هنا معنى صحيح، مأخوذ من تركيب الآية أخذا عربيا صحيحا، وهو مبني على تفسير صحيح راجح، وبه قال جمهور المفسرين وهو أن الأوابَ: التوابُ والرجّاعُ إلى الله عند كل ذنب، وهو عام في كل راجع مذنب، وليس من أساء إلى والديه فقط، كما فسّره بعضهم، استنادا إلى سياق الآية، وهو موافق لطريقة ابن باديس في التفسير، وذلك في تفسير الألفاظ بأرجح معانيها اللغوية و بحمل التراكيب على أبلغ أساليبها البيانية، كما صرح هو بذلك في مقدمة تفسيره[١].

(عن ابن المسيب[٢]، قال: الأوّاب: الذي يذنب ثم يتوب، ثم يذنب ثم يتوب، ثم يذنب ثم يتوب.

وعن مجاهد[٣]، في قوله جل ثناؤه ﴿لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾ قال: (الأوابون: الراجعون التائبون)[٤].

قال ابن جرير: (وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: الأواب هو

---

(١) قال -رحمه الله: (فقد عدنا - والحمد لله تعالى- إلى مجالس التذكير، من دروس التفسير، نقتطف أزهارها ونجني من ثمارها، بيسر من الله تعالى وتيسير، على عادتنا في تفسير الألفاظ بأرجح معانيها اللغوية، وحمل التراكيب على أبلغ أساليبها البيانية...). مجالس التذكير (٩٣/١).

(٢) هو سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم القرشي المخزومي، أبو محمد، عالم أهل المدينة، وسيد التابعين في زمانه، روى له: (البخاري - مسلم - أبو داود - الترمذي = النسائي - ابن ماجه)، قال عنه الذهبي: الإمام، أحد الأعلام، و سيد التابعين، ثقة حجة فقيه، رفيع الذكر، رأس فى العلم و العمل، وقال عنه ابن المدينى: لا أعلم فى التابعين أوسع علما منه، وكان زوج بنت أبي هريرة، وأعلم الناس بحديثه، توفي سنة ٩٥هـ. ينظر ترجمته في: وفيات الأعيان (٣٧٥/٢)، سير أعلام النبلاء (٢١٧/٤)، رواة التهذيبين (٢٣٩٦).

(٣) هو مجاهد بن جبر مولى عبد الله بن السائب، القارئ، كنيته أبو الحجاج، وكان مولده سنة ٢١هـ، وكان من العباد والمتجردين في الزهاد مع الفقه والورع، قال: عرضت القرآن ثلاث عرضات على ابن عباس، أفقه عند كل آية، أسأله: فيم نزلت؟ وكيف كانت، قال قتادة: أعلم من بقي بالتفسير مجاهد، قال أبو بكر بن عياش: قلت للأعمش: ما بالهم يتقون تفسير مجاهد؟، قال: كانوا يرون أنه يسأل أهل الكتاب، مات بمكة وهو ساجد سنة ١٠٢هـ أو ١٠٣هـ. مشاهير علماء الأمصار لأبي حاتم البستي (١٣٣/١)، وسير أعلام النبلاء (٤٤٩/٤).

(٤) تفسير الطبري (٤٢٤/١٧).

التائب من الذنب، الراجع من معصية الله إلى طاعته، ومما يكرهه إلى ما يرضاه، لأن الأواب إنما هو فعّال، من قول القائل: آب فلان من كذا إما من سفره إلى منزله، أو من حال إلى حال، فهو يئوب أوبا، وهو رجل آئب من سفره، وأواب من ذنوبه) [١].

وهذا استنباط تربوي عقائدي، فيه ردّ على غلاة الصوفية[٢] الذين يعتقدون أنّ ولي الله إذا بلغ مرتبة معينة، سقطت عنه أحكام الشريعة، فلا يشمله الأمر والنهي، حسب زعمهم، وهذا الزعم مخالف للعقيدة الصحيحة والدين الذي جاء به النبي ﷺ.

قال إسماعيل حقّي[٣] مستنبطا هذا الردّ على هؤلاء الغلاة ولكن من آية ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًا ﴾ (وفيه ردٌّ وهدم لما قال بعض المبيحين من أن العبد إذا بلغ غاية المحبة وصفا قلبه واختار الإيمان على الكفر من غير نفاق، سقطت عنه الأعمال الصالحة من العبادات الظاهرة وتكون عبادته التفكر، وهذا كفر وضلال، فإن أكمل الناس في المحبة والإيمان هم الرسل خصوصا حبيب الله، مع أن التكاليف بالأعمال الصالحة والعبادات في حقهم أتم وأكمل) [٤].

---

(١) المرجع السابق (٤٢٦/١٧).

(٢) يقول ابن تيمية –رحمه الله– عن هؤلاء الغلاة: (ومنهم صنف يدعون التحقيق والمعرفة، فيزعمون أن الأمر والنهي لازم لمن شهد لنفسه فعلاً، وأثبت له صنعاً، أما من شهد أن أفعاله مخلوقة، أو أنه مجبور على ذلك، وأن الله هو المتصرف فيه كما يحرك سائر المتحركات، فإنه يرتفع عنه الأمر والنهي والوعد والوعيد). العبودية (ص٦٤). وقال الشيخ صالح الفوزان –حفظه الله– وهو يبين نواقض الشهادتين التي ذكرها الشيخ محمد ابن عبد الوهاب –رحمه الله: (من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد – صلى الله عليه وسلم – كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى – عليه السلام – فهو كافر، قلت: وكما يعتقده غلاة الصوفية أنهم يصلون إلى درجةٍ لا يحتاجون معها إلى متابعة الرسول ﷺ. عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها من الشرك الأكبر والأصغر والتعطيل والبدع وغير ذلك (ص٤٧).

(٣) هو إسماعيل حقي بن مصطفى الإسلامبولي الحنفي الخلوتي، المولى أبو الفداء (٠٠٠ – ١١٢٧ هـ = ٠٠٠ – ١٧١٥م)، متصوف مفسر، تركي مستعرب، كان من أتباع الطريقة الخلوتية، له كتب عربية وتركية، فمن العربية "روح البيان في تفسير القرآن" يعرف بتفسير حقي، و"الرسالة الخليلية" تصوف، و"الأربعون حديثا". الأعلام للزركلي (٣١٣/١).

(٤) تفسير روح البيان (٨٧/٦).

❖ **الاستنباط الرابع عشر:**

• **صلاح النفوس أصل في القيام بالتكاليف الشرعية.**

قال تعالى: ﴿إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا﴾ (الإسراء: ٢٥).

قال ابن باديس -رحمه الله: (ووضع هذه الآية أثناء ذلك، وهي متعلقة بالنفس وصلاحها... لينبّه الخلق على أصل الصلاح الذي منه يكون، ومنشؤه الذي منه يبتدئ، فإذا صلحت النفس قامت بالتكاليف التي تضمنتها هذه الآيات الجامعة لأصول الهداية، وهذا هو وجه ارتباط هذه الآية بما قبلها وما بعدها، الذي يكون قبل التدبر خفياً)[١].

◆ **الدراسة:**

استنبط الشيخ ابن باديس رحمه الله من مجيء هذه الآية بين ثنايا آيات تتحدث عن التكاليف الشرعية من توحيد الله وبر الوالدين وإيتاء الحقوق والوفاء بالعهود إلى غير ذلك، مناسبةً خفية لطيفة لا تظهر إلا بالتدبر وتصويب النظر والفكر، وهي أن صلاح النفوس أساس في القيام بالتكاليف التي ذكرت في الآية.

وطريق هذا الاستنباط، هو دلالة السياق، فإنّ الآية ذكرت في سباق ولحاق هذه الأحكام التكليفية، فنبهت على أن صلاح النفس هو محور القيام بهذه الأمور التكليفية التي جاءت في هذه الآيات التي تخللتها.

وما استنبطه ابن باديس معنى صحيح، دلت عليه نصوص من الشرع، وهو يتعلق بصلاح النفوس، وصلاح النفس يكون بصلاح القلب، كما قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: ((ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب)) [٢].

قال ابن رجب عند شرحه لهذا الحديث في الأربعين النووية: (إن صلاح حركات العبد بجوارحه، واجتنابه للمحرمات واتقاءه للشبهات بحسب صلاح حركة قلبه...

---

(١) مجالس التذكير (٢٠٩/١).

(٢) صحيح البخاري -كتاب الإيمان-باب فضل من استبرأ لدينه (٢٠/١ رقم٥٢)، ومسلم في كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات (١٢١٩/٣ رقم ١٥٩٩).

فالقلب السليم: هو السالم من الآفات والمكروهات كلها، وهو القلب الذي ليس فيه سوى محبة الله وما يحبه الله، وخشية الله، وخشية ما يباعد منه، وفي الحديث ((لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه)) [١]، والمراد باستقامة إيمانه: استقامة أعمال جوارحه، فإن أعمال جوارحه لا تستقيم إلا باستقامة القلب، ومعنى استقامة القلب أن يكون ممتلئا من محبة الله، ومحبة طاعته، وكراهة معصيته) [٢].

ولقد جاء القرآن بكل ما فيه صلاح النفس الإنسانية لتبلغ كمالها وسعادتها باتباعه، وليس فوق هداية القرآن وإصلاحه للنفس هداية وإصلاح.

قال تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ (الإسراء: ٨٢).

وقال: ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴾ (فصلت: ٤٤).

وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (يونس: ٥٧).

و قد أشار إلى هذا الاستنباط عبد الكريم يونس الخطيب[٣]، قال رحمه الله: (هو تعقيب على ما تضمنته الآيات السابقة من النهى عن الشرك بالله، والأمر بالإحسان إلى الوالدين... وهذا التعقيب يقرر أنّ أساس الأعمال كلها، هي القلوب، وما تنطوي عليه

---

(١) مسند الإمام أحمد (٣٤٣/٢٠ رقم ١٣٠٤٨)، شعب الإيمان للبيهقي (٩٧/١ رقم ٨)، الترغيب والترهيب للمنذري (٢٤٠/٣ رقم ٣٨٦٠)، حسنه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٥٦/٣ رقم ٢٨٦٥).

(٢) جامع العلوم والحكم (١/ ٢١٠) وما بعدها.

(٣) هو مفكر إسلامي معاصر مصري، وباحث معروف، ومفسر ضليع، واسمه الكامل: عبد الكريم محمود يونس الخطيب، حفظ القرآن الكريم، وحصل على شهادة الدراسات العليا في دار العلوم سنة ١٩٣٧م، اشتغل بالتعليم في المدارس الابتدائية والمعلمين والثانوية، من أهم آثاره: "التفسير القرآني للقرآن"، و"إعجاز القرآن"، و"المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل"، و"السياسة المالية في الإسلام" وغيرها. (ويكيبيديا، الموسوعة الحرة).

من صلاح) [١].

و أشار كذلك إلى قريب من معنى هذا الاستنباط سيد قطب، قال رحمه الله: (وجاء هذا النص قبل أن يمضي في بقية التكاليف والواجبات والآداب ليرجع إليه كل قول وكل فعل وليفتح باب التوبة والرحمة لمن يخطئ أو يقصر، ثم يرجع فيتوب من الخطأ والتقصير، وما دام القلب صالحا، فإن باب المغفرة مفتوح، والأوابون هم الذين كلما أخطئوا عادوا إلى ربهم مستغفرين) [٢].

❖ الاستنباط الخامس عشر:

• ترغيب الشارع الحكيم في تكثير النسل.

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴾ (الإسراء: ٣١).

قال ابن باديس–رحمه الله: (والآية كما نهت عن القتل، قد رغبت في النسل بذكر ضمان الرزق، فعلى المؤمن أن يسعى لذلك من طريقه المشروع، وأن يتلقى ما يعطيه الله من نسل ابن، أو بنت، بفرح لنعمة الله وثقة برزق الله، وإيمان بوعده)[٣].

◆ الدراسة:

استنبط ابن باديس– رحمه الله– من هذه الآية دعوة وترغيبا في تكثير النسل.

و**طريق هذا الاستنباط**، دلالة لإشارة، إذ ليس هو المعنى المقصود بالأصل وليس هو المعنى الذي سيق له الكلام، وإنما هو معنى جاء بالتبع ، لازم للآية.

ووجه هذا الاستنباط، أنهم كانوا يدفنون البنات خوف الفقر، فضمن الله لهم رزقهم ورزق أولادهم، فكان هذا الضمان للرزق إذًا مدعاةً للترغيب في الزواج، وتكثير النسل، وقطعا لهذا الخوف.

قال الإمام ابن جرير: (وإنما قال جل ثناؤه ذلك للعرب، لأنهم كانوا يقتلون الإناث

---

(١) التفسير القرآني للقرآن (٨/٤٧٤).

(٢) في ظلال القرآن (٤/٢٢٢٢).

(٣) مجالس التذكير (١/٢٤٣).

من أولادهم خوف العيلة على أنفسهم بالإنفاق عليهن)[١].

قال قتادة: (وقد كان أهل الجاهلية يقتلون أولادهم خشية الفاقة، فوعظهم الله في ذلك، وأخبرهم أن رزقهم ورزق أولادهم على الله، فقال:﴿ نَّحۡنُ نَرۡزُقُهُمۡ وَإِيَّاكُمۡ ﴾)[٢].

وما استنبطه ابن باديس معنى صحيح، دلت عليه إشارة الآية، وله ما يعضده من أدلة الشرع.

قال تعالى عن زكريا: ﴿ قَالَ رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةٗ طَيِّبَةً ﴾ (آل عمران: ٣٨).

﴿ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ﴾ (هود: ٧١).

﴿ فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ ﴾ (مريم: ٤٩).

وقال ﷺ: ((تزوجوا الودود الولود، إني مكاثر بكم الأنبياء يوم القيامة))[٣].

ودعى النبي ﷺ لأنس رضي الله عنه بكثرة الولد، فقال: ((اللهم أكثر ماله وولده، وبارك له فيما أعطيته))[٤]. وغير ذلك من الأدلة على هذا المعنى. والله تعالى أعلم.

❖ الاستنباط السادس عشر:

• تحريم التعدي على مال اليتيم خصوصا وعلى أموال الناس عموما.

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۚ وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا ﴾ (الإسراء: ٣٤).

---

(١) تفسير الطبري (٤٣٦/١٧).

(٢) تفسير الطبري (٤٣٦/١٧)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢٣٢٨/٧).

(٣) مسند الإمام أحمد (١٩١/٢١رقم ١٣٥٦٩)، وصحيح ابن حبان (٣٣٨/٩ رقم ٤٠٢٨)، ومسند البزار (٩٥/١٣ رقم ٦٤٥٦)، والمعجم الأوسط للطبراني (٢٠٧/٥ رقم ٥٠٩٩)، وحسنه الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٥٨/٤ رقم ٧٣٣٧)، و صححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (١:٥٦٦ رقم ٢٩٤٠).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات، باب الدعاء بكثرة الولد مع البركة (٨١/٨ رقم٦٣٨٠)وفي باب دعوة النبي صلى الله عليه وسلم لخادمه بطول العمر، وبكثرة ماله(٧٥/٨ رقم٦٣٤٤)، وفي باب قول الله تعالى: {وصل عليهم} (التوبة: ١٠٣) ومن خص أخاه بالدعاء دون نفسه (٧٣/٨ رقم ٦٣٣٤)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب من فضائل أنس بن مالك رضي الله عنه (١٩٢٨/٤ رقم ٢٤٨٠)، وفي أبواب أخرى متفرقة من صحيحه (حديث رقم:٦٦٠-٢٤٨١) وأخرجه غيرهما.

قال ابن باديس-رحمه الله: (وفي هذا النهي - بطريق الأحرى- تحريم أخذ مال اليتيم بالباطل، والتعدي عليه ظلما.ومثل اليتيم في وجهي النهي المتقدمين غيره، فكل ذي ولاية أو أمانة على مال غيره يجب عليه أن يتحرى التحري المذكور، كما يحرم على كل أحد أن يتعدى على مال غيره، وإنما خص اليتيم بالذكر، لأنه ضعيف لا ناصر له، والنفوس أشد طمعا في مال الضعيف، فالعناية به أوكد، والعقوبة عليه أشد، ومن تأدب بأدب الآية في مال الضعيف كاليتيم، كان حقيقا أن يتأدب بأدبها في مال غيره.

ومن بليغ إيجاز القرآن في بيانه أنه يذكر الشيء ليدل به على نظيره، أو الذي هو أحرى بالحكم منه، أو لكون امتثال الحكم الشرعي فيه داعيا إلى امتثاله في غيره بالمساواة، أو الأحروية)[1].

◆ **الدراسة:**

استنبط الشيخ ابن باديس رحمه الله من هذه الآية:

١- حكمين فقهيين.

٢- وسرّا وحكمة شرعية في تخصيص اليتيم بالذكر.

٣ - وفائدة وثمرة امتثال الأوامر والنواهي التكليفية.

- **الحكم الأول:** تحريم أخذ مال اليتيم والتعدي عليه بأي طريق وذلك قياسا على قربانه بطريق الأولى.

- **الحكم الثاني:** كل من له ولاية على مال غيره حرم عليه مثل ما جاء النهي عن اليتيم بقياس المساواة.

- **التنبيه:** هو بيان الحكمة من تخصيص النهي عن أخذ مال اليتيم بالذكر مع أنه ينهى عن أخذ مال اليتيم وغير اليتيم.

- **الفائدة:** وهي تعد ثمرة امتثال التكاليف وهو أن من ابتعد عن ظلم الضعيف (كاليتيم) كان لظلم غير الضعيف أبعد.

فقوله: (وفي هذا النهي -بطريق الأحرى- تحريم أخذ مال اليتيم بالباطل، والتعدي

(١) مجالس التذكير (١/٢٥٢-٢٥٣).

عليه ظلما)، بيان لاستنباط الحكم الأول.

وطريق هذا الاستنباط، الأول هو القياس الأولوي.

وقوله:(ومثل اليتيم في وجهي النهي المتقدمين غيره، فكل ذي ولاية أو أمانة على مال غيره يجب عليه أن يتحرى التحري المذكور،كما يحرم على كل أحد أن يتعدى على مال غيره)، بيان للحكم الثاني المستبط.

وطريق هذ االاستنباط، دلالة قياس المساواة.

وقوله: (وإنما خص اليتيم بالذكر، لأنه ضعيف لا ناصر له، والنفوس أشد طمعا في مال الضعيف، فالعناية به أوكد، والعقوبة عليه أشد)، بيان للتنبيه المذكور.

وطريق هذا الاستنباط، هو ذكر بعض أفراد العام لمزيد العناية به والانتباه له.

ووجه هذا الاستنباط، هو ما ذكر في الاستنباط من أن النفوس أشد طمعا في مال الضعيف، واليتيم ضعيف، فكان التنصيص عليه بالذكر أوكد لعظم وأشد العقوبة في ظلمه.

وقوله: (ومن تأدب بأدب الآية في مال الضعيف كاليتيم، كان حقيقا أن يتأدب بأدبها في مال غيره)، بيان للفائدة المستنبطة.

وطريق هذا الاستنباط، هو مفهوم الموافقة.

ووجه هذا الاستنباط، هو ما ذكره ابن باديس في استنباطه وهو أن: (ومن تأدب بأدب الآية في مال الضعيف كاليتيم، كان حقيقا أن يتأدب بأدبها في مال غيره).

وما استنبطه ابن باديس معاني وأحكام صحيحة، مأخوذة من دلالة الآية بأقيسة جليّة، كما بيّناه في طرق استنباطها، ولها ما يشهد لها من نصوص الشرع.

قال تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (البقرة: ٢٢٠)، وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ (النساء: ١٠).

وروى الشيخان عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: ((اجتنبوا السبع

الموبقات، قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات))[١].

وقد أشار إلى بعض هذا الاستنباط الجصاص.

قال: (إنما خص اليتيم بالذكر فيما أمرنا به من ذلك، لعجزه عن الانتصار لنفسه ومنع غيره عن ماله، ولما كانت الأطماع تقوى في أخذ ماله، أكد النهي عن أخذ ماله بتخصيصه بالذكر، وقوله تعالى: ﴿ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾، دل على أن من له ولاية على اليتيم يجوز له دفع مال اليتيم مضاربة، وأن يعمل به هو مضاربة، فيستحق ربحه إذا رأى ذلك أحسن، وأن يبضع ويستأجر من يتصرف ويتجر في ماله، وأن يشتري ماله من نفسه إذا كان خيرا لليتيم، وهو أن يكون ما يعطي اليتيم أكثر قيمة مما يأخذه منه)[٢].

وأشار إلى بعضه كذلك الكيا الهراسي.

قال: (خص اليتيم بذلك، لأنه إليه أحوج، وعن الاستقلال أبعد، وإلى المرحمة والشفقة أقرب)[٣].

وأشار إلى بعضه كذلك البقاعي، قال: (وبدأ بأحق ذلك بالنهي، لشدة الطمع فيه لضعف مالكه، فقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ﴾ أي: فضلا عن أن تأكلوا)[٤]، وغيرهم[٥].

---

(١) البخاري في كتاب الوصايا، باب قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ (النساء: ١٠)، (١٠١٧/٣ رقم ٢٦١٥)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها (٩٣/١ رقم ٨٩).

(٢) أحكام القرآن للجصاص (٤/ ١٩٦).

(٣) أحكام القرآن للكيا الهراسي (٢٦١/٤).

(٤) نظم الدرر (٣٧٩/٤).

(٥) ينظر: تفسير البيضاوي أنوار التنزيل (٢٥٤/٣)، تفسير الماوردي النكت والعيون (٢٤١/٣)، فتح القدير للشوكاني (٢٦٩/٣)، زهرة التفاسير لأبي زهرة (٢٧٣٥/١).

❖ **الاستنباط السابع عشر:**

• **أصول العقائد والأحكام لا تثبت بالحديث الضعيف.**

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ (الإسراء: ٣٦).

قال ابن باديس-رحمه الله: (لا نعتمد في إثبات العقائد والأحكام على ما ينسب للنبي ﷺ من الحديث الضعيف)[١].

◆ **الدراسة:**

استنبط الشيخ ابن باديس رحمه الله من هذه الآية قاعدة أصولية حديثية، وهو أنّ العقائد والأحكام لا تثبت بالأحاديث الضعيفة.

وطريق هذا الاستنباط، هو دلالة الإشارة، فإن لفظ الآية لم ينطق به، ولم يقصد أصالة في الكلام ولم يُسق له، وإنما فهم واستنبط من لازم لفظ الآية.

ووجه دلالة الآية على هذا الاستنباط، هو أن الحديث الضعيف لمّا لم يكن عندنا علم أو غلبة ظن به، فهو إذًا في دائرة المظنون، وقد نُهينا في هذه الآية أن نتبع الظن، وألّا نبني أمورنا وأحكامنا وعقائدنا على الظن.

وما استنبطه ابن باديس قاعدة صحيحة، وهي أنّ الحديث الضعيف لا يعتمد عليه في إثبات العقائد والأحكام.

ومقصود الشيخ بالأحكام أي أصول أحكام العبادات والمعاملات، ويبيّن هذا المقصود قوله بعد استنباط هذه القاعدة: (فإذا كان الحكم ثابتاً بالحديث الصحيح مثل قيام الليل، ثم وجدنا حديثاً في فضل قيام الليل بذكر ثواب عليه -مما يرغب فيه- جاز عند الأكثر أن نذكره مع التنبيه على ضعفه الذي لم يكن شديداً على وجه الترغيب، ولو لم يكن الحكم قد ثبت لما جاز الالتفات إليه)[٢].

وللعلماء في مسألة العمل والاحتجاج بالحديث الضعيف عموما، مواطن اتفاق

---

(١) مجالس التذكير (٢٧٢/١).

(٢) نفس المرجع السابق والصفحة.

ومواطن اختلاف.

اتفقوا على أنّه لا يجوز العمل بالحديث الضعيف، لا في أصول العقائد، ولا في أصول أحكام العبادات والمعاملات، بل يجب إثبات ذلك بالحديث الصحيح، ثمّ اختلفوا في سوى ذلك في الأخذ بالضعيف، على ثلاثة مذاهب[١]:

المذهب الأول: لا يعمل به مطلقا لا في الفضائل ولا في الأحكام فضلا عن العقائد[٢].

المذهب الثاني: أنه يعمل بالحديث الضعيف مطلقا[٣].

المذهب الثالث: أنه يعمل به في الفضائل والمواعظ ونحو ذلك بشرط:

١- أن يكون الضعف غير شديد فيخرج من انفرد من الكذابين والمتهمين بالكذب ومن فحش خطأه.

٢- أن يندرج تحت أصلٍ معمولٍ به، فيخرج ما يخترع ويختلق، بحيث لا يكون له أصل.

٣- أن لا يعتقدَ عند العمل به ثبوته، بل يعتقد الاحتياط. والله تعالى أعلم.

والمذهب الثالث: هو الراجح إن شاء الله، وهو الذي ذهب إليه ابن باديس واستنبطه من الآية الكريمة، وهو مذهب الراسخين من أهل العلم، محدّثين وفقهاء وأصوليين.

---

(١) ينظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم (٢ / ٦٩)، مقدمة ابن الصلاح (ص٢١٠)، إعلام الموقعين عن رب العالمين (١/٣٧-٣٨)، النكت على مقدمة ابن الصلاح للزركشي (٢/٣١٠)، المقنع =في علوم الحديث لابن الملقن (١/١٠٤)، فتح المغيث شرح ألفية العراقي في الحديث للسخاوي (١/١٠٨)، مقدمة في أصول الحديث لعبد الحق الدهلوي (ص٣٨)، توجيه النظر إلى أصول الأثر لطاهر الجزائري (٢/٦٥٨)، قواعد التحديث للقاسمي (ص ١١٣)، إسعاف ذوي الوَطَر بشرح نظم الدُّرَر في علم الأثر لشيخنا محمد علي آدم (١/٣١٨).

(٢) حكاه ابن سيد الناس عن الإمام يحيى ابن معين، وإليه ذهب أبو بكر ابن العربي، وهو مذهب ابن حزم. ينظر المرجع: هامش (٣) من الصفحة السابقة.

(٣) وعزي هذا إلى أبي داود، والإمام أحمد، وأنهما يريان ذلك أقوى من رأي الرجال. ينظر المرجع: هامش (٣) من الصفحة السابقة.

يقول الإمام ابن تيمية[١] -رحمه الله- وهو بصدد كلامه على أهل الكلام والمنطق: (وأهل الحديث لا يستدلون بحديث ضعيف في نقض أصل عظيم من أصول الشريعة بل إما في تأييده، وإما في فرع من الفروع وأولئك يحتجون بالحدود والمقاييس الفاسدة في نقض الأصول الحقة الثابتة)[٢]. والله تعالى أعلم.

❖ الاستنباط الثامن عشر:

• لا يقطع لمعيّن بجنة أو نار إلا من جاء النص من الشارع بتعيينهم.

قال تعالى: ﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ۚ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴾ (الإسراء: ٥٤).

قال -رحمه الله: (فلا يقطع لأحد بأنه من أهل النار، لجهل العاقبة سواء كان من أهل الكفر، أو كان من أهل الفسق، أو كان من أهل الابتداع، كما لا يقطع لأحد بالجنة كذلك، إلاّ من جاء النص بهم، فلا يقال للكافر عند دعوته أو مجادلته: إنك من أهل النار، ولكن تذكر الأدلة على بطلان الكفر، وسوء عاقبته، ولا يقال للمبتدع: يا ضال، وإنما تبين البدعة وقبحها، ولا يقال لمرتكب الكبيرة: يا فاسق، ولكن يبين قبح تلك الكبيرة وضررها وعظم إثمها، فتقبح القبائح والرذائل في نفسها، وتجتنب أشخاص مرتكبها)[٣].

---

(١) هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن الخضر بن محمد ابن تيمية الحراني، ثم الدمشقي، الإمام الفقيه، المجتهد المحدث، الحافظ المفسر، الأصولي الزاهد، تقي الدين أبو العباس، شيخ الإسلام وعلم الأعلام، تأهل للفتوى والتدريس، وهو دون العشرين سنة، توفي محبوساً في قلعة دمشق سنة٧٢٨هـ على مسألة الزيارة، وكانت جنازته عظيمة إلى الغاية رحمه الله، من أشهر كتبه "مجموع الفتاوى"، و"منهاج السنة"، "اقتضاء الصراط المستقيم"، و"العقيدة الواسطية"، و"الحموية" وغيرها كثير. فوات الوفيات (٧٤/١)، ذيل طبقات الحنابلة (٤٩١/٤) وما بعدها.

(٢) مجموع الفتاوى (٢٥/٤).

(٣) مجالس التذكير (٢٩٢/١-٢٩٣).

◆ **الدراسة:**

استنبط الشيخ ابن باديس من هذه الآية عقيدةً، وهي عدم الحكم والقطع لمعين بالجنة أو النار، بناء على ظاهر الحال في هذه الدنيا، وذلك لجهل العاقبة عندنا نحن البشر.

وطريق هذا الاستنباط، هو دلالة الإيماء، وبيان ذلك أن عدم القطع بالجنة أو النار من طرفنا نحن البشر، حكمٌ ارتبط بوصف وهو جهلنا بالعاقبة، فكان هذا الوصف علة ظاهرة في الحكم، فالامتناع إذاً عن القطع بالحكم بالجنة أو النار سببه وعلته أن علم البشر قاصر عن معرفة عاقبة الموافاة لأيّ شخص.

ووجه هذا الاستنباط، هو أن رُبّ شخص هو اليوم من أهل الكفر والضلال تكون عاقبته إلى الخير والكمال، ورب شخص هو اليوم من أهل الإيمان ينقلب -والعياذ بالله تعالى- على عقبه في هاوية الوبال)[١].

وهذا الذي استنبطه ابن باديس هنا، معنى صحيح مبني على تفسير صحيح، قال به كثير من المفسرين، وهو أن الخطاب في قوله تعالى عام لجميع الناس، لا أنه خاص لكفار قريش أو للمؤمنين، كما قال به بعض المفسرين، وأنه أوفق لطريقة الشيخ ابن باديس في التفسير التي تقتضي حمل التراكيب على أبلغ أساليبها البيانية، كما صرح هو بذلك في مقدمة تفسيره[٢] كما أن هذا التفسير له ما يشهد له من أدلة الشرع.

قال ابن كثير -رحمه الله: (﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ﴾ أيها الناس، من يستحق منكم الهداية ومن لا يستحق ﴿ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ ﴾ بأن يوفقكم لطاعته والإنابة إليه ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ ﴾ يا محمد ﴿ وَكِيلًا مَّتَى ﴾ أي: إنما أرسلناك نذيرا، فمن أطاعك دخل الجنة، ومن عصاك دخل النار)[٣].

وهذه أحاديث من السنة النبوية تشهد لهذا الاستنباط.

---

(١) مجالس التذكير (٢٩٣/١).

(٢) قال-رحمه الله: (فقد عدنا - والحمد لله تعالى - إلى مجالس التذكير، من دروس التفسير نقتطف أزهارها ونجني من ثمارها، بيسر من الله تعالى وتيسير، على عادتنا في تفسير الألفاظ بأرجح معانيها اللغوية، وحمل التراكيب على أبلغ أساليبها البيانية). مجالس التذكير (٩٣/١).

(٣) تفسير ابن كثير (٨٧/٥).

قال النبي ﷺ: ((إن أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوما، نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله إليه ملكا بأربع كلمات، فيكتب عمله وأجله ورزقه وشقي أم سعيد، ثم ينفخ فيه الروح، فإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخل الجنة، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار))(١).

وأعظم من هذا في التصديق لهذا الاستنباط، قصة ذلك الرجل الذي أجهز على نفسه حينما ((التقى النبي ﷺ والمشركون في بعض مغازيه فاقتتلوا فمال كل قوم إلى عسكرهم وفي المسلمين رجل لا يدع من المشركون شاذة ولا فاذة إلا اتبعها فضربها بسيفه فقيل: يا رسول الله ما أجزأ أحد ما أجزأ فلان فقال: إنه من أهل النار، فقالوا: أينا من أهل الجنة إن كان هذا من أهل النار؟ فقال: رجل من القوم لأتبعنه فإذا أسرع وأبطأ كنت معه حتى جرح فاستعجل الموت فوضع نصاب سيفه بالأرض وذبابه بين ثدييه ثم تحامل عليه فقتل نفسه، فجاء الرجل إلى النبي ﷺ فقال: أشهد أنك رسول الله فقال: وما ذاك، فأخبره فقال: إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وإنه من أهل النار ويعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة))(٢).

وقد أشار إلى معنى هذا الاستنباط الإمام البقاعي.

قال رحمه الله: (ويجوز -وهو عندي أحسن- أن تكون الآية استئنافاً واقعاً موقع التعليل للأمر بقول الأحسن، أي: ﴿ رَّبُّكُمْ ﴾ أيها العباد ﴿ أَعْلَمُ بِكُمْ ﴾ وبما يؤول أمركم إليه من سعادة وشقاوة، ﴿ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ ﴾ بهدايتكم، ﴿ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ﴾

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب القدر (٦/٢٤٣٣)، وفي كتاب التوحيد، باب ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الصافات:١٧١] (٦/٢٧١٣ رقم: ٧٠١٦)، ومسلم باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته (٤/٢٠٣٦ رقم٢٦٤٣).

(٢) البخاري في كتاب المغازي، باب غزوة خيبر (٤/١٥٤١رقم ٣٩٧٠)، مسند الإمام أحمد (٣٧/٤٧٠ رقم٢٢٨١٣)، وأخرج طرفه الأخير: ((إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنه فيما يبدو للناس...)) الطبراني في معجمه الكبير (٦/١٤٩ رقم٥٨٠٦).

بإضلالكم فلا تحتقروا أيها المؤمنون المشركين فتقطعوا بأنهم من أهل النار فتعيروهم بذلك، فإنه يجر إلى الإحن وحر الصدور وغيظ القلوب بلا فائدة، لأن الخاتمة مجهولة، ولا تتجاوزوا فيهم ما آمركم به من قول وفعل فإنه الأحسن)[١].

(ومقصود أهل السنة والجماعة بقولهم لا أشهد لأحد بجنة ولا نار إلا من جاء بهم النص في المنتسبين للقبلة أما المشترك الأصلي أو الكافر اليهودي أو النصراني بأنه يستصحب الأصل الذي كان عليه فإذا مات على الكفر فإننا نقول هو كافر ومات عليه وهو من أهل النار، والنبي ﷺ قال لنا: ((حيثما مررت بقبر كافر فبشره بالنار))[٢]، أبشر بالنار، هذا لا يدخل في قول أهل السنة لأنَّ المقصود من ذلك أهل القبلة، لا نشهد لمعين بجنة من أهل القبلة ولا لمعين من أهل القبلة بنار، إلا من شهد له الرسول ﷺ)[٣].

والقطع والشهادة لمعين بالجنة أو النار أي: أن يقال هذا فلان من أهل الجنة، أو أن هذا فلان من أهل النار عملا بظاهر حاله من كفر أو إيمان.

فهذه صورة المسألة وإليك أقوال أهل العلم فيها:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية–رحمه الله: (وأهل السنة جزموا بالنجاة لكل من اتقى الله تعالى، كما نطق به القرآن وإنما توقفوا في شخص معين، لعدم العلم بدخوله في المتقين)[٤].

وقال في موضع آخر: (والعبد إذا اجتمع له سيئات وحسنات فإنه وإن استحق العقاب على سيئاته فإن الله يثيبه على حسناته، ولا يحبط حسنات المؤمن لأجل ما

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١١/٤٤٢-٤٤٣).

(٢) سنن ابن ماجه (١/٥٠١ رقم ١٥٧٣)، مسند البزار (٣/٢٩٩ رقم١٠٨٩)، والمعجم الكبير للطبراني (١م١٤٥ رقم ٣٢٦)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/١١٨ رقم ٤٦٢): رجاله رجال الصحيح، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١/٥٥ رقم ١٨)، وصحيح الجامع الصغير وزياداته (١/٦٠٤ رقم ٣١٦٥).

(٣) إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل لصالح آل الشيخ (ص ١٧).

(٤) مجموع الفتاوى (٢٠/١٦٦).

صدر منه، وإنما يقول بحبوط الحسنات كلها بالكبيرة الخوارج[١] والمعتزلة الذين يقولون بتخليد أهل الكبائر، وأنهم لا يخرجون منها بشفاعة ولا غيرها وأن صاحب الكبيرة لا يبقى معه من الإيمان شيء، وهذه أقوال فاسدة، مخالفة للكتاب، والسنة المتواترة، وإجماع الصحابة)[٢].

قال الإمام الطحاوي[٣] -رحمه الله: (ولا ننزل أحدا منهم جنة ولا نارا)[٤].

(يريد: أنا لا نقول عن أحد معين من أهل القبلة إنه من أهل الجنة أو من أهل النار، إلا من أخبر الصادق ﷺ أنه من أهل الجنة، كالعشرة[٥]، وإن كنا نقول: إنه لا بد أن يدخل النار من أهل الكبائر من يشاء الله إدخاله النار، ثم يخرج منها بشفاعة الشافعين، ولكنا

---

(١) الخوارج هم الذين خرجوا على علي ﷺ ممن كان معه في حرب صفين، وهم فرق كثيرة من أشهرها: المحكمة، والأزارقة، والإباضية، والصفرية، ويجمعهم القول بالتبري من عثمان وعلي رضي الله عنهما، ويكفرون أصحاب الكبائر، ويرون الخروج على الإمام إذا خالف السنة حقا واجبا، إلى غير ذلك فهؤلاء أصل الإطلاق الأول، وكذلك كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجيا، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين، أو كان بعدهم على التابعين بإحسان، والأئمة =في كل زمان. ينظر: الملل والنحل للشهرستاني (١/ ١١٤)، والفرق بين الفرق (ص٥٤) وما بعدها، واعتقادات فرق المسلمين والمشركين لفخر الدين الرازي (ص٤٦) وما بعدها.

(٢) مجموع الفتاوى (٦٨/٣٥).

(٣) هو الإمام العلامة، الحافظ الكبير، محدث الديار المصرية وفقيهها، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة بن عبد الملك الأزدي، الحجري، المصري، الطحاوي، الحنفي، صاحب التصانيف من أهل قرية طحا من أعمال مصر، انتهت إليه رياسة الحنفية بمصر، تفقه على مذهب الشافعي، ثم تحول حنفيا، وهو ابن أخت المزني وتوفي بالقاهرة سنة ٣٢١هـ، من تصانيفه (شرح معاني الآثار) في الحديث، و(مشكل الآثار)، و(أحكام القرآن) وغيرها. ينظر ترجمته في: تاريخ دمشق (٣٦٨/٥)، سير أعلام النبلاء (٢٩/١٥)، الأعلام للزركلي (٢٠٦/١).

(٤) العقيدة الطحاوية (١٦٣/١).

(٥) وهم الخلفاء الراشدون الأربعة: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، كذلك سعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وطلحة بن عبيد الله وأبو عبيدة عامر بن الجراح وعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام، فهؤلاء العشرة المبشرون بالجنة، رضي الله عنهم وأرضاهم. ينظر: "السنة" لابن أبي عاصم (٦١٨/٢رقم ١٤٢٥)، مسند أحمد (١٧٤/٣رقم ١٦٢٩)، ورواه الترمذي في سننه (٦٤٧/٥ رقم ٣٧٤٧) وقال: حسن صحيح، وصححه الألباني في الجامع الصغير (٧١/١ رقم ٥٠)، ورواه ابن ماجه في سننه (٤٨/١ رقم١٣٣) وغيرهم.

نقف في الشخص المعين، فلا نشهد له بجنة ولا نار إلا عن علم، لأن الحقيقة باطنة، وما مات عليه لا نحيط به، لكن نرجو للمحسنين، ونخاف على المسيء)[١].

وقال –رحمه الله– في موطن آخر: (ونرجو للمحسنين من المؤمنين أن يعفو عنهم ويدخلهم الجنة برحمته، ولا نأمن عليهم، ولا نشهد لهم بالجنة)[٢].

وقال ابن كثير عند تفسير قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ (الأحقاف: ٩)، بعد ما روى حديث أم العلاء الأنصارية في شهادتها لعثمان بن مظعون بالجنة[٣]، (وفي هذا وأمثاله دلالة على أنه لا يقطع لمعين بالجنة إلا الذي نص الشارع على تعيينهم[٤])[٥].

---

(١) شرح الطحاوية في العقيدة السلفية لصدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي (المتوفى: ٧٩٢هـ) (٢٤٨/١).

(٢) شرح الطحاوية للأذرعي (٢٠٨/١).

(٣) عن أم العلاء الأنصارية قالت: ((لما توفي أبو السائب عثمان بن مظعون رضي الله عنه، ودخل عليه النبي ﷺ، قالت: رحمة الله عليك أبا السائب! شهادتي عليك، لقد أكرمك الله عز وجل، فقال رسول الله ﷺ: وما يدريك أن الله أكرمه؟!، فقلت: لا أدري بأبي أنت وأمي، فقال رسول الله ﷺ: أمّا هو فقد جاءه اليقين من ربه وإني لأرجو له الخير، والله ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل بي، قالت: فقلت: والله، لا أزكي أحدا بعده أبدا))، البخاري في كتاب الجنائز، باب الدخول على الميت بعد الموت إذا بدأ في تكفينه (٤١٩/١ رقم ١١٨٦)، وأخرجه في أبواب متفرقه من صحيحه (٢٥٤١-٣٧١٤-٦٦٠١-٦٦٠٢-٦٦١٥)، والإمام أحمد في مسنده (٤٤٩/٤٥ رقم ٢٧٤٥٧)، والطبراني في المعجم الكبير (١٣٩/٢٥ رقم ٣٣٧) وغيرهم.

(٤) الذين عيّنهم النبي ﷺ بأسمائهم وبشرهم بأنهم من أهل الجنة كثيرون، ولكن خُصّ هؤلاء العشرة بهذا الاسم إذا أطلق، لأن النبي ﷺ ذكرهم مجموعين في حديث، فقال: ((أبو بكر في الجنة وعمر في الجنة وعثمان في الجنة وعلي في الجنة وطلحة في الجنة والزبير في الجنة وعبد الرحمن بن عوف في الجنة وسعد بن أبي وقاص في الجنة وسعيد بن زيد في الجنة وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة». ينظر تخريج هذا الحديث في هامش (٤) من الصفحة السابقة، وينظر المبشرين بالجنة الغير العشرة: صحيح البخاري رقم: (١٣٩٧–٣٦١٣-٣٨١٢-٥٦٥٢-٧٠١٠)، وصحيح مسلم رقم: (١٤-١١٩-٢٤٨٤-٢٥٧٦)، ومسند أحمد رقم (١٠٩٩٩-١١٧٥٦-١٢٦٩٧-١٣٨٧٢)، السنن الكبرى للنسائي رقم: (٧٤٤٨-٧٨٨٦-٨١١٣-٨١٩٥-٨٢٤٠-٨٢٩٧-٨٣٢٥)، صحيح ابن حبان رقم (٦٠٨٤) وغيرهم.

(٥) تفسير ابن كثير (٢٧٧/٧).

قال الإمام ابن القيم: (عزّى بعض العلماء رجلا بطفلة، فقال له: قد دخل بعضك الجنة، فاجتهد أن لا تتخلف بقيتك عنها، قلت: وفي جواز هذه الشهادة ما فيها، فإنا وإن لم نشك أن أطفال المؤمنين في الجنة لا نشهد به لمعين أنه فيها، كما نشهد لعموم المؤمنين بالجنة ولا نشهد بها لمعين سوى من شهد له النص وعلى هذا يحمل حديث عائشة رضي الله عنها وقد شهدت للطفل من الأنصار بأنه عصفور من عصافير الجنة فقال لها النبي وما يدريك[١])[٢].

وأما الإمام ابن العربي[٣]، فإنه يذهب إلى القول بالقطع لأولاد المسلمين بأنهم في الجنة تعيينا، ولأولاد الكفار بأنهم في المشيئة، وسبب ذلك أنه يرى أن حديث عائشة هذا منسوخ، لأن النبي ﷺ ردّ عليها بذلك الرد، لأنه لم يكن يَدْر ولا يعلم، حتى أعلمه الله بعد ذلك بأن ولد المسلم في الجنة، وهذا نص كلامه.

قال-رحمه الله: (قال علماؤنا: هو منسوخ بقوله ﷺ في إبراهيم: ((إن له مرضعا في الجنة)) [٤]،

---

(١) مسلم في كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين (٤/٢٠٥٠ رقم٢٦٦٢)، والنسائي في كتاب الجنائز، باب الصلاة على الصبيان(٤/٣٥٩ رقم ١٩٤٦) وأبو داود في كتاب السنة، باب في ذراري المشركين (٤/٣٦٥ رقم ٤٧١٥) وغيرهم: عن عائشة أم المؤمنين، قالت: دعي رسول الله ﷺ إلى جنازة صبي، يصلي عليه، فقلت: يا رسول الله طوبى لهذا، عصفور من عصافير الجنة لم يعمل السوء ولم يدر به، فقال: ((أو غير ذلك يا عائشة؟ إن الله عز وجل خلق للجنة أهلا، وخلقهم لها، وهم في أصلاب آبائهم، وخلق للنار أهلا، وخلقهم لها، وهم في أصلاب آبائهم)).

(٢) بدائع الفوائد لابن القيم (٣/١٠٩٦).

(٣) هو الحافظ أبو بكر ابن العربي أبو بكر محمد بن عبد الله بن أحمد، المعروف بابن العربي المعافري الأندلسي الإشبيلي، كان من أهل التفنن في العلوم والاستبحار فيها والجمع لها، مقدما في المعارف كلها متكلما في أنواعها نافذا في جميعها، حريصا على أدائها ونشرها، مات سنة٥٤٢هـ، من كتبه: "العواصم من القواصم"، و "عارضة الأحوذي في شرح الترمذي"، و"أحكام القرآن"، و"القبس في شرح موطأ ابن أنس"، و"المحصول في أصول الفقه"، و"قانون التأويل" وغيرها كثير. ينظر ترجمته في: وفيات الأعيان ٤/٢٩٧)، تاريخ الإسلام (١١/٨٣٤)، الأعلام (٦/٢٣٠).

(٤) البخاري في كتاب الجنائز، باب ما قل في أولاد المسلمين (٢/١٠٠ رقم ١٣٨٢)، وفي أبواب متفرقة من صحيحه (رقم ٣٢٥٥-٦١٩٥)، مسند الإمام أحمد (٣١/٦١٠ رقم ١٨٦٦٥)، سنن ابن ماجه في كتاب الجنائز، باب ما جاء في الصلاة على ابن رسول ﷺ وذكر وفاته (١/٤٨٤ رقم ١٥١١).

ولقوله: ((من مات له ثلاثة من الولد كن له حجابا من النار))[(١)]، ومعلوم أنه لو لم يكونوا في الجنة لما منعوه النار وأدخلوه الجنة وأيضا فإن النبي ﷺ حينئذ لم يكن يعرف ولا يدرى حتى عرّفه الله بعد ذلك، فقال في إبراهيم ابنه وغيره ما قال، فيقطع أن ولد المسلم في الجنة وولد الكافر في المشيئة، والذي صرح أن ولد المسلم في الجنة قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ ﴾ (الطور: ٢١)[(٢)].

وهذا كلام نفيس لبعض أهل العلم المحققين في هذه المسألة، يكون كالراجح فيها.

قال العلامة السندي[(٣)]: (قال النووي[(٤)]: أجمع من يعتد به من علماء المسلمين على أن من مات من أطفال المسلمين فهو من أهل الجنة، والجواب عن هذا الحديث أنه لعله نهاها عن المسارعة إلى القطع من غير دليل، أو قال ذلك قبل أن يعلم أن أطفال المسلمين في الجنة، قلت: قد صرح كثير من أهل التحقيق أن التوقف في مثله أحوط، إذ ليست

---

(١) البخاري في كتاب الجنائز، باب فضل من مات له ولد فاحتسب وقال الله عز وجل: {وبشر الصابرين} البقرة: ١٥٥ (٢/٧٣ رقم١٢٤٩)، وفي أبواب متفرقة من صحيحه رقم: (١٠١-١٣٨١-٧٣١٠)، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه (٤/٢٠٢٨ رقم ٢٦٣٢) وغيرهما.

(٢) المسالك في شرح موطأ مالك (٣/٥٤٤).

(٣) هو محمد بن عبد الهادي التتوي، أبو الحسن، نور الدين السندي الحنفي نزيل المدينة المنورة، الشيخ الإمام العلامة المحقق، درس بالحرم الشريف النبوي، واشتهر بالفضل والذكاء والصلاح، وألف مؤلفات نافعة منها: (الحواشي الستة على الكتب الستة)، وتوطن بالمدينة إلى أن توفي سنة ١١٣٨هـ، له (حاشية على سنن ابن ماجة)، و(حاشية على سنن أبي داود)، و(حاشية على صحيح البخاري)، و(حاشية على صحيح مسلم)، و(حاشية على سنن النسائي) وغير ذلك. ينظر ترجمته في: سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر لمحمد خليل بن علي بن محمد بن محمد مراد الحسيني (المتوفى: ١٢٠٦هـ) (٤/٦٦)، والأعلام للزركلي (٦/٢٥٣).

(٤) هو يحيى بن شرف بن مري بن حسن بن حسين، الإمام العلامة محيي الدين أبو زكريا الحزامي النووي، الحافظ الفقيه الشافعي النبيل، محرر المذهب ومهذبه وضابطه ومرتبه، أحد العباد والعلماء الزهاد، بورك له في وقته رحمه الله، ومصنفاته عديدة كبيرة منها: "المنهاج في شرح صحيح مسلم"، و"التقريب والتيسير" في مصطلح الحديث، و"حلية الأبرار " يعرف بالأذكار النووية، و"رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين"، و"شرح المهذب للشيرازي" وغيرها كثير. طبقات الشافعيين لابن كثير (١/٩٠٩).

المسألة مما يتعلق بها العمل ولا عليها إجماع، وهي خارجة عن محل الإجماع على قول الأصول، إذ محل الإجماع ما يدرك بالاجتهاد دون الأمور المغيبة، فلا اعتداد بالإجماع في مثله لو تمّ على قواعدهم، فالتوقف أسلم على أن الإجماع لو تمّ وثبت لا يصح الجزم في مخصوص، لأن إيمان الأبوين تحقيقا غيب، وهو المناط عند الله تعالى)[1]. والله تعالى أعلم.

الاستنباط التاسع عشر:

- **لا يجوز دعاء غير الله تعالى.**

قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا ﴾ (الإسراء: ٥٦).

قال ابن باديس –رحمه الله: (ودلّت الآية أيضا على أنه لا يجوز دعاء غير الله من المخلوقين، أي مخلوق كان لدفع ضر، ومثله جلب نفع، لأن الآية نعت على المشركين دعاءهم من لا يملك كشف الضر ولا تحويله، وهذا أمر يشترك فيه جميع المخلوقين، فلا مخلوق يستطيع كشف الضر أو تحويله عن نفسه ولا عن غيره، فلا مخلوق يجوز دعاؤه)[2].

- **الدراسة:**

استنبط ابن باديس – رحمه الله – من هذه الآية وجوب توحيد الله عز وجل في العبادة الذي منه الدعاء، فلا يجوز لأحد صرفه لغير الله من المخلوقين.

وكان طريق هذا الاستنباط، هو دلالة الإيماء والتنبيه.

ووجه هذا الاستنباط، هو أن من يستحق العبادة هو من له القدرة الكاملة والقدرة التامة على جلب النفع لهم ودفع الضر عنهم، وهم يعرفون أن هؤلاء الذين يدعونهم لا يملكون ذلك ولا يقدرون عليه، وأن الله هو الذي يملكها، فإذًا هو الذي يجب أن يصرف له الدعاء وتخلص له العبادة، أما هؤلاء الذين يدعونهم فهم عاجزون عن ذلك، وطلب الشيء من لا يملكه أو لا يقدر عليه طلبٌ لا فائدة وراءه.

---

(١) حاشية السندي على سنن ابن ماجه (٤٣/١).

(٢) مجالس التذكير (٢٩٧/١).

وما استنبطه ابن باديس هنا معنى صحيح سليم، مستخرج بطريق صحيح، وله ما يشهد له من أدلة الشرع.

قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾ (الزمر: ٢).

وقوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ﴾ (الجن: ١٨).

وقوله تعالى: ﴿ فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ (غافر:١٤)، وغيرها من الآيات في معناها.

وقد أشار الرازي إلى هذا الاستنباط وصاغه بغير صياغة ابن باديس.

قال: (احتج على فساد مذهب هؤلاء أن الإله المعبود هو الذي يقدر على إزالة الضرر، وإيصال المنفعة، وهذه الأشياء التي يعبدونها وهي الملائكة والجن والمسيح وعزيز لا يقدرون على كشف الضر ولا على تحصيل النفع، فوجب القطع بأنها ليست آلهة)[١].

وقد أشار الخازن كذلك إلى هذا الاستنباط.

قال: (ومقصود الآية الرد على المشركين، حيث قالوا ليس لنا أهلية أن نشتغل بعبادة الله فنحن نعبد المقربين إليه، وهم الملائكة، ثم إنهم اتخذوا لذلك الملك الذي عبدوه تمثالا وصورة وقد اشتغلوا بعبادته فاحتج على بطلان قولهم بهذه الآية وبين عجز آلهتهم)[٢].

حكم من جعل بينه وبين الله وسائط في الدعاء والاستغاثة والتوكل.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (فمن جعل الملائكة والأنبياء وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم جلب المنافع ودفع المضار مثل أن يسألهم غفران الذنب وهداية القلوب وتفريج الكروب وسد الفاقات: فهو كافر بإجماع المسلمين)[٣].

وقال في فتح المجيد شرح كتاب التوحيد: (وهذا في الآخرة، فبان بالنص الصريح من تنزيل رب العالمين أن ليس لغير الله دعوة لا في الدنيا ولا في الآخرة، قال الله تعالى

(١) مفاتيح الغيب (٣٥٧/٢٠).

(٢) لباب التأويل في معاني التنزيل (١٣٤/٣).

(٣) مجموع الفتاوى (١٢٤/١).

عن مؤمن آل فرعون أنه قال لقومه: ﴿ وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَلَا فِي ٱلْأٓخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ ﴾ (غافر: ٤١ - ٤٣)، فبين الله أن ليس لأحد دون الله دعوة لا في الدنيا ولا في الآخرة، لأن بيده الآخرة والأولى، وما سواه تحت قهره وتصريفه، قال تعالى: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْأٓخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ ﴾ (الليل: ١٢- ١٣)، وذلك أن غير الله ليس له ملك في السماوات والأرض ولا شراكة ولا عوانة ولا شفاعة إلا بإذنه، قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ ﴾ (سبأ: ٢٢ - ٢٣)، فنفى الملك فيهما عمن سواه ونفى الشراكة ونفى العوانة والشفاعة إلا بإذنه، هذا فكما أن النور والظلمة لا يجتمعان، وكذلك الحياة والممات اجتماعهما محال، كذلك الإيمان بهذه الآيات وما أشبهها لا يجتمع مع دعوة غير الله في كشف الضر وتحويله، بل مهما وجد واحد منهما في شخص انتفى الثاني ولابد، كالنور والظلمة)[1].

❖ الاستنباط العشرون:

- **المعبود الحق هو الذي يملك كشف الضر وتحويله وجلب النفع وإيصاله.**

قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴾ (الإسراء: ٥٦).

قال ابن باديس رحمه الله: (ودلت هذه الآية على أن كشف الضر أو تحويله -

(١) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد لعبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي المتوفى (المتوفى: ١٢٨٥هـ) (ص٣٠).

ومثله جلب النفع- إنما هو للمعبود الحق، لأن الآية استدلت عليهم في مقام الأمر بتوحيد الله، فأفاد ذلك قصر هذا التصرف عليه تعالى وحده)[١].

◆ **الدراسة:**

قد ذكرنا هذه الآية في الاستنباط الذي مضى قبل هذا، وكان موضوع الاستنباط هناك، عدم جواز دعاء غير الله، كائنا من كان، ووجوب إفراده -سبحانه- بالدعاء والعبادة وحده، أما ذِكْرنا لها هنا، فكان في استنباط الشيخ منها عقيدة صحيحة، يدفع بها كل عقيدة فاسدة تضادها، وهي أن اعتقاد كشف الضر ودفعه أو جلب النفع لا يكون إلا لله المعبود بحق.

فالاستنباطان قريبان في المعنى، إلا أن الأول كان في وجوب توحيد الله وإخلاص الدعاء له وحده لا شريك له، وهذا الأخير في العقيدة الصحيحة التي يجب أن يعقد عليها المؤمن الحق في المعبود الحق، وهو أن يكون بهذه الصفات التي ذكرت في الاستنباط.

وطريق دلالة هذا الاستنباط، هو الإيماء والتنبيه.

ووجه هذا الاستنباط، هو أنّ الآية استدلت عليهم في مقام الأمر بتوحيد الله بالعبادة بانتفاء ملك كشف الضر وتحويله عن غير الله -عزّ وجل- فنستخلص أن المعبود الحق هو الذي فيه هذه الصفات.

وما استنبطه معنى صحيح دلّ عليه إيماء الآية وتنبيهها، وله ما يشهد له من أدلة الشرع.

قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ سبأ: ٢٢

وقوله تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأعراف: ١٨٨).

---

(١) مجالس التذكير (٢٩٧/١).

وقوله تعالى: ﴿ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ (الزمر: ٣٨)، وغير ذلك من الآيات في هذا المعنى.

وقد أشار الشوكاني[١] إلى هذا الاستنباط قال: (والمعبود الحق هو الذي يقدر على كشف الضر، وعلى تحويله من حال إلى حال، ومن مكان إلى مكان، فوجب القطع بأن هذه التي تزعمونها آلهة ليست بآلهة)[٢].

❖ الاستنباط الحادي والعشرون:

• أفضلية صلاة الفجر على غيرها من الصلوات.

قال تعالى: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ (الإسراء: ٧٨).

قال ابن باديس رحمه الله تحت عنوان "استنباط": (من تخصيص صلاة الفجر بجملة التذييل المؤكدة، وما اشتملت عليه من هذه المزية، أخذ جماعة من أهل العلم أفضليتها على غيرها)[٣].

◆ الدراسة:

استنبط الشيخ ابن باديس رحمه الله من هذه الآية مسألة فقهية، وهي أفضلية صلاة الفجر على غيرها من الصلوات الخمس.

---

(١) هو محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني (١١٧٣ - ١٢٥٠ هـ = ١٧٦٠ - ١٨٣٤ م)، فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن، من أهل صنعاء، ولد بهجرة شوكان من بلاد خولان باليمن، ونشأ بصنعاء، =وولي قضاءها سنة ١٢٢٩هـ ومات حاكما بها، وكان يرى تحريم التقليد، له ١١٤ مؤلفا منها: "نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار"، و"البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع"، و"الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة"، و"الدرر البهية في المسائل الفقهية"، و"فتح القدير" في التفسير، و"إرشاد الفحول" في أصول الفقه، و"السيل الجرار في نقد كتاب الأزهار" وغير ذلك. الأعلام للزركلي (٢٩٨/٦).

(٢) فتح القدير (٢٨١/٣).

(٣) مجالس التذكير (٣٢٥/١).

وطريق هذا الاستنباط، هو دلالة الإيماء.

ووجه هذا الاستنباط، هو أنّ اقتران حكم: "وهو إقامة صلاة الفجر" بوصف: "وهو شهود الملائكة لها"، الذي تضمنته جملة: ﴿ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾، فاكتسبت هذه الصلاة هذه الميزة وهذه الأفضلية، بسبب هذا الوصف الذي كان علة في هذا الحكم.

واستنباط ابن باديس هذا مبني على أن معنى ﴿ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ أي: يشهده ملائكة الليل وملائكة النهار كما جاء به الحديث الصحيح[١] وكما هو قول جمهور المفسرين[٢].

ومما دل على هذا التفسير، فهم أبي هريرة ﷺ له واستدلاله بالآية على الحديث قاصدا أنه تفسير لها في قوله: ((اقرؤوا إن شئتم قوله تعالى: ﴿ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾))، وفهم الصحابة مقدم وخاصة أنه لم يأت ما مثله يعارضه.

وقد أشار إلى هذا الاستنباط أو قريبا منه، الإمام الشافعي رحمه الله، فقد ذكر ثلاث احتمالات في قوله تعالى: ﴿ كَانَ مَشْهُودًا ﴾، وذكر منها (أو أفضل)، فقوله: (أو أفضل) يريد والله أعلم أفضلية هذا الوقت (الفجر).

وأشار إلى قريب من هذا الاستنباط كذلك أبو حيان[٣]، إلا أنه استنبطه من غير

---

(١) عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((تفضل صلاة الجميع صلاة أحدكم وحده بخمس وعشرين جزءا، وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر))، ثم يقول أبو هريرة ﷺ: فاقرؤوا إن شئتم ﴿ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ (الإسراء: ٧٨). رواه البخاري في كتاب الجماعة والإمامة، باب فضل صلاة الفجر في جماعة (٢٣٢/١ رقم ٦٢١)، وفي مواضع أخرى من صحيحه برقم: (٤٦٥-٦١٩-٤٤٤٠)، وأخرجه مسلم في كتاب المساجد ومجامع الصلاة، باب فضل صلاة الجماعة وبيان التشديد في التخلف عنها (٤٥٠/١ رقم ٦٤٩).

(٢) انظر: أحكام القرآن للشافعي جمع البيهقي (٦١/١). تفسير الماوردي (٢٦٢/٣) وما بعدها.

(٣) هو محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان، الشيخ الإمام الحافظ العلامة، إمام النحاة، أثير الدين أبو حيان الغرناطي، قرأ القرآن بالروايات، وسمع الحديث، عارف باللغة ضابط لألفاظها، وأما النحو والتصريف فهو إمام الدنيا فيهما، وله اليد الطولى في التفسير والحديث والشروط والفروع وتراجم الناس وطبقاتهم وتواريخهم وحوادثهم وتقييد أسمائهم، توفي بالديار المصرية في أوائل سنة ٧٤٥هـ رحمه الله تعالى، من كتبه:

الطريق ومن غير الجملة التي استنبط منها ابن باديس قال: (وأعاد قرآن الفجر في قوله: ﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾ ولم يأت مضمرا فيكون أنه على سبيل التعظيم والتنويه بقرآن الفجر)[١].

وقال السعدي[٢] –رحمه الله– عند تفسير الآية: (وفيه فضيلة صلاة الفجر)[٣].

وقد أشار ابن عاشور –رحمه الله– إلى قريب من هذا الاستنباط، قال: (وجملة إن قرآن الفجر كان مشهودا استئناف بياني لوجه تخصيص صلاة الصبح باسم القرآن بأن صلاة الفجر مشهودة أي: محضورة، وفسر ذلك بأنها تحضرها ملائكة الليل وملائكة النهار، كما ورد في الحديث: ((وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الصبح))، وذلك زيادة في فضلها وبركتها)[٤].

اعتراض على هذا الاستنباط وجوابه.

وقد أورد ابن باديس هنا اعتراضا وأجاب عنه، وهو أنه قد يقول قائل معترضا على هذا الاستنباط بأنه قد جاءت أيضا نصوص في أفضلية صلاة العصر من الكتاب والسنة

"البحر المحيط في التفسير"، و"تحفة الأريب" في غريب القرآن، و"منهج السالك في الكلام على ألفية ابن مالك"، و"التذييل والتكميل في شرح التسهيل لابن مالك" وغيرها. فوات الوفيات (٤/٧١). ينظر ترجمته في: معجم الشيوخ للسبكي (١/٤٣٧)، وحسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة (١/٥٣٤)، ولأعلام للزركلي (٧/١٥٢).

(١) البحر المحيط (٧/٩٨).

(٢) هو الشيخ العلامة أبو عبد الله عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر السِعدي، من آل سِعدي (بكسر السين)، توفيت أمه وله من العمر أربع سنوات، وتوفي والده وهو في السابعة، فتربى يتيماً ولكنه نشأ نشأة حسنة، حفظ القرآن وعمره أحد عشر سنة، ثم اشتغل في التعلم على علماء بلده، فاجتهد وجد حتى نال الحظ الأوفر من كل فن من فنون العلم، ولما بلغ من العمر ثلاثاً وعشرين سنة جلس للتعليم، وبعد عمر مبارك دام قرابة ٦٩ عاماً في خدمة العلم، انتقل إلى جوار ربه في عام ١٣٧٦هـ في مدينة عنيزة من بلاد القصيم، رحمه الله رحمة واسعة، من كتبه: "تيسير الكريم المنان في تفسير القرآن"، و"تيسير اللطيف المنان في خلاصة مقاصد القرآن"، و"القواعد الحسان في تفسير القرآن" وغيرها كثير. ينظر ترجمته في: ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، و الأعلام للزركلي (٣/٣٤٠)، ومشاهير علماء نجد وغيرهم لعبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب (ص٢٥٦).

(٣) تفسير السعدي (١/٤٦٤).

(٤) التحرير والتنوير (١٥/١٨٣) وما بعدها.

كقوله تعالى:

﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴾ (البقرة: ٢٣٨).

وقد بينت السنة أن المراد بالصلاة الوسطى صلاة العصر(١)، فتخصيصها هنا بالذكر دليل على أفضليتها، وكما جاء في الصحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: ((الذي تفوته صلاة العصر كأنما وتر أهله وماله))(٢).

وفي الصحيح أيضا عن بريدة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله))(٣).

وقد شاركت صلاة العصر صلاة الصبح في شهود الملائكة كما في الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم – وهو أعلم بهم– كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون، وأتيناهم وهم يصلون))(٤).

وأجاب ابن باديس عن هذا الاعتراض قائلا: (إن ثبوت هذه المزية للفجر قطعي

---

(١) عن أبي يونس، مولى عائشة قال: ((أمرتني عائشة، أن أكتب لها مصحفا، فقالت: إذا بلغت هذه الآية فآذني {حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى} فلما بلغتها آذنتها، فأملت علي: حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر وقوموا لله قانتين، وقالت: سمعتها من رسول الله ﷺ))، و عن سمرة بن =جندب، أن نبي الله ﷺ قال: ((صلاة الوسطى صلاة العصر))، وعن عبيدة السلماني أن عليا حدثه أن النبي ﷺ قال يوم الأحزاب: ((اللهم املأ قبورهم وبيوتهم نارا كما شغلونا عن صلاة الوسطى حتى غابت الشمس))، أخرج هذه الأحاديث الترمذي في سننه وقال في كل واحد فيها: حسن صحيح. سنن الترمذي (٦٧/٥) حديث رقم: (٢٩٨٢-٢٩٨٣-٢٩٨٤).

(٢) البخاري في كتاب مواقيت الصلاة، باب إثم من فاتته العصر (١١٥/١رقم ٥٥٢)، ومسلم باب التغليظ في تفويت صلاة العصر (١٣٥/١ رقم ٦٢٦).

(٣) البخاري في كتاب مواقيت الصلاة، باب من ترك العصر (١١٥/١ رقم ٥٥٣)، سنن النسائي في كتاب الصلاة، باب من ترك صلاة العصر (٢٣٦/١ رقم ٤٧٤)، صحيح ابن حبان (٣٣٢/٤ رقم١٤٧٠).

(٤) البخاري في كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر (١١٥/١ رقم: ٥٥٥)، وفي كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة (١٠٩/٤ رقم: ٣٢٢٣)، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما (١١٣/٢ رقم ١٣٧٦).

بنص القرآن، ومتفق عليه في روايات الحديث بخلاف العصر، فقد جاء في بعض الروايات دون بعض، وتبقى الفجر ممتازة بتخصيصها بالتأكيد في نص الكتاب وكفى هذا مرجحا لها)[1].

وما ذكره ابن باديس من جواب على هذا الاعتراض، معناه أنّ شهود الملائكة لصلاة الفجر ثابت بدليل قرآني قطعي الثبوت قطعي الدلالة، وصلاة العصر لم تثبت لها هذه الميزة، وروايات الحديث التي ذكرت اجتماع وشهود الملائكة متفقة كلها على أنّها تجتمع في صلاة الفجر، بخلاف العصر فإنّها جاءت في بعض الروايات دون بعض.

فبهذه الترجيحات إذاً، أخذت صلاة الفجر هذه الأفضلية على غيرها من الصلوات، بدلالة القرآن القطعية في شهود الملائكة لها وبانفرادها واجتماعها في روايات الحديث في هذا الشهود.

وأمّا تفسير الصلاة الوسطى بصلاة العصر في قوله تعالى: ﴿**حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ**﴾، فليس هو تفسير متفق عليه بين أهل العلم، بل زاحمتها فيه صلاة الفجر كذلك، وإن كان الراجح هو صلاة العصر،كما جاءت في الرواية المرفوعة.

وكون تفسير الصلاة الوسطى هنا بالعصر لا يعكّر على استنباط ابن باديس لأمور:

أولاً: ليس فيه أنّها أفضل، وإنّما غاية ما فيه أنّه بيان لفضلها وعظم الاعتناء بها.

ثانيا: أنّ هذه الدلالة لها في هذه الآية على هذه الفضيلة ليست قطعية، للخلاف الشديد في تعيينها.

وأمّا حديث: ((وتر أهله وماله))، وحديث: ((فقد حبط عمله))، فدلالتها في فضيلة صلاة العصر لا في أفضليتها على غيرها الذي هو محل النزاع، ولهذا قال ابن حجر العسقلاني[2] في الفتح عند قول البخاري "باب فضل صلاة العصر": (قوله: باب فضل

---

(١) مجالس التذكير (١/٣٢٥).

(٢) هو أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين، ابن حَجَر، حبب الله إليه الحديث فأقبل عليه بكليته فلم تمض مدة يسيرة حتى اتسعت معارفه، فصار أحفظ أهل العصر للأحاديث

صلاة العصر، أي على جميع الصلوات إلا الصبح وإنما حملته على ذلك لأن حديثي الباب – قصد ابن حجر الحديثين المتقدمين– لا يظهر منهما رجحان العصر عليها ويحتمل أن يكون المراد أن العصر ذات فضيلة لا ذات أفضلية)[١].

فنخلص إذاً، إلى أنّ ما استنبطه ابن باديس صحيح، وذلك لعدم وجود دليل قوي صحيح صريح يعارضه.

وقد جاء عن ابن حجر العسقلاني ما يعضّد هذا الاستنباط.

فقد قال رحمه الله وهو يبيّن مطابقة حديث البخاري عن أبي هريرة قال: ((سمعت رسول الله ﷺ يقول: تفضل صلاة الجميع صلاة أحدكم وحده بخمس وعشرين جزءا وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر، ثم يقول أبو هريرة: فاقرؤوا إن شئتم ﴿ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾...)) لترجمته "باب فضل صلاة الفجر في جماعة"، ما نصّه: (مطابقته للترجمة في قوله: ((وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار))، فإنه يدل على مزية لصلاة الفجر على غيرها)[٢]. والله تعالى أعلم.

❖ الاستنباط الثاني والعشرون:

- **إذا علّمنا الله تعالى دعاء، ففي ذلك التعليم تعليمٌ آخر لنا كيف نسلك الطريق الذي يكون مظنة لاستجابة ذلك الدعاء.**

قال تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَـٰنًا نَّصِيرًا ﴾ (الإسراء: ٨٠).

قال ابن باديس: (إذا علمنا الله تعالى دعاء، ففي ضمن ذلك التعليم تعليم آخر

والآثار وأسماء الرجال، مع معرفة قوية بعلل الأحاديث وبراعة حسنة في الفقه وغيره، مات سنة ٨٥٢هـ، تصانيفه كثيرة جليلة منها: "الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة"، و"لسان الميزان"، و"تقريب التهذيب"، و"الإصابة في تمييز أسماء الصحابة"، و"تهذيب التهذيب"، و"فتح الباري شرح صحيح البخاري" وغيرها كثير. ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد (٣٥٢/١). ينظر ترجمته في: شذرات الذهب (٧٥/١)، الأعلام للزركلي (١٧٨/١).

(١) فتح الباري (٣٣/٢).

(٢) المرجع السابق (١٣٧/٢).

لنا كيف نعمل ما يناسب ذلك الدعاء، وكيف نسلك السلوك الذي هو مظنة الاستجابة، فلما علمنا تعالى – مثلا – كيف ندعوه بقوله: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ (الفاتحة: ٦)، كان في ذلك إرشاد لنا إلى سلوك الطريق المستقيم، والاهتداء بأهله، والمباينة لغيرهم.

فكذلك هنا، لما علّمنا كيف ندعوه بالحفظ والتوفيق في المدخل والمخرج، كان ذلك إرشاد لنا إلى ما ينبغي لنا أن نكون عليه في مداخلنا ومخارجنا، وجميع مصادرنا وموارادنا من تحري ما فيه مرضاته واجتناب ما فيه سخطه.

ولما علّمنا كيف ندعوه بالتقوية والتأييد بسلطان من لدنه مبين، كان في ذلك إرشاد لنا أن نكون أهل قوة في الأيدي، وقوة في البصائر، ودفاع عن الحق بما استطعنا من قوة)[1].

◆ **الدراسة:**

استنبط ابن باديس رحمه الله من هذه الآية تعليما وإرشادا عامّا تضمنتها أدعية القرآن، وذلك بالعمل ما يناسب ذلك الدعاء، وسلوك المسلك الذي هو مظنة الاستجابة لذلك الدعاء.

وكان طريق هذا الاستنباط دلالة الإشارة، بحيث أن هذا المعنى الذي ذكره الشيخ لم يُذكر في عبارة النص، وإنما هو مستنبط من إشارته وإرشاده، وليس هو كذلك معنى سيقت له الآية، وإنما جاء بالتبع، ولم يقصد أصالة في الكلام.

وما استنبطه ابن باديس هنا معنى صحيح دلت عليه الآية بإشارتها، وهو مبني على تفسير صحيح، عمّم فيه ابن باديس لفظ الآية، ولم يقصره على سبب نزولها، ولم يتحاكم إلى السياق، فلم يخصص هذا الدعاء، الذي أُمر النبي ﷺ أن يقوله بحالة ولا زمن ولا مكان معين، بل قال بعمومه، وذلك لأسباب:

أولاً: أن دلالة السياق ضعيفة أمام دلالة العموم المستفاد من اللفظ كما هنا في الآية.

وثانياً: أن الاحتمال الإعرابي الوارد على "مدخل ومخرج" من مصدرية وظرفية، رجّح

(١) مجالس التذكير (١/٣٤٥).

اعتبار المصدرية على الظرفية، وذلك للاستفادة من عمومها اللفظي، لأن فائدته أعم، وسنّة القرآن جارية على التشوّف إلى ما هو أعم فائدة في ألفاظه وعباراته، ما لم يكن هناك دليل قويّ على الخصوصية، وليس في ألفاظ هذه الآية ما يدل على ذلك.

قال ابن باديس مشيرا إلى سبب تقديمه المصدرية على الظرفية في هاتين اللفظتين: (قدمنا احتمال المصدرية في "مدخل" و"مخرج"، لأنه أعم، والعموم أنسب بهذا الدعاء الجليل الذي ليس في ألفاظه ما يدلّ على التخصيص)[١].

ولأن – **وهو الثالث** – الحمل على العموم لا يُفوِّت اعتبار الخصوصية والمناسبة، فتدخل فيه دخولا أوليا هنا في هذه الآية.

ومع كل هذه المرجحات، وهي كافية فقد – **وهو الرابع** – قال بهذا التفسير بعض السلف، كمجاهد بن جبر المكي وغيره، كما ذكر ذلك عنهم ابن جرير، وقال به أيضا كثير من المفسرين[٢].

فعلى هذا الذي تقدم بنى ابن باديس استنباطه، وهو كما رأيت، استنباط مبني على تفسير راجح صحيح. والله تعالى أعلم.

قال أبو حيان: (والظاهر أنه عام في جميع موارده ومصادره دنيوية وأخروية)[٣].

وقد أشار إلى هذا الاستنباط ابن القيم الجوزية.

قال رحمه الله: (فكل مدخل ومخرج كان بالله ولله وابتغاء مرضاة الله، فصاحبه ضامن على الله، فهو مدخل صدق ومخرج صدق، وكان بعض السلف إذا خرج من داره رفع رأسه إلى السماء وقال: اللهم إني أعوذ بك أن أخرج مخرجا لا أكون فيه ضامنا عليك، يريد أن لا يكون المخرج مخرج صدق، ولذلك فسّر مدخل الصدق ومخرجه: بخروجه ﷺ من مكة، ودخوله المدينة، ولا ريب أن هذا على سبيل التمثيل، فإن هذا المدخل والمخرج من أجلّ مداخله ومخارجه ﷺ، وإلا فمداخله ومخارجه كلها مداخل صدق ومخارج صدق، إذ هي لله وبالله وبأمره، ولابتغاء مرضاته، وما خرج أحد من بيته

(١) مجالس التذكير (١/٣٤٥).

(٢) ينظر: تفسير السعدي (١/٤٦٤)، وتفسير الشعراوي (١٤/٨٧٠٦).

(٣) البحر المحيط (٧/١٠٢).

ودخل سوقه أو أي مدخل آخر إلا بصدق أو بكذب، فمخرج كل واحد ومدخله لا يعدو الصدق والكذب)[١].

وفي قول الإمام ابن القيم رحمه الله: (وما خرج أحد من بيته ودخل سوقه أو أي مدخل آخر إلا بصدق أو بكذب، فمخرج كل واحد ومدخله لا يعدو الصدق والكذب)، قريب من استنباط ابن باديس، ولكنه عبر عنه بغير عبارة ابن باديس.

وقد أشار الشيخ السعدي إلى قريب من معنى هذا الاستنباط.

قال –رحمه الله: (وهذا أعلى حالة ينزلها الله العبد، أن تكون أحواله كلها خيرًا ومقربة له إلى ربه، وأن يكون له – على كل حالة من أحواله – دليلا ظاهرًا، وذلك متضمن للعلم النافع، والعمل الصالح، للعلم بالمسائل والدلائل)[٢].

وقد أشار إلى هذا المعنى كذلك الشعراوي، قال –رحمه الله: (ومعنى مخرج الصدق، ومدخل الصدق، أنك لا تدخل أو تخرج بدون هدف، فإن خرجت من مكان فليكن مخرجك مخرج صدق، يعني: مطابقا لواقع مهمتك، وإن دخلت مكانا فليكن دخولك مدخل صدق، أي لهدف محدد تريد تحقيقه، فإن دخلت محلا مثلا فادخل لهدف، كشراء سلعة مثلا، فهذا دخول صدق، أما لو دخلت دون هدف أو لتؤذي خلق الله، فليس في هذا دخول صدق.

إذن: يكون دخولك لله وخروجك لله، وهكذا خرج رسول الله من مكة ودخل المدينة، فكان خروجه لله ودخوله لله، فخرج مخرج صدق، ودخل مدخل صدق، لأنه ﷺ ما خرج من مكة إلا لما آذاه قومه واضطهدوه وحاربوا دعوته حتى لم تعد التربة في مكة صالحة لنمو الدعوة، وما دخل المدينة إلا لما رأى النصرة والمؤازرة من أهلها.

فالصدق أن يطابق الواقع والسلوك ما في نفسك، فلا يكن لك قصور في نفسك، ولك حركة مخالفة لهذا القصد)[٣]. والله تعالى أعلم.

---

(١) التفسير القيم (١/٣٦١).

(٢) تفسير السعدي (١/٤٦٤).

(٣) تفسير الشعراوي (١٤/٨٧٠٦).

❖ **الاستنباط الثالث والعشرين:**

• **المسلم على حقٍّ مهما كان حاله، وغيرُه على باطلٍ، عقيدةٌ قرآنية.**

قال تعالى: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ (الإسراء: ٨١).

قال ابن باديس رحمه الله: (يرتبط قلب المسلم مطمئنا على أن ما هو عليه من الإسلام حق لا شك فيه، وأنه مؤيد، منصور ما تمسك به، وأنه إذا خذل فإنما جاءه ذلك من ناحية نفسه، وعلى أن ما عدا الإسلام هو باطل لا شك فيه، وأن صاحبه هالك عند ربه، وأن ما يكون له من سلطان لم يأته من جهة باطله، وإنما جاءه من أسباب عمرانية مما يقتضيه الحق وفرط فيه أهله، فحرموا ثمرته)[1].

◆ **الدراسة:**

استنبط ابن باديس رحمه الله من هذه الآية عقيدة يربط المسلم عليها قلبه وتطمئن إليها نفسه، وهو أنه مادام أنه مسلم لله فهو على حق ونهايته إلى حق، وأن غيره من الذين هم على غير الإسلام على باطل مهما رأى من تغير الحال في هذه الدنيا.

وطريق هذا الاستنباط، هو دلالة الإشارة، بحيث أن هذه المعاني التي ذكرت في الاستنباط ليست هي مأخوذة من ظاهر لفظ الآية، وإنما هي معاني مستفادة من لوازم لفظها، والقرائن الخارجية، من سبب النزول وغير ذلك.

ووجه هذا الاستنباط، هو أنه لما كانت هذه الآية نزلت بمكة وكان ﷺ وأصحابه مستضعفين آنذاك والمشركون في قوة وكثرة وأمر الله نبيه ﷺ أن يقول هذا القول: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ (الإسراء: ٨١) رغم أن الظاهر من واقع العهد المكي خلاف مضمون هذه الآية بحيث أنه لم تكن للحق دولة، بل كان الباطل يصول ويجول، وله دولة قائمة ولم يبطل، فكانت هذه الآية وعدا بما سيكون من غلبتهم وقوتهم وكثرة عددهم، فيتوارى الباطل ويزهق، وقد جاء تأويلها ، بعد ذلك بسنين، بفتح مكة، فكانت عند نزولها كالأمور الغيبية التي يجب أن يصدق بها، فلا غَرْوَ أن يستنبط منها ابن باديس هذه العقيدة، فكأنه يقول أعتقد أن الباطل وإن كانت له دولة وصولة،

(١) مجالس التذكير (١/٣٥٠).

فإنه يزول ولا يصمد أمام دولة الحق، لأن الباطل ضعيف بطبيعته مندحر لا بقاء له، وقد جعل الله الحق قويا بطبيعته، فهو بهذه الخاصية يقوى على دفع الباطل ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ (الأنبياء: ١٨).

وقد أشار إلى هذا الاستنباط الرازي، قال –رحمه الله: (وقوله: ﴿ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ يعني أن الباطل وإن اتفقت له دولة وصولة إلا أنها لا تبقى بل تزول على أسرع الوجوه)[١].

وقال العلامة السعدي: (﴿ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ أي: هذا وصف الباطل، ولكنه قد يكون له صولة وروجان إذا لم يقابله الحق، فعند مجيء الحق يضمحل الباطل، فلا يبقى له حراك، ولهذا لا يروج الباطل إلا في الأزمان والأمكنة الخالية من العلم بآيات الله وبيّناته)[٢].

وقال سيد قطب: (فمن طبيعة الصدق أن يحيا ويثبت، ومن طبيعة الباطل أن يتوارى ويزهق.. ﴿ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾.. حقيقة لدنية يقررها بصيغة التوكيد، وإن بدا للنظرة الأولى أن للباطل صولة ودولة، فالباطل ينتفخ ويتنفج وينفش، لأنه باطل لا يطمئن إلى حقيقة، ومن ثم يحاول أن يموّه على العين، وأن يبدو عظيما كبيرا ضخما راسخا، ولكنه هش سريع العطب، كشعلة الهشيم ترتفع في الفضاء عاليا ثم تخبو سريعا وتستحيل إلى رماد ، بينما الجمرة الذاكية تدفئ وتنفع وتبقى، وكالزبد يطفو على الماء ولكنه يذهب جفاء ويبقى الماء. ﴿ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾.. لأنه لا يحمل عناصر البقاء في ذاته، إنما يستمد حياته الموقوتة من عوامل خارجية وأسناد غير طبيعية فإذا تخلخلت تلك العوامل، ووهت هذه الأسناد تهاوى وانهار، فأما الحق فمن ذاته يستمد عناصر وجوده، وقد تقف ضده الأهواء وتقف ضده الظروف ويقف ضده السلطان.. ولكن ثباته واطمئنانه يجعل له العقبى ويكفل له البقاء، لأنه من عند الله الذي جعل الحق من

(١) مفاتيح الغيب (٣٨٩/٢١).

(٢) تفسير السعدي (٤٦٤/١).

أسمائه وهو الحي الباقي الذي لا يزول)[١].

وقد أورد الإمام ابن الجوزي في "زاد المسير" إيرادا وإشكالا ودفعه بالإجابة عنه.

قال -رحمه الله: (فإن قيل: كيف قلتم إنّ "زهق" بمعنى بطل، والباطل موجود معمول عليه عند أهله، فالجواب أن المراد من بطلانه وهلكته وضوح عيبه، فيكون هالكا عند المتدبر الناظر)[٢].

كما أن الإمام ابن عطية[٣] أشار إلى وهم قد يتعلق بذهن من لم يعرف أسلوب القرآن ولغته في التعبير قال: (وقوله: ﴿كَانَ زَهُوقًا﴾ ليست "كان" إشارة إلى زمن مضى، بل المعنى كان وهو يكون، وهذا كقولك: كان الله عليما قادرا ونحو هذا)[٤].

وكهذا المعنى في التعبير بـ "كان"، قال ابن عاشور: (ودل فعل "كان" على أن الزهوق شنشنة الباطل، وشأنه في كل زمان أنه يظهر ثم يضمحل)[٥]. والله تعالى أعلم.

---

(١) في ظلال القرآن (٤/٢٢٤٧).

(٢) زاد المسير لابن الجوزي (٣/٤٩).

(٣) هو الإمام الحافظ، الناقد المجود، أبو بكر غالب بن عبد الرحمن بن غالب بن تمام بن عطية المحاربي، الأندلسي، الغرناطي، المالكي، كان حافظا للحديث وطرقه وعلله، عارفا بالرجال، ذاكرا لمتونه ومعانيه، وكان أديبا شاعرا لغويا، دينا فاضلا، أكثر الناس عنه، وكف بصره في آخر عمره، توفي في جمادى الآخرة سنة ٥١٨هـ، وله سبع وسبعون سنة رحمه الله. سير أعلام النبلاء (١٩/٥٨٦). ينظر ترجمته في: فوات الوفيات (٢/٢٥٦).

(٤) تفسير ابن عطية (٣/٤٨٠).

(٥) التحرير والتنوير (١٥/١٨٨).

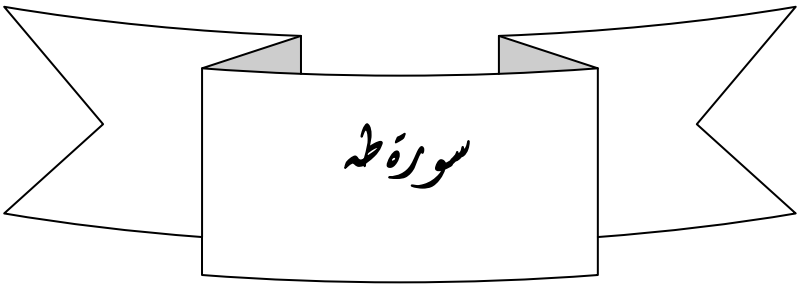
سورة طه

❖ **الاستنباط الرابع والعشرون:**

- **حسن الاستماع وأدب الإنصات وتجنب المقاطعة، أدب وخلق قرآني عظيم في كل حوار ومناظرة.**

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾ (طه: ١١٤).

قال ابن باديس –رحمه الله: (إنما المقصود من الكلام البيان عن المراد، وإنما المقصود من السماع وعي الكلام ليفهم المراد. فكما كان على المتعلم أن يسكت حتى يفرغ معلمه من القدر المرتبط بعضه ببعض، مما يلقيه إليه المعلم، حتى يفرغ المعلم من لقائه، كذلك على المناظر أن يستمع لمناظره حتى يستوفي دعواه وحجته، وعلى كل قارئ لكتاب أن يستوفي ما يرتبط بعضه ببعض منه، ثم يبدي رأيه فيه، وعلى كل مستمع لمتكلم كذلك، فبهذا الأدب يتم وعي المتعلم فيحفظ، وفهم المناظر فيرد ويقبل، وفهم القارئ فيعرف ما يأخذ ويترك، وفهم السامع لتحصل فائدة الاستماع، وبترك هذا الأدب كثيراً ما يقع سوء الوعي أو سوء الفهم، وفوات القصد من المناظرة والقراءة أو الكلام)[1].

◆ **الدراسة:**

استنبط رحمه تعالى من هذه الآية منهجا قرآنيا عامّا في أدب القراءة والاستماع والمناظرة.

وطريق استنباط الشيخ لهذا المعنى ودلالته إليه هو القياس، فقد قاس الشيخ هذه الأشياء المذكورة في الاستنباط "القراءة ، الاستماع ، المناظرة" على ما جاء في الآية من أمر النبي ﷺ بالسكوت والصمت والاستماع حتى يفرغ جبريل من إلقاء القرآن عليه، وهذا القياس بجامع فهم الكلام وإدراك المعاني، فعمّم الشيخ هذا الأدب الذي ذكرته الآية على الذي ذكره في الاستنباط قياسا عليه، وهو قياس صحيح معتبر.

---

(١) مجالس التذكير (١/٣٨٥) وما بعدها.

ووجه هذا الاستنباط، هو أنه لمّا كان القصد من الكلام البيان عن المراد، وكان المقصود من السماع وعي الكلام ليفهم هذا المراد، فناسب أن يعمّم هذا الأدب المذكور في الآية على تلك الأشياء التي ذكرت في الاستنباط وذلك لوجود العلة المشتركة وهي الفهم والوعي في الجميع.

وما استنبطه ابن باديس معنى صحيح دلّ عليه القياس الصحيح الجلي في الآية، فإنّ حسن الاستماع وعدم قطع السامع لكلام المتكلم، أدب علّم به الله عزّ وجلّ نبيّه ﷺ كيف يحسن الاستماع والإنصات للوحي الذي يلقيه جبريل -عليه السلام- عليه، وذلك لفهم الكلام ووعيه عن المتكلم، فكذلك القارئ لكتاب والمستمع لمتكلم والمناظر لصاحبه.

فالقراءة والاستماع معروفان، والأدب فيهما حسن الاستماع حتى يفرغ المتكلم من كلامه، وحسن الفراغ والانتهاء من المقروء، وذلك ليتمّ الفهم للمقروء والوعي للمسموع، لأنّ المعاني بعضها مرتبط ببعض، وبعضها دليل على بعض.

(والمناظرة في اللغة: المقابلة بين اثنين كل منهما ينظر إلى الآخر، أو كل منهما ينظر بمعنى يفكر والفكر هو المؤدي إلى علم أو غلبة ظن:

وهي في الاصطلاح: المحاورة في الكلام بين شخصين مختلفين يقصد كل واحد منهما تصحيح قوله وإبطال قول الآخر، مع رغبة كل منهما في ظهور الحق، فكأنها بالمعنى الاصطلاحي مشاركتهما في النظر الذي هو النظر المؤدي إلى علم أو غلبة ظن ليظهر الصواب.

والأصل في مشروعيتها قوله تعالى: ﴿ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾(النحل: ١٢٥)، وقوله: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ (العنكبوت: ٤٦)، وقوله: ﴿ وَلَا يَأۡتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَأَحۡسَنَ تَفۡسِيرًا ﴾ (الفرقان: ٣٣) وحكمها: فأقل مراتب حكمها الجواز)[1].

(١) آداب البحث والمناظرة للشنقيطي (ص١).

وقد أشار إلى هذا المنهج القرآني (أدب المناظرة) الشيخ الشنقيطي في كتابه "آداب البحث والمناظرة".

قال –وهو يعدد آداب البحث والمناظرة: (ومنها: أن ينتظر كل واحد منهما صاحبه حتى يفرغ من كلامه ولا يقطع عليه كلامه قبل أن يتمه)[١].

ومن آداب المناظرة والحوار أن يتناوب المتحاوران والمتناظران الكلام مناوبة لا مناهبة، بحيث ينصت المعترض للمُستَدِلّ حتى يفرغ من تقريره للدليل، ثم المستدِلُّ للمعترض حتى يُقرر اعتراضه، ولا يقطع أحد منها على الآخر كلامه وإن فهم مقصوده من بعضه) [٢].

ومن ثمرة التحلي بهذا الأدب في الاستماع والمناظرة، أن نصل إلى حوار جيّد بين الطرفين، (لأنّه لا بدّ في الحوار الجيِّد من سماع جيِّد، والحوار بلا حُسْن استماع هو "حوار طُرْشان" كما تقول العامة، كل من طرفيه منعزل عن الآخر.

إن السماع الجيِّد يتيح القاعدة الأساسية لالتقاء الآراء، وتحديد نقاط الخلاف وأسبابه، حسن الاستماع يقود إلى فتح القلوب، واحترام الرجال وراحة النفوس، تسلم فيه الأعصاب من التوتر والتشنج، كما يُشْعِرُ بجدّية المحاور، وتقدير المخالف، وأهمية الحوار، ومن ثم يتوجه الجميع إلى تحصيل الفائدة والوصول إلى النتيجة) [٣].

وقد أشار ابن باديس إلى منهج وأسلوب قرآني آخر في أدب المناظرة كذلك في موضع آخر من تفسيره.

قال في قوله تعالى: ﴿ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾ (الشورى: ٣٠)، وفي قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴾ (المائدة: ١٥) على الداعي إلى الله والمناظر في العلم، أن يقصد

(١) آداب البحث والمناظرة للشنقيطي (ص٩٣).

(٢) فن الجدل لابن عقيل نقلا عن كتاب: المناظرات وآداب الحوار لصالح ابن حميد (ص١٧).

(٣) المناظرات وآداب الحوار لصالح ابن حميد (ص١٧).

إحقاق الحق وإبطال الباطل، وإقناع الخصم بالحق وجلبه إليه، فيقتصر من كل حديثه على ما يحصل له ذلك، ويتجنب ذكر العيوب والمثالب، ولو كانت هنالك عيوب ومثالب، إقتداء بهذا الأدب القرآني النبوي في التجاوز مما في القوم عن كثير، وفي ذكر العيوب والمثالب خروج عن القصد وبعد عن الأدب، وتَعَدٍّ على الخصم وإبعاد له، وتنفير عن الاستماع والقبول، وهما المقصود من الدعوة والمناظرة)[١].

فحسن الاستماع، وأدب الإنصات، وتجنب المقاطعة أثناء المحاورات والمناقشات والمناظرات، أدب وخلق قرآني عظيم، فقد جاء عن بعض السلف وعن بعض الأدباء التوصية بهذا الخلق والحثّ على التحلي به، فسأنقلها مع بعض الآداب الأخرى، زيادة على ما جاء في استنباط ابن باديس، تعميما للفائدة.

قال الحسن بن علي[٢] لابنه –رضي الله عنهم أجمعين: (يا بنيّ إذا جالست العلماء، فكن على أن تسمع أحرص منك على أن تقول، وتعلّم حُسن الاستماع كما تتعلم حسن الكلام، ولا تقطع على أحد حديثاً –وإن طال– حتى يُمسك)[٣].

---

(١) مجالس التذكير (١/١٠٨-١٠٩).

(٢) هو الحسن بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب، أبو محمد الهاشمي السيد، ريحانة رسول الله ﷺ وابن بنته السيدة فاطمة، ولد في شعبان سنة ثلاث من الهجرة، وقيل: في نصف رمضان منها، له صحبة ورواية عن أبيه وجده ﷺ، قال أبو بكرة: رأيت رسول الله ﷺ على المنبر والحسن بن علي إلى جنبه وهو يقول: ((إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين))، أخرجه البخاري، وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: ((الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة)) صححه الترمذي، بويع له يوم مات أبوه ﷺ، وكان أشبه الناس برسول الله ﷺ، وأقام بالكوفة إلى شهر ربيع الأول سنة ٤١هـ، روى الشعبي قال: أنا شهدت خطبة الحسن – يعني حين سلم الأمر إلى معاوية – قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: ((أما بعد، إن أكيس الكيس التقى وأحمق الحمق الفجور، وإن هذا الأمر الذي اختلفت فيه أنا ومعاوية إنما هو حق لامرئ كان أحق بحقه مني أو حق لي تركته لمعاوية إرادة لصالح الأمة وحقنا لدمائهم، وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين))، توفي ﷺ في ربيع الأول سنة ٥٠هـ. وفيات الأعيان (٢/٦٥)، تاريخ الإسلام للذهبي (٢/٣٩٧).

(٣) الأمالي لأبي علي القالي (المتوفى:٣٥٦هـ) (٢/١٨٨)، جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (٢/٥١٩ رقم٨٤١).

ذكر الشعبي[١] قوما فقال: (ما رأيت مثلهم أسدّ تناوبا في مجلس، ولا أحسن فهما من محدّث.

وقال أيضا، فيما يصف به عبد الملك بن مروان[٢]: (والله ما علمته إلا آخذا بثلاث، تاركا لثلاث: آخذا بحسن الحديث إذا حَدّث، وبحسن الاستماع إذا حُدّث، وبأيسر المئونة إذا خولف، تاركا لمجاوبة اللئيم، ومماراة السفيه، ومنازعة اللجوج.

وقالت الحكماء: (رأس الأدب كلّه حسن الفهم والتفهّم، والإصغاء للمتكلّم.

وقالوا: (من حسن الأدب ألّا تغالب أحدا على كلامه، وإذا سئل غيرك فلا تجب عنه، وإذا حدّث بحديث فلا تنازعه إياه، ولا تقتحم عليه فيه، ولا تره أنك تعلمه، وإذا كلّمت صاحبك فأخذته حجتك فحسّن مخرج ذلك عليه ولا تظهر الظفر به، وتعلم حسن الاستماع، كما تعلّم حسن الكلام، وقيل: "استمع، فسوء الاستماع نفاق"، وقيل: "للسائل على السامع ثلاث أمور: جمع البال، وحسن الاستماع، والكتمان لما يقتضي الكتمان، وقيل في المثل: "أساء سمعا فأساء إجابة"، وقيل: "نشاط القائل على قدر فهم السامع"، وقيل: "من سعادة القائل أن يكون المستمع إليه فهيما"، قيل: "ومن حسن الاستماع إمهال المتكلم حتى ينقضي حديثه"، وقلة التلفت إلى الجواب، والإقبال بالوجه، والنظر إلى المتكلم، والوعي لما يقول)[٣].

---

(١) هو عامر بن شراحيل، و قيل: ابن عبد الله بن شراحيل، و قيل: ابن شراحيل بن عبد، الشعبي، أبو عمرو الكوفي من الطبقة الوسطى من التابعين، أحد الأعلام، ثقة مشهور فقيه فاضل، مات بعد ١٠٠ هـ، =روى له (البخاري – مسلم – أبو داود – الترمذي – النسائي – ابن ماجه). رواة التهذيبين (٣٠٩٢). ينظر ترجمته في: تاريخ بغداد (١٤٣/١٤ رقم٦٦٣٣)، تاريخ دمشق (٣٢٥/٢٥ رقم٣٠٤٣)، وفيات الأعيان (١٢/٣ رقم ٣١٧)، سير أعلام النبلاء (٢٩٥/٤ رقم ١١٣).

(٢) هو عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص القرشي الأموي، أبو الوليد المدني الدمشقي الخليفة الفقيه، روى له البخاري في الأدب المفرد، بويع له بالخلافة عند موت أبيه وهو بالشام، ثم سار إلى العراق فالتقى هو ومصعب بن الزبير، فكانت الحرب بينهما حتى قتل مصعب، وقتل الحجاج بن يوسف بعده أخاه عبد الله بن الزبير بمكة، واجتمع الناس على عبد الملك، توفي في شوال سنة ٨٦هـ عن نيف وستين سنة. ينظر ترجمته في: تاريخ بغداد (١١٦/١٢ رقم٥٥٢١)، سير أعلام النبلاء (٢٤٦/٤ رقم٨٩).

(٣) ينظر: البيان والتبيين للجاحظ (١٩٩/٢)، العقد الفريد لأبي عمر أحمد بن محمد ابن عبد ربه الأندلسي (٢٦٤/٢)، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء للراغب الأصفهاني (٩٥/١).

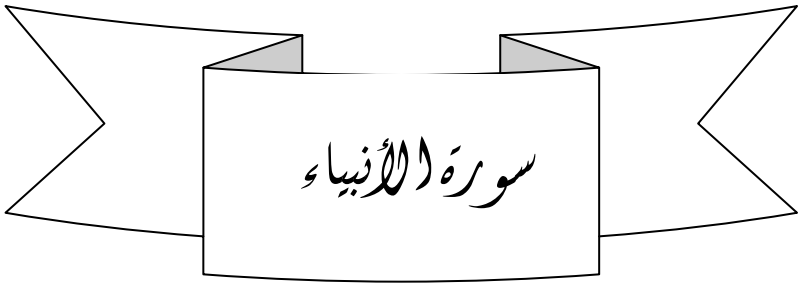
سورة الأنبياء

❖ **الاستنباط الخامس والعشرون:**

● **وعد الله للمتقين لوراثة الأرض يكون في أرض الدنيا قبل يوم القيامة.**

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴾ (الأنبياء: ١٠٥).

قال ابن باديس -رحمه الله: (قال أناس: إن أرض الدنيا كما يستولي عليها الصالحون، يستولي عليها غيرهم، والأرض التي لا يرثها إلا الصالحون هي أرض الجنة، فيجب تأويل الآية بها.

والجواب: أن هذا التأويل إنما يحتاج إليه أن لو كانت الآية هكذا: "إن الأرض لا يرثها إلا عبادي الصالحون" بطريق الحصر فيهم، أما لما كانت الآية لا حصر فيها فلا حاجة إلى هذا التأويل، بل في لفظ الإرث وربطه بوصف الصلاح دلالة على أنها كانت لغيرهم فانتقلت إليهم، وأنها تزول مع زوال وصف الصلاح.

وقد جاء التنبيه على أن الأرض يرثها الصالحون وغيرهم، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (الأعراف: ١٢٨)، فيرثها الصالحون نعمة، ويرثها غيرهم فتنة ونقمة، كل ذلك حسب مشيئة الحكيم الخبير)[1].

◆ **الدراسة:**

دفع الشيخ إشكالا وقع على الآية من أناس اعترضوا عليها بمخالفة الواقع لها بأن قالوا إننا نرى الأرض يرثها الصالحون وغير الصالحين ،فليست الأرض هنا أرض الدنيا ، وإنما هي أرض الجنة فعطلوا ما أرشدت إليه من دعوة القرآن الناس إلى إصلاح أنفسهم لكي يفوزوا بهذا الوعد ،وتلحقهم سنة الله الكونية في الحياة والعمران والاجتماع بمقتضى حكمة الله ومشيئته في ملك الأرض وسيادة الأمم.

طريق هذا الاستنباط، هو الدلالة اللغوية المتمثلة في أسلوبها التركيبي، كما بيّنه ابن باديس في دفعه هذا الاعتراض.

---

(١) مجالس التذكير (١/٣٩٨).

اختلف المفسرون في معنى الأرض في الآية فمنهم من قال: هي الجنة، ومنهم من قال: هي أرض الدنيا، أي أرض الأمم الكافرة ترثها أمة محمد، وهو قول أكثر المفسرين[١]، منهم ابن عباس، ومنهم سعيد بن جبير[٢]و أبو العالية [٣] ومجاهد رحمهم الله.

وعلى هذا القول من حبر الأمة، بنى ابن باديس استنباطه، كما أن تركيب الآية يعينه، وله ما يشهد له من أدلة الشرع.

وما دفع الشيخ به هذا الاعتراض الوارد على الآية، يعينه تركيبها، ولا يعين المعترض عليها، وقد بيّن الشيخ نفسه أن تركيبها لا يدل على هذا الإشكال الذي أوردوه، بحيث أنها لم تأت بطريق الحصر، فلو كان كما قالوا لكان تركيب الآية: "إن الأرض لا يرثها إلا عبادي الصالحون" بطريق الحصر فيهم.

وهذا الاستنباط في علوم القرآن، يدخل في علم ردّ الشبهات، والطعون ودفع الاعتراضات، وسوء الفهم عن آي القرآن.

وقد جاء في إعراب القرآن للنحاس[٤] ما يشير إلى هذا الإشكال وخرج منه بتأويل الأرض بأرض الجنة.

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (٥٥٠/١٨)، تفسير الثعلبي (٣١٣/٦)، زاد المسير (٢١٧/٣)، التسهيل لعلوم التنزيل (٣١/٢)، روح المعاني (٩٨/٩-٩٩)، التحرير والتنوير (١٦٣/١٧) وما بعدها، فتح القدير (٥٠٨/٣).

(٢) هو سعيد بن جبير بن هشام الأسدي بالولاء، أبو عبد الله، وقيل: أبو محمد، كوفي أحد أعلام التابعين، وكان أسود، أخذ العلم عن عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر، وسمع من ابن عباس التفسير وأكثر روايته عنه، كان من أعلم التابعين بالطلاق سعيد بن المسيب، وبالحج عطاء، وبالحلال والحرام طاووس، وبالتفسير أبو الحجاج مجاهد بن جبر، وأجمعهم لذلك كله سعيد بن جبير، قتله الحجاج صبرا في شعبان سنة ٩٥هـ، وقيل: سنة ٩٤هـ بواسط، وله تسع وأربعون سنة. وفيات الأعيان (٣٧١/٢) وما بعدها. سير أعلام النبلاء (٣٢١/٤).

(٣) هو رفيع بن مهران الرياحي البصري، أبو العالية، الإمام، المقرئ، الحافظ، المفسر، أحد الأعلام، أدرك زمان النبي ﷺ وهو شاب، وأسلم في خلافة أبي بكر الصديق ودخل عليه، تصدر لإفادة العلم، وبعد صيته، مات أبو العالية في شوال سنة ٩٠هـ. سير أعلام النبلاء (٢٠٧/٤) وما بعدها.

(٤) هو أحمد بن محمد بن إسماعيل، أبو جعفر ابن النحاس المصري النحوي اللغوي، رحل إلي الشام، وأخذ عن الزجاج، وكان من الفضلاء، توفي سنة ٣٣٨هـ، له تصانيف مفيدة منها: "تفسير القرآن الكريم"، و"كتاب إعراب القرآن"، و"كتاب الناسخ والمنسوخ"، وكتاب في النحو اسمه: "التفاحة"، وكتاب في الاشتقاق، وغير ذلك. ينظر ترجمته: تاريخ الإسلام (٧١٣/٧)، وفيات الأعيان (٩٩/١).

قال –رحمه الله: (أحسن ما قيل فيه أنه يراد بها أرض الجنة لأن الأرض التي في الدنيا قد ورثها الصالحون وغيرهم)[١].

وقد أشار عبد الجبار الهَمَذاني[٢] إلى هذا الإشكال وأجاب عنه بنفس جواب ابن باديس.

قال –رحمه الله: (فإن قيل فقد ورثها بعضهم ممن ليس هو في مثل حالهم عندكم، حتى انتهى ذلك إلى القرامطة و الروم و أشباههم، و من يقرب حاله من حالهم، فإنهم قد غلبوا على كثير من الأرض، قيل له: لو ملكوا الأرض كلها لم يقدح ذلك في هذا العلم و لم يؤثر في هذا الخبر، لأنه ما قال: "لا يرثها إلا الصالحون، و لا تخرج من أيدي الصالحين".

ومثله قال موسى لقومه: ﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (الأعراف: ١٢٨)، و مثله قوله: ﴿ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ﴾ (الأعراف: ١٣٧)، و قد خرجت من أيدي بني إسرائيل وملكها بختنصرّ، وملوك الروم وأمثالهم من الكفرة، وهذا غير مشكل) [٣].

---

(١) إعراب القرآن (٨٣/٣).

(٢) هو القاضي عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار بن أحمد بن خليل الهَمَذاني، العلامة، المتكلم، شيخ المعتزلة، أبو الحسن الهمذاني، صاحب التصانيف، من كبار فقهاء الشافعية، وتصانيفه كثيرة، تخرّج به خلق في الرأي الممقوت، مات في ذي القعدة سنة ٤١٥هـ، من تصانيفه: "تنزيه القرآن عن المطاعن"، و"الأمالي"، و"المجموع في المحيط بالتكليف"، و"المغني في أبواب التوحيد والعدل". سير أعلام النبلاء (٣٤٤/١٧). ينظر ترجمته في: تاريخ بغداد (١١٣/١١)، طبقات الشافعية الكبرى (٩٧/٥).

(٣) تثبيت دلائل النبوة (٣٦٨/١).

وقد أورد أبو زهرة كذلك هذا الإشكال وأجاب عنه بقريب من جواب ابن باديس.

قال –رحمه الله: (وفي ذلك تأكيد أن هذا مكتوب في كتبه سبحانه في كتبه المنزلة، وإضافة العباد إليه سبحانه، وإن ذلك وعد سجله سبحانه في كتبه بأن مآل هذه الأرض لعباده الصالحين، برغم جنحات المفسدين وغلبتهم وسعيهم بالفساد في الأرض.

وقد يعترض الذين يأسرهم الزمان الذي يعيشون فيه، ولا تنفذ بصائرهم إلى ما وراءه بأن المفسدين في الأرض الذين اتخذوا من العلم بالكون، وسائل تخريب في الأرض، وتمكين للظلم، وأن أهل الحق الصالحين مغلوب عليهم مستضعفون، ونقول: إن ذلك حكم حقبة من الزمان هي التي نعيش، ولكن الله تعالى أخبر أن المآل للصالحين، والله أعلم بالمفسدين، وإن خبره صادق والمستقبل غيب لا يعلمه إلا هو، ولنا أن نصدق الله ونكذب حكم الزمان في القابل)[1].

وهذه نصوص من القرآن تشهد لهذا الاستنباط.

قال تعالى: ﴿ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴾ (الأحزاب:٢٧)، وقوله: ﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا ﴾ (الأعراف:١٣٧)، وقوله تعالى: ﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا ۖ إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (الأعراف: ١٢٨)، وقوله تعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ (النور:٥٥)، وقوله تعالى: ﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِن بَعْدِهِمْ ﴾ (إبراهيم: ١٣ – ١٤).

(١) زهرة التفاسير (٩/٤٩٢٧).

❖ **الاستنباط السادس والعشرون:**

● **الصلاح شرط في التمكن من سنّة الله القدرية الشرعية في وراثة أرض الدنيا.**

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴾ (الأنبياء: ١٠٥).

قال ابن باديس: (علق الوعد بالوصف وهو الصلاح، ليعلم أنه وعد عام، ولتعلم كل أمة صالحة أنها نائلة حظها –ولا محالة– من هذا الوعد)[1].

◆ **الدراسة:**

استنبط ابن باديس رحمه الله من هذه الآية أن ما جاء فيها من وعد الله عز وجل في وراثه الأرض، عام لكل من اتصف بالصلاح.

طريق دلالة هذا الاستنباط، هو الإيماء والتنبيه، وذلك أن الله عز وجل قرن وعلّق وعدا وهو وارثة الأرض بوصفٍ وهو الصلاح، فأفاد هذا الوصف أنه هو العلة في هذا الوعد العظيم من الله، فيعمّ إذًا كل من اتصف بالصلاح، أمًا كانت أم أفرادا، في كل زمان وفي كل مكان، لا يختص بمن نزل فيهم القرآن.

ووجه هذا الاستنباط، أن الله عز وجل خاطب بهذه الآية المؤمنين بمكة، وهم في قلة عَدد وعُدد، يعدهم بذلك –لا بطريق صريح– أنهم يرثون الأرض ويكون لهم فيها القوة والنفوذ، ويبعثهم– بتعليق الوعد بوصف الصلاح– على التمسك به والازدياد منه و الاستمرار عليه.

ثم صرح لهم بالوعد بعدُ في سورة النور، وهي مدنية، بقوله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ (النور: ٥٥) وقد حقق الله لهم هذا الوعد: ففتح لهم الفتوح، وأورثهم ملك كسرى وقيصر، ومد ملكهم في الشرق والغرب،

(١) مجالس التذكير (١/٣٩٦).

وأولئك الذين كانوا في قلة وخوف يوم نزلت الآية المكية هم الذين شاهدوا ذلك النصر وتلك الفتوح وترأسوا ذلك الملك العريض)[1].

وهذا الذي استنبطه ابن باديس معنى صحيح، وسنّة إلهية جاءت الكتب السماوية تقررها، وهو أنّ الذي يستحق أن يرث الأرض هم عباد الله الصالحون المتقون، إذا أقاموا دين الله وشرعه واخلصوا لربهم في سرّهم وعلانيتهم، فإنّ الله يقويهم ويظهرهم على عدوّه وعدوّهم، فسيستخلفهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم، فهي سنّة إلهية ماضية في الأفراد والجماعات والأمم.

فهذا يوسف عليه السلام صار من أهل الاستخلاف والتمكين بعد أن ابتلي فصبر وأحسن لجاءته واعتصامه بالله القويّ العزيز، فكُتب من المحسنين، وأصابته سنّة الله التي لا تتخلف في عباده، فقال الله عنه: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ (يوسف: ٥٦).

وهذا موسى عليه السلام كان حريصاً على أن يُظهر لقومه هذه السنة الماضية، عندما خافوا بطش فرعون وقومه، فيقول لهم: ﴿ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (الأعراف: ١٢٨).

ثم أنجز الله عز وجل لهم ما وعد كما في قوله تعالى: ﴿ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴾ (الأعراف: ١٣٧).

والله تعالى وعد المؤمنين من هذه الأمة بما وعد به المؤمنين من قبلهم، قال تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ (النور: ٥٥).

---

(١) نفس المرجع (٣٩٥/١).

فإذا حقق الناس الإيمان، وتحاكموا إلى شريعة الرحمن فستأتيهم ثمرة ذلك، وأثره الباقي ﴿ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ ﴾، فهي مقدمات ونتائج أعمال وآثار، فتحقيق التحاكم إلى الله، يتحقق به الاستخلاف وتحقيق الحكم به، يوصل إلى التمكين.

إن وقائع التاريخ الإسلامي، تصدق هذا الوعد الإلهي للأمة بالنصر والتمكين إذا أقامت شرعه، فليست هناك من جولات المسلمين انتصروا فيها على أعدائهم، وتقدّموا في شؤون دنياهم إلا وكان واقعهم شاهداً على تمكين القرآن الكريم منهم اعتقاداً وعملاً[1].

وقد أشار إلى هذا الاعتراض -وأجاب عنه بمثل جواب ابن باديس- عبدُ الجبار الهَمَذاني، قال في قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِى هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ (الأنبياء: ١٠٥ – ١٠٧): (فورثها أصحاب محمد ﷺ كما قال وكما أخبر، و فيه مع كونه دلالة على نبوة محمد ﷺ لما في الكتب التي أنزلها اللّه عليهم، إن النبيّ الأخير من ولد إسماعيل بن هاجر بن إبراهيم، القائم من فاران، هو أعز وأعلى وأقهر من جميع النبوات، وأن أتباعه الصالحين يرثون الأرض ويحيون الحق ويميتون الباطل ويذلون الجبابرة كما هو مذكور في الكتب ذكرا تقدم به الحجة عند العلماء، وقد ذكره من أسلم، مثل عبد اللّه بن سلام و من يليه طبقة طبقة.

وقوله في آخر الآية: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ يزيدك علما بأن المراد، أن الوارثين للأرض هم أهل دينه و القائمون بشريعته، و هذا خبر و بشرى و وعد، و إخبار اللّه لا يكذب، و وعده لا خلف له.فشهد عز و جل لمن قدّمنا بالصلاح) [2].

---

(١) ينظر: الإيمان بالله جلّ جلاله (ص١٣٨)، وفقه التمكين عند دولة المرابطين (ص١١٨)، كلاهما لعلي محمد الصَّلاَّبي.

(٢) تثبيت دلائل النبوة (٣٥٣/٢).

وقال رشيد رضا[١] عند تفسير قوله تعالى ﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (الأعراف: ١٢٨): (إن الأرض- جنسها أو الأرض التي وعدكم ربكم إياها وهي فلسطين- لله تعالى الذي بيده ملكوت كل شيء يورثها من يشاء من عباده لا لفرعون، فهي بحسب سنته تعالى دولٌ، والعاقبة الحسنة التي ينتهي إليها التنازع بين الأمم للمتقين، أي: الذين يتقون الله بمراعاة سننه في أسباب إرث الأرض كالاتحاد، وجمع الكلمة، والاعتصام بالحق، وإقامة العدل، والصبر على المكاره، والاستعانة بالله، ولاسيما عند الشدائد، ونحو ذلك مما هدى إليه وحيه، وأيدته التجارب، ومراده عليه السلام أن العاقبة ستكون لكم بإرث الأرض، ولكن بشرط أن تكونوا من المتقين له تعالى بإقامة شرعه، والسير على سنته في نظام خلقه)[٢]. والله تعالى أعلم.

(١) هو محمد رشيد بن علي رضا بن محمد، صاحب مجلة "المنار" وأحد رجال الإصلاح الإسلامي، من الكتّاب والعلماء بالحديث والأدب والتاريخ والتفسير، ولد ونشأ في الشام وتعلم فيها، ثم رحل إلى مصر سنة ١٣١٥ هـ، فلازم الشيخ محمد عبده وتتلمذ له، ثم أصدر مجلة "المنار" لبثّ آرائه في الإصلاح الديني والاجتماعي، توفي سنة ١٣٥٤هـ رحمه الله، أشهر آثاره: "مجلة المنار" أصدر منها ٣٤ مجلدا، و"تفسير =القرآن الكريم" ولم يكمله، و"تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده"، و"نداء للجنس اللطيف"، و"الوحي المحمدي" وغيرها. الأعلام للزركلي (٦/١٢٥).

(٢) تفسير المنار (٩/٧١).

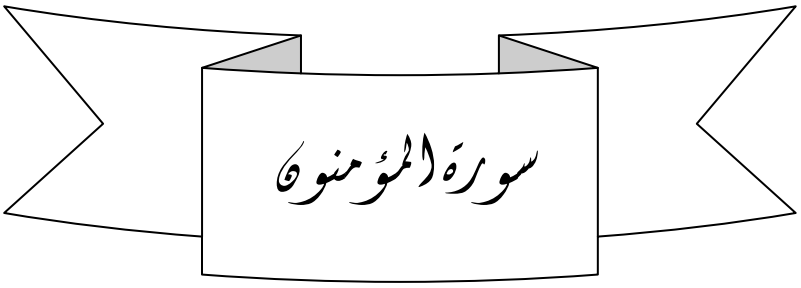
سورة المؤمنون

❖ **الاستنباط السابع والعشرون:**

● **المحافظة على الأبدان بإعطائها حقها من الأكل واجب شرعي.**

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴾ (المؤمنون: ٥١).

قال رحمه الله تعالى: (تتوقف الأعمال على سلامة الأبدان، فكانت المحافظة على الأبدان من الواجبات، ولهذا قدم الأمر بالأكل على الأمر بالعمل) [(١)].

◆ **الدراسة:**

استنبط الشيخ ابن باديس أن المحافظة على الأبدان واجبة شرعا، وهذه تربية بدنية أرشد إليها القرآن.

وطريق هذا الاستنباط، هو الدلالة البلاغية المتمثلة في التقديم والتأخير في نظم الكلام.

ووجه هذا الاستنباط، هو أن البدن يتقوى بالأكل ليحفظ صحته، فيتمكن من العمل، فلهذا قدم الأمر بالأكل على الأمر بالعمل، والمراد به المحافظة على البدن بإعطائه حقه من الغذاء.

وما استنبطه الشيخ ابن باديس معنى صحيح أرشد إليه تركيب الآية، وفيه ردّ على بعض الطوائف التي حرّمت بعض المآكل الطيبات على نفسها زعمًا منها قهر النفس وتربيتها على التقشف والزهد، كما حرمت الصوفية على نفسها اللحم، كما أنّه يردّ على متصوفة الهنادك في تضعيفهم الأبدان، ويردّ على الرهابنة في رفضهم الطيبات[(٢)].

قال أبو السعود: (وفيه من الدلالة على بطلان ما عليه الرهابنة من رفض الطيبات ما لا يخفى) [(٣)].

ويبين الشيخ رشيد وسطية هذا الدين في هذا الجانب فيقول: (إن هدى القرآن في الطيبات أي: المستلذات، هو ما تقتضيه الفطرة السليمة المعتدلة من التمتع بها مع

---

(١) مجالس التذكير (٤١٧/١).

(٢) تفسير روح البيان (٨٧/٦)، تفسير البيضاوي (٨٩/٤)، نظم الدرر (١٥٤/١٣)، محاسن التأويل (٢٩١/٧)، مجالس التذكير (٤١٧/١-٤١٨)، التحرير والتنوير (٦٨/١٨).

(٣) إرشاد العقل السليم (١٣٨/٦).

الاعتدال والتزام الحلال... ومن حيث الدليل، فإنه لا يوجد دليل يحتج به هؤلاء المتصوفة على وجوب الجوع من السعة، إصلاحا للنفس وتهذيبا لها، ولذلك فإنهم عندما يأتي وقت الاستدلال يعدلون عن الاستدلال بالكتاب والسنة إلى ذكر وقائع وأحوال لا يحتج بمثلها في دين الله.

يقول الشيخ رشيد: أعوز هؤلاء النص على دعوى كون الغلو في التقشف من الدين، فتعلقوا ببعض وقائع الأحوال من سيرة فقراء السلف الصالح) [1].

فليس إذاً في دين الإسلام هذه الأمور المبتدعات، وليس في دين الله إلاّ ما أحله الله، وإلاّ ما حرّمه الله، فهذه الرسل، لم يمنع عنهم الأكل من مستلذات المآكل، فمن دونهم من باب أولى، وهذا هدي نبينا ﷺ في مأكله.

قال ابن القيم – رحمه الله – يصف هدي النبي ﷺ في طعامه: (فصل: وكذلك كان هديه ﷺ وسيرته في الطعام لا يرد موجودا ولا يتكلف مفقودا، فما قرب إليه شيء من الطيبات إلا أكله، إلا أن تعافه نفسه فيتركه من غير تحريم، وما عاب طعاما قط، إن اشتهاه أكله وإلا تركه، كما ترك أكل الضب لما لم يعتده، ولم يحرمه على الأمة، بل أكل على مائدته وهو ينظر.

وأكل الحلوى، والعسل وكان يحبهما، وأكل لحم الجزور والضأن والدجاج، ولحم الحبارى، ولحم حمار الوحش والأرنب، وطعام البحر، وأكل الشواء، وأكل الرطب والتمر، وشرب اللبن خالصا ومشوبا، والسويق، والعسل بالماء، وشرب نقيع التمر، وأكل الخزيرة وهي حساء يتخذ من اللبن والدقيق، وأكل القثاء بالرطب وأكل الأقط، وأكل التمر بالخبز، وأكل الخبز بالخل، وأكل الثريد وهو الخبز باللحم، وأكل الخبز بالإهالة وهي الودك، وهو الشحم المذاب، وأكل من الكبد المشوية، وأكل القديد، وأكل الدباء المطبوخة وكان يحبها، وأكل المسلوقة، وأكل الثريد بالسمن، وأكل الجبن، وأكل الخبز بالزيت، وأكل البطيخ بالرطب، وأكل التمر بالزبد وكان يحبه، ولم يكن يرد طيبا ولا

(١) تفسير المنار (٣١/٧).

يتكلفه، بل كان هديه أكل ما تيسر، فإن أعوزه صبر حتى إنه ليربط على بطنه الحجر من الجوع، ويرى الهلال والهلال والهلال ولا يوقد في بيته نار) [١].

هذا هدي النبي ﷺ وقد أمرنا أن نقتدي به ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ (الأحزاب: ٢١)، وكذلك كان هدي أصحاب رسول الله ﷺ.

❖ **الاستنباط الثامن والعشرون:**

● **الأكل الحلال يثمر العمل الصالح.**

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ (المؤمنون: ٥١).

قال رحمه الله: (وفي تقديم الأكل من الطيبات على العمل الصالح تنبيه على أنه هو الذي يثمرها) [٢].

◆ **الدراسة:**

استنبط الشيخ ابن باديس من هذه الآية أن الأكل الطيب يثمر العمل الصالح، **وطريق هذا الاستنباط**، هو الدلالة البلاغية المتمثلة في التقديم والتأخير بين الأمر بالأكل والأمر بالعمل في النظم القرآني.

ووجه هذا الاستنباط، هو ما ذكره ابن باديس نفسه في الاستنباط (لأن الغذاء الطيب يصلح عليه القلب والبدن، فتصلح الأعمال، كما أن الغذاء الخبيث يفسد به القلب والبدن، فتفسد الأعمال) [٣].

ما استنبطه ابن باديس هنا معنى صحيح، تدل عليه قواعد اللغة العربية وأساليبها في نظم الكلام، فإن العرب تقدّم الشيء لمناسبة مّا ،كالاهتمام به ونحوه ، وكذلك له ما يشهد له من أدلة الشرع، وقد اعتضد أيضا بموافقته لبعض المفسرين.

---

(١) زاد المعاد في خير هدي العباد (١/١٤٢).

(٢) مجالس التذكير (١/٤١٨).

(٣) نفس المرجع والصفحة.

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((أيها الناس، إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبا، وإن الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴾ (المؤمنون: ٥١)، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ ﴾ (البقرة: ١٧٢)، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء: يا ربّ، يا ربّ، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنّى يستجاب لذلك)) [(١)].

وقد أشار إلى هذا الاستنباط الرازي، قال: (واعلم أن تقديم قوله: كلوا من الطيبات على قوله: واعملوا صالحا كالدلالة على أن العمل الصالح لا بدّ وأن يكون مسبوقا بأكل الحلال) [(٢)].

وابن كثير، قال: (يأمر تعالى عباده المرسلين، عليهم الصلاة والسلام أجمعين، بالأكل من الحلال، والقيام بالصالح من الأعمال، فدل هذا على أن الحلال عون على العمل الصالح) [(٣)].

والبقاعي، قال: (ودلّ سبحانه على أن الحلال عون على الطاعة بقوله: ﴿وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًا﴾)[(٤)].

وأشار إليه أيضا إسماعيل حقّي، قال: (واعلم أن تأخير ذكر العمل الصالح يدل على أن تكون نتيجته أكل الحلال)[(٥)].

---

(١) مسلم في كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها (٧٠٣/٢ رقم ١٠١٥)، مسند الإمام أحمد (٨٩/١٤ رقم ٨٣٤٧)، مسند البزار (٤٤/١٧ رقم ٩٧٤٢).

(٢) مفاتيح الغيب (٢٨١/٢٣).

(٣) تفسير ابن كثير (٤٧٧/٥).

(٤) نظم الدرر (١٥٥/١٣).

(٥) روح البيان (٨٨/٦).

وأشار المراغي إلى استنباط ابن باديس وطريقته، ولكن بصيغة أخرى، قال: (وفي تقديم أكل الطيبات على العمل الصالح إيماء إلى أن العمل الصالح لا يتقبّل إلا إذا سبق بأكل المال الحلال) [١].

وأشار الشيخ الشنقيطي إلى هذا الاستنباط، قال: (وذلك يدل على أن الأكل من الحلال له أثر في العمل الصالح، وهو كذلك) [٢].والله تعالى أعلم.

(١) تفسير المراغي (١٨/٣٠).

(٢) تفسير أضواء البيان (٥/٣٣٤).

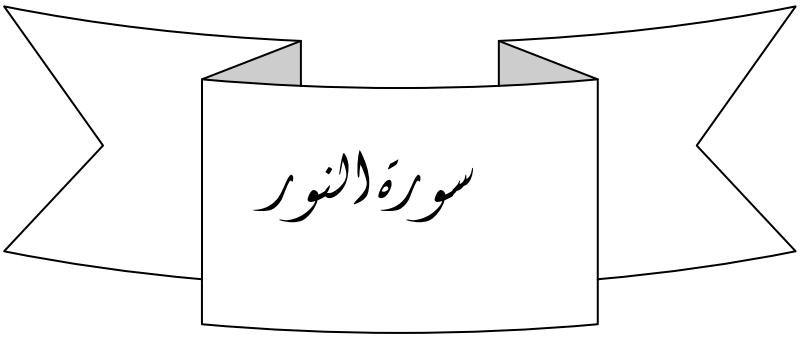
سورة النور

❖الاستنباط التاسع والعشرون:

- **من الواجب الشرعي على الجماعة اتجاه إمامها، أنْ إذا دعاها إلى اجتماع لصالح عام أجابت، وألاّ تنصرف لغرضها الخاص إلا باستئذان.**

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (النور: ٦٢).

قال رحمه الله: (لما كان الاجتماع شرع للمصلحة، والذهاب بدون استئذان حرم للمفسدة، فالمشروعية والتحريم دائمان بدوام المصلحة والمفسدة.

فأحكام الآية مستمرة الأحكام عامة للمسلمين، في كل زمان وكل مكان، مع أئمتهم وقادتهم المقدمين منهم فيهم، في كل ما يعرض من اجتماع لصالح عام) [(١)].

واستنبط نفس هذا الحكم من الآية التي بعد هذه[(٢)].

قال –رحمه الله: (أمراء المسلمين وقادتهم، ومن يتولون أمراً من أمورهم العامة، تجب دعوتهم إذا دعوا لأمر عام وشأن مما يرتبط بما في عهدتهم من أمر الناس، ويسرع إليهم، ولا يتسلل من مجالسهم، ذلك لما لهم من حق الخلافة عن الرسول ﷺ فيما كان يقوم به من أمر الناس، وتدبير شؤونهم، وضبط نظامهم، ورعاية مصالحهم) [(٣)].

الدراسة:

استنبط ابن باديس رحمه الله من هذه الآيات أحكاما سياسية شرعية، فيما يتعلق بالجماعة مع إمامها، وذلك عند دعوتها إلى اجتماع يهمّ مصالح المسلمين العامّة فيجب عليها ألاّ تتأخر عن ذلك، وألا تغادر المجلس إلا لعذر مع استئذان إمامها في الانصراف.

---

(١) مجالس التذكير (١/٤٢٤).

(٢) قال تعالى: ﴿ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ النور: ٦٣

(٣) المرجع السابق (١/٤٣٠).

وطريق هذا الاستنباط هو القياس، أي قياس أمر النبيّ ﷺ فيما حكاه لنا القرآن على غيره ممّن يكون إماما للمسلمين.

وما استنبطه ابن باديس معنى صحيح دلّت عليه الآية من جهة القياس، ويؤيّده سيرة خلفاء رسول الله من بعده، كما أنّه يتقوّى ويعتضد بموافقته لبعض المفسرين.

وقد أشار الزمخشري إلى هذا الاستنباط ، قال رحمه الله: (وقالوا: كذلك ينبغي أن يكون الناس مع أئمتهم ومقدميهم في الدين والعلم يظاهرونهم ولا يخذلونهم في نازلة من النوازل ولا يتفرقون عنهم، والأمر في الإذن مفوّض إلى الإمام، إن شاء أذن وإن شاء لم يأذن، على حسب ما اقتضاه رأيه) (١).

وأشار كذلك ابن عاشور إلى هذا الاستنباط ، قال-رحمه الله: (وهذه الآية أصل من نظام الجماعات في مصالح الأمة لأن من السنة أن يكون لكل اجتماع إمام ورئيس يدير أمر ذلك الاجتماع، وقد أشارت مشروعية الإمامة إلى ذلك النظام، ومن السنة أن لا يجتمع جماعة إلا أمروا عليهم أميرا فالذي يترأس الجمع هو قائم مقام ولي أمر المسلمين فهو في مقام النبي ﷺ فلا ينصرف أحد عن اجتماعه إلا بعد أن يستأذنه، لأنه لو جعل أمر الانسلال لشهوة الحاضر لكان ذريعة لانفضاض الاجتماعات دون حصول الفائدة التي جمعت لأجلها، وكذلك الأدب أيضا في التخلف عن الاجتماع عند الدعوة إليه كاجتماع المجالس النيابية والقضائية والدينية أو التخلف عن ميقات الاجتماع المتفق عليه إلا لعذر واستئذان)(٢).

وقال محمد عزت دروزة: (والآيات مع خصوصيتها الزمنية والموضوعية، تنطوي على تلقين تأديبي مستمر المدى، بوجوب احترام المجالس العامة والاجتماعات العامة، التي قد يعقدها أو يدعو إليها الرؤساء والأمراء، وذوو الشأن في المسلمين وعدم الاستخفاف بها، وعدم تركها بدون استئذان وبدون معذرة صحيحة، بالإضافة إلى ما فيها من توكيد التزام

(١) الكشاف (٢٥٩/٣).

(٢) التحرير والتنوير (٣٠٨/١٨).

سنّة رسول الله وعدم مخالفتها على ما ذكرناه قبل) [١]، وغيرهم كثير[٢]، ممّن قال بهذا الاستنباط أو بطرف منه. والله تعالى أعلم.

❖ الاستنباط الثلاثون:

● المصلحة العامة للأمة تقدم وترجّح على المصلحة الخاصة للفرد.

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (النور: ٦٢).

قال ابن باديس: (هنالك المصلحة العامة وهنالك المصلحة الخاصة، ومحال أن تساوى هذه بتلك. انظر إلى الذكر الحكيم كيف عبر عن الأولى بالأمر الجامع، وفي هذا ما فيه من تفخيم ، وعبر عن الثانية ببعض الشأن، وفي هذا ما فيه من التحقير والتقليل.

وفي قرنها بالاستغفار تنبيه على ترجيح الأولى على الثانية، وأنها ما كانت تعتبر إلاّ على وجه الرخصة، والاستغراق في الاهتمام والتدبير للمصلحة العامة أحق وأولى)[٣].

◆ الدراسة:

استنبط الشيخ ابن باديس رحمه الله من هذه الآية حكما سياسيا شرعيا، وهو ترجيح المصلحة العامة للجماعة والأمة على المصلحة الخاصة للفرد.

وكان طريق هذا الاستنباط هو دلالة الاقتران، أي اقتران المصلحة الخاصة المعبر عنها في الآية ﴿ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ ﴾ بالاستغفار، في قوله تعالى﴿ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ﴾

---

(١) التفسير الحديث (٨/٤٥٦).

(٢) انظر: تفسير الزجاج (٤/٥٥)، أحكام القرآن للكيا الهراسي (٤/٣٢٦)، نظم الدرر (١٣/٣٢٤)، تفسير روح البيان (٦/١٨٤)، البحر المديد لابن عجيبة (٤/٧١)، تفسير المراغي (١٠/٥٢٣٥)، فتح البيان لصديق حسن خان (٩/٢٧٣).

(٣) مجالس التذكير (١/٤٢٦-٤٢٧).

ووجه هذا الاستنباط، أن هذا الاستئذان للشأن الخاص، لما قُرن بالاستغفار في قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (النور: ٦٢) ، دلّ على وجه الرخصة، فكانت إذا المصلحة العامة المعبر عنها في الآية ﴿ أَمْرٍ جَامِعٍ ﴾ عزيمة راجحة عليها.

ووجه آخر، وهو أن المصلحة الخاصة قد تكون لأمر دنيوي خاص بصاحبه والمصلحة العامة أمر يهم الأمة ويخدم مصالحها فهو من أمور الآخرة فيقدم على أمر الدنيا.

وقرنت المصلحة الخاصة بالاستغفار لأن صاحبها قد يكون قدّم أمر دنياه على أمر آخرته، فربما لحقه الإثم.

وما استنبطه ابن باديس معنى صحيح، مأخوذ من تركيب الآية أخذا صحيحا، وذلك لسلامة طريقه ووضوح وجهه، وهو موافق لمقاصد الشرع في السياسة الشرعية وقد اعتضد بموافقته لبعض المفسرين.

وقد أشار إلى معنى هذا الاستنباط صاحب تفسير "بيان المعاني".

قال-رحمه الله: (لأن ذلك مما يهم المسلمين أجمع وما يتعلق بالعامة يرجح على الخاصة، فضلا عن أن المؤمن لا تطيب نفسه بمفارقة صاحبه لاسيما عند الحاجة، فلربما عنده رأي صائب يأخذ به المجتمع كله، فيعود نفعه للمسلمين... وقال: ﴿ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ ﴾ إن رأيت لهم عذرا مقبولا في الاستئذان على جرأتهم لطلب الأذن في وقت عليهم ألا يطلبوه إذ ينبغي لهم بل يجب عليهم ألا يتخلوا عنك في مثل هذه الحالات، لأن الأهم يَقْدُم المهم)[1].

وقد أشار أبو السعود إلى بعض استنباط ابن باديس.

قال—رحمه الله: (فإن الاستئذان وإن كان لعذر قوي لا يخلو عن شائبة تقديم أمر الدنيا على أمر الآخرة)[2].

---

(١) بيان المعاني لعبد القادر بن ملّا السيد محمود آل غازي (المتوفى: ١٣٩٨هـ) (٦/١٥٣-١٥٤).

(٢) تفسير أبي السعود (٦/١٩٨).

وقول أبي السعود (...لأنه نيّةُ تقديمٍ لأمر الدنيا) هذه هي المصلحة الخاصة للفرد.

وقوله (...على أمر الآخرة) هذه هي المصلحة العامة للأمة.

ففي هذا الكلام إذًا إشارةٌ إلى استنباط ابن باديس في تقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة ولكن جاء به بأسلوب آخر.

وقد أشار إلى قريب من معنى استنباط ابن باديس سيد قطب.

قال—رحمه الله: (ومع هذا يشير إلى أن مغالبة الضرورة، وعدم الانصراف هو الأولى، وأن الاستئذان والذهاب فيهما تقصير أو قصور يقتضي استغفار النبي ﷺ للمعتذرين)[1]. والله تعالى أعلم.

(١) في ظلال القرآن (٤/٢٥٣٥).

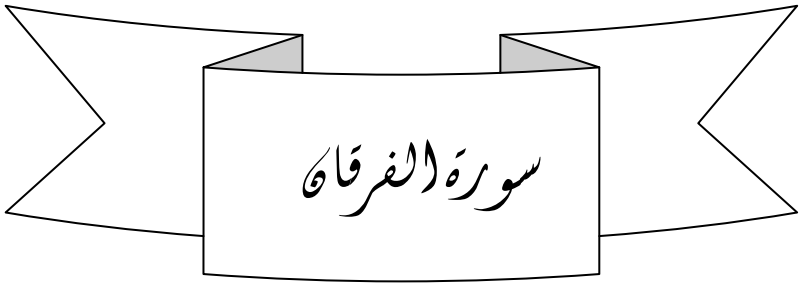
سورة الفرقان

❖ **الاستنباط الحادي والثلاثون:**

- **لا يكمل إيماننا بأنّ القرآن فرقان إلاّ إذا علِمنا أنّه فارق بنفسه، وعملنا بالفرق به في كل شيء.**

قال تعالى﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾(الفرقان: ١).

قال ابن باديس –رحمه الله– تحت عنوان "تفقه واستنباط": (لما سمى الله كتابه الفرقان، علمنا أنه به يفرق بين الحق والباطل، وأهل هذا وذاك . فهو الحكم العدل، والقول الفصل بين كل متنازعين يدَّعي كل منهما أنه على الحق، فيما هو عليه من عقد، أو قول، أو عمل.

فما تقابل حق وباطل، وما تعالجت حجة وشبهة إلا وفي هذا الكتاب الحكيم ما يفرق ما بينهما، وإنما يتفاوت الناس في إدراك ذلك منه على حسب ما عندهم من قوة علم، وصدق بصيرة، وحسن إخلاص.

فعلينا – إذن– أن يكون أول فزعنا في الفرق والفصل إليه، وأن يكون أول جهدنا في استجلاء ذلك من نصوصه ومراميه، مستعينين بالسنة القولية والعملية على استخراج لآلئه.

فإذا حكَم قَبِلْنا وسلَّمْنا وكنا مع ما حكم له، وفارقنا ما حكم عليه؛ فالله سماه الفرقان، لنعلم أنه فارق بنفسه، ولنعمل بالفرق به، ولا يكمل إيماننا بأنه الفرقان، إلا بالعلم والعمل) [1].

◆ **الدراسة:**

استنبط الشيخ ابن باديس رحمه الله من تسمية الله عزّ وجلّ القرآن ووصفه بالفرقان في هذه الآية، معنى لطيفا أومأت إليه هذه التسمية وهذه الصفة للقرآن، وهي أنّنا لابدّ أن نعلم ونعتقد أنّ ما احتوى عليه القرآن من دلائل وحجج وبراهين، دلائلُ قيّمة فارقةٌ

(١) مجالس التذكير (٢/١٠).

بنفسها بين الحق والباطل والهدى والضلال، ودعوةٌ لنا للعمل بها، وذلك بأن نفزع إليها في الفرق والفصل في كل شيء، وبذلك يكتمل إيماننا-علما وعملا-بأنّ القرآن فرقانٌ.

وطريق هذا الاستنباط هو دلالة الإيماء.

ووجه هذا الاستنباط، هو أنّه ارتبط إنزال القرآن بوصفٍ، وهو الفرقان، فدلّ هذا الوصف على أنّه علّة في الحكم، فكان القرآن إذاً، بما فيه من فارق بين الحق والباطل، والهدى والضلال، وبما فيه من تفرقة بين نهج ونهج، وبين عهد وعهد، مفْزَعا لكل نزاع بين الناس في عقد، أو قول، أو عمل، وملجئًا لكل داعية في التمسك بدلائله للتفريق بين الحق والباطل.

وما استنبطه ابن باديس معنى صحيح أومأت إليه الآية، وهو مبنيٌّ على أنّ "الفرقان" مصدر أريد به اسم الفاعل، لأن معنى كونه فرقانا أنه فارق بين الحق والباطل، وبين الرشد والغي، لا على معناه الثاني الذي هو مصدر أريد به اسم المفعول بمعنى أنّه نزل مفرّقا.

قال الزمخشري وهو يبيّن المعنيين لكلمة "الفرقان": (والفرقان: مصدر فرّق بين الشيئين إذا فصل بينهما وسمى به القرآن لفصله بين الحق والباطل، أو لأنه لم ينزل جملة واحدة ولكن مفروقا، مفصولا بين بعضه وبعض في الإنزال) [(١)].

عن مجاهد قال: (إنما سمي الفرقان لأنه فرق بين الحق والباطل) [(٢)].

الأدلة على هذا الاستنباط.

قوله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ (النساء: ٦٥).

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾ (الأحزاب: ٣٦).

وقد جاء عن المقداد بن الأسود ما يشير إلى هذا الاستنباط.

---

(١) الكشاف (٣/٢٦٢).

(٢) تفسير ابن أبي حاتم (٨/٢٦٦٠).

قال ﷺ: (لقد بعث النبي ﷺ وجاهلية ما يرون أن دينا أفضل من عبادة الأوثان، فجاء بفرقان فرق بين الحق والباطل، وفرق بين الوالد وولده، حتى إن الرجل ليرى والده أو ولده أو أخاه كافرا قد فتح الله قفل قلبه للإيمان، يعلم أنه إن هلك دخل النار فلا يقرّ عينا وهو يعلم أن حبيبه في النار، وإنها لَلَّتي قال الله: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ﴾ الفرقان: ٧٤) [(١)].

والشاهد من كلام المقداد ﷺ قوله: (فجاء بفرقان فرق بين الحق والباطل وفرق بين الوالد وولده).

وقد أشار إلى هذا الاستنباط ابن عاشور.

قال –رحمه الله: (وإيثار اسم الفرقان بالذكر هنا للإيماء إلى أن ما سيذكر من الدلائل على الوحدانية وإنزال القرآن دلائل قيمة تفرق بين الحق والباطل) [(٢)].

وأشار إليه كذلك سيد قطب.

قال رحمه الله: (وسماه الفرقان بما فيه من فارق بين الحق والباطل، والهدى والضلال، بل بما فيه من تفرقة بين نهج في الحياة ونهج، وبين عهد للبشرية وعهد.

فالقرآن يرسم منهجا واضحا للحياة كلها في صورتها المستقرة في الضمير، وصورتها الممثلة في الواقع، منهجا لا يختلط بأي منهج آخر مما عرفته البشرية قبله، ويمثل عهدا جديدا للبشرية في مشاعرها وفي واقعها لا يختلط كذلك بكل ما كان قبله.

فهو فرقان بهذا المعنى الواسع الكبير، فرقان ينتهي به عهد الطفولة ويبدأ به عهد الرشد، وينتهي به عهد الخوارق المادية ويبدأ به عهد المعجزات العقلية، وينتهي به عهد الرسالات المحلية الموقوتة، ويبدأ به عهد الرسالة العامة الشاملة ﴿ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ الفرقان: ١) [(٣)].

وأشار إلى هذا الاستنباط كذلك عبد الكريم الخطيب.

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٨/٢٦٦٠).

(٢) التحرير والتنوير (١٨/٣١٦).

(٣) في ظلال القرآن (٥/٢٥٤٧).

قال رحمه الله: (وفي تسمية القرآن "فرقانا" إشارة إلى أن ما يحمل القرآن من هدى ونور، يفرق به العاملون به، بين الحقّ والباطل، والخير والشر، والهدى والضلال...) [١].

❖ الاستنباط الثاني والثلاثون:

● حثّ القرآن على الصبر والأمر به، عند الابتلاءات والفتن.

قال تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴾ (الفرقان: ٢٠).

قال ابن باديس رحمه الله: (الاستفهام في ﴿ أَتَصْبِرُونَ ﴾ بمعنى الأمر، أي اصبروا ، وخرج الأمر في صورة الاستفهام تنبيهًا على قلة الصبر في الوجود، فهو من الأمر المعدوم الذي يسأل عنه: هل يوجد؟، وفي ذلك بعثٌ للهمم على تحصيله والتمسك به) [٢].

◆ الدراسة:

استنبط الشيخ ابن باديس من هذه الآية معنى لطيفا في خروج الاستفهام في ﴿أَتَصْبِرُونَ ﴾ على حقيقة أصله إلى معنى الأمر، وهو من أجل الحث على الصبر والاهتمام به و التمسك به، لأنه عزيز ومفقود عند كثير من الناس إلا من رحم الله.

وطريق هذا الاستنباط، هو الدلالة البلاغية المتمثلة في الاستفهام الذي خرج مخرجَ الأمر، بقرينة أن الله عز وجل لا يستفهم لطلب الفهم، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، فعلمه أحاط بكل شيء، وكذلك كل استفهام في القرآن من الله عز وجل يصرف إلى غير حقيقته، وإنما يحدِّد هذه الدلالة السياق الذي جاءت فيه، فهذه الحيثية من أقوى القرائن الصارفة له عن حقيقته الوضعية.

ووجه هذا الاستنباط، هو أن الصبر لما كان بهذه المنزلة عزيزا ومفقودا بين الناس، إلا من رحم الله استُفهم عن وجوده بينهم، فصار كالمفقود الذي يُسأل عنه، فكأنه قيل

---

(١) التفسير القرآني للقرآن (٩/١٣٤٤).

(٢) مجالس التذكير (٢/٣٠).

هل يوجد فيكم الصبر ؟، مما يجعل من هذا الأسلوب في الانتباه للصبر والاهتمام به والبحث والسؤال عنه للظفر والتحلي به.

وما استنبطه ابن باديس معنى صحيح، مأخوذ من تركيب الآية أخذا عربيا صحيحا، وهو مبنيّ على تفسير أن الاستفهام في الآية هنا بمعنى الأمر أي: "اصبروا"، وهو الراجح إن شاء الله، وعليه أكثر المفسرين [1].

قال النيسابوري –رحمه الله: (قال في الكشاف: موقع أتصبرون بعد ذكر الفتنة موقع أيكم بعد الابتلاء في قوله: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ (الملك: ٢)، قلت: أراد أن كلا من الابتلاء والفتنة يستدعي التمييز في حسن الاستفهام بعده أي يفتنكم ليظهر أنكم تصبرون على البلاء أم لا، ولعل الأظهر أن الاستفهام غير متعلق بالفتنة وإنما هو مستأنف للوعيد كقوله: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ (المائدة: ٩١)، ويؤيده قوله: ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾، عالما بمن صبر ومن لا يصبر فيجازيك، لا من هم بحسب ذلك)[2].

وما ذهب إليه النيسابوري وغيره هو الصحيح إن شاء الله، وهو أن الاستفهام مستأنف وهو بمعنى الأمر، وليس بمعنى التقرير كما ذهب إليه الزمخشري وغيره.

وحمل الاستفهام هنا في هذه الآية على الأمر، هو الأليق والأبلغ في مقام التوصية بالصبر والأمر بالتحلي به والحث عليه.

فليس الغرض والقصد والغاية من الامتحان والاختبار هنا هو مجرد معرفة من يصبر ممن لا يصبر، وإنما الغرض الحث على الصبر والأمر به أمام هذه الفتنة التي وضعت عليها هذه الدنيا من بدايتها إلى نهايتها من لدن حكيم خبير، فهو يريد أن يقول: "اصبروا"، ولكن سلك به مسلك الاستفهام للغرض الذي ذكر في الاستنباط.

---

(١) انظر: تفسير القشيري (٣٦٣/٥)، تفسير السمعاني (١٣/٤)، التبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء العكبري (٥٨٦/٦)، تفسير المراغي (١٦٢/١٨)، تفسير القاسمي (٧/ ٤٢٤)، التحرير والتنوير (١٩/٤).

(٢) تفسير النيسابوري (٢٢٨/٥).

وهذا الذي أفاده الاستفهام هنا لو جاء بطريق الأمر مباشرة ما كان لتكون له هذه النكتة والحكمة والسرّ والميزة، كما أن ابن باديس بنى استنباطه على أن الآية خطاب للكل، لم يراعَ فيها سبب النزول، ولا السياق.

قال الخازن بعد أن حكى الأقوال في معنى الآية: (والأَوْلى حمل الآية على الكل لأن بين الجميع قدرا مشتركا)[1].

وقال الشوكاني: (لا وجه لقصر الآية على هذا،فان هؤلاء إن كانوا سبب النزول، فالاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب)[2].

وقد جاءت نصوص كثيرة من القرآن والسنّة تحثّ على الصبر وتبيّن أهميته وعظيم جزاءه وتبرز صورا من صبر الصابرين.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ (البقرة: ١٥٣).

﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ (البقرة: ١٥٥).

﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلۡجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبۡتَلِيكُم بِنَهَرٖ فَمَن شَرِبَ مِنۡهُ فَلَيۡسَ مِنِّي وَمَن لَّمۡ يَطۡعَمۡهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغۡتَرَفَ غُرۡفَةَۢ بِيَدِهِۦۚ فَشَرِبُواْ مِنۡهُ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلۡيَوۡمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةَۢ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ (البقرة: ٢٤٩).

﴿ وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٨٣ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ

(١) تفسير الخازن (٥٠٥/١٣).

(٢) فتح القدير (٨٠/٤).

﴿ ٨٤ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٨٥ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٨٦ ﴾ (الأنبياء: ٨٣-٨٦).

﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ (الصافات: ١٠٢).

﴿ ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ (ص: ١٧).

﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ ۚ بَلَٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ (الأحقاف: ٣٥).

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (آل عمران: ٢٠٠).

﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (الزمر: ١٠).

﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ (إبراهيم: ١٢) وغير ذلك من الآيات كثير.

وجاء في السنة كذلك أحاديث في بيان الصبر وعظيم جزاءه.

((عجبا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء، صبر فكان خيرا له)) [(١)].

و عن عطاء بن أبي رباح[(٢)] رحمه الله قال: ((قال لي ابن عباس: ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ قلت: بلى، قال: هذه المرأة السوداء، أتت النبي ﷺ فقالت: إني أصرع، وإني

(١) مسلم في كتاب الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره كله خير (٤/٢٢٩٥ رقم: ٢٩٩٩)، صحيح ابن حبان (٧/١٥٥ رقم: ٢٨٩٦)، المعجم الكبير للطبراني (٤/١٥٣ رقم: ٢٨٤٩)، شعب الإيمان (٦/٢٧٦ رقم: ٤١٦٩).

(٢) هو عطاء بن أبي رباح القرشي الفهري أو الجمحي مولاهم، أبو محمد المكي الإمام، شيخ الإسلام، مفتي الحرم المكي، ثقة فقيه فاضل، وكان من أوعية العلم، كان من أجلاء الفقهاء وتابعي مكة وزهادها، وإليه وإلى مجاهد انتهت فتوى مكة في زمانهما، قال قتادة: أعلم الناس بالمناسك عطاء، وقال إبراهيم بن عمر ابن كيسان: أذكرهم في زمان بني أمية يأمرون في الحج صائحاً يصيح: لا يفتي الناس إلا عطاء بن أبي رباح،

أتكشف، فادع الله لي، قال: إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك، فقالت:أصبر، فقالت: إني أتكشَّف، فادع الله لي أن لا أتكشف، فدعا لها))[(١)]، وغير ذلك من الأحاديث.

وذكر العلماء أنّ الصبر ثلاثة أقسام: صبر على الطاعة، وصبر على المعصية، وصبر على أقدار الله المؤلمة[(٢)].

❖ الاستنباط الثالث والثلاثون:

• توعّد الله عز وجل وتخويفه لهاجر القرآن.

قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾ (الفرقان: ٣١).

قال ابن باديس: (هؤلاء الذين سماهم الله تعالى أعداء لنبيه، ووصفهم بالإجرام، هم أولئك الذين هجروا القرآن وصدوا عنه، فهذا تخويف عظيم ووعيد شديد لكل من كان هاجرا للقرآن العظيم بوجه من وجوه الهجران)[(٣)].

◆ الدراسة:

استنبط ابن باديس رحمه الله من هذه الآية وعيدا وتخويفا لهاجر القرآن.

طريق دلالة هذا الاستنباط، هو السياق اللفظي التي جاءت فيه، وإلا من أين لابن باديس أن يستنبط هذا التخويف، وهذا الترهيب والوعيد لهاجر القرآن، وليس في

روى له (البخاري – مسلم – أبو داود – الترمذي – النسائي – ابن ماجه)، توفي سنة ١١٤ هـ، على المشهور. ينظر ترجمته في: وفيات الأعيان (٣/٢٦١ رقم ٤١٩٩)، سير أعلام النبلاء (٥/٧٨رقم ٢٩).

(١) أخرجه البخاري في كتاب المرض، باب فضل من يصرع من الريح (٧/١١٦ رقم٥٦٥٢)، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك حتى الشوكة يشاكها (٤/١٩٩٤ رقم ٢٥٧٦) وغيرهما.

(٢) انظر: عدة الصابرين لابن القيم (ص٧١)، شرح صحيح البخاري لابن بطال (٩/٢٤٨)، فيض القدير شرح الجامع الصغير (٤/٢٣٤)، تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد (١/٤٤٠)، فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص٣٦٢)، شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (ص٣٠٩).

(٣) مجالس التذكير (٢/٥٠).

مجرد لفظها ما يدل عليه لولا ربطها بما قبلها وما بعدها من الكلام، فسِباقُها ولحاقُها هو الذي أوحي بهذا المعنى، لأن هذه الآية متوسطة بين آيتين كلاهما في ذكر شأن القرآن.

فالأولى في شكوى النبي ﷺ قومَه لربّه هجرَهم القرآن ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾ (الفرقان: ٣٠).

والثانية في اعتراضهم على نزول القرآن مفرقا ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴾ (الفرقان: ٣٢).

ووجه هذا الاستنباط، هو أنه لما تقدم في الآية الأولى شكوى النبي ﷺ لهجران قومه القرآن، ثم إنهم لم يكتفوا بذلك، بل راحوا يرمونه بعدم الحكمة في اعتراضهم على نزوله مفرقا، فكان هذا منهم جرم عظيم وعداوة كبيرة للنبي ﷺ فلهذا استحقوا أن يسميهم القرآن أعداء للأنبياء، مجرمين، لأنهم هجروا القرآن وصدوا عنه وألغَوْا فيه ولم يرفعوا به رأسا، فكان هذا هو السبب في تسميتهم مجرمين، أعداءً للرسول.

فاستنتج الشيخ ابن باديس–رحمه الله– أن هجر القرآن جريمةٌ ونصبُ عداوةٍ للنبي، ﷺ كلٌّ على حسب هجره.

فلا غرو إذاً، أن تكون هذه الآية فيها تخويف وترهيب ووعيد شديد لهاجر القرآن.

وما استنبطه الشيخ هنا معنى صحيح دلّ عليه سياق الآية، وله ما يشهد له من أدلة الشرع، بحيث أنه جاءت نصوص من القرآن تحذر من هجر القرآن بجميع صوره.

﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾، ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ (القصص: ٥٥)، ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ (محمد: ٢٤)، ﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ ﴾ (المدثر: ٤٩-٥١) وما في معناها.

وهجر القرآن درجات بعضها أشد من بعض، وقد ذكر العلماء لهجر القرآن صورا.

قال ابن كثير –رحمه الله– مبينا بعض الصور لهجر القرآن وأنواعه: (وكانوا إذا تلي عليهم القرآن أكثروا اللغط والكلام في غيره، حتى لا يسمعوه، فهذا من هجرانه، وترك علمه وحفظه أيضا من هجرانه، وترك الإيمان به وتصديقه من هجرانه، وترك تدبره وتفهمه من هجرانه، وترك العمل به وامتثال أوامره واجتناب زواجره من هجرانه، والعدول عنه إلى غيره – من شعر أو قول أو غناء أو لهو أو كلام أو طريقة مأخوذة من غيره – من هجرانه)[(١)].

وكذلك بيّن ابن القيم صوّرَ وأنواع هجر القرآن الكريم، فأبدع في بيانها وإيضاحها، فقال رحمه الله: (هجر القرآن أنواع، **أحدها**: هجر سماعه والإيمان به والإصغاء إليه.

والثاني: هجر العمل به والوقوف عند حلاله وحرامه وإن قرأه وآمن به.

والثالث: هجر تحكيمه والتحاكم إليه في أصول الدين وفروعه واعتقاد أنه لا يفيد اليقين وأن أدلته لفظية لا تحصل العلم.

والرابع: هجر تدبره وتفهمه ومعرفة ما أراد المتكلم به منه.

والخامس: هجر الاستشفاء والتداوي به في جميع أمراض القلب وأدوائها فيطلب شفاء دائه من غيره ويهجر التداوي به وكل هذا داخل في قوله: ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾ وإن كان بعض الهجر أهون من بعض)[(٢)].

وقد أشار الخازن إلى معنى استنباط ابن باديس مع طريق دلالته.

قال–رحمه الله: (والمعنى أن محمدا ﷺ، يشكو قومه إلى الله عز وجل ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾، فعزاه الله تعالى فقال وكذلك جعلنا أي وكما جعلت لك أعداء من مشركي مكة، وهم قومك كذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين)[(٣)].

ما قاله الخازن هنا موافق لاستنباط ابن باديس ولطريق دلالته.

---

(١) مجالس التذكير (١٠٨/٦).

(٢) الفوائد لابن القيم (٨٢/١).

(٣) لباب التأويل في معاني التنزيل (٣١٣/٢).

ووجه ذلك على قول الخازن، هو أنه كما جَعَلتُ لك يا نبي محمد ﷺ أعداء من قومك الذين تشكونهم لي بهجرانهم القرآن، فكذلك هذه سنتي في الرسل قبلك، جعلت لهم أعداء كذبوا بما جاءوهم به وهجروه، فكان هذا منهم جريمة استحقوا أن يسموا بسببها مجرمين وأعداء، فهذه التعزية للنبي ﷺ التي ذكرها الخازن استنبطها من آية ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾ دل عليها السياق، فكان فيها إذا تخويف لمن يهجر القرآن.

وقد أشار إلى استنباط ابن باديس ابن عجيبة[1]، ولكن في الآية التي قبل هذه الآية.

قال –رحمه الله: (وفيه تلويح بأن حق المؤمن أن يكون كثير التعاهد للقرآن لئلا يندرج تحت ظاهر النظم الكريم)[2].

وقال ابن تيمية مشيرا إلى هذا الاستنباط مع طريق دلالته السياقية.

قال –رحمه الله: (وهذه الآية ذكرها الله تعالى بعد قوله: ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾ ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾ فبيّن أن من هجَر القرآن فهو من أعداء الرسول، وأن هذه العداوة أمرٌ لا بدّ منه ولا مفرّ عنه)[3].

وأشار ابن كثير إلى استنباط ابن باديس.

قال: (﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ ﴾ أي كما حصل لك يا محمد في قومك من الذين هجروا القرآن، كذلك كان في الأمم الماضين، لأن الله جعل لكل نبي عدوا من المجرمين، يدعون الناس إلى ضلالهم وكفرهم، كما قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ

---

(١) هو أحمد بن محمد بن المهدي ابن عجيبة الحسني الأنجري (١١٦٠ – ١٢٢٤هـ = ١٧٤٧ – ١٨٠٩م)، مفسر صوفي من أهل المغرب، له كتب كثيرة منها: "البحر المديد في تفسير القرآن المجيد"، و"أزهار البستان في طبقات الأعيان المالكية"، و"تبصرة الطائفة الزرقاوية"، و"الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية"، و"الفتوحات القدوسية في شرح المقدمة الأجرومية". الأعلام للزركلي (٢٤٥/١) باختصار. ينظر ترجمته في: فهرس الفهارس (٨٥٤/٢)، ومعجم المؤلفين لرضا كحالة (١٦٣/١).

(٢) البحر المديد (٩٥/٤).

(٣) مجموع الفتاوى (١٠٦/٤).

عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ ﴾ (الأنعام: ١١٢) الآيتين، ولهذا قال تعالى ههنا: ﴿ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾)[١].

❖ **الاستنباط الرابع والثلاثون:**

- **خطبُ المساجد يجب أن تكون جاريةً على مقتضى أحوال الناس وهمومهم ووقائعهم المعاصرة.**

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴾ (الفرقان: ٣٢).

قال ابن باديس: (انظر إلى هذه الحكمة في هذا الترتيل: كيف كان تنزل آياته على حسب الوقائع؟ أليس في هذا قدوة صالحة لأئمة الجُمَع وخطبائها: في توخّيهم بخطبهم الوقائع النازلة، وتطبيقهم خطبهم على مقتضى الحال؟ بلى والله، بلى والله!!)[٢].

◆ **الدراسة:**

استنبط الشيخ من حكمة نزول القرآن مفرّقا حسب الأحداث والوقائع تعليما وقدوة في مراعاة الخطباء والدعاة إلى الله، أحوالَ المخاطبين والمدعوّيين عند كل خطاب وعند كل دعوة.

وطريق دلالة هذا الاستنباط، هو الاقتداء بالقرآن فيما دلت إليه هذه الآية بإشارتها.

ووجه هذا الاستنباط، هو أن بيان الواقعة عند وقوعها، وذكر حكم الحادثة عند حدوثها، وردّ الشبهة عند عروضها، وإبطال الاعتراض عند وروده، وتطبيق الكلام على مقتضى الحال فيه من تأثير في النفوس، ووقع في القلوب، ورسوخ في العقول، وجلاء في البيان، وبلاغة في التطبيق، واستيلاء على السامعين)[٣].

---

(١) تفسير ابن كثير (٣٨٦/٣).

(٢) مجالس التذكير (٥٨/٢-٥٩).

(٣) المصدر السابق (٥٧/٢).

وما استنبطه ابن باديس، استنباط تربوي دعوي، مستفاد من إشارة الآية، ويعضده أنّ خطب النبي ﷺ وخطب سلفنا الصالح كانت على ما تقتضيه أحوال المخاطبين، وعلى ما يدور في حياتهم من وقائع وأحداث(١).

وهذا استنباط متعلق بدور الإمام في مسجده، وذلك لما للمسجد من دور كبير في حياة المسلمين، خاصة في مجال الدعوة منذ أن بدأ الإسلام حتى الآن، وأن المسجد كان السبب الأول في تواصل الأجيال وتلاحمهم ومعرفة دينهم، من خلال خطب المساجد التي تعمل على إيقاظ عواطف المسلمين، كما تعمل المساجد على طرح المشكلات الاجتماعية وحلولها.

ولذا أمر الإسلام بعمارة المساجد حسًّا ومعنى، وحذَّر من تخريبها وهجرها والصد عنها.

﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ (التوبة: ١٨)، ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ﴾ (البقرة: ١١٤).

وقد عني به النبي ﷺ بُعَيْدَ هجرته إلى المدينة فكان من أول اهتماماته، ومن ثم أصبح الملتقى في أوقات الصلوات، وفي التعليم، وفي كل أمر يهم المسلمين، سواء في عهده ﷺ، أو في العهود التالية.

وقد كان المسجد على عهد رسول الله ﷺ مصدر الإشعاع المادي والروحي للمسلمين، فهو مكان العبادة، وساحة القضاء، ومدرسة العلم، وندوة الأدب، ومعهد الثقافة الرشيدة، أي أنه كان لأمور الدين والدنيا معا.

والخطبة لها شأن كبير في ميزان الإسلام، فقد شرعت في مواقف ومناسبات كثيرة، ومن أهمها يوم الجمعة، ويوما العيدين، ووقت صلاة الاستسقاء، ووقت صلاة الكسوف، ويوم عرفة بعرفة، بالإضافة إلى مناسبات أخرى غير محددة، وقد كان عليه الصلاة والسلام

(١) ينظر المصدر لهذا الكلام الصفحة التالية، هامش (١) و(٢).

يخطب في تلك المناسبات وغيرها، ولذلك كثيرا ما نقرأ في سيرته مثل هذه العبارة: فلما رأى أو سمع ما قيل، صعد المنبر وأثنى على الله عز وجل ثم قال:[١]... الخ.

وكان يقصر خطبته أحيانا ويطيلها أحيانا بحسب حاجة الناس، وكانت خطبته العارضة أطول من خطبته الراتبة، وكان يخطب النساء على حدة في الأعياد ويحرضهن على الصدقة.

ونهج صحابته رضوان الله عليهم منهجه، وعلى الأخص الخلفاء الراشدون[٢]، فقد كان المنبر هو الوسيلة الإعلامية الأولى والعليا التي لا تنافس.

فمتى لزم الأمر إبلاغ الناس هرعوا إلى المنبر، فألقوا خطبهم وبياناتهم وقراراتهم، ثم يُبلغ بها الآفاق.

فهذه مهمة الإمام في مسجده، الإمام الداعية، وهي أن يقوم بعملية حصار للأباطيل والمبادرة إلى الرد على محاولات النيل من العقيدة، وتصحيح مفاهيم الشباب من الخلط والخبط الذي تمارسه وسائل الإفساد.

---

(١) عن عائشة رضي الله عنها قالت: (أتتها بريرة تسألها في كتابتها، فقالت: إن شئت أعطيت أهلك ويكون الولاء لي، وقال أهلها: إن شئت أعطيتها ما بقي – وقال سفيان مرة: إن شئت أعتقتها، ويكون الولاء لنا – فلما جاء رسول الله ﷺ ذكرته ذلك، فقال النبي ﷺ: ((ابتاعيها فأعتقيها، فإن الولاء لمن أعتق))، ثم قام رسول الله ﷺ على المنبر – وقال سفيان مرة: فصعد رسول الله ﷺ على المنبر – فقال: ((ما بال أقوام يشترطون شروطا، ليس في كتاب الله من اشترط شرطا ليس في كتاب الله، فليس له، وإن اشترط مائة مرة))، رواه البخاري (٩٨/١ رقم٤٥٦)، والترمذي (٥٠٧/٣ رقم٢١٢٤) وغيرهما، وقد جاءت مناسبات كثيرة في مثل هذه الحال التي يسمع فيها النبي ﷺ أو يرى أمرا، أو تكون هناك واقعة، فيصعد منبره ﷺ ثم يثني على الله عز وجل، ويقول:((أما بعد ما بال أقوام...)). ينظر: مسند الإمام أحمد (١٢/١٧ رقم١٠٩٨٨)، الأدب المفرد (١٥٦/١ رقم ٤٣٦)، صحيح مسلم(١٠٢٠/٢ رقم١٤٠١)، شرح مشكل الآثار للطحاوي (١٣/٤ رقم١٣٩ و ٣٦٤/١٤ رقم٥٦٨٥)، صحيح ابن حبان (١٩١/١ رقم١٤ و ٢٨٦/١٠ رقم٤٤٣٨)، المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري (٨٤/٤ رقم٦٩٥٨)، الأحاديث المختارة لضياء الدين المقدسي (٩١/١٢ رقم١٠٥).

(٢) ينظر: التفسير من سنن سعيد ابن منصور (٨٧٨/٤ رقم٨١٢)، تاريخ المدينة لعمر بن شبّة (٧٤٢/٢)، الزهد لأبي داوود (ص١٣٩ رقم١٣)، مسند البزار (٢٤٦/١ رقم١٣٥).

نريد أن تتحول خطبة الجمعة إلى "مدرسة الجمعة"، مدرسة تعالج فيها موضوعات الساعة وقضايا الشباب، مدرسة تعرض عظمة الإسلام في معالجة مشاكل العصر الاقتصادية والاجتماعية والسياسية[١]. والله تعالى أعلم.

❖ الاستنباط الخامس والثلاثون:

- **تخصيص النبي ﷺ وحده بأمر الدعوة للناس كافة، تشريفٌ وتبشيرٌ له بعظم الجزاء.**

قال تعالى: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴾(الفرقان: ٥١).

قال ابن باديس –رحمه الله: (قد استفيد من الآيات المتقدمة[٢] ما كان يكابده النبي ﷺ من أذية قومه، وما كان يلقاه من مكابرتهم للحق، وتعنتهم بالباطل، وقد أحاط به الأعداء من كل جانب، ولقيته العقبات من كل ناحية، وما كان يعانيه من الجهد الجهيد في إنذارهم، وتبليغ دين الله تعالى إليهم، وهو في ذلك كله جاهدٌ في القيام بتبليغ الأمانة، ناهضٌ بأعباء الرسالة، ماضٍ في تلك السبيل، ليس معه من نذير، وقد كان ذلك مما تتفسخ له القوى البشرية لولا تأييد من الله، فأراد تعالى في هذه الآية أن

---

(١) ينظر: كيف تصبح داعية لشوقي عبد اللطيف، نقلا عن موسوعة البحوث والمقالات العلمية، إعداد علي بن نايف الشحود (ص١)، مجلة البحوث الإسلامية (٤٥٥/٢)، خطبة الجمعة ودورها في تربية الأمة (ص١٥١)، المسجد وأثره في تربية الأجيال ومؤامرة أعداء الإسلام عليه لعبد الله قاسم الوشلي (ص٣٧)، فقه الدعوة لجمعة علي الخولي (ص ٥٦).

(٢) قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمٗا وَزُورٗا ٤ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ٥ قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٦ وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۙ لَوۡلَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَلَكٞ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ٧ أَوۡ يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٞ يَأۡكُلُ مِنۡهَاۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا ٨ ﴾الفرقان: ٤ – ٨ قوله تعالى﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ نَرَىٰ رَبَّنَاۗ لَقَدِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ وَعَتَوۡ عُتُوّٗا كَبِيرٗا ٢١ ﴾الفرقان: ٢١ وقوله تعالى﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ٣٢ ﴾الفرقان: ٣٢ وقوله تعالى﴿ وَإِذَا رَأَوۡكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِي بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ٤١ ﴾الفرقان: ٤١

يثبته في مقامه، ويؤنسه في انفراده، فيبيِّن له أن تخصيصه بالقيام هذا المقام العظيم، هو لأجل تعظيمه وتكريمه، وتخصيصه بالأجر الكثير، والثواب الذي ليس له من مثيل)[١].

◆ **الدراسة:**

استنبط الشيخ –رحمه الله– من هذه الآية مناسبة لطيفة في تأنيس وتثبيت وتبشير النبي ﷺ، وذلك أن مجيئها بعد الآيات المتقدمة التي فيها إخبار عما لقاه النبي ﷺ من أذى قومه وعرقلته ومحاولة صده عن دعوته، فجاءت آية الباب هذه لتأنيسه وتثبيته وتبشيره بعظم الجزاء على تخصيصه بالقيام وحده بأمر الدعوة ولم يُرسل نبيّ معه يسانده.

وطريق هذا الاستنباط، هو دلالة السياق، بحيث أن هذه الآية جاءت في سياق الكلام على ما لاقاه النبي من أذى قومه أثناء دعوته لهم.

وما استنبطه ابن باديس هنا معنى صحيح مأخوذ من تركيب الآية والسياق الذي جاءت فيه، وقد اعتضد بموافقته لاستنباطات بعض المفسرين.

فقد أشار إلى هذه المناسبة أبو حيان قال: (لما علِم تعالى ما كابده الرسول من أذى قومه، أعْلَمه أنه تعالى لو أراد لبعث في كل قرية نذيرا فيخفف عنك الأمر، ولكنه أعظم أجرك وأجلك، إذ جعل إنذارك عاما للناس كلهم، وخصك بذلك ليكثر ثوابك لأنه على كثرة المجاهدة يكون الثواب، وليجمع لك حسنات من آمن بك إذ أنت مؤسسها)[٢].

وقد أشار كذلك إلى هذه المناسبة النيسابوري.

قال–رحمه الله: (إنه سبحانه لما قرّر سيرة القوم من كفران النعمة وإيذاء النبي أراد تهييج نبيه على استمرار الدعوة، وفي الآية لطفٌ ممزوج بنوع تأديب وإرشاد، وفحواه ولو شئنا لخففنا عنك أعباء نذارة جميع القرى، وبعثنا في كل قرية نبيا، ولكن خصصناك برسالة الثقلين إجلالا وتعظيما)[٣].

---

(١) مجالس التذكير (٦٧/٢).

(٢) البحر المحيط (١١٧/٨).

(٣) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٢٥٠/٥).

❖ **الاستنباط السادس والثلاثون:**

• **وجوب مجاهدة العصاة المخالفين بالقرآن.**

قال تعالى: ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾(الفرقان: ٥٢).

قال ابن باديس: (وفي ذكر الكافرين تنبيه على العصاة على التنبيه بالأعلى على الأدنى، لاشتراكهم في العلة وهي المخالفة)[1].

◆ **الدراسة:**

استنبط الشيخ من هذا الآية عدم طاعة العصاة، ووجوب مجاهدتهم بالقرآن.

وطريق دلالة هذا الاستنباط، هو مفهوم الموافقة لقوله تعالى: ﴿ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ وذلك لاشتراك الكافرين والمؤمنين العصاة في نفس العلة وهي المخالفة.

ووجه هذا الاستنباط، أن هذه الآية مكية وذكر فيها الجهاد، فدلّ على أنه جهاد الحجة والمجادلة والبيان والتذكير، وهذا لاشك، فإنه كما يجب للكافرين ، فإنه يجب كذلك للعصاة.

كما قال تعالى: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الذاريات: ٥٥) فهذا التذكير شامل للمؤمنين البارين منهم والعصاة، فكانت القرائن والأحوال دالة على قصد الكلام، وأنه سيق لنفي المخالفة لمنهج الله والدعوة إلى الجميع في الدخول تحت طاعته، ومن بين تلك القرائن كما قلنا،كون هذه الآية نزلت بمكة قبل فرض الجهاد.

قال ابن عباس: (﴿ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ ﴾ (الفرقان: ٥٢) بالقرآن)[2].

وما استنبطه ابن باديس معنى صحيح، يدل عليه المفهوم العام للجهاد، فإنه يطلق ويراد به أيضا الجهاد باللسان، وهو المجادلة بالحجة والبرهان، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومجاهدة النفس.

---

(١) مجالس التذكير (١/ ١٨٨).

(٢) تفسير ابن جرير (٢٨١/١٩).

قال ابن حجر العسقلاني: (الجهاد شرعاً بذل الجهد في قتال الكفار، ويطلق أيضاً على مجاهدة النفس والشيطان والفساق) [١].

فالجدال بالقرآن و الرد به على المخالفين مطلوب شرعا وعقلا، على أن يتم ذلك في إطار من الحكمة والبصيرة، وحسن اختيار للآيات المناسبة، التي يتطلبها المقام والحال، فليس من الحكمة في شيء أن أخاطب الكافر بآيات الصلاة والصوم والحج، لكن من الحكمة –ومن الواجب أيضا– أن أخاطبه بالآيات المتعلقة بالتوحيد وإعجاز القرآن وصدقه، وغيرها من الخصائص التي تناسب ذلك الشخص.

وكذلك ليس من الحكمة في شيء، أن أجادل به المؤمن المخالف العاصي بما جادلت به المخالف الكافر، ولكن أحذره وأذكره مغبة ما هو قائم عليه من مخالفة في الأوامر والنواهي.

إنما يقوم على مجاهدة أولئك الذين يريدون أن ينحرف المجتمع المسلم عن مساره قولاً وفعلاً، فمقاومتهم جهاد، وعليه: يأتي التوجيه النبوي لمجموع أفراد الأمة بوجوب تغيير المنكر، كما جاء في الحديث الذي رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان)) [٢].

فالتصدي للعصاة المخالفين، ومجادلتهم وتذكيرهم ونصحهم ودعوتهم بالقرآن، نوع جهاد، ولهذا جاء الحديث ((من رأى منكم منكرا فليغيره بيده...)).

قال ابن القيم وهو يعدد أنواع الجهاد ومراتبه: (فجهاد النفس أربع مراتب، **إحداها:** أن يجاهدها على تعلم الهدى ودين الحق الذي لا فلاح لها ولا سعادة في معاشها ومعادها إلا به ومتى فاتها علمه شقيتْ في الدارين.

---

(١) فتح الباري (٣/٦).

(٢) مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان (٦٩/١ رقم ٤٩)، مسند الإمام أحمد (٢٣٩/١٧ رقم ١١١٥٠)، ابن ماجه (٤٠٦/١ رقم١٢٧٥)، سنن أبي داوود (٢٩١/١ رقم١١٤٠) وغيرهم.

الثانية: أن يجاهدها على العمل به بعد علمه وإلا فمجرد العلم بلا عمل إن لم يضرها لم ينفعها.

الثالثة: أن يجاهدها على الدعوة إليه وتعليمه من لا يعلمه وإلا كان من الذين يكتمون ما أنزل الله من الهدى والبينات ولا ينفعه علمه ولا ينجيه من عذاب الله.

الرابعة: أن يجاهدها على الصبر على مشاق الدعوة إلى الله وأذى الخلق ويتحمل ذلك كله لله.

ثم ذكر جهاد الشيطان على مرتبتين في دفع الشبهات ودفع الشهوات، ثم جهاد الكفار والمنافقين أربع مراتب: بالقلب، واللسان، والمال، والنفس، وجهاد المنافقين أخص باللسان، وجهاد الكفار أخص باليد، ثم جهاد أرباب الظلم والبدع والمنكرات فثلاث مراتب، الأولى: باليد إذا قدر، الثانية: فإن عجز انتقل إلى اللسان، الثالثة: إن عجز جاهد بقلبه... قال: فهذه ثلاثة عشر مرتبة من الجهاد) [(١)].

وقد أشار القاسمي إلى معنى هذا الاستنباط ، قال-رحمه الله: (وهذه الآية من أصرح الأدلة في وجوب مجادلة المبطلين، ودعوتهم إلى الحق بقوة، والتفنن في محاجتهم بأفانين الأدلة، فإن الحق يتضح بالأدلة، كما أن الشهور تشتهر بالأهلّة)[(٢)]. والله تعالى أعلم.

❖ الاستنباط السابع والثلاثون:

• المداومة على الطاعة بإخلاص تُضْعِف المعصية في النفس وتزيلها.

قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾(الفرقان: ٦٨).

---

(١) زاد المعاد (٩/٣) باختصار.

(٢) محاسن التأويل (٤٣٢/٧).

قال ابن باديس: (وقدم إثبات الطاعات على انتفاء المعاصي، تنبيها على أن من راض نفسه على الطاعة ودانت نفسه بالإخبات والانقياد للأوامر الشرعية، ضعفت منه أو زالت دواعي الشر والفساد، فانكف عن المعصية)[1].

◆ **الدراسة:**

استنبط الشيخ ابن باديس رحمه الله من هذه الآية معنى وسرّا ومنهجا تربويا قرآنيا بليغا في تزكية النفس وتربيتها، وهو أن المواظبة على الطاعات سبب للانكفاف عن المعاصي.

وطريق هذا الاستنباط، هو دلالة التقديم والتأخير في النظم القرآني، فقد قدم إثبات ما وصف به عباد الرحمن، من الطاعات والعبادات واللجاءة إلى الله، وخشيته والإنصاف في المعاملات مع أنفسهم ومع غيرهم، ثم أخّر ذكر انتفاء المعاصي عنهم، فدلّ ذلك على أن البداءة والانشغال بالطاعات والعبادات له تأثيرٌ على تزكية النفس، وبالمواظبة عليها تُزال دواعي الشر منها فتنكف عن المعاصي.

ووجه هذا الاستنباط، أن النفس مركوز فيه الخير والشر كما قال تعالى: ﴿ **وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨** ﴾ (الشمس: ٧ – ٨).

فالإقبال على الطاعة بإخلاص وصدق يفجر فيها خيرها المركوز فيها، فتزكو ويندس شرها ويخمل ويضعف فتنكف عن المعصية.

ووجه آخر، أن الإقبال على الله بطاعته وعبادته ودعائه والإخبات له، دليل على إخلاص العبد لربه، فيقبل عليه ربُّه فيُصْرِفَ عنه السوء، كما أخبر تعالى عن ويوسف عليه السلام ﴿ **وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ** ﴾ (يوسف: ٢٤).

ووجه آخر لهذا الاستنباط، هو أن مقادير الناس عند الله بالطاعة والعبادة، فمن دخل في سِلْكها وكان من أهلها وأخلصها لمن هو أهلٌ لها، كان كريما عند ربّه، ذا شأن

(١) مجالس التذكير (١٣٢/٢).

وقدر وقربة عنده، فيكرمه ربه بأن يبعده عن المعصية ، لقوله تعالى: ﴿ قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴾ (الفرقان: ٧٧).

ووجه آخر، أن الطائعَ العابدَ المخلصَ عارفٌ بربه، ومن عرف الله لم يعصه.

وما استنبطه ابن باديس معنى صحيح، دلت عليه شواهد من الشرع.

قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ (العنكبوت: ٦٩).

وقال تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ ﴾ (مريم: ٥٩).

ووجه الدلالة منها، هو أنهم لما تركوا تزكية أنفسهم بالصلاة التي هي عمود الطاعات، انجروا إلى الشهوات.

وقال النبي ﷺ: ((أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات، هل يبقى من درنه شيء؟» قالوا: لا يبقى من درنه شيء، قال: «فذلك مثل الصلوات الخمس، يمحو الله بهن الخطايا)) [1].

◆ **تنبيه:**

ومما يجب التنبه له هنا في هذا المقام، هو أن العبادة التي ينكف صاحبُها عن المعصية، هي العبادة التي فيها لذة وحلاوة وذوق وطعم ومناجاة، لا مجرد إيقاع وإيجاد صورتها الشرعية، فإن هذه وإن كانت تسقط عنه المطالبة وتخرجه من عهدة السؤال، فلا تزكو النفس بها، فضلا عن أن تخبت لله وتناجيه، وفضلا أن تقاوم المعصية التي منطلقها اللذة والشوق، فلا دفع للمعصية المشحونة باللذة والشوق، ولا انكفاف عنها إلا بطاعة مقابلة لها، مشحونة باللذة والشوق والمحبة كذلك، هذه سنة الله في التدافع.

وليس أدلّ على هذه السنّة النفسية من حالنا اليوم -نحن معشر جمهور المسلمين- من عدم تكافئ طرفي المعركة في هذا التدافع في أنفسنا.

---

(١) البخاري في كتاب مواقيت الصلاة، باب الصلوات الخمس كفارة (١/١١٢ رقم٥٢٨)، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل الصلوات الخمس (١/٤٦٢ رقم ٦٦٧) وغيرهما.

وليس يخفى على أحد كيف كان الحال عند صالح سلفنا في هذه السنّة، ولا يصلح آخرنا إلا بما صلح به أولنا، والله الموفق وهو المستعان.

❖ الاستنباط الثامن والثلاثون:

• ذكر الأوامر والنواهي التكليفية مشفوعة بفوائدها ومضارها في الدارين، منهج تربوي قرآني.

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ٦٨ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ٦٩ ﴾ (الفرقان: ٦٨ –٦٩).

قال ابن باديس رحمه الله: (إذا أمر القرآن بشيء ذكر فائدته وثمرته للعباد في الدارين، وكذلك إذا نهى عن شيء ذكر مضرته وسوء عاقبته عليهم فيهما، فلما ذكر في صدر الآية نفْيَ تلك المعاصي عن عباد الرحمن الذي يفيد النهي عنها، ذكر هذا الوعيد لبيان سوء عاقبتها وقبح أثرها.

هذه هي سنة القرآن في التربية، وهي أنجح الطرق في جعل المأمور والمنهيِّ، يتمثل للأمر والنهي من كل نفسه، ويعمل لتنفيذهما بعقله وإرادته، فالتربية التي تنبني على امتثال الأمر والنهي من غير المعصوم، والانقياد لهما –انقياداً أعمى– مخالفةٌ لتربية القرآن، والخير كله في اتّباع القرآن، في جميع ما يفيده القرآن)[1].

◆ الدراسة:

استنبط الشيخ ابن باديس رحمه الله من هذه الآية منهجا قرآنيا تربويا، يربّي المكلف على الامتثال من وازع نفسه وعقله وإرادته، وهذا المنهج يتمثل في ذكر الفوائد والمضار للأمر والنهي التكليفي في الدنيا والآخرة.

وطريق هذا الاستنباط، هو الدلالة النحوية المتمثلة في حمل الفعل المضارع ﴿ يُضَٰعَفۡ ﴾ على البدلية من ﴿ يَلۡقَ أَثَامٗا ﴾،، بدل البعض من الكل.

---

(١) مجالس التذكير (١٣٨/٢).

ووجه هذا الاستنباط، أن لقي العذاب على تلك الآثام يكون في الدنيا والآخرة، ومضاعفة العذاب والخلود فيه تكون في الآخرة، على أن ﴿ يُضَٰعَفۡ ﴾ بدل بعض من كل، وبهذا تكون الآية قد أفادت أن المرتكب لما تقدم من المعاصي –الشرك وقتل النفس والزنا– ينال جزاءه دنيا وأخرى، وعذاب الآخرة المضاعف المستمر أشد وأبقى.

وهذا هو الجاري على سنة القرآن في التخويف بسوء عاقبة المعصية عاجلا وآجلا، والتنبيه على أن الآجل أشد وأفدح من العاجل)[1].

وما استنبطه ابن باديس منهج قرآني صحيح، وهو استنباط مبني على أن ﴿ يُضَٰعَفۡ ﴾ في الآية بدل بعض من كلّ، وليس هو بدل كل من كل[2].

وقد أشار ابن باديس لهذا المنهج التربوي القرآني في موضع آخر من تفسيره.

قال–رحمه الله: (والأحكام الشرعية المعللة بفوائدها في الآيات والأحاديث لا تحصى كثرة ومنها في الحج ﴿ لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ ﴾ (الحج: ٢٨) ومن منافع الحج الحركة الاقتصادية لخير تلك البقاع ومصلحة أهلها وغزارة عمرانها؟ ولذا قال تعالى: ﴿ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡ ﴾ (البقرة: ١٩٨) والفضل هنا هو الاتجار في مواسم الحج.

فكل منفعة تجلبها عبادة، أو مضرة تدفعها، فملاحظتها عند قصد العبادة لا تنافي الإخلاص، ولا تنقص من أجر العامل، وهي مثل الثواب المرتب على العمل: هي في الدنيا وهو في الآخرة، كلاهما من رحمة الله التي نرجوها بأعمالنا، ويشملها لفظ دعاء القنوت: ((نرجو رحمتك))[3] إذ هو تبارك وتعالى رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما)[1].

---

(١) مجالس التذكير (١٣٩/٢).

(٢) قال ابن باديس في شرحه لتراكيب الآية: ({يضاعف} بدل من {يلق}، بدل كل من كل، قال الخليل: لأن مضاعفة العذاب هي لقيا الآثام، وعندي أنه بدل بعض من كل، لأن لقيا العذاب على تلك الآثام يكون في الدنيا والآخرة، ومضاعفة العذاب والخلود فيه تكون في الآخرة). مجالس التذكير (١٣٩/٢).

(٣) عن خالد بن أبي عمران قال: ((بينا رسول الله ﷺ يدعو على مضر إذ جاءه جبريل فأومأ إليه أن اسكت فسكت، فقال: يا محمد إن الله لم يبعثك سبابا ولا لعانا وإنما بعثك رحمة ولم يبعثك عذابا {ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون} (آل عمران: ١٢٨)، قال: ثم علمه هذا القنوت:

وليس ما استنبطه الشيخ هنا من منهج تربوي قرآني، هو كامل المنهج القرآني في هذا الباب، وإنما هناك أساليب ومناهج أخرى في هذا الباب، استنبطها بعض أهل العلم.

فقد أشار أبو حيان إلى أسلوب ومنهج قرآني آخر في التربية على الأحكام والتكاليف الشرعية الشاقة والتكاليف الخفيفة.

قال-رحمه الله: (وإذا كان التكليف شاقا ناسب أن يعقب بترجي التقوى، وإذا كان تيسيرا ورخصة ناسب أن يعقب بترجي الشكر، فلذلك ختمت هذه الآية بقوله: ﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (البقرة: ١٨٥) لأن قبله ترخيص للمريض والمسافر بالفطر، وقوله: يريد الله بكم اليسر وجاء عقيب قوله: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾ (البقرة: ١٨٣)...﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (البقرة: ١٨٣) وقبله ﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ ﴾ (البقرة: ١٧٩) ثم قال: ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (البقرة: ١٧٩) لأن الصيام والقصاص من أشق التكاليف، وكذا يجيء أسلوب القرآن فيما هو شاق وفيما فيه ترخيص أو ترقية، فينبغي أن يلحظ ذلك حيث جاء فإنه من محاسن علم البيان)[٢].

اللهم إنا نستعينك ونستغفرك ونؤمن بك ونخضع لك، ونخلع ونترك من يكفرك، اللهم إياك نعبد ولك =نصلي ونسجد، وإليك نسعى ونحفد، نرجو رحمتك ونخاف عذابك الجد، إن عذابك بالكفار ملحق)). المراسيل لأبي داوود (١١٨/١ رقم٨٩)، وروي موقوفا عن عمر ﷺ عن سعيد بن عبد الرحمن بن أبزى عن أبيه قال: ((صليت خلف عمر بن الخطاب رضي الله عنه صلاة الصبح فسمعته يقول بعد القراءة قبل الركوع: اللهم إياك نعبد، ولك نصلي ونسجد وإليك نسعى ونحفد، نرجو رحمتك، ونخشى عذابك، إن عذابك بالكافرين ملحق، اللهم إنا نستعينك ونستغفرك، ونثني عليك الخير، ولا نكفرك، ونؤمن بك، ونخضع لك، ونخلع من يكفرك)). رواه البيهقي في سننه الكبرى وصحح إسناده (٢٩٩/٢ رقم٣١٤٤)، وعبد الرزاق في مصنفه (١١١/٣ رقم٤٩٦٩)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٠٦/٢ رقم٧٠٢٩)، والطبراني في الدعاء (٢٣٨/١ رقم٧٥٠) كلهم رووه موقوفا عن عمر بن الخطاب ﷺ، وكان يقنت به في صلاة الفجر. وصححه الشيخ الألباني في الإرواء (١٧٠/٢ رقم ٤٢٨).

(١) مجالس التذكير (١٦٩/٢-١٧٠).

(٢) البحر المحيط (٢٠٥/٢).

وقد أشار كذلك رشيد رضا، نقلا عن أستاذه محمد عبده، إلى أسلوب ومنهج قرآني في هذا الباب عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾(البقرة: ٢٣٥)، قال: ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ﴾ (البقرة: ٢٣٥) أي: يعلم ما تضمرونه في قلوبكم من العزم فاحذروا أن تعزموا ما حظره عليكم منه من قول وعمل، قال الأستاذ الإمام: هذا التحذير راجع للأحكام التي تقدمت من التعريض وغيره جاء على أسلوب القرآن وسنته في قرن الأحكام بالموعظة ترغيبا وترهيبا، تأكيدا للمحافظة عليها والالتفات إليها)[1]. والله تعالى أعلم.

❖ الاستنباط التاسع والثلاثون:

- **تصوير القرآن لحالة ونفسية العاصي التائب، حسب وقوعها في الخارج و الواقع.**

قال تعالى: ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (الفرقان: ٧٠).

قال ابن باديس –رحمه الله: (يكون العاصي في غمرات معصيته، فإذا ذكر الله، ووفقه الله أسِف على حاله ورجع إلى ربه، وهذه أول الدرجات في توبته، فإذا استشعر قلبه اليقين، واطمأن قلبه بذكر الله صمم على الإعراض عن المعصية، والإقبال على الطاعة، فإذا كان صادقا في هذا العزم، فلا بد أن يظهر أثر ذلك على عمله، فلهذا رُوعيت الحالة الأولى فذُكِرت التوبة، والثانية فذُكِر الإيمان، والثالثة فذُكِر عملُ عملٍ صالح)[2].

- **الدراسة:**

---

(١) تفسير المنار (٣٣٩/٢).

(٢) مجالس التذكير (١٤٤/٢).

استنبط ابن باديس مناسبة في ترتيب هذه المعاني في الذكر والنظم القرآني من هذه الآية، وذلك مراعاةً لحال العاصي التائب في الواقع.

وطريق دلالة هذا الاستنباط، هي الدلالة البلاغية المتمثلة في اختيار القرآن لألفاظه وترتيبها، وتنظيمها، وتنسيقها، وعطف بعضها على بعض.

ووجه هذا الاستنباط، هو أنه لما كانت حالة العاصي في الواقع، متقلبةً على هذه الأطوار والدرجات، من الأسف والندم على المعصية أولا، ثم الإعراض عنها ثانيا، ثم تقديم عملٍ صالح يمحو تلك المعصية، فجاءت الآية مرتبةً هذا الترتيب، مراعاةً لهذه الأحوال والأطوار.

وما استنبطه ابن باديس معنى صحيح في نفسه، وفي طريقته ووجهه، ويؤيده الحس والمشاهدة، فإن المعروف والمشاهد من كل عاص، أنّ هذه حالُه، يمرّ بهذه الدرجات الثلاث عند توبته.

وقد ذكر العلماء للتوبة شروطا في كيفيتها وحقيقتها وفي زمانها.

قال ابن القيم: (فحقيقة التوبة: هي الندم على ما سلف منه في الماضي، والإقلاع عنه في الحال، والعزم على أن لا يعاوده في المستقبل.

والثلاثة تجتمع في الوقت الذي تقع فيه التوبة، فإنه في ذلك الوقت يندم، ويقلع، ويعزم، فحينئذ يرجع إلى العبودية التي خلق لها، وهذا الرجوع هو حقيقة التوبة، ولما كان متوقفا على تلك الثلاثة جعلت شرائط له)[1].

والأحاديث في شأن التوبة والحث عليها وفي تكفيرها للذنوب كثيرة جدا، وحيث ذُكِرَت من الآيات والأحاديث ،فإنما المراد بها التوبة النصوح، وهي التي اجتمع فيها أربعة شروط:

الأول: الإقلاع عن الذنب.

الثاني: الندم على فعله.

الثالث: العزم على أن لا يعود فيه.

---

(١) مدارج السالكين (١/١٩٩).

الرابع: فإن كان في ذلك الذنب حق لآدمي لزم استحلاله منه إن أمكن.

وهذه الشروط في كيفية التوبة، وأما الشرط في زمانها فهو ما كان قبل الغرغرة، وهي حشرجة الروح في الصدر، والمراد بذلك الاحتضار عندما يرى الملائكة ويبدأ بها السياق، قال الله تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿١٧﴾ وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ﴿١٨﴾ ﴾ (النساء: ١٧-١٨) [(١)].

وقد أشار ابن عاشور إلى هذه المناسبة في الترتيب، و وجّهها قريبا من توجيه ابن باديس.

قال -رحمه الله: (والتوبة: الإقلاع عن الذنب، والندم على ما فرط، والعزم على أن لا يعود إلى الذنب، وإذا كان فيما سبق ذكر الشرك، فالتوبة هنا التلبس بالإيمان، والإيمان بعد الكفر يوجب عدم المؤاخذة، كما اقترفه المشرك في مدة شركه كما في الحديث ((الإسلام يجب ما قبله))[(٢)]، ولذلك فعطف ﴿ وَءَامَنَ ﴾ (الفرقان: ٧٠) على ﴿ مَن تَابَ ﴾ (الفرقان: ٧٠) للتنويه بالإيمان، وليبنى عليه قوله: ﴿ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا ﴾ (الفرقان: ٧٠) وهو شرائع الإسلام، تحريضا على الصالحات وإيماء إلى أنها لا يعتد بها إلا مع الإيمان)[(٣)].

وأشار كذلك سيد قطب إلى معنى هذه المناسبة.

قال —رحمه الله: (فالتوبة تبدأ بالندم والإقلاع عن المعصية، وتنتهي بالعمل الصالح الذي يثبت أن التوبة صحيحة وأنها جدية، وهو في الوقت ذاته ينشئ التعويض الإيجابي في النفس للإقلاع عن المعصية، فالمعصية عمل وحركة، يجب ملء فراغه بعمل مضاد وحركة، وإلا حنّت النفس إلى الخطيئة بتأثير الفراغ الذي تحسه بعد الإقلاع، وهذه لمحة

---

(١) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول لحافظ بن أحمد بن علي الحكمي (١٠٤٤/٣).

(٢) رواه الإمام أحمد (٣٤٩/٢٩ رقم ١٧٨١٣)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢٠٦/٩ رقم١٨٢٩٠)، وصححه الألباني في إرواء الغليل (١٢١/٥ رقم١٢٧٩).

(٣) التحرير والتنوير (٧٦/١٩).

في منهج التربية القرآني عجيبة، تقوم على خبرة بالنفس الإنسانية عميقة، ومن أخبر من الخالق بما خلق؟ سبحانه وتعالى!!)[١].

❖ **الاستنباط الأربعون:**

● **من ذكرنا بالقرآن يجب قبول تذكيره كائنا من كان.**

قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴾ (الفرقان: ٧٣).

قال ابن باديس رحمه الله: (وبنى الفعل للنائب لأن التذكير بالآيات يجب قبوله من أي مذكِّر كان)[٢].

◆ **الدراسة:**

استنبط الشيخ رحمه الله من هذه الآية، أن المذكر بالقرآن يجب عليه أن يقبل هذا التذكير من أي مذكر كان.

وطريق هذا الاستنباط، هو الدلالة البلاغية المتمثلة في حذف الفاعل وبناء فعله إلى المفعول، فاقتضى ذلك التركيب أن الغرض ليس في ذِكْر مذكِّر معين حتى يستجيب المخاطَب ، بل كل من ذكَّر بالقرآن يجب أن يُقبل منه.

ووجه هذا الاستنباط، هو أن الغرض من التذكير هو سماع ما في القرآن من ذكْر وحكم وآيات بينات، فمتى ألقيت هذه الآيات على الأسماع حصل المقصود بغض النظر عن ملقيها.

ووجه آخر، أن القرآن نفسه يشتمل على آيات بينات وهو بنفسه حق يخاطب العقل والفطرة فمتى صفت الفطرة وصح العقل أثرت فيه الآيات عند سماعها وإلقائها من أي ملق.

ووجه آخر، هو أن الغرض والقصد هو الآيات وما فيها من حكم وأحكام ومواعظ وذكر وليس المقصود المذكر.

---

(١) في ظلال القرآن (٥/٢٥٨٠).

(٢) مجالس التذكير (٢/١٦٢).

ووجه آخر، أن القرآن كله حق وكله حكمة، والحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها فهو أولى بها.

ووجه آخر، أنه لما كان عباد الرحمن متصفين بهذه الصفات التي ذكرها الله عنهم، وهي صفات عظيمة تحلوا بها، فزكت أنفسهم عن التكبر والاستكبار على الخلق وعلى الحق، فهم يقبلون التذكير من أي مذكر.

ووجه آخر، أن من عرف ربه معرفة حقيقية يقبل التذكير من أي مذكر لأنه عرف ربه بآياته فهي التي كانت دليله إلى ربه فقبوله من أي مذكر ليس من باب التقليد الأعمى وإنما هو عن معرفة سابقة.

ووجه آخر، أنه لما كانت صفات عباد الرحمن منافية لصفات الكفار والمشركين والمعرضين عن الحق الذين إذا ذكروا بآيات الله مروا عليها صما وعميانا، وكان سبَبَ صدودهم نظرهُم إلى المذكر ولم ينظروا إلى آيات الذكر الحكيم ، المنزلة من رب العالمين، جاءت هذه الآية محذوفٌ فيها الفاعل المذكِّر.

ما استنبطه ابن باديس معنى صحيح، مأخوذ من تركيب الآية أخذا عربيا صحيحا، وذلك أنّ الفاعل يحذف من الكلام لأغراض كثيرة، كما هو مبيّن في كتب البلاغة[(١)]، منها لمّا لا يكون للكلام قصدُ فاعلٍ معيّن، كما هو الشأن في استنباط ابن باديس هنا.

ومما يستدل به لهذا الاستنباط قصة أبي هريرة ﷺ مع الشيطان في السرقة من الزكاة وكان أبو هريرة ﷺ موكلا بحفظها ،وقول النبي ﷺ لأبي هريرة ﷺ: ((صدقك وهو كذوب))[(٢)].

---

(١) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة (٤/٢)، اللباب في علل البناء والإعراب لأبي البقاء العكبري (١٥٧/١).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الوكالة، باب إذا وكل رجلا فترك الوكيل شيئا فأجازه الموكل فهو جائز وإن أقرضه إلى أجل مسمى جاز (٨١٢/٢ رقم ٢١٨٧)، وأخرجه في أبواب أخرى متفرقة من صحيحه (برقم:٣١٠١، ٤٧٢٣) عن أبي هريرة ﷺ قال: ((وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام فأخذته، وقلت: والله لأرفعنّك إلى رسول الله ﷺ، قال: إني محتاج وعليّ عيال ولي حاجة شديدة، قال: فخليت عنه فأصبحت، فقال النبي ﷺ: يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة، قال: قلت: يا رسول الله شكا حاجة شديدة وعيالا فرحمته فخليت سبيله، قال: أما إنه قد كذبك وسيعود، فعرفت أنه سيعود لقول

ومما يستدل به أيضا لهذا الاستنباط إقرار القرآن أقوالا قيلت من أناس كفرة مشركين فأقرها لهم ولم يلتفت إلى كفر قائلها، لمّا كان الغرض متعلقا بالقول لا بالقائل[١]، فقبول المذكر بالقرآن، وهو الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه – من باب أولى –ولله المثل الأعلى.

وكذلك مما يستدل به قصة بعض الحيوانات والطيور ومحاورتها لبعض الأنبياء وسماع الأنبياء منهم ذلك وقبوله، كما في قصة سليمان مع الهدهد والنملة[٢]، فلم يمنع وضع سليمان عليه السلام ومرتبته من سماع الحق وإن جاء به الهدهد.

وقد أشار البقاعي إلى هذا الاستنباط من غير ذكر طريق دلالته.

قال–رحمه الله: (﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴾ (الفرقان: ٧٣)، أي: ذكّرهم غيرُهم،كائنا من كان، لأنهم يعرفون الحق بنفسه لا بقائله)[٣].

رسول الله ﷺ: إنه سيعود، فرصدته فجاء يحثو من الطعام فأخذته فقلت: لأرفعنّك إلى رسول الله ﷺ قال: دعني فإني محتاج وعليّ عيال لا أعود، فرحمته فخليت سبيله فأصبحت، =فقال لي رسول الله ﷺ: يا أبا هريرة ما فعل أسيرك، قلت: يا رسول الله شكا حاجة شديدة وعيالا فرحمته فخليت سبيله، قال: أما إنه كذبك وسيعود، فرصدته الثالثة فجاء يحثو من الطعام فأخذته فقلت: لأرفعنّك إلى رسول الله وهذا آخر ثلاث مرات تزعم لا تعود ثم تعود، قال: دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها، قلت: ما هو؟ قال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي {الله لا إله إلا هو الحي القيوم} حتى تختم الآية، فإنك لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربنّك شيطان حتى تصبح، فخليت سبيله فأصبحت فقال لي رسول الله ﷺ: ما فعل أسيرك البارحة، قلت: يا رسول الله زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها فخليت سبيله، قال: ما هي؟، قلت: قال: لي إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم { الله لا إله إلا هو الحي القيوم }، وقال لي: لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح – وكانوا أحرص شيء على الخير – فقال النبي ﷺ: أما إنه قد صدقك وهو كذوب، تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليال يا أبا هريرة؟، قال: لا، قال: ذاك شيطان)). وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٥٣/٤ رقم ٢١٧٠).

(١) كما في قصة "بلقيس" ملكة سبأ، فإن القرآن حكى عنها قولا وأقره، ولم ينظر إلى كفرها وشخصها، وذلك في قوله تعالى: ﴿ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ (النمل: ٣٤)، والشاهد فيه قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ (النمل: ٣٤) على قول.

(٢) سيأتي ذكر قصتهما مع النبي سليمان عليه السلام في (ص٢٨١) و(ص٢٨٥).

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٤٣٣/١٣).

قلت: وهذا الكلام من البقاعي، وإن لم يذكر طريق دلالته، فإنه ظاهر من كلامه أنه استنبطه من تركيب الآية، وهو حذف الفاعل وإقامة النائب مقامه. والله تعالى أعلم.

❖ الاستنباط الحادي والأربعون:

- **الأنبياء أعظم الناس قدرا ومنزلة عند الله تعالى.**

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴾ (الفرقان: ٧٧).

قال ابن باديس -رحمه الله تحت عنوان "استنباط": (لمّا كانت مقادير العباد عند ربهم بحسب عبادتهم، فالأنبياء -عليهم السلام- أعلى الناس منزلة عند الله، فهم أعظمهم عبادة لله، وهم أتقاهم له وأشدهم خشية منه، وقد قال النبي ﷺ فيما رواه مالك وغيره:

((والله إني أرجو أن أكون أخشاكم لله، وأعلمكم بما أتقي[1])) [2].

- **الدراسة:**

استنبط ابن باديس من هذه الآية أنّ الأنبياء أعظم قدرا وأعظم منزلة عند الله عزّ وجل.

---

(١) وتمام الحديث، عن عائشة رضي الله عنها قالت: ((سأل رجل رسول الله ﷺ وهو قائم على الباب وأنا أسمع، قال: أصبح جنبا وأنا أريد الصوم؟ قال النبي ﷺ: إني أصبح جنبا وأنا أريد الصوم، قال الرجل: إني لست كمثلك، أنت غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فغضب النبي ﷺ، فقال: إني أرجو أن أكون أخشاكم للرب عز وجل، وأعلمكم بما أتقي)). أخرجه مسلم في كتاب الصيام، باب صحة صوم من طلع عليه الفجر وهو جنب (٧٨١/٢ رقم ١١١٠)، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده (١٢٩/٤٢ رقم ٢٥٢٢٨)، وأخرجه مالك في الصيام، باب ما جاء في صيام الذي يصبح جنباً في رمضان (٤١٢/٣ رقم ١٠١٥) وغيرهم.

(٢) مجالس التذكير (١٨٤/٢).

وطريق هذا الاستنباط، هو دلالة الإشارة ،المتمثلة هنا في الاستنتاج من مقدمتين معلومتين في الشرع.

المقدمة الأولى: وهو أن الأنبياء -عليهم السلام- هم أشد الناس عبادة وخشية لله تعالى كما في الحديث الصحيح المتقدم.

وهذا لم تتعرض له الآية، التي هي موضوع الاستنباط، بل هذا المعنى معروف معلوم من الدين بالضرورة، وله أدلته من نصوص الشرع، ظاهرة كثيرة.

والمقدمة الثانية: هو ما صرّحت به هذه الآية، التي هي مثالنا في هذا الاستنباط، وهو أن الله عز وجل لا يبالي بالناس، ولا يعبأ بهم، ولا يكترث لهم، وليس لهم عنده وزن ولا قدر ولا قيمة لولا إيمانهم وعبادتهم.

فبقدر الإيمان والعبادة والخشية لله يكون للعبد عند ربه وزنٌ وقدرٌ وقيمةٌ، فمن عصى الله وكفر به يكون من أسفل السافلين عند الله عز وجل، وإن كان ابن نبيّ، ومن آمن به وأطاعه وخشيه بالغيب وأحبّه يكون من أقرب المقربين، وإن كان ابن أكفر الكافرين.

فليس بين الناس و بين الله نسب إلا الإيمان و الطاعة والعبادة، فهذا ما دلت عليه هذه الآية، وهذه هي المقدمة الثانية التي بُني عليها الاستنباط مع المقدمة الأولى.

فإذا عُلمت هاتان المقدمتان نتج عنهما: أن الأنبياء أعظم قدرا ومنزلة عند الله تعالى، لأنهم-صلوات الله عليهم-أعرف الناس بالله وأشدهم عبادة و خشية له.

فكان إذًا هذا الاستنباط من ابن باديس صحيحا، لبنائه على تفسير راجح صحيح، وهو أن الدعاء المذكور في الآية، هو العبادة والطاعة، كما هو قول أكثر المفسرين[1]، ولبنائه على استنتاج صحيح، لصحة المقدمتين، وصحة طريق دلالتهما.

---

(١) قال الشيخ الشنقيطي رحمه الله بعد أن ذكر الأقوال في قوله تعالى ﴿ لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ﴾ (الفرقان: ٧٧): والقول الأول الذي هو أشهر الأقوال وأكثرها قائلا، وهو أن المعنى: لولا دعاؤكم، أي: عبادتكم له وحده، قد دل عليه جميع الآيات الدالة على ما يعطيه الله لمن أطاعه، وما أعده لمن عصاه، وكثرتها معلومة لا خفاء بها. أضواء البيان (٦/٨٣).

ولطريق ومسلك هذا الاستنباط ما يشهد لها من استنباطات السلف "في أقل مدة الحمل"، فقد أفتى علي ابن أبي طالب وابن عباس –رضي الله عنهما– أن أقل مدة الحمل ستة أشهر، وذلك جمعا بين قوله تعالى: ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ﴾ (البقرة: ٢٣٣)، وقوله تعالى: ﴿ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ﴾ (الأحقاف: ١٥).

وهنا سؤال قد يرد على هذا الاستنباط:

فقد يقول قائل: إن هذا الاستنباط لم يأت بفائدة جديدة، فإنه معلوم في الدين بالضرورة أن الأنبياء أعظم قدْرا ومنزلة عند الله من جميع خلقه، وعلى هذا نصوص كثيرة من القرآن والسنة، فلِم ابنُ باديس يَعُدُّ هذا استنباطاً، ويبرزه تحت عنوان :استنباط؟

وجوابه: أنه ليس من شرط الاستنباط، أن لا يكون ذلك المعنى وذلك الحكم المستنبط معلوما في الشرع بأدلة ظاهرة أخرى خارجية، أو أنه لا يكون معلوما في الدين بالضرورة.

فهذا ليس بشرط، فلم يشترطه أحد ممن تكلم على شروط الاستنباط، وإنما المعتمد، هو أن يكون هذا الحكم وهذا المعنى المستنبط جارٍ على شروط الاستنباط التي بيّنها أهل العلم، وإن لم يأت بفائدة معلوماتية جديدة، فقد يكفيه أن تكون طريق دلالته واضحة سليمة، ووجهه بيّنا، ومأخذه صحيحا .

فبهذا نكون قد استفدنا من استثمار هذا الطريق في الاستنباط من نصوص الشرع، فنتمكّن إذاً من تثوير[1] القرآن وذلك بتصويب النظر فيه والاستنباط منه، بطريقة آمنة سليمة، ونكون أيضا قد استفدنا من دليل زائد مؤكد، نوظفه عند الاحتجاج و الترجيح إن احتجنا إليه.

---

(١) أثار التراب إثارة، إذا بحثه بقوائمه... وفي حديث عبد الله: ((أثيروا القرآن فإن فيه خبر الأولين والآخرين))، وفي حديث آخر: ((من أراد العلم فليثور القرآن))، قال شمر: تثوير القرآن، قراءته ومفاتشة العلماء به في تفسيره ومعانيه. وقيل: لينقر عنه ويفكر في معانيه وتفسيره وقراءته... وكل ما ظهر فقد: ثار يثور ثَوْراً وثَوَرَاناً. ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (ت٣٧٠هـ) (١٥/٨٠)، ولسان العرب (٤/١١٠).

فطريق دلالة المستنبِط إلى هذا المعنى المستنبَط، وبيان وجه دلالة الآية عليه، وصحة مأخذه من الآية، هي الأمور المهمة في عملية الاستنباط، مع شروط الاستنباط المتقدمة، بغض النظر عن جدّية المعنى المستنبَط. والله تعالى أعلم.

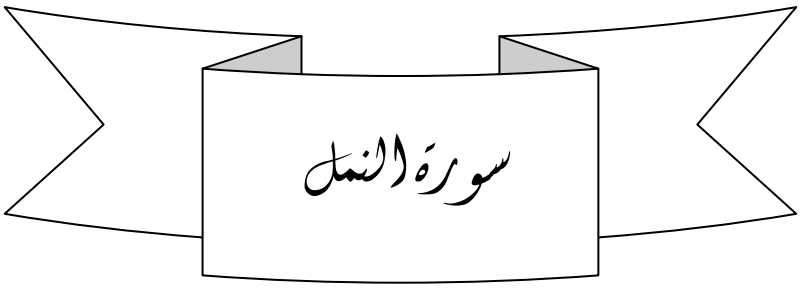
سورة النمل

❖ **الاستنباط الثاني والأربعون:**

● **النبيّ سليمان– عليه السلام– عُلّم منطق الحيوانات كلِّها.**

قال تعالى: ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴾ (النمل: ١٦).

مع قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ (النمل: ١٨-١٩).

قال ابن باديس: (ذكر سليمان–عليه السلام–منطق الطير، وهو قد عَلِم منطق غير الطير أيضا، فقد فهم نطق النملة، ذلك لأن الحيوانات –غير الإنسان– مراتب: الزاحفة، والماشية، والطائرة، وأشرفها الطائرة، فاقتصر على الطير تنبيهاً بالأعلى على الأدنى)[1].

◆ **الدراسة:**

استنبط ابن باديس رحمه الله من هاتين الآيتين أن سليمان –عليه السلام– يَعلم منطق الحيوانات كلها.

والذي استنبطه الشيخ ابن باديس من تركيب الآيتين والجمع بينهما مسلك صحيح، وما استنتجه كذلك معنى صحيح، وما كان هذا المعنى ليحصل للشيخ من آية واحدة فقط، بل بالجمع بين الآيتين.

وطريق دلالة هذا الاستنباط، هو دلالة التنبيه بالأعلى على الأدنى، كما ذكر ابن باديس في استنباطه، وهو نوع من أنواع مفهوم الموافقه.

---

(١) مجالس التذكير (٢/٢٠٩).

ووجه دلالة هاتين الآيتين على هذا الاستنباط، هو أن في الآية الأولى ﴿ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ ﴾ يخبر سليمان –عليه السلام– على أن الله عز وجل علمه فهم منطق الطير، وليس فيها لا من قريب ولا من بعيد أنه عُلِّم منطق غير الطير من الحيوانات الأخرى، وفي الآية الثانية ﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا ﴾ يخبرنا الله عز وجل عن سليمان –عليه السلام– أنه فهم لغة هذه النملة، بدليل تبسمه من قولها.

فبالجمع إذاً بين هذين الخبرين، خبر سليمان –عليه السلام– في تصريحه بفهم منطق الطير، وخبر الله عز وجل في بيان فهم سليمان لمنطق النملة، فاستنتج ابن باديس–رحمه الله–من هذين الخبرين، أن سليمان عُلّم منطق الحيوانات كلها، ماشيها وطائرها وزاحفها، وذلك بطريق ودلالة التنبيه بالأعلى على الأدنى، اختصارا للكلام بلاغة، مع نكتة شرف المذكور الذي هو الطائر، فإنه أشرف الحيوانات من حيث هذه الخاصية، خاصية الطيران.

وقد وافق ابنُ باديس في استنباطه هذا جمعًا من المفسرين، كما حكى ذلك الشوكاني عنهم.

قال–رحمه الله: (قال جماعة من المفسرين: إنه علم منطق جميع الحيوانات وإنما ذكر الطير لأنه كان جندا من جنده يسير معه لتظليله من الشمس)[1].

بل قد حكى الإمام ابن العربي رحمه الله الاتفاق على أن النبي سليمان–عليه السلام– عُلّم منطق كل شيء، حتى النباتات والجمادات، ورَدَّ على من قال إنه –عليه السلام– لم يعلم إلا منطق الطير خاصة، والنملة التي عُلّم منطقها من جملة الطير، لأنها كان لها جناحان.

قال رحمه الله في قوله تعالى ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾: (رأيت بعض البصريين قد قال: إن النملة كان لها جناحان، فصارت في جملة الطير، ولذلك فهم منطقها، لأنه لم يعلم إلا منطق الطير، وهذا نقصان عظيم، وقد بينا الحكمة في ذكر الطير خصوصا

(١) فتح القدير (٤/١٥٠).

دون سائر البهائم والحشرات وما لا يعقل، وقد اتفق الناس على أنه كان يفهم كلام من لا يتكلم، ويخلق له فيه القول من النبات، فكان كل نبات يقول له: أنا شجرة كذا، أنفع من كذا، وأضر من كذا، وفائدتي كذا، فما ظنك بالحيوان)[١].

وما ذهب إليه ابن العربي موافق لاستنباط ابن باديس، إلا أن الإمام ابن العربي لم يذكر طريق ما ذهب إليه ومستنده في ذلك، ولم يوجهه مثل ما فعل ابن باديس، وقد يقال إن ابن العربي استند في هذا على ما ذكره من اتفاق الناس على أن النبي سليمان – عليه السلام– كان يفهم حتى الأشياء التي لا تنطق، كالنباتات وغيرها.

وما ذكره الإمام ابن العربي من هذا الاتفاق فيه نظر، فقد نقل الإمام ابن عطية عن قتادة والشعبي رحمهما الله وغيرهما أنهم قالوا: (إنما علم منطق الطير خاصة، ولا يعترض ذلك بالنملة، فإنها من جملة الطير وكثيرا ما تخرج لها أجنحة فتطير، وكذلك كانت هذه النملة التي سمع كلامها النبي سليمان –عليه السلام– وفهمه)[٢].

وقد أشار ابن عاشور إلى هذا الاستنباط، مستندا في ذلك إلى نفس طريق دلالة ابن باديس.

قال رحمه الله: (والاقتصار على منطق الطير إيجاز لأنه إذا علم منطق الطير وهي أبعد الحيوان عن الركون إلى الإنسان وأسرعها نفوراً منه، علم أن منطق ما هو أكثر اختلاطاً بالإنسان حاصل له بالأحرى كما يدل عليه قوله تعالى فيما يأتي قريبا: ﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا ﴾، فتدل هذه الآية على أنه عُلِّم منطق كل صنف من أصناف الحيوان)[٣].

وحكى ابن عطية الأقوال وسكت عنها ولم يرجح قولا على قول.

قال رحمه الله: (وسليمان عليه السلام حكى عن البلبل أنه قال: "أكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء إلى كثير من هذا النوع"، وقال قتادة والشعبي وغيره: "إنما كان هذا الأمر في الطير خاصة والنملة طائر قد يوجد له الأجنحة"، قال الشعبي: "وكذلك كانت

(١) أحكام القرآن (٣/٤٧٥).

(٢) المحرر الوجيز (٤/٢٥٣).

(٣) التحرير والتنوير (١٩/٢٣٧).

هذه القائلة ذات جناحين"، وقالت فرقة: بل كان في جميع الحيوان وإنما ذكر الطير لأنه كان جندا من جنود سليمان يحتاجه في التظليل عن الشمس وفي البعث في الأمور فخص لكثرة مداخلته ولأن أمر سائر الحيوان نادر وغير متردد ترداد أمر الطير)[١].

وأما الألوسي[٢]، فقد ذهب إلى القول بأن سليمان -عليه السلام- لم يعلم منطق الحيوانات كلها، عند تفسير قوله تعالى: ﴿ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ ﴾... وقال: (إن الآية لا تدل عليه، فيحتاج القول به إلى نقل صحيح...

قال رحمه الله: (وذهب بعض الناس إلى أن سليمان -عليه السلام- عُلّم منطقها -أي الحيوانات- أيضا، إلا أنه نص على الطير لأنها كانت جندا من جنوده يحتاج إليها في التظليل من الشمس وفي البعث في الأمور، ولا يخفى أن الآية لا تدل على ذلك، فيحتاج القول به إلى نقل صحيح، وزعم بعضهم أنه -عليه السلام- عُلّم أيضا منطق النبات، فكان يمر على الشجرة فتذكر له منافعها ومضارها، ولم أجد في ذلك خبرا صحيحا، وكثير من الحكماء من يعرف خواص النبات بلونه وهيئته وطعمه وغير ذلك، ولا يحتاج في معرفتها إلى نطقه بلسان القال)[٣].

وقول الألوسي: (إن الآية لا تدل عليه)، قلت: نعم، إن الآية لا تدل عليه بمفردها، لا من قريب ولا من بعيد، ولكن إذا ضُمّت إليها آية: ﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا ﴾، فإنه يُستنبط هذا المعنى بالجمع بينهما، وذلك بدلالة التنبيه بالأعلى على الأدنى، وهذا الذي سلكه ابن باديس في استنباط هذا المعنى.

---

(١) المحرر الوجيز (٤/٢٥٣).

(٢) هو محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (١٢١٧ -١٢٧٠هـ = ١٨٠٢ -١٨٥٤م)، شهاب الدين، أبو الثناء، مفسر، محدث، أديب، من المجددين، من أهل بغداد، مولده ووفاته فيها، كان سلفي الاعتقاد، مجتهدا، تقلد الإفتاء ببلده سنة ١٢٤٨هـ، وعزل فانقطع للعلم، من كتبه: "روح المعاني" في التفسير، و"غرائب الاغتراب" ضمّنه تراجم الذين لقيهم وأبحاثا ومناظرات، و"دقائق التفسير" وغيرها. الأعلام للزركلي (٧/١٧٧).

(٣) روح المعاني (١٩/١٧٢).

وقد أشار إلى هذا الاستنباط كذلك الإمام أبو زهرة، مشيرا إلى نفس طريق دلالة ابن باديس، إشارة مجملة من غير تحليل وإيضاح، بدليل أنه ذكر آية ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ ﴾ الآية، فكأنه يذهب في قوله هذا إلى الجمع بين هاتين الآيتين ﴿ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ ﴾ و﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا ﴾.

قال رحمه الله: (كما أوتي علم المنطق الطير فقد أوتي علم منطق كل شيء ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾)[1]، والله أعلم.

❖ الاستنباط الثالث والأربعون:

- **القائد للأمة وللجماعة لابد أن يمتاز على غيره ببُعد النظر، وقوة الإدراك، وسرعة الإنذار بما يحسُّ ويتوقع.**

قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾ (النمل: ١٨).

قال ابن باديس: (هذه النملة هي كبيرة النمل، فقد كان عندها من قوة الإحساس ما أدركت به الخطر قبل غيرها، فبادرت بالإنذار، فلا يصلح لقيادة الأمة وزعامتها إلاّ من كان عنده من بعد النظر، وصدق الحدس، وصائب الفراسة، وقوة الإدراك للأمور قبل وقوعها، ما يمتاز به عن غيره، ويكون سريع الإنذار بما يحس وما يتوقع)[2].

---

(١) زهرة التفاسير (٥٤٢٣/١٠).

(٢) مجالس التذكير (٢١٧/٢).

◆ **الدراسة:**

وطريق هذا الاستنباط، هو الاقتداء بالقرآن فيما يحكيه لنا من قصص على لسان الحيوانات، فإن هذه الحيوانات، ومنها النمل أمّة تسبِّح، وهي في تصرفاتها على هدي الخلقة التي خلقها الله عليها.

ولمّا حكاه القرآن، والقرآن يهدي للتي هي أقوم، فكان هذا التصرف من النملة ممّا هو أقوم، فهو إذا محل الاقتداء والتأسي.

توجيه استنباط ابن باديس

ليس في لفظ الآية ولا في القصة كلها ما يشير إلى أن نملة سيدنا سليمان –عليه السلام– هذه كانت زعيمة قومها ولا هي كبيرة النمل، فقد ذكرها الله في كتابه مفردة بصيغة التنكير "نملة".

فهي ،إذا نكرة في قومها كما هو ظاهر الآية، شائعة في جنسها كما هو شأن النكرة في اللغة، فليس هناك إذا ما يبيِّن أنها ملكة ولا وزيرة ولا زعيمة ولا كبيرة القوم، فما إنذارها في قومها إلا كالنذير العريان في قومه، ولكن تفسير ابن باديس لها بكبيرة القوم، فيبنى على هذا التفسير استنباطه، هو من باب التشبيه بالأدنى على الأعلى في جانب المسؤولية والأمانة، وذلك أنه إذا كان فردٌ من أفراد القوم عنده مثل هذه الصفات المذكورة في هذه النملة، من بعد النظر وقوة الإدراك وغير ذلك، فمن باب أولى أن يتصف بهذا الزعيمُ والقائد لقوم، ووجه آخر هو أنه من كانت فيه هذه الصفات، فهو مؤهل للزعامة والقيادة والرياسة. فهذا **توجيه استنباط ابن باديس وهذا وجه بناءه.** والله تعالى أعلم.

وما استنبطه ابن باديس معنى صحيح، ويؤيده أن القرآن حكى لنا تصرفات الحيوانات كانت محل قدوة،كقصة أحد ابني آدم مع الغراب ﴿ **قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ** ﴾ (المائدة: ٣١).

ولهذا جاءت الأحاديث تنهى عن قتل بعض الحيوانات منها النمل[1].

(١) روى الإمام أحمد (١٩٢/٥ رقم ٣٠٦٦)، وأبو داود في كتاب الآداب في قتل الذر (٥٣٨/٤ رقم ٥٢٦٩)،

وفي الحديث الصحيح عن أبي هريرة ﷺ يرفعه قال: ((نزل نبي من الأنبياء تحت شجرة، فلدغته نملة، فأمر بجهازه فأخرج من تحتها، ثم أمر ببيتها فأحرق بالنار، فأوحى الله إليه: فهلاّ نملة واحدة))[١].

وأشار الماتريدي[٢] إلى قريب من استنباط ابن باديس.

قال -رحمه الله- عند تفسير هذه الآية: (وهذا يدل أن النملة كانت رئيسة سائر النمل وسيدته، حيث قالت ذلك من بين غيرها من النمل، وعلى كل رئيس وسيد للقوم أن يحفظ رعيته وحواشيه عما يحملهم على الفساد) [٣].

قلت: وهذا من الماتريدي-رحمه الله-مبني على تفسير ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ، أي أنّ سليمان-عليه السلام- لايُعلِم جنودَه بمقولة النملة هذه، ولا يشعرهم بوجود النمل في طريقهم ،فيحطمونهم وهم لا يحسّون بوجودهم . وهذا التفسير بعيد يردّه ظاهر القرآن في دعاء سليمان-عليه السلام-ربّه أن يلهمه شكر هذه النعمة ،وأن يعمل صالحا، وأن يدخله في عباده الصالحين ، لأن الذي قام به سليمان-على هذا التفسير-ليس من شكر النعم ولا هو من العمل الصالح ولا هو من أخلاق وأفعال عباد الله الصالحين، وليس هو مدحا لسليمان-عليه السلام-في عدله وصلاحه.

قال-رحمه الله-(وقال بعضهم: (وهم لا يشعرون) أي: لا يُشعر جنودَه كلامَ النملة، وهذا يدل أن النملة كانت رئيسة سائر النمل وسيدته؛ حيث قالت ذلك من بين

والبيهقي في السنن الكبرى، باب كراهة قتل النملة للمحرم وغير المحرم وكذلك مالا ضرر فيه مما لا يؤكل (٣٥٠/٥ رقم ١٠٠٧٠)، عن ابن عباس ﷺ أن النبي ﷺ ((نهى عن قتل أربع من الدواب النمل والنحلة والهدهد والصرد))، صححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (١١٧٠/٢ رقم ٦٩٦٨)، وقال شعيب الأرنؤوط -محقق مسند أحمد: إسناده صحيح على شرط الشيخين (١٩٢/٥).

(١) البخاري في باب خمس من الدواب فواسق يقتلن في الحرم (١٣٠/٤رقم ٣٣١٩)، ومسلم في باب النهي عن قتل النمل (١٧٥٩/٤رقم ٢٢٤١).

(٢) هو محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي، من أئمة علماء الكلام، نسبته إلى "ماترید" محلة بسمرقند، مات سنة ٣٣٣هـ، من كتبه "التوحيد"، و"أوهام المعتزلة"، و"الرد على القرامطة"، و"مآخذ الشرائع في أصول الفقه"، وكتاب "الجدل"، و"تأويلات القرآن"، و"تأويلات أهل السنة"، و"شرح الفقه الأكبر" المنسوب للإمام أبي حنيفة. الأعلام للزركلي (١٩/٧).

(٣) تفسير الماتريدي (١٠٦/٨).

غيرها من النمل، وعلى كل رئيس وسيد للقوم أن يحفظ رعيته وحواشيه عما يحملهم على الفساد)[١]

❖ **الاستنباط الرابع والأربعون:**

● **دخول الجنّة لا يُستحق بالعمل استحقاق المبيعات بأثمانها، ولكن بفضل الله ورحمته.**

قال تعالى: ﴿وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ (النمل: ١٩)، وقوله تعالى: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ (النحل: ٣٢).

قال ابن باديس –رحمه الله: (قال الله تعالى: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾، فأفاد أن الأعمال سبب في دخول الجنة.

وفي هذه الآية: ﴿وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ﴾، فأفاد أن الدخول بالرحمة، ولا منافاة ما بينهما، فالأعمال سبب شرعي لدخول الجنة، والهداية إليه والتوفيق فيه وقبوله هو رحمة من الله جزاء، لأنه لا ينتفع به، إذ هو الغني عن خلقه، وإنما تفضل فجعله سبباً في نيل ثوابه، ثم تفضل فجعل الجزاء مضاعفاً إلى عشرة أضعاف كثيرة، إلى الموفي للصابرين أجرهم بغير حساب)[٢].

◆ **الدراسة:**

استنبط ابن باديس رحمه الله تعالى توافقا وجمعا بين هاتين الآيتين اللّتين يوهم مدلول ظاهرها الاختلاف والتعارض.

وطريق هذا الاستنباط هو دلالة الإشارة.

ما استنبطه ابن باديس من توافقٍ دفعَ به هذا الموهم للتعارض بين هاتين الآيتين، توافقٌ وجمعٌ صحيح، وذلك أن كلام الله منزه عن الاعتراض والتناقض كما قال تعالى: ﴿

---

[١] نفس المرجع السابق والصفحة

(٢) مجالس التذكير (٢/٢٢٢).

﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ (النساء: ٨٢)، ولكن قد يقع للمبتدئ ما يوهم اختلافا وليس به فاحتيج لإزالته ،كما أشار أهل العلم إلى ذلك[١].

والذي استنبطه ابن باديس مسألة اعتقادية، وهي: هل دخول العبد الجنة يستحقه بعمله، أو أنّ دخوله إنما هو بفضل الله ورحمته، والعمل سبب؟

فهذه مسألة خلاف بين القدرية[٢] من المعتزلة، وأهل السنة والجماعة[٣].

(فذهبت المعتزلة إلى القول الأول، فأوجبت على الله أن ينفذ وعده بإعطاء عبده ما وعده من أجر وثواب على عمله الذي كلّفه به، فأتى به على وجهه، فهو إذاً يستحق دخول الجنة عوضا وثمنا لعمله الصالح.

وأما أهل السنّة فلم يوجبوا على الله تعالى شيئا، وإنما قالوا: فكلٌّ من الله تعالى عدل وفضل ورحمة، فمن أدخله النار فبعدله، ومن أدخله الجنة فبفضله ورحمته، وما الأعمال إلا سبب، وقالوا: وما صلحت أعمال العبد، التي كانت سببا في دخول الجنة، إلا بفضل الله ورحمته، وهذا هو مذهب الحق إن شاء الله، وعليه الأدلة من الكتاب والسنّة وأقوال أهل العلم من السلف والخلف.

---

(١) ينظر البرهان في علوم القرآن (٢/٤٥)، الإتقان في علوم القرآن (٣/٨٨).

(٢) القدرية هم الذين يقولون: إن الخير من الله، والشر من الإنسان، وإن الله لا يريد أفعال العصاة، وسموا بذلك لأنهم أثبتوا للعبد قدرة توجد الفعل بانفرادها واستقلالها دون الله تعالى، ونفوا أن تكون الأشياء بقدر الله وقضائه، وهم أتباع معبد الجهني، وغيلان الدمشقي، وبقولهم قالت المعتزلة، وقد حدثت بدعة القدرية في آخر عصر الصحابة، فأنكرها عبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس وغيرهما من الصحابة رضي الله عنهم، وكذلك أئمة التابعين ومن بعدهم من الأئمة. انظر: الفرق بين الفرق للشهرستاني (٩٣ص)، والانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار لأبي الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني اليمني الشافعي (ت ٥٥٨هـ) (١/١٦١)، وجامع الأصول في أحاديث الرسول (١٠/١٢٨)، ومجموع الفتاوى (١٣/٣٦).

(٣) أهل السنة والجماعة هم المتمسكون بما كان عليه رسول الله ﷺ من المعتقد والدين الذي خالفوا به أهل البدع وباينوهم، فاجتمعوا على الأخذ بسنة النبي صلّى الله عليه وسلّم، والعمل بها ظاهراً وباطناً في القول والعمل والاعتقاد. ينظر: منهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات داود بن جرجيس لعبد =اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب آل الشيخ (المتوفى: ١٢٩٣هـ) (ص٣٤)، وشرح العقيدة الحموية للشيخ ابن عثيمين (ص١٥).

وقد أورد المعتزلة لتأييد مذهبهم هذا بعض النصوص التي فهموا منها وجوب إنفاذ الله وعده، وهى آيات من القرآن الكريم وبعض الشبه العقلية، منها قول الله عز وجل: ﴿ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (النساء: ١٠٠).

وموضع الشاهد من الآية هو قوله تعالى: ﴿ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ حيث فسروا هذا الوقوع بمعنى الوجوب، أي فقد وجب ثوابه على الله استحقاقا، لأن العمل في رأيهم من موجبات الثواب.

واستدلوا أيضا على ذلك من العقل بأن الله مادام قد كلف عباده بالأعمال الشاقة فلابد أن يكون لها مقابل من الأجر، وإلا لكان ذلك ظلما، والله منزه عن الظلم، فلا يجوز على الله تعالى -في نظرهم- أن يوجب العمل ولا يوجب له جزاء)[1].

وهذا كلام لابن القيم الجوزية يوضّح فيه هذه المسألة المهمة، ويدفع فيه شبه الفرق التي ضلت فيها، ويبيّن النصوص التي تعسفوا في فهمها، بناء على أصولهم ومذاهبهم الفاسدة، ويجمع فيه ما ظاهره التعارض بين النصوص الشرعية.

قال رحمه الله: (والقدرية أوجبت عليه رعاية الأصلح[2]، وجعلت كله بمحض الأعمال وثمناً لها، وأن وصول الثواب إلى العبد بدون عمله تنغيص باحتمال منّة الصدقة عليه بلا ثمن.

---

(١) فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها لغالب بن علي عواجي (١١٩١/٣). ينظر في هذا الموضوع: الاقتصاد في الاعتقاد لأبي حامد الغزالي (ص٩٩، ص١٤٦)، الملل والنحل للشهرستاني (٦٥/١)، الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية لنجم الدين الطوفي (٢٥٤/١)، العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم لابن الوزير(٩/٦).

(٢) رعاية الأصلح من المسائل المتفرعة عن الخوض في القدر، وقد خاض فيها المعتزلة وغيرهم، فالقدرية يقولون: يجب على الله رعاية الأصلح -أو الصلاح- في كل شخص معين، ويجعلون ذلك الواجب من جنس ما يجب على الإنسان، فغلطوا حيث شبهوا الله بالواحد من الناس، فيما يجب عليه ويحرم عليه، وكانوا هم مشبهة الأفعال، فغلطوا من حيث لم يفرقوا بين المصلحة العامة الكلية، وبين مصلحة آحاد الناس، التي قد تكون مستلزمة لفساد عام، ومضادة لصلاح عام، والقدرية المجبرة الجهمية لا يثبتون له حكمة ولا رحمة، بل عندهم يفعل بمشيئة محضة، لا لها حكمة ولا رحمة، والجهم بن صفوان رأس هؤلاء، كان يخرج إلى المبتلين من

فقابلتهم الجبرية[١] أشد المقابلة، ولم يجعلوا للأعمال تأثيرا في الجزاء البتة.

والطائفتان جائرتان، منحرفتان عن الصراط المستقيم، الذي فطر الله عليه عباده، وجاءت به الرسل، ونزلت به الكتب، وهو أن الأعمال: أسباب موصلة إلى الثواب والعقاب، مقتضيات لهما كاقتضاء سائر الأسباب لمسبباتها، وأن الأعمال الصالحة من توفيق الله وفضله ومنّه، وصدقته على عبده، إن أعانه عليها ووفقه لها، وخلق فيه إرادتها والقدرة عليها، وحبّبها إليه، وزينها في قلبه وكرّه إليه أضدادها، ومع هذا فليست ثمنا لجزائه وثوابه... ولهذا نفي النبي ﷺ دخول الجنة بالعمل، كما قال: ((لن ينجي أحدا منكم عمله، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل)) [٢]...

وأثبت سبحانه دخول الجنة بالعمل، كما في قوله تعالى: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ ولا تنافي بينهما، إذ توارد النفي والإثبات ليس على معنى واحد، فالمنفيّ استحقاقها بمجرد الأعمال، وكون الأعمال ثمنا وعوضا لها، ردًّا على القدرية، التي زعمت أن التفضل بالثواب ابتداء متضمن لتكرير المنة) [٣].

الجذمى وغيرهم فيقول: أرحم الراحمين يفعل هذا؟!، يريد أنه ليس له رحمة، فهؤلاء وأولئك في طرفين متقابلين.

(١) الجبر هو: نفي الفعل حقيقة عن العبد وإضافته إلى الرب تعالى، فهم زعموا أن الإنسان ليس له أي إرادة ولا حرية، فهو مسيّر تسيير كامل، ولذلك لا عليه أن يعمل أي شيء، حتى إنهم لا يؤاخذون الكافر على كفره، ولا المنافق على نفاقه، ولا يؤاخذون المشرك على شركه، فضلاً عن أن يؤاخذوا الفاجر على فجوره، ويقولون: ما دام أن الإنسان عرف الله فيكفيه ذلك، لأنه إن عمل شراً فذلك راجع إلى أن الله قدّر عليه ذلك، فهو مجبور وليس محاسباً ولا مؤاخذاً، وهؤلاء هم جبرية الجهمية التي انتهت إلى الصوفية الطرقية. ينظر: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين لفخر الدين الرازي، والملل والنحل للشهرستاني (٨٥/١)، ومجموع الفتاوى (٣٧/١٣).

(٢) البخاري في كتاب الرقاق، باب القصد والمداومة على العمل (٩٨/٨ رقم٦٤٦٣)، ومسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب لن يدخل احد الجنة بعمله بل برحمة الله تعالى (٢١٧٠/٤ رقم ٢٨١٦) وغيرهما.

(٣) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١١٤/١).

(واعلم أن أهل السنة لا ينكرون أن الجنة تُدخل بعملٍ كما ورد في القرآن، وإنما ينكرون ما ليس في القرآن من كونها تستحق على الله بالعمل استحقاق المبيعات بأثمانها، بحيث إنه لا فضل للبائع على المشتري.

فمرجع النزاع في أن الباء التي في قوله تعالى: ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ هل هي باء المعاوضة للشيء بمقدار ثمنه، مثل الثوب بالدرهم، أو هي باء السببية، كقولك: أكرمني الملك بسابق معرفة، أو بكلمة طيبة سمعها مني، أو نحو ذلك؟.

والقرآن إنما نص على العمل، لا على أن الباء فيه للثمن المساوي، ولو قال أهل السنة بعدم العمل، لجوزوا الجنة للمشركين، فاعرف هذه النكتة)[1].

وقد أشار الألوسي إلى موهم هذا الاعتراض في هذه الآية، ودفعه وأجاب عنه.

قال رحمه الله: (ولا يأبى ما ذُكِرَ قولَه تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (الزخرف: ٧٢) لأن سببية العمل للإيراث برحمة الله تعالى)[2]. والله تعالى أعلم.

❖ الاستنباط الخامس والأربعون:

• من حق الرعية على راعيها تفقدُها والتعرف على أحوالها.

قال تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ (النمل: ٢٠).

قال ابن باديس: (من حق الرعية على راعيها أن يتفقدها، ويتعرف أحوالها، إذ هو مسئول عن الجليل والدقيق منها، يباشر بنفسه ما استطاع مباشرته منها، ويضع الوسائل التي تطلعه على ما غاب عليه منها، وينيط بأهل الخبرة والمقدرة والأمانة تفقد أحوالها حتى تكون أحوال كل ناحية معروفة مباشرة لمن كلف بها... وهذا التفقد

(١) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم لابن الوزير (المتوفى: ٨٤٠هـ) (٢٩٩/٧).
(٢) روح المعاني (١٧٦/١٠).

والتعرف، هو على كل راع في الأمم والجماعات، والأسر والرفاق، وكل من كانت له رعية)[١].

◆ **الدراسة:**

استنبط ابن باديس من هذه الآية واجبا من واجبات كل من كان راعيا نحو رعيته، وذلك بأن يتفقدها ويتعرف على أحوالها.

وطريق هذا الاستنباط، هو الاقتداء بالنبي سليمان عليه السلام.

ووجه هذا الاستنباط، هو أنه لما كان سليمان يباشر بنفسه هذا التفقد ، وهو من هو في مكانته الدينية والدنيوية، فمن باب أولى من كان دونه في الرتبة أن يفعل ذلك، فيتفقد ويتعرف ويتابع كل من كان راعيا ومسئولا على رعية، أمة كانت أو جماعة.

والذي استنبطه الشيخ ابن باديس معنى صحيح، وطريقه سليم، وهو القدوة الصالحة بالنبي سليمان عليه السلام، ووجه دلالة الآية عليه واضحة، ويؤيده مقصد القرآن في حكايته قصص الأنبياء للاقتداء والاعتبار بهم، وهو يتعلق بواجب الراعي اتجاه رعيته، صغيرة كانت هذه الرعية أم كبيرة.

وقد جاءت نصوص من الشرع تؤكد هذا المعنى.

قال النبي ﷺ: ((كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته، الإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو مسئول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسئول عن رعيته))[٢].

وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: ((لو أن سخلة بشاطئ الفرات يأخذها الذئب ليسأل عنها عمر)).

---

(١) مجالس التذكير (٢/٢٢٥).

(٢) البخاري في كتاب النكاح، باب {قوا أنفسكم وأهليكم نارا} (التحريم: ٦) (٧/٢٦ رقم ٥١٨٨)، وفي أبواب متفرقة من صحيحه (٨٩٣-٢٤٠٩-٢٥٥٤-٢٥٥٨-٢٧٥١-٥٢٠٠-٨٧١٣٨)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليهم (٣/١٤٥٩ رقم١٨٢٩) وغيرهما.

وقد أشار ابن عاشور إلى هذا الاستنباط.

قال-رحمه الله: (ومن واجبات ولاة الأمور تفقد أحوال الرعية وتفقد العمال ونحوهم بنفسه كما فعل عمر في خروجه إلى الشام سنة سبع عشرة هجرية، أو بمن يكل إليه ذلك، فقد جعل عمر محمد بن مسلمة الأنصاري[١] يتفقد العمال)[٢].

وقرّب الإشارة إليه أبو حيان.

قال رحمه الله: (الظاهر أنه تفقد جميع الطير، وذلك بحسب ما تقتضيه العناية بأمور الملك والاهتمام بالرعايا)[٣]. والله تعالى أعلم.

❖ الاستنباط السادس والأربعون:

• حرمان الإنسان من العلم إسقاط له عن درجة الإنسانية، فهو كالمسخ له.

قال تعالى: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ (النمل: ٢١).

قال ابن باديس: (ليس في الآية ما يفهم خصوص نتف الريش من لفظ العذاب الشديد، وإنما فهم ابن عباس- رضي الله عنهما- وأئمة من التابعين ذلك بالنظر العقلي والاعتبار، فإن نتف ريشه يعطل خاصية الطيران فيه، فيتحول من حياة الطير إلى حياة دواب الأرض، وذلك نوع من المسخ، وقد علم أن المسخ في القرآن أشنع عقوبة في الدنيا، فلهذا فسروا العذاب الشديد بنتف الريش.

---

(١) هو محمد بن مسلمة بن سلمة بن خالد الأنصاري ابن عدي بن مجدعة الأنصاري الأوسي، أبو عبد الله، وقيل: أبو عبد الرحمن، وأبو سعيد، من نجباء الصحابة، شهد بدرا والمشاهد، وقيل: إن النبي ﷺ استخلفه مرة على المدينة، وكان رجلا طوالا، أسمرا، معتدلا، أصلعا، وقورا، وقد استعمله عمر على زكاة جهينة، وقد كان عمر إذا شكي إليه عامل نفذ محمدا إليهم ليكشف أمره، وكان ﷺ ممن اعتزل الفتنة، ولا حضر الجمل، ولا صفين، بل اتخذ سيفا من خشب وتحول إلى الربذة، فأقام بها إلى أن مات سنة ٤٣هـ وهو ابن سبع وسبعين سنة. سير أعلام النبلاء (٣٧٠/٢). ينظر ترجمته في: مشاهير علماء الأمصار (٤٤/١)، تاريخ دمشق (٢٥٠/٥٥).

(٢) التحرير والتنوير (٢٤٥/١٩).

(٣) البحر المحيط (٢٢٣/٨).

والإنسان خاصيته التفكير في أفق العلم الواسع الرحيب، فمن حرم إنسانا –فردا أو جماعة– من العلم فقد حرمه من خصوصية الإنسانية، وحوّله إلى عيشة العجماوات، وذلك نوع من المسخ، فهو عذاب شديد، وأي عذاب شديد؟!)[1].

◆ **الدراسة:**

استنبط الشيخ ابن باديس من قوله تعالى: ﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا ﴾ في هذه الآية معنى لطيفا، وهو أن حرمان الإنسان من العلم حرمانُه التفكيرَ الذي هو خاصيته، وهذا الحرمان يُلحقه بالعجماوات التي لا تفكر، فهو إذاً مسخ له، وهو كالعذاب الشديد المذكور في الآية.

وطريق هذا الاستنباط، هو القياس على عذاب الهدهد، على تفسير ابن عباس.

ووجه هذا الاستنباط، هو أنه لما كان الطيران من خصائص الهدهد ومن خصائص كل طائر، ويقوم بهذا الطيران عن طريق جناحيه المركب فيهما الريش، فيرتفع بهما إلى جو السماء، فيبتعد ويهرب من كل ما يؤذيه في الأرض، وإذا نتفنا ريشه هذا عطلنا فيه خاصية الطيران، فلا يستطيع الارتفاع إلى السماء، فتتعطل فيه خاصيته، فيصبح كأنه حوّل إلى جنس آخر غير جنس الطيور، فهذا مسخ، والمسخ ذكره الله في كتابه عن قوم[2] آخرين من بني آدم لما أراد أن يعذبهم عذابا شديدا في الدنيا، فكذلك الإنسان إذا عطلت فيه خاصية التفكير في أفق العلم الواسع الرحيب فكأنما ألحق بالعجماوات التي لا تفكر ولا تنظر، فنكون قد حوّلناه من أمة الإنسانية إلى أمة أخرى، فهذا مسخ له، فنكون إذاً عذبناه عذابا شديدا.

---

(١) مجالس التذكير (٢/٢٢٩-٢٣٠).

(٢) هم بنو إسرائيل قبل النبي موسى عليه السلام، كما حكاه القرآن لنا عن قصة أصحاب السبت في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ (البقرة: ٦٥ – ٦٦).

والتفسير الذي ذكره ابن باديس عن ابن عباس -رضي الله عنهما- وجماعة من التابعين، رواه ابن جرير وابن أبي حاتم[١] وغيرهما عنهم[٢].

والجماعة من التابعين هم: قتادة ومجاهد والضحاك.

وما استنبطه ابن باديس معنى صحيح، مبني على تفسير صحيح، وهو أن العذاب الذي توعد به النبي سليمان -عليه السلام- الهدهد هو نتف ريشه، وهو قول جمهور المفسرين، وبه قال حبر الأمة ابن عباس وجماعة من التابعين، كما روى ذلك عنهم ابن جرير وابن أبي حاتم، وقد اعتمد الطبري هذا القول ولم يذكر غيره، وهو أظهر الأقوال كما قال البغوي[٣].

قال -رحمه الله: (واختلفوا في العذاب الذي أوعده به، فأظهر الأقاويل أن عذابه أن ينتف ريشه وذنبه ويلقيه في الشمس ممعطا لا يمتنع من النمل ولا من هوام الأرض)[٤].

وهو استنباط مبني على توجيه تفسير ابن عباس، فلهذا ذكر ابن باديس هذا الاستنباط تحت عنوان "توجيه واستنباط". والله تعالى أعلم.

❖ الاستنباط السابع والأربعون:

- **ليس لأحد مهما كان صلاحه كشفٌ عما غاب عنه، إلا من أطلعه الله عزّ وجل عليه.**

---

(١) هو عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر بن داود بن مهران، أبو محمد ابن أبي حاتم التميمي الحنظلي، الإمام ابن الإمام الحافظ ابن الحافظ، سمع أباه وغيره، وقد أثنى عليه جماعة بالزهد والورع التام والعلم والعمل، توفي في المحرم سنة ٣٢٧هـ رحمه الله تعالى، له تصانيف منها: "الجرح والتعديل"، "التفسير"، و"الرد على الجهمية"، و"علل الحديث" وغيرها. فوات الوفيات (٢٨٧/٢).

(٢) ينظر: تفسير ابن جرير (٤٤٤/١٩)، و تفسير ابن أبي حاتم (٢٨٦٢/٩).

(٣) هو الحسين بن مسعود بن الفراء، الشيخ أبو محمد البغوي صاحب التهذيب، الملقب محي السنة، من مصنفاته "شرح السنة"، و"المصابيح"، والتفسير المسمى: "معالم التنزيل"، كان إماما جليلا ورعا زاهد فقيها محدثا مفسرا. طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٧٥/٧). ينظر ترجمته في: سير اعلام النبلاء (٤٣٩/١٩)، وطبقات الشافعيين لابن كثير (٥٤٩/١).

(٤) تفسير البغوي (٤٩٧/٣).

قال تعالى: ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾ (النمل: ٢٢).

قال ابن باديس –رحمه الله: (لا يعلم أحد من الأنبياء– عليهم السلام– شيئاً مما غاب عنه إلاّ بإعلام الله، فليس لهم كشف عام عن جميع ما في الكون، وإنما يعلمون منه ما أطلعهم الله عليه.

ومن مدارك ذلك هذه القصة: فإن سليمان عليه السلام لم يكن يعلم من مملكة سبأ شيئاً حتى أطلعه الله عليه بواسطة الهدهد.

وإذا كان هذا حال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فغيرهم من عباد الله الصالحين من باب أحرى وأولى)[1].

◆ **الدراسة:**

استنبط الشيخ ابن باديس –رحمه الله– من هذه الآية عقيدة، وهي أنه ليس لأحد كائنا من كان كشف عن مغيب دنيوي أو أخروي ، مهما كان صلاحه، إلا من أطلعه الله عز وجل على ذلك.

وطريق هذا الاستنباط، هو القياس الأولوي، وبيانه هو أنه إذا كان الأنبياء لا يعلمون الغيب، فمن دونهم من باب أولى.

ووجه هذا الاستنباط، هو أن سليمان –عليه السلام– غاب عنه الهدهد ولم يدر أين ذهب، وكذلك لم يدر عن مملكة سبأ، وهي باليمن على قربِ ما بين اليمن والشام، فكانت مجهولة عنده، حتى أتاه الهدهد بخبرها، رغم ما أوتي من عظمة ملك وقوة جند، فكان في هذا الخبر والقصة التي ذكرتها هذه الآية دليل على أن الأنبياء لا يعلمون ما غاب عنهم إلا ما أطلعهم الله عليه، سواء أكان من أمور الدنيا أو أمور الآخرة ، فلأَن لا يعلم ذلك غيرُهم من باب أولى وأحرى.

وما استنبطه ابن باديس معنى صحيح، دلت عليه قصة الهدهد هذه مع سليمان –عليه السلام– بقياسها الأولوي، وفيه تعريض لغلاة الصوفية الذين يدعون أنّ الأولياء

(١) مجالس التذكير (٢/٢٣٥).

يعلمون الغيب[١] يدّعي أتباعهم لهم ذلك، وفيه كذلك ردّ ودليل قوي على بطلان قول ودعوى الرافضة[٢] في اعتقاد أن أئمتهم لا يخفى عليهم شيء.

قال الزمخشري في الآية ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾ (النمل: ٢٢): (وفيه دليل على بطلان قول الرافضة إنّ الإمام لا يخفى عليه شيء، ولا يكون في زمانه أحد أعلم منه)[٣].

وقال الألوسي: (وفي قوله تعالى: ﴿ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾ دليل بإشارة النص والإدماج على بطلان قول الرافضة إن الإمام ينبغي أن لا يخفى عليه شيء من الجزئيات، ولا يخفى أنهم إن عنوا بذلك، أنه يجب أن يكون الإمام عالما على التفصيل بأحكام جميع الحوادث الجزئية التي يمكن وقوعها، وأن يكون مستحضرا الجواب الصحيح عن كل ما يسأل عنه، فبطلان كلامهم في غاية الظهور)[٤].

---

(١) ينظر: رسائل الشيخ محمد بن إبراهيم الحمد في العقيدة (١٠/٣).

(٢) إنما سموا رافضة: لأنهم جاءوا إلى زيد بن علي بن الحسين فقالوا: تبرأ من أبي بكر وعمر حتى نكون معك، فقال: هما صاحبا جدي، بل أتولاهما، قالوا: إذا نرفضك. فسموا رافضة، وسمي من بايعه ووافقه زيدية، وهم المتسمَّون بالشيعة اليوم، يزعمون أنهم شايعوا أهل البيت ونصروهم، وهذه الفرقة قد عمّت وطمّت، وانتشر مذهبها الباطل، وتمكن في العراق وإيران والشام والهند والسند، وقد انتشر بكثرة في جهات من بلاد العرب، وهم أخبث الطوائف معتقدا، وأعظمها حقدا على أهل السنة، وأهم أصول الرافضة وأخطرها، قولهم بعصمة أئمة آل البيت، فهم يرون أن أهل البيت معصومون، وأنهم يعلمون الغيب، وأنهم أحق بالإمامة والخلافة إلى قيام الساعة، وأنهم يتصرفون في الكون أو في بعض الكون، وفي أيديهم مقاليد الكون، وأن عندهم أشياء من العلم ليست عند بقية المسلمين ولا الصحابة ولا حتى النبي ﷺ، وأنهم ورثوا النبوة وخصائصها كما يرثون النسل، لهم أصول أخرى مثل التقية والمهدية والرجعة، وكل أصل يُعد بذاته كفراً، ورتّبوا على هذه الأصول تكفير الصحابة رضي الله عنهم، إلا قليلا من الصحابة رضي الله عنهم. انظر: مقالات الإسلاميين (٨٩/١)، الفرق بين الفرق (ص ٣٥)، التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين لطاهر بن محمد الأسفراييني (ت ٤٧١هـ) (ص ٢٩)، التعليقات على متن لمعة الاعتقاد لابن جبرين (ص١٧٦)، شرح لمعة الاعتقاد لناصر عبد الكريم العقل (١٥/٧).

(٣) الكشاف (٣٥٩/٣).

(٤) روح المعاني (١٨٣/١٠).

وقد أشار إلى هذا الاستنباط القرطبي[١]، قال: (أي علمت ما لم تعلمه من الأمر فكان في هذا ردّ على من قال: إن الأنبياء تعلم الغيب)[٢].

وهذه نصوص من القرآن تشهد لهذا الاستنباط.

وقد قال الله عز وجل لنبيه محمد ﷺ: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (هود: ٤٩).

وقال عن الجن وجهلهم بموت سليمان –عليه السلام– إلا بدلالة دابة الأرض لما أكلت منسأته: ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴾ (سبأ: ١٤)، ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ (النمل: ٦٥).

وإنما الغيب يختص بعلمه الله عز وجل: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ (الأنعام: ٥٩)، ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ (الأنعام: ٧٣) والآيات في هذا كثيرة.

ولا يَرِد على هذا الاستنباط بعض الخوارق التي قد تقع لبعض أولياء الله تعالى في اطلاعهم على ما غاب عنهم، كما جرى لعمر رضي الله عنه وقصة ((يا سارية الجبل))[٣]، فإن

---

(١) هو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الخزرجي القرطبي، الإمام، العلامة، أبو عبد الله الأنصاري، إمام متفنن متبحر في العلم، كان من عباد الله الصالحين والعلماء العارفين، توفي في شوال ٧٦١هـ، من كتبه: "الجامع لأحكام القرآن" يعرف بتفسير القرطبي، و"قمع الحرص بالزهد والقناعة "، و"الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى"، و"التذكار في أفضل الأذكار"، و"التذكرة بأحوال الموتى وأحوال الآخرة" وغير ذلك. ينظر ترجمته في: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب (٣٠٨/٢) لإبراهيم بن علي بن محمد ابن فرحون اليعمري، (المتوفى: ٧٩٩هـ)، وتاريخ الإسلام (٢٢٩/١٥)، والأعلام للزركلي (٣٢٢/٥).

(٢) تفسير القرطبي (١٨١/١٣).

(٣) قاله عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو يخطب يوم الجمعة، حيث وقع في خاطره أن الجيش –الذي أرسله مع سارية إلى نهاوند بفارس– لاقى العدو وهم في بطن واد وقد هموا بالهزيمة، وبالقرب منهم جبل، فقال ذلك في أثناء خطبته ورفع به صوته، فألقاه الله في سمع سارية، فانحاز بالناس إلى الجبل وقاتلوا العدو من جانب واحد

هذا إلهام من الله وإكرام لأوليائه، فهو من الله كان ويكون كرامة لأوليائه، وليس للولي فيه عقل ولا تدبير.

❖ **الاستنباط الثامن والأربعون:**

● **المخالف للأمر من غير انتهاك لحرمته لا يؤاخذ بتلك المخالفة.**

قال تعالى: ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾(النمل: ٢٢).

قال ابن باديس-رحمه الله-تحت عنوان "توجيه واستنباط": (وهذه الآية مأخذ من مآخذ الأصل القائل: إن المخالف للأمر عن غير انتهاك للحرمة لا يؤاخذ بتلك المخالفة.

ومن فروع هذا الأصل سقوط الكفارة عمن أفطر في رمضان متعمدا متأولا تأويلا قريبا)[1].

◆**الدراسة:**استنبط الشيخ-رحمه الله-من هذه الآية دليلا وأصلا للقاعدة الفقهية التي تقول: "إنّ المخالف للأمر من غير انتهاك لحرمة ذلك الأمر، لا يؤاخذ بتلك المخالفة".

وطريق هذا الاستنباط، هو الاقتداء بفعل سليمان -عليه السلام- مع الهدهد وإقرار القرآن له.

ووجه ذلك، أن الهدهد كان-بفراقه منصبه وغيابه من غير استئذان-مخالفا فاستحق على مفارقته هذه العقابَ، ولهذا توعَّدَه سليمان عليه السلام، ولكن لما كان غيابه هذا فيه مصلحة تعود عليه وعلى سليمان-عليه السلام-وجميع مملكته وعلى دينه،

ففتح الله عليهم. أبو نعيم الأصبهاني في دلائل النبوة (٥٧٩/١)، واللالكائي في كرامات الأولياء (١٢٧/٩)، والبيهقي في دلائل النبوة (٣٧٠/٦). قال ابن حجر في الإصابة (٥/٣): إسناده حسن، وقال الشيخ الألباني: وذكره ابن كثير في البداية (٧ / ١٣١) ثم قال ابن كثير: وهذا إسناد جيد حسن، وهو كما قال، ثم ذكر له طرقا أخرى وقال: فهذه طرق يشد بعضها بعضا. سلسلة الأحاديث الصحيحة (٣/ ١٠ رقم ١١١٠).

(١) مجالس التذكير (٢٣٣/٢-٢٣٤).

وأدلى بحجته وسبب غيابه، فتبيّن أنه لم يقصد المخالفة التي ينتهك بها حرمة مقام سليمان، وحرمة المهمة التي أسندت إليه من كونه جنديا من جنود سليمان، فلم يؤاخذه عليه السلام، رغم توعده قبل مجيئه، فكانت إذاً هذه القصة مأخذا قويا لهذا الأصل الذي ذكره الشيخ، ويشهد لهذا الأصل كثير من الوقائع التي وقعت على عهد النبي ﷺ وفي عهد الخلفاء الراشدين، منها قصة حاطب ابن أبي بلتعة[1] رضي الله عنه، وقصة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، لمّا صلى بالناس، ثم جاء بعد ذلك النبي ﷺ وأبو بكر يصلي، فأراد أن يتأخر، فأشار إليه النبي ﷺ أن اثبتْ في مكانك، ولكنّ أبا بكر الصديق لم يثبت كما أمره النبي ﷺ وتأخر ليتقدم النبي ﷺ للإمامة، ولهذا قال النبي ﷺ له بعد الانتهاء من الصلاة: ((يا أبا بكر ما منعك أن تثبت إذ أمرتك))[2].

---

(١) أخرج هذه القصة البخاري ومسلم في صحيحيهما وغيرهما عن علي رضي الله عنه قال: ((بعثني رسول الله ﷺ والزبير بن العوام وأبا مرثد الغنوي وكلنا فارس فقال: انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها امرأة من المشركين معها صحيفة من حاطب بن أبي بلتعة إلى المشركين، قال فأدركناها تسير على جمل لها حيث قال لنا رسول الله ﷺ، قال: قلنا أين الكتاب الذي معك؟ قالت: ما معي كتاب، فأنخنا بها فابتغينا في رحلها فما وجدنا شيئا، قال صاحباي: ما نرى كتابا، قال: قلت: لقد علمت ما كذب رسول الله ﷺ والذي يحلف به لتخرجنّ الكتاب أو لأجردنّك، قال: فلما رأت الجد مني أهوت بيدها إلى حجزتها وهي محتجزة بكساء، فأخرجت الكتاب، قال: فانطلقنا به إلى رسول الله ﷺ فقال: ما حملك يا حاطب على ما صنعت؟، قال: ما بي إلا أن أكون مؤمنا بالله ورسوله وما غيرت ولا بدلت أردت أن تكون لي عند القوم يد يدفع الله بها عن أهلي ومالي وليس من أصحابك هناك إلا وله من يدفع الله به عن أهله وماله، قال: صدق فلا تقولوا له إلا خيرا، قال: فقال عمر بن الخطاب: إنه قد خان الله ورسوله والمؤمنين فدعني فأضرب عنقه، قال: فقال: يا عمر وما يدريك لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة، قال: فدمعت عينا عمر، وقال: الله ورسوله أعلم)). صحيح البخاري في كتاب الاستئذان، باب من نظر في كتاب من يحذر على المسلمين ليستبين أمره (٢٣٠٩/٥ رقم ٥٩٠٤) =وفي مواطن من صحيحه (رقم: ٢٩١٥-٣٧٦٢-٤٠٢٥-٤٦٠٨-٦٥٤٠)، وأخرجه مسلم في فضائل الصحابة، باب من فضائل أهل بدر (رقم ٢٤٩٤).

(٢) أخرج هذه القصة البخاري ومسلم في صحيحيهما وآخرون عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه: ((أن رسول الله ﷺ ذهب إلى بني عمرو بن عوف ليصلح بينهم، فحانت الصلاة فجاء المؤذن إلى أبي بكر فقال: أتصلي للناس فأقيم؟ قال: نعم فصلى أبو بكر، فجاء رسول الله ﷺ والناس في الصلاة، فتخلص حتى وقف في الصف فصفق الناس، وكان أبو بكر لا يلتفت في صلاته، فلما أكثر الناس التصفيق، التفت فرأى رسول الله ﷺ، فأشار إليه رسول الله ﷺ أن أمكث مكانك، فرفع أبو بكر رضي الله عنه يديه فحمد الله على ما

أما التفريع على هذا الأصل الذي ذكره ، وهو سقوط الكفارة عمن أفطر في رمضان متعمدا متأولا تأويلا قريبا، فقد ذهب بعض أهل العلم إلى سقوط القضاء عنه أيضاً[١].

ويشهد لهذا ما ثبت في الصحيحين أن عدي بن حاتم ﷺ لما تأول الخيط الأبيض والخيط الأسود المذكورين في قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ﴾ (البقرة: ١٨٧) بالحبلين المعروفين فجعل يأكل حتى تبيّنا له، وقد طلع النهار فلما أخبر النبي ﷺ لم يعنفه و عفى عنه ولم يأمره بالقضاء لتأويله[٢]. والله تعالى أعلم.

أمره به رسول الله ﷺ من ذلك، ثم استأخر أبو بكر حتى استوى في الصف وتقدم رسول الله ﷺ فصلى فلما انصرف قال: يا أبا بكر ما منعك أن تثبت إذ أمرتك، فقال أبو بكر: ما كان لابن أبي قحافة أن يصلي بين يدي رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: ما لي رأيتكم أكثرتم التصفيق، من رابه شيء في صلاته فليسبح، فإنه إذا سبح التفت إليه، وإنما التصفيق للنساء)). البخاري في كتاب الجماعة والإمامة، باب من دخل ليؤم الناس فجاء الإمام الأول فتأخر الآخر أو لم يتأخر جازت صلاته (٢٤٢/١ رقم ٦٥٢)، وأخرجه في أبواب متفرقة من صحيحه برقم: (١١٤٣، ١١٤٦، ١١٦٠، ١١٧٧، ٢٥٤٤، ٢٥٤٧، ٦٧٦٧)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب تقديم الجماعة من يصلي بهم إذا تأخر الإمام (٣١٦/١ رقم ٤٢١).

(١) ينظر: أعلام الموقعين عن رب العالمين (٥٢/٢ و ٨٥/٤).

(٢) عن عدي بن حاتم ﷺ قال: ((لما نزلت ﴿ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ﴾ عمدت إلى عقال أسود، وإلى عقال أبيض، فجعلتهما تحت وسادتي، فجعلت أنظر في الليل فلا يستبين لي، فغدوت على رسول الله ﷺ فذكرت له ذلك فقال: إنما ذلك سواد الليل وبياض النهار. رواه البخاري في كتاب الصوم، باب قول الله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ﴾ (٢٨/٣ رقم١٩١٦)، سلم باب وباب بيان أن الدخول في الصوم يحصل بطلوع الفجر، وأن له الأكل وغيره حتى يطلع الفجر، وبيان صفة الفجر الذي تتعلق به الأحكام من الدخول في الصوم، ودخول وقت صلاة الصبح وغير ذلك (٢/ ٧٦٦ رقم ١٠٩٠).

❖ **الاستنباط التاسع والأربعون:**

- **الاستدلال بالربوبية على الألوهية، طريقةُ القرآن ومنهجه في الاحتجاج على الكفار والمشركين.**

قال تعالى: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ (النمل: ٢٥).

قال ابن باديس رحمه الله: (السجود مظهر لغاية الذل والخضوع والانقياد والاستسلام، وتلك أصل العبادة، ولا يستحقها من العبد إلاّ من هو-حقيقة- المنعم الغني الكامل القوي، وما هو إلاّ خالقه، فاستدل على استحقاق الله السجود دون غيره، بما ذكر من إخراجه الخبء، ويشمل علمه لما خفي وما علن، وذلك متضمن لكماله وإنعامه وشمول علمه وعموم سلطانه)[1].

◆ **الدراسة:**

استنبط ابن باديس من هذه الآية منهجا قرآنيا في الدعوة إلى الألوهية وهو الاستدلال عليها بالربوبية، أي: الاستدلال بالربوبية على الألوهية.

وشاهد الربوبية في الآية لهذا الاستنباط، هو قوله تعالى: ﴿الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾.

وشاهدها للألوهية، قوله تعالى: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا﴾.

فقول ابن باديس في استنباطه: (فاستدل على استحقاق الله السجود... الخ)، فيه بيان لهذا المنهج القرآني في الاستدلال بالربوبية على الألوهية الذي حكاه الله تعالى عن الهدهد.

وطريق هذا الاستنباط هو دلالة الإيماء، وذلك أن السجود حكم ارتبط بوصف، وهو اتصاف الإله الحق بما وصف في الآية من إخراجه الخبء، وعلمه المضمرات والمظهرات، فتعلق الحكم بذلك الوصف فكان ذلك الوصف علة في الحكم.

---

(١) مجالس التذكير (٢/٢٤٤).

ووجه هذا الاستنباط، هو إلزامهم بما يقرون به على ما ينكرونه.

وبيان ذلك ،أن الذي يستحق السجود- وهو مظهر من مظاهر العبودية والألوهية- هو الذي يبرز ويظهر ما هو مخبء في السموات والأرض من أمطار ونبات وغير ذلك، ويعلم الخفيات والمعلنات، وهو الله سبحانه، وأنتم تشاهدون ذلك وتعلمون أن ذلك من الله الخالق القادر وليست الشمس المخلوقة التي تسجدون لها، فوجب إذاً عقلا وشرعا أن تصرفوا هذا السجود للمتصف بهذه الصفات، والتي أنتم أنفسكم تقرون بها لله تعالى، فهو إذاً استدلال عليهم بالربوبية على الألوهية.

وقد صرّح ابن باديس بهذا المنهج في موطن آخر من تفسيره.

قال رحمه الله في تفسير قوله تعالى ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ (الإسراء: ٢٣): (وجيء باسم الرب في مقام الأمر بقصر العبادة عليه تنبيها على أن الذي يستحق العبادة هو من له الربوبية بالخلق والتدبير والملك والإنعام، وليس ذلك إلا له، فلا يستحق العبادة بأنواعها سواه، فهو تنبيه بوحدانية الربوبية، التي من مقتضاها انفراده بالخلق والأمر الكوني والشرعي، على وحدانية الألوهية، التي من مقتضاها استحقاقه وحده عبادة جميع مخلوقاته)[1].

والاستدلال بالربوبية على الألوهية معناه الاحتجاج والإلزام بالإقرار على الإنكار، فهو كالاستدلال بالشاهد على الغائب.

والمقصود هنا الاستدلال والاحتجاج على المشركين بما يقرون به من توحيد الربوبية على ما ينكرونه من توحيد الألوهية، ولا يصح هذا الاستدلال لو فرضنا أن المشركين كانوا ينكرون توحيد الربوبية لله عز وجل، فلا يثبتون فعلا من أفعالها ولا صفة من صفاتها، إذ لا فائدة ترجى من وراء ذلك الإلزام، ولا يصح أصلا في العقول هذا الاستدلال.

---

(١) مجالس التذكير (١/١٨٦).

وقد أخبرنا القرآن في كثير من آياته أن الرسل استدلت على أقوامهم المشركين بما أقروا هم به من توحيد الربوبية على إثبات ما أنكروه من توحيد الألوهية، وهو استدلال عقلي نقلي في آن واحد.

فهذا سيدنا إبراهيم –عليه السلام– إمام الحنفاء يستدل على الألوهية بمظاهر الربوبية، أي: بأن الله وحده هو الذي يستحق العبادة، لما له خلق السموات والأرض وحده لم يشاركه فيها غيره ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْـَٰٔفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾ (الأنعام: ٧٦ – ٧٩)، وسمى الله عز وجل هذا الاستدلال من سيدنا إبراهيم حجةً على قومه، قال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ (الأنعام: ٨٣).

وسمى الله عز وجل هذا المسلك من سيدنا إبراهيم –عليه السلام– الذي سلكه في الاستدلال والاحتجاج هدى، وأمر نبينا محمد ﷺ أن يقتفي أثر هذا الهدي بأن يستدل على توحيد الله وصرف العبادة له وحده سبحانه على الطريقة والنحو الذي استدل به إبراهيم عليه السلام، وأمته ﷺ تبع له في هديه الكريم.

قال عبد الرزاق عفيفي[1] –رحمه الله: (فتوحيد الربوبية باب إلى توحيد الإلهية، ومن أجل ذلك احتج الله به على المشركين، وقررهم به، وأرشد إليه رسله، وأمرهم أن يدعوا به أممهم)[1].

(١) هو عبد الرزاق بن محمد بن أحمد سيد عفيفي، عالم مصري، تلقى تعليمه العالي في الجامع الأزهر، وتخرّج فيه سنة ١٣٥١هـ حاصلا على الشهادة العالمية، عمل مدرسا في المدارس الأزهرية في مصر، وكان رئيسا لجماعة أنصار السنة المحمدية، ثم اختار الهجرة إلى بلاد الحرمين الشريفين عام (١٣٦٨هـ– ١٩٥٠م)، تولى التدريس في كلية الشريعة في الرياض إبان إنشائها، ثم عين مديرا للمعهد العالي للقضاء سنة ١٣٨٥هـ، في عام ١٣٩١هـ انتقل إلى دار الإفتاء فكان عضوا في هيئة كبار العلماء، وفي اللجنة الدائمة للإفتاء، حتى صار نائبا لرئيسها وذلك إلى أن توفي سنة ١٤١٥هـ. (ويكيبيديا، الموسوعة الحرة).

قال ابن القيم –وهو يبيّن هذا المنهج القرآني عند تفسير سورة الناس: (الإضافة الثالثة: إضافة الإلهية، فهو إلههم الحق، ومعبودهم الذي لا إله لهم سواه ولا معبود لهم غيره، فكما أنه وحده هو ربهم ومليكهم لم يشركه في ربوبيته ولا في ملكه أحد، فكذلك هو وحده إلههم ومعبودهم، فلا ينبغي أن يجعلوا معه شريكا في إلهيته، كما لا شريك معه في ربوبيته وملكه. **وهذه طريقة القرآن يحتج عليهم بإقرارهم بهذا التوحيد على ما أنكروه من توحيد الإلهية والعبادة)** [٢].

وهذه آيات فيها الاستدلال بالربوبية على الألوهية:

قال تعالى: ﴿ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ (النمل: ٦١ – ٦٤)، وقوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ (الزمر: ٣٨)، وقوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ (العنكبوت: ٦١– ٦٣).

(١) فتاوى ورسائل عبد الرزاق عفيفي (٢٢٨/١).

(٢) التفسير القيّم (ص٦٦٠).

ويقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب[١] -رحمه الله- في قوله تعالى ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾: (فيها بيان أن عندهم من العلم ما تقوم به الحجة، وأن المجمع عليه يدل على المختلف فيه، ومجادلة المبطل بالحق الذي يسلِّمه، وأنه تسليم لا يجحدونه بل يقرون به للخصم، والتعجب من الإنكار مع هذا الإقرار، والإلزام الذي لا محيد عنه، وأن هذا كاشف لشبهتهم)[٢].

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (البقرة: ٢١).

قال—رحمه الله:(وهذه الآية جمعت بين الأمر بعبادة الله وحده، والنهي عن عبادة ما سواه، وبيان الدليل الباهر على وجوب عبادته، وبطلان عبادة من سواه، وهو ذكر توحيد الربوبية، المتضمن لانفراده بالخلق والرزق والتدبير، فإذا كان كل أحد مقرا بأنه ليس له شريك في ذلك، فكذلك فليكن إقراره بأن الله لا شريك له في العبادة، وهذا أوضح دليل عقلي على وحدانية الباري، وبطلان الشرك)[٣].

---

(١) محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي (١١١٥ - ١٢٠٦ هـ = ١٧٠٣ - ١٧٩٢ م)، زعيم النهضة الدينية الإصلاحية الحديثة في جزيرة العرب، ولد ونشأ في العيينة (بنجد)، ثم انتقل إلى حريملاء (بنجد) ناهجا منهج السلف الصالح، داعيا إلى التوحيد الخالص ونبذ البدع وتحطيم ما علق بالإسلام من أوهام، وقصد الدرعية (بنجد) سنة ١١٥٧هـ، فتلقاه أميرها محمد بن سعود بالإكرام وقبل دعوته، وله مصنفات أكثرها رسائل مطبوعة منها: "كتاب التوحيد"، ورسالة "كشف الشبهات"، و"تفسير الفاتحة"، و"أصول الإيمان"، و"تفسير شهادة أن لا إله إلا الله"، و"معرفة العبد ربه ودينه ونبيه"، و"المسائل التي خالف فيها رسول الله ﷺ أهل الجاهلية". الأعلام للزركلي (٦/٢٥٧).

(٢) عقيدة محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي (ص٢٩٤).

(٣) تفسير السعدي (ص٤٤).

والمقصود هنا بيان منهج القرآن وأسلوبه في الدعوة إلى الألوهية، فهو يسلك طريق الاحتجاج والإلزام للمنكر لها بما يقره هو على نفسه، وهذا من أعقل الطرق في الاستدلال وأوضحه وأمكنه في الإلزام.

وخلاصة القول، أن منهج وطريقة القرآن في الاستدلال بالربوبية على الألوهية هو استدلال واحتجاج بالبراهين القاطعة، التي احتج الله بها على خلقه، هو استدلال بربوبية الله العامة لجميع العالمين، وبآثار صفات الله في مخلوقاته، وبصفة الإله واختصاص الله بها فلا إله غيره، وبسائر صفات الكمال لله تعالى التي انفرد بها، والدالة على وحدانيته.

وهذه الطريقة في الاستدلال، طريقة مثلى بحيث أنها تنطلق من المعلوم إلى المجهول، ومن المسلَّم به إلى المنازع فيه، ومما أقر به الخصم إلى ما يجحده، ومن المجمع عليه إلى المختلف فيه، وهي طريقة في البرهنة على التوحيد عقلية وشرعية، عقلية حيث أن العقل يشهد بصحتها، وشرعية حيث أن الشرع جاء بها)[١].

وحَريّ بنا-نحن المسلمين- وخاصة طلبة العلم منا، والمناظرون في العلم، والدعاة إلى الله، أن نسلك هذا الأسلوب وهذا المنهج والطريقة في الاستدلال والبيان، وأن نوظّفها في جميع استدلالاتنا واحتجاجاتنا، فنكون قد جمعنا بين خصلتين: إقناع الخصم والاهتداء بهدي القرآن، فإن لم تكن الأولى، فحسبنا الثانية.

وقد أشار إلى استنباط ابن باديس، الرازي مع بعض التغيير في صيغة التعبير عنه.

قال: (واعلم أن المقصود من هذا الكلام الرد على من يعبد الشمس ، وتحرير الدلالة هكذا: الإله يجب أن يكون قادرا على إخراج الخبء وعالما بالخفيات، والشمس ليست كذلك فهي لا تكون إلها وإذا لم تكن إلها لم يجز السجود لها)[٢].

وقال البيضاوي[٣] مشيرا إلى هذا الاستنباط أيضا: (﴿ ٱلَّذِى يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ﴾ وصفٌ له تعالى بما يوجب اختصاصه

(١) ينظر عقيدة محمد ابن عبد الوهاب لسلفية وأثرها في العالم لإسلامي (ص٢٩٢ -٢٩٣).

(٢) تفسير الرازي (٢٤/٥٥٣).

(٣) هو عبد الله بن عمر بن محمد بن علي، أبو الخير القاضي ناصر الدين البيضاوي، كان إماما مبرزا نظارا صالحا متعبدا زاهدا، صاحب "الطوالع والمصباح في أصول الدين"، و"الغاية القصوى في الفقه"، و"المنهاج

باستحقاق السجود من التفرد بكمال القدرة والعلم حقًّا على سجوده وردًّا على من يسجد لغيره)[١].

وأشار كذلك إلى هذا الاستنباط الخازن.

قال: (والمقصود من هذا الكلام الرد على من يعبد الشمس وغيرها، من دون الله لأنه لا يستحق العبادة إلا من هو قادر على من في السموات والأرض، عالم بجميع المعلومات ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ (النمل: ٢٦) أي: هو المستحق للعبادة والسجود لا غيره)[٢]. والله تعالى أعلم.

❖ الاستنباط الخمسون:

● دلالة الصنعة على الصانع نظريةٌ عقلية قطعية.

قال تعالى: ﴿ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾ (النمل: ٢٥).

قال ابن باديس –رحمه الله: (فكل ذي صنعة، في مكنته أن يستدل بصنعته عن وجود خالق هذا العالم وكماله، يشاهد أن صنعته ما كانت إلا به، وبما له من قدرة فيها وعلم بها، فهداه ذلك إلى أن هذا العالم ما كان إلا من خالق قادر عالم.

فالهدهد ذكر ما هو من عمله في الاستدلال على وجود الخالق تعالى ووحدانيته، ومثله كل ذي صنعة) [٣].

◆ الدراسة:

استنبط ابن باديس رحمه الله من هذه الآية إشارة علمية، وهي دلالة الصنعة على الصانع و إثبات صفاته.

في أصول الفقه"، ومختصر الكشاف المسمى: "أنوار التنزيل وأسرار التأويل في التفسير وشرح المصابيح في الحديث" وغيرها، توفي سنة ٦٨٥هـ. طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (١٥٨/٨).

(١) تفسير البيضاوي (١٥٨/٤).

(٢) لباب التأويل في معاني التنزيل (٣٤٤/٣).

(٣) مجالس التذكير (٢٤٩/٢).

وطريق هذا الاستنباط، هو ما أشارت إليه قصة الهدهد مع سليمان عليه السلام.

ووجه هذا الاستنباط، هو أنّ الهدهد عُرف بين الطيور بثقوب البصر، والاهتداء إلى الماء في جوف الأرض، فلما استدل على ألوهية الله تعالى واستحقاقه العبودية وحده لا شريك له، ذكرَ مِن صُنع الله ما هو أقرب إليه وأغلب عليه، وهو إخراج الخبء الذي منه الماء المخبوء في جوف الأرض، فذكر ما هو من عمله في الاستدلال على وجود الخالق تعالى ووحدانيته، ومثله كل ذي صنعة) [١].

وما استنبطه ابن باديس معنى صحيح، أشارت إليه الآية في حكايتها لكلام الهدهد في قوله: ﴿ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾، وهو استنباط مبني على أنّ قوله تعالى: ﴿ أَلَّا يَسْجُدُوا ﴾ إلى ﴿ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ من كلام الهدهد، كما قاله بعض المفسرين من السلف.

قال ابن زيد[٢] في قوله تعالى: (﴿ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ ﴾ إلى قوله: ﴿ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ هذا كله كلام الهدهد) [٣].

وعليه تدل قراءة الجمهور، عدا الكسائي وحفص.

قال ابن عطية: (وقرأ جمهور القراء ﴿ يُخْفُونَ ﴾ و ﴿ يُعْلِنُونَ ﴾ بياء الغائب، وهذه القراءة تعطي أن الآية من كلام الهدهد) [٤].

---

(١) نفس المرجع السابق والصفحة.

(٢) هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم القرشي العدوى مولاهم المدني، مولى عمر بن الخطاب، أخو عبد الله بن زيد، من الطبقة الوسطى "أتباع التابعين"، كان صاحب قرآن وتفسير، جمع تفسيرا في مجلد، وكتابا في الناسخ والمنسوخ، روى له (الترمذي – ابن ماجه)، قال عنه ابن حجر: ضعيف. توفي سنة ١٨٢هـ. ينظر ترجمته في: الطبقات الكبرى لابن سعد (٤٨٤/٥)، سير أعلام النبلاء (٣٤٩/٨)، رواة التهذيبين (٣٨٦٥).

(٣) تفسير الطبري (٤٥٠/١٩).

(٤) المحرر الوجيز (٢٥٧/٤).

وقال ابن كثير –وهو يبيّن الخاصية التي اختص بها الهدهد وعلاقتها ومناسبته لما استدل به على استحقاق الله عزّ وجل العبودية وحده لا شريك له: (وقال سعيد بن المسيب: الخبء الماء، وكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: خبء السموات والأرض، ما جعل فيها من الأرزاق، المطر من السماء، والنبات من الأرض.

وهذا مناسب من كلام الهدهد، الذي جعل الله فيه من الخاصية ما ذكره ابن عباس وغيره، من أنه يرى الماء يجري في تخوم الأرض ودواخلها) [١].

(عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سئل كيف تفقد سليمان الهدهد من بين الطير قال: إن سليمان نزل منزلا فلم يدر ما بعد الماء، وكان الهدهد يدل سليمان على الماء فأراد أن يسأله عنه ففقده، و عن سعيد بن جبير ﷺ قال: كان سليمان إذا أراد أن ينزل منزلا دعا الهدهد ليخبره عن الماء، فكان إذا قال: هاهنا شققت الشياطين الصخور فجرت العيون من قبل أن يضربوا أبنيتهم) [٢].

وقد أشار إلى هذا الاستنباط الزمخشري.

قال –رحمه الله: (وفي إخراج الخبء أمارة على أنه من كلام الهدهد لهندسته ومعرفته الماء تحت الأرض، وذلك بإلهام من يخرج الخبء في السماوات والأرض جلت قدرته ولطف علمه، ولا يكاد تخفى على–ذي الفراسة النظار بنور الله– مخائل كل مختص بصناعة أو فن من العلم في روائه ومنطقه وشمائله) [٣].

والنيسابوري، قال –رحمه الله: (وفي تخصيص وصف الله تعالى في هذا المقام بإخراج الخبء إشارة إلى ما عهده الهدهد من قدرة الله تعالى في إخراج الماء من الأرض، ألهمه هذا التخصيص كما ألهمه تلك المعرفة) [٤].

---

(١) تفسير ابن كثير (١٨٧/٦).

(٢) الدر المنثور (٣٤٩/٦).

(٣) الكشاف (٣٦٢/٣).

(٤) تفسير النيسابوري (٣٠٢/٥).

وأبو السعود، قال –رحمه الله: (هذا الوصف بالذكر بصدد بيان تفرده تعالى باستحقاق السجود له من بين سائر أوصافه الموجبة لذلك، لما أنه أرسخ في معرفته والإحاطة بأحكامه بمشاهدة آثاره، التي من جملتها ما أودعه الله تعالى في نفسه من القدرة على معرفة الماء تحت الأرض) [١].

قال عبد الرزاق عفيفي – بصدد كلامه على هذه الإشارة: (وإذا ثبت بدلالة الصنعة على الصانع، وبأدلة السمع والفطرة وجود الله ووجوب وجوده وتفرده بكمال الصفات والأفعال وجب على العباد أن يخلصوا له العبادة، وأن يسلموا وجوههم إليه في السراء والضراء، وأن يدعوه وحده رغبة ورهبة خفية وجهرة، فهذا هو مقتضى الفطرة، وموجب العقل السليم) [٢].

يقول ألبرت أينشتاين[٣]: (كل من يرتبط ارتباطا وثيقا بالعلم يصبح أكثر اقتناعا بوجود روح مقدسة تظهر وتتضح من خلال قوانين الكون، وتلك الروح هي أسمى من الروح البشرية بكثير، روح في مواجهتها نشعر بالخضوع بالنظر إلى قوتنا المتواضعة) [٤]. والله تعالى أعلم .

---

(١) تفسير أبي السعود (٦/٢٨٢).

(٢) فتاوى عبد الرزاق عفيفي (١/٢٢٥).

(٣) ألبرت أينشتاين، بالألمانية: Albert Einstein (١٤ مارس ١٨٧٩م = ١٨ أبريل ١٩٥٥م)، ألماني ثم سويسري ثم أمريكي الجنسية، يهودي الديانة، أحد أهم العلماء في الفيزياء، يشتهر بـ "أبو النسبية" كونه واضع "النظرية النسبية الخاصة"، و"النظرية النسبية العامة" الشهيرتين، اللتان كانت اللبنة الأولى للفيزياء النظرية الحديثة، حاز في العام ١٩٢١م على جائزة نوبل في الفيزياء. (ويكيبيديا، الموسوعة الحرة).

(٤) سرّ العقل للدكتورة مارتا هيات (ص٢٧).

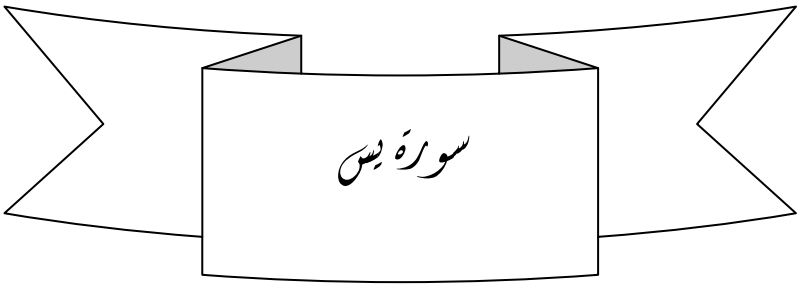
سورة يس

❖ **الاستنباط الحادي والخمسون:**

● **الإسلام دين عزة ورحمة.**

قال تعالى: ﴿ تَنزِيلَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ (يس: ٥).

قال ابن باديس رحمه الله: (ذكر من أسمائه تعالى في هذا الموطن ﴿ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ للتنبيه على أن هذا الدين الذي نزّله الربّ الموصوف بالعزة والرحمة، هو دين عزة ورحمة.

ومن مقتضى العزةِ، القوةُ والمنعةُ والرفعةُ، ومن مقتضى الرحمةِ، الفضلُ والخيرُ والمصلحةُ، وهذه كلها متجليةٌ في أحكام الإسلام)[1].

◆ **الدراسة:**

استنبط الشيخ ابن باديس رحمه الله من ختام هذه الآية بهذين الاسمين الجليلين: "العزيز الرحيم"، مناسبة دقيقة، وهي أن دين الإسلام دين العزة والرحمة.

وطريق هذا الاستنباط، هو دلالة الإشارة.

ووجه هذا الاستنباط، هو (أنّ العدل والإحسان اللذان أمر الله بهما وانبنت أحكام الإسلام عليهما، لا يكونان إلاّ عن العزة والرحمة، فالذليل لا ينهض بالحكم ولا يقيم ميزان العدل، والقاسي لا يكون منه إحسان)[2].

وما استنبطه ابن باديس معنى صحيح، مأخوذ من إشارة الآية، ويعتضد هذا الاستنباط بحال وسيرة الرسل عليهم السلام، والمتحققون من أصحابهم وأتباعهم بهداية الإسلام، فإنهم القدوة الصالحة لجميع المسلمين، فضربوا المثل في عزتهم ورحمتهم.

---

(١) مجالس التذكير (٢/٢٧٣-٢٧٤).

(٢) نفس المرجع والصفحة.

فهذا النبي ﷺ يصفه الله عز وجل بالرحمة للمؤمنين ﴿ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (التوبة: ١٢٨) ويصف هو نفسه ﷺ بأنه نبي المرحمة، ونبي الملحمة[١])[٢].

وقال تعالى مخبرا عن عزة أصحاب رسول الله ﷺ: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴾ (الشورى: ٣٩).

وقال مخبرا عن رحمتهم -رضي الله عنهم: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ (الحشر: ٩).

وقد أشار الرازي إلى هذه المناسبة، وصاغها بأسلوب آخر، وهي قريبة من معنى ما ذكره ابن باديس إلا أن ابن باديس زادها بيانا وإيضاحا.

قال -رحمه الله: (وقوله: ﴿ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ إشارة إلى أن الملك إذا أرسل رسولا فالمرسل إليهم إما أن يخالفوا المرسل ويهينوا المرسل وحينئذ لا يقدر الملك على الانتقام منهم إلا إذا كان عزيزا ، أو يخافوا المرسِل ويكرموا المرسلَ وحينئذ يرحمهم الملك، أو نقول المرسلَ يكون معه في رسالته منعٌ عن أشياء وإطلاق لأشياء، فالمنع يؤكد العزة والإطلاق يدل على الرحمة)[٣].

وأشار الألوسي إلى قريب من هذه المناسبة في تخصيص هذين الاسمين الكريمين في هذا الموطن.

---

(١) عن أبي موسى ﷺ قال: ((سمى لنا رسول الله ﷺ نفسه أسماء منها ما حفظنا، فقال: أنا محمد، وأحمد، والمقفي، والحاشر، ونبي الرحمة، قال يزيد، ونبي التوبة ونبي الملحمة)). مسند الإمام أحمد (٣٢/٢٩١ رقم ١٩٥٢٥)، قال محققه شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح، مسند البزار (٧/٢٩٤ رقم٢٨٨٧)، صحيح ابن حبان (١٤م٢٢١ رقم٦٣١٥)، المعجم الأوسط للطبراني (٣/١٥٣ رقم٢٧١٦)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير وزياداته (١/٣١٠ رقم١٤٧٣).

(٢) وسمّي نبيّ الملحمة لأن سبب القتال هو الملحمة، وكل هذه الأسماء مشتقة من صفاته، شرح مشكل الآثار للطحاوي (٣/١٨٣ رقم ١١٥٢)، وقال البيهقي: قال الحليمي رحمه الله: "وأما نبي الملحمة، فلأن الله تبارك وتعالى فرض عليه جهاد الكفار وجعله شريعة باقية إلى قيام الساعة، وما فتحت هذه البلدان إلا بحد السيف، أو خوف السيف، ما عدا المدينة فإنها فتحت بالقرآن". شعب الإيمان (٢/٥٣٠ رقم ١٣٤١).

(٣) مفاتيح الغيب (٢٦/٢٥٣).

قال –رحمه الله: (وفي تخصيص الاسمين الكريمين المعربين عن الغلبة الكاملة والرحمة الفاضلة حثٌّ على الإيمان به ترهيبا وترغيبا ،وإشعارا بأن تنزيله ناشئ عن غاية الرحمة حسبما أشار إليه قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (الأنبياء: ١٠٧)[1].والله تعالى أعلم.

❖ الاستنباط الثاني والخمسون:

• العرب الذين أرسل فيهم النبي ﷺ أهلُ فترة ناجون، عدا من جاء نصٌّ خاص بعذابهم.

قال تعالى: ﴿ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمۡ فَهُمۡ غَٰفِلُونَ ﴾ (يس: ٦).

وقال تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا ﴾ (الإسراء: ١٥).

وقال تعالى: ﴿ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ (المائدة: ١٩).

قال ابن باديس رحمه الله تحت عنوان "استطراد واستنباط": (لما كان العرب لم يأتهم نذير قبلَ النبي ﷺ بنصِّ هذه الآية وغيرها، فهم في فترتهم ناجون ، لقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا ﴾ (الإسراء: ١٥) ، ولقوله: ﴿ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖ ﴾ (المائدة: ١٩) وغيرهما، وكلها آيات وقواطع في نجاة أهل الفترة، ولا يُستثنى من ذلك إلاّ من جاء فيهم نصٌّ ثابت خاص)[2].

◆ الدراسة:

استنبط الشيخ ابن باديس رحمه الله من مجموع هذه الآيات أن العرب قبل بعثة النبي ﷺ أهل فترة ناجون، عدا من جاء بهم نص خاص كعمرو بن لحي وغيره.

---

(١) روح المعاني (٣٨٥/١١).

(٢) مجالس التذكير (٢٧٨/٢).

وطريق هذا الاستنباط هو دلالة الإشارة، بحيث أن هذا الحكم لم تُسق له هذه الآيات في الأصل، ولم يكن مقصودها الأول، وإنما جاء تبعا للمعنى الأصلي للكلام واستنتاجا للجمع بين الآيات.

ووجه هذا الاستنباط، هو أن آية ﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴾ بمفردها، لا تدل على نجاة أهل الفترة، فقصارى ما تحمله من معنى بمفردها، أن العرب – قبل بعثة النبي ﷺ– أهل فترة، لأنهم لم يبعث إليهم نبيٌّ من قبل النبي ﷺ، فهي إذًا لم تُشر لا من قريب ولا من بعيد، لا بمنطوقها ولا بمفهومها على نجاة أهل الفترة عموما، ولا على نجاة العرب خصوصا.

وآية الإسراء ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾، وآية المائدة ﴿ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ﴾ وما في معناهما من آيات، دلّت هذه الآيات بمفردها على نجاة عموم أهل الفترة، فهي تدل بمنطوقها على أن من سنّة الله في العقاب و الجزاء أن لا يعذب من لم تبلغه رسالة رسله وإنذارهم، وهم المصطلح عليهم بأهل الفترة، ولكنها لم تشر لا من قريب ولا من بعيد على أن العرب أهل فترة، فإذاً ،كلُّ طرف دلَّ على معنى هو كالمقدمة، وبالجمع بين هاتين المقدمتين نخلص إلى نتيجة، وهي التي استنبطها ابن باديس.

فالمقدمة الأولى المأخوذة من سورة "يس" تقتضي بأن العرب أهل فترة.

والمقدمة الثانية المأخوذة من سورة المائدة والإسراء وما في معناهما، تقتضي نجاة عموم أهل الفترة.

فالنتيجة نقول: إن العرب ناجون لأنهم أهل فترة، أو نقول: إن العرب أهل فترة فهم ناجون، أو نقول: إن أهل الفترة ناجون والعرب أهل فترة فإذًا هم ناجون، ولم يكن ممكنا الخلوصُ إلى هذه النتيجة إلا بالجمع بين ما دلّ عليه مجموع هذه الآيات ، لا من آية واحدة بمفردها.

وهذا المسلك الذي سلكه ابن باديس مسلك صحيح في الاستنباط من القرآن، وله فيه من الصحابة سلفٌ، كما هو استنباط علي وابن عباس رضي الله عنهم، في أن أدنى مدة الحمل ستة أشهر، مأخوذة بالجمع بين قوله تعالى: ﴿ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ

شَهْرًا ﴾ (الأحقاف: ١٥) وبين قوله تعالى: ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ﴾[1] (البقرة: ٢٣٣) وهو موافق لطريقة ابن باديس في كون أخبار الآحاد تُردُّ إذا عارضت القطعيَّ من القرآن، وأن آية ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ وما في معناها من الآيات، قطعيةُ الدلالة في نجاة أهل الفترة عنده.

وهناك مسألة –وهي مربط الفرس وبيت القصيد– وهي هل تحكيم قاعدة "ردّ خبر الواحد إذا عارض القطعي من القرآن" تنطبق على هذه المسألة المستنبطة هنا؟، يعني هل أن آيات القرآن التي زعم ابن باديس أنها قطعية الدلالة في نجاة أهل فترة يُسلَّم له

(١) رواه مالك في الموطأ بلاغا ((أن عثمان بن عفان أتي بامرأة قد ولدت في ستة أشهر فأمر بها أن ترجم فقال له علي بن أبي طالب: ليس ذلك عليها إن الله تبارك وتعالى يقول في كتابه:{وحمله وفصاله ثلاثون شهرا}[الأحقاف: ١٥]، وقال: {والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة}[البقرة: ٢٣٣]، فالحمل يكون ستة أشهر فلا رجم عليها، فبعث عثمان بن عفان في أثرها فوجدها قد رجمت))، كتاب الحدود، باب ما جاء في الرجم (١٢٠٤/٥ رقم ٣٠٤٥)، وروى عبد الرزاق الصنعاني في مصنفه بسنده إلى أبي عبيد مولى عبد الرحمن بن عوف قال: ((رفعت إلى عثمان امرأة ولدت لستة أشهر فقال: إنها رفعت إليّ امرأة لا أراه إلا قال: وقد جاءت بشر أو نحو هذا، ولدت لستة أشهر فقال له ابن عباس: إذا أتمت الرضاع كان الحمل ستة أشهر، قال: وتلا ابن عباس: {وحمله وفصاله ثلاثون شهرا} فإذا أتمت الرضاع كان الحمل ستة أشهر))، باب التي تضع لستة أشهر (٣٥١/٧ رقم ١٣٤٤٦)، وروى عبد الرزاق في مصنفه بسنده إلى عكرمة أنه قال: (وذكر غير واحد أن عمر أتي بمثل الذي أتي به عثمان فقال علي فيها نحو ما قال ابن عباس)، باب التي تضع لستة أشهر (٣٥٢/٧ رقم ١٣٤٤٨)، قال ابن حجر: (حديث: أن عثمان أتي بامرأة ولدت لستة أشهر، فتشاور القوم في رجمها، فقال ابن عباس أنزل الله: {وحمله وفصاله ثلاثون شهرا}والفصال في عامين، فكان أقل الحمل ستة أشهر، مالك في الموطأ أنه بلغه أن عثمان، لكن فيه أن المناظر في ذلك علي لا ابن عباس، ورواه ابن وهب بسند صحيح عن عثمان، وأن المناظر له ابن عباس، وكذا أخرجه إسماعيل القاضي في أحكام القرآن من طريق الأعمش: أخبرني صاحب لابن عباس قال: تزوجت امرأة فولدت لستة أشهر من يوم تزوجت، فأتى بها عثمان فأراد أن يرجمها، فقال ابن عباس لعثمان: إنها إن تخاصمكم بكتاب الله تخصمكم. ورواه الحاكم في المستدرك من حديث أبي حرب بن أبي الأسود، عن أبي الأسود، عن عمر، والمناظر له في ذلك علي بن أبي طالب، والله أعلم. التلخيص الحبير كتاب الرجعة (٤٤٠/٣ رقم ١٧٦١)، وقال ابن الملقن في البدر المنير: إسنادها صحيح. كتاب الرجعة (١٣٢/٨).

فيها، وبالتالي يرد كل خبر آحاد خالف هذه الدلالة القطعية القرآنية، أم أنه لا يُسلّم لابن باديس هذه الدلالة القطعية التي زعمها في هذه الآيات القرآنية؟

أما مسألة ردّ خبر الواحد إذا خالف القطعي من القرآن، مرّ الكلام عليها في الاستنباط الثالث من هذه الرسالة [١]، وهناك ذكرت أقوال أهل العلم فيها.

وأما مسألة نجاة العرب من العذاب يوم القيامة لأنهم أهل فترة، مسألة خلاف بين أهل العلم، وما استنبطه الشيخ ابن باديس من أنهم ناجون إلا من جاء النص بتعذيبهم، ذهب إليه جمع من أهل العلم كما سنبيّنه إن شاء الله.

فهذه أقوال أهل العلم في أهل الفترة وحكمهم ومصيرهم :

(وأهل الفترة هم منم تبلغهم الرسالة، هؤلاء أهل الفترة لا سمعوا بالقرآن ولا بالرسول ﷺ)[٢].

اختلف أهل العلم في حكم ومصير أهل الفترة على ثلاثة أقوال:

- **القول الأول:** يعذرون بالفترة مطلقا ولا يعذبون.
- **القول الثاني:** يستحقون العذاب لكفرهم.
- **القول الثالث:** يمتحنون في عرصات يوم القيامة فمن أجاب دخل الجنة ومن عصى دخل النار.

◆ **القول الأول: أنهم يعذرون لفترتهم، وبه قال ابن باديس.**

قال صاحب "مرقاة المفاتيح في شرح مشكاة المصابيح" نقلا عن ابن حجر: (والحق أيضا فيمن مات من أهل الفترة أنهم ليسوا في النار لتلك الآية، وأما الأخبار الدالة على خلاف ذلك كخبر مسلم: ((أبي وأبوك في النار))[٣] مؤوّلة، وعن أكثر

---

(١) ينظر: (ص١٣٤).

(٢) فتاوى نور على الدرب ابن باز (ص ٢٦٣) جمع الشويعر، باختصار.

(٣) مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان أن من مات على الكفر فهو في النار ولا تناله شفاعة ولا تنفعه قرابة المقربين (١/١٩١ رقم٢٠٣)، ونص الحديث عنده عن أنس: ((أن رجلا قال: يا رسول الله، أين أبي؟ قال: في النار، فلما قفى دعاه، فقال: إن أبي وأباك في النار))، ومسند الإمام أحمد (١١/٢٢٨ =رقم١٢١٩٢)،

العلماء أنهم في النار)[١].

قال السندي –رحمه الله– في حاشيته على سنن ابن ماجه: (وقد أطبق أئمتنا الشافعية والأشعرية[٢] على أن من لم تبلغه الدعوة لا يعذب ويدخل الجنة لقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾)[٣].

◆ **القول الثاني: يستحقون العذاب لكفرهم.**

قال في شرح تنقيح الفصول: (فإن قواعد العقائد كان الناس في الجاهلية مكلفين بها إجماعاً، ولذلك انعقد الإجماع على أن موتاهم في النار يعذبون على كفرهم، ولولا التكليف لما عذبوا)[٤].

ولهذا لم يعذر أهل الفترة ونحوهم ممن اتخذ مع الله إلها آخر[٥].

وحكاه الألوسي عن أبي منصور الماتريدي ومتبعيه.

وسنن أبي داوود كتاب السنة، باب في ذراري المشركين (٤/٢٣٠ رقم٤٧١٨٩)، وصحيح ابن حبان (٢/٣٤٠ رقم٥٧٨) وغيرهم.

(١) مرقاة المفاتيح في شرح مشكاة المصابيح لأبي الحسين الهروي (١/١٨٦).

(٢) الأشعرية هم المنتسبون إلى أبي الحسن الأشعري (ت٣٢٤هـ)، الذي كان معتزلياً ثم رجع عن الاعتزال وأخذ بقول ابن كُلاّب في العقيدة، ثم رجع بعد ذلك إلى عقيدة السلف وأصحاب الأثر، والأشعرية تابعوه في قوله بقول ابن كلاّب، ولم يتابعوه في رجوعه الأخير إلى معتقد أهل السنة والجماعة، وهم يثبتون لله سبع صفات وهي: العلم، والحياة، والقدرة، والإرادة، والسمع، والبصر، والكلام – إلا أنهم يزعمون أنه كلام نفسي– ويؤولون بقية الصفات الواردة في القرآن والسنة كالعلو والاستواء والوجه واليدين والرضا والحب والغضب وغير ذلك، وهم من المرجئة في الإيمان لأنهم زعموا أنه التصديق فقط وأن الأعمال ليست منه. انظر: مقالات الإسلاميين (ص٥٤٦) وما بعدها، الملل والنحل (١/٩٤) وما بعدها، أبو الحسن الأشعري وعقيدته للشيخ حماد الأنصاري (ص٦٠) وما بعدها.

(٣) حاشية السندي على سنن ابن ماجه (١/٤٧٧).

(٤) شرح تنقيح الفصول لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي (المتوفى: ٦٨٤هـ) (ص٢٩٧).

(٥) منهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات داود ابن جرجيس لعبد اللطيف آل الشيخ (ص٢٦٩).

وبه قال النووي والحليمي[١] والفخر الرازي والخازن والألوسي وابن عاشور[٢].

◆ **القول الثالث: يمتحنون في عرصات يوم القيامة فمن أجاب دخل الجنة ومن عصى دخل النار.**

يمتحنون في العرصات يوم القيامة، كما حكى ذلك أبو هريرة ﷺ[٣].

وقال ابن تيمية –رحمه الله: (وقد جاءت بذلك عدة آثار مرفوعة إلى النبي ﷺ وعن الصحابة والتابعين بأنه في الآخرة يمتحن أطفال المشركين وغيرهم ممن لم تبلغه الرسالة في الدنيا)[٤]

قال الشيخ ابن باز[٥] –رحمه الله: (والصحيح من أقوال العلماء أن أهل الفترة يمتحنون يوم القيامة، ويؤمرون فإن أجابوا وأطاعوا دخلوا الجنة، وإن عصوا دخلوا النار،

---

(١) هو الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم القاضي، العلامة، رئيس المحدثين والمتكلمين بما وراء النهر، أبو عبد الله البخاري الشافعي، أحد الأذكياء الموصوفين، ومن أصحاب الوجوه في المذهب، وكان متفننا، سيال الذهن، مناظرا، طويل الباع في الأدب والبيان، أخذ عن الأستاذ أبي بكر القفال، توفي في ربيع الأول سنة ٤٠٣هـ. سير أعلام النبلاء (٢٣٢/١٧). ينظر ترجمته في: طبقات الشافعية الكبرى (٣٣٤/٤).

(٢) انظر كتاب الأحاديث المشكلة الواردة في تفسير القرآن (٢٤٩/١-٢٩٥).

(٣) روى الطبري في تفسيره (٤٠٤/١٧) بسنده إلى أبي هريرة، قال: إذا كان يوم القيامة، جمع الله تبارك وتعالى نسم الذين ماتوا في الفترة والمعتوه والأصم والأبكم، والشيوخ الذين جاء الإسلام وقد خرفوا، ثم أرسل رسولا أن ادخلوا النار، فيقولون: كيف ولم يأتنا رسول، وايم الله لو دخلوها لكانت عليهم بردا وسلاما، ثم يرسل إليهم، فيطيعه من كان يريد أن يطيعه قبل، قال أبو هريرة: اقرءوا إن شئتم ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]، ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٣٢١/٧ رقم ١٣٢١٠)، ورواه الإمام أحمد في مسنده (٢٢٨/٢٦ رقم١٦٣٠١)، والبزار في مسنده (٧٠/١٧ رقم٩٥٩٦) قال الهيثمي في مجمع الزوائد: (ورجاله أي رجال سند الإمام أحمد في طريق الأسود بن سريع وأبي هريرة رجال الصحيح، وكذلك رجال البزار فيهما) (٢١٥/٧رقم١١٩٣٦)، والطبراني في معجمه الكبير (٢٨٧/١ رقم٨٤١)، وابن حبان في صحيحه (٣٥٦/١٦رقم٧٣٥) قال محقق صحيح ابن حبان شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.

(٤) درء تعارض العقل والنقل (٣٩٩/٨).

(٥) هو عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله آل باز، ولد في الرياض عام ١٣٣٠ هـ، وترعرع فيها وشب وكبر، وكان بصيراً في أول حياته، ثم عمي بعد ذلك وعمره قريب من ٢٠ عاماً، بدأ الشيخ تعليمه بحفظ القرآن الكريم، ولما نجح وبرز في العلوم الشرعية واللغة عيّن في القضاء عام ١٩٣١م

وجاء في هذا عدة أحاديث عن أبي هريرة ﷺ، وعن الأسود بن سريع التميمي، وعن جماعة، كلها تدل على أنهم يمتحنون يوم القيامة، ويخرج لهم عنق من النار، ويؤمرون بالدخول فيه، فمن أجاب صار عليه بردا وسلاما، ومن أبى التف عليه وأخذه وصار إلى النار، نعوذ بالله من ذلك.

فالمقصود أنهم يمتحنون فمن أجاب وقبل ما طلب منه وامتثل دخل الجنة، ومن أبى دخل النار، وهذا هو أحسن ما قيل في أهل الفترة)[1].

وهذا القول الأخير هو الراجح إن شاء الله، لأن فيه إعمال للأحاديث القطعية الدلالة التي جاءت في امتحان أهل الفترة يوم القيامة، ويمكن الجمع بينها وبين آية ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ وما في معناها ،كما تقدم في أقوال أهل العلم.

وبهذا القول نكون قد أعملنا جميع الأدلة وجمعنا بينها من غير إسقاط ولا تعسّف.

ويكون من جاء الخبر فيهم من أهل الجاهلية أنهم في النار ممن لا يستجيب عند الامتحان.

تبقى مسألة أبوي النبي ﷺ كمثل حديث ((أبي وأبوك في النار))، فهذه مسألة خلاف بين أهل العلم ، وفيها نصوص محتملة، وما كان منها قطعي مؤوّل عند بعض أهل العلم، فرأيت في هذا المقام عدم التعرض لها مفوضا علمها إلى الله. والله تعالى أعلم.

لكنه لازم البحث والتدريس، تولى رئاسة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة من عام ١٣٩٠هـ حتى عام ١٣٩٥هـ، في عام ١٣٩٥هـ صدر أمر ملكي بتعيينه رئيسا عاما لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ثم في عام ١٤١٤هـ صدر أمر ملكي آخر بتعيينه مفتيا عاما المملكة العربية السعودية، بالإضافة إلى رئاسة هيئة كبار العلماء، ورئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، توفي-رحمه الله- سنة ١٤١٩هـ. من كتبه: "الأدلة الكاشفة لأخطاء بعض الكتاب"، و"الأدلة النقلية والحسية على إمكان الصعود إلى الكواكب وعلى جريان الشمس وسكون الأرض"، و"إقامة البراهين على حكم من استغاث بغير الله أو صدق الكهنة والعرافين"، و"الإمام محمد بن عبد الوهّاب: دعوته وسيرته"، و"بيان معنى كلمة لا إله إلا الله" وغيرها كثير من رسائل وتعليقات على كتب. (ويكيبيديا، الموسوعة الحرة).

(١) فتاوى نور على الدرب (ص ١٢١) جمع عبد الله الطيار ومحمد الموسى.

وعلى هذا القول الأخير "القول الثالث"، فإن ما ذهب إليه ابن باديس في شقه الثاني من استنباطه وهو أن العرب قبل بعثة النبي ﷺ ناجون إلا من جاء بهم النص غير صحيح، وما استدل به – من قاعدة ردِّ خبر الواحد إذا خالف القطعي من القرآن– لا يسلم له فيها في هذا الموضع.

وبيان ذلك أقول: إن ابن باديس يرى –كما يرى أهل العلم– أن أخبار الآحاد وإن كانت دلالتها قطعية، فإن لم يمكن الجمع بينها وبين دلالة القرآن القطعية فلا يعمل حينئذ بذلك الخبر الواحد، ويكتفى بما نطق به القرآن.

وهذه القاعدة سليمة صحيحة كما قدمنا في الاستنباط السابق، يعمل بها عند التعارض كما هو معروف في ترتيب الأدلة، ولكن تطبيق ابن باديس لها هنا في هذه المسألة قد جانبه الصواب، إذ ليست آية ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾، وما في معناها من الآيات صريحة في نجاة أهل الفترة، قطعية الدلالة في هذا المعنى، وذلك لأمور:

أولا: إنها لو كانت كذلك ما كان يَرِدُ عليها الاختلاف وتعدُّد الفهوم.

ثانيا: أن أبا هريرة رضي الله عنه تلا هذه الآية في معرض ذكره امتحان أهل الفترة يوم القيامة مع من يمتحن معهم ، فقال بعد ذكره قصة الامتحان: (اقرؤوا إن شئتم ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾)[1]، ولم يعرف له مخالف في هذا من الصحابة، ففهمه مقدم.

ثالثا: وهو للشيخ ابن باز ، فقد قال رحمه الله أن: (أهل الفترة ليس في القرآن ما يدل على أنهم ناجون أو هالكون، إنما قال الله جل وعلا ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ فالله جل وعلا من كمال عدله لا يعذب أحدا إلا بعد بعث الرسول، فمن لم تبلغه الدعوة فليس بمعذب حتى تقام عليه الحجة، أخبر سبحانه أنه لا يعذبهم إلا بعد إقامة الحجة، والحجة قد تقوم عليهم حتى يوم القيامة، كما جاء في السنة أنه تقام الحجة على أهل الفترات ويمتحنون يوم القيامة، فمن أجاب وامتثل نجا، ومن عصى دخل النار)[2].

---

(١) تقدم تخريجه (ص٣٢٢) هامش (٣).

(٢) فتاوى نور على الدرب ابن باز (ص ١٢١) فما بعدها، جمع عبد الله الطيار.

وعليه فإن استنباط ابن باديس في شقه الثاني، وهو نجاة العرب إلا من جاء بهم النص، غيرُ صحيح على الأصحِّ من أقوال أهل العلم. والله تعالى أعلم.

❖ **الاستنباط الثالث والخمسون:**

- **الاستدلال بالبُداءة على الإعادة في إثبات عقيدة البعث بعد الموت، منهجٌ قرآني مطّرد.**

قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ (يس: ١٢).

قال ابن باديس: (وعبر بـ ﴿ نُحْيِ ﴾ فعلاً مضارعاً ليفيد تجديد الإحياء واستمراره، فيشمل إحياءه للأجنة في الدنيا، وإحياءه الثاني في الأخرى.

وكثيراً ما جاء في القرآن الاستدلال على الإحياء الثاني بالإحياء الأول، فتكون كلمة ﴿ نُحْيِ ﴾ قد اشتملت على العقيدة وهي الإحياء الثاني، ودليلها وهو الإحياء الأول)[1].

◆ **الدراسة:**

استنبط الشيخ ابن باديس منهجا وأسلوبا في الدعوة إلى الإيمان بالبعث بعد الموت، وهو الاستدلال بالبُداءة على الإعادة.

وطريق هذا الاستنباط، هو الدلالة البلاغية المتمثلة في دلالة الفعل المضارع في هذا الموطن ﴿ نُحْيِ ﴾، الذي يدل على الحال والاستقبال وتجدد الفعل.

وما استنبطه ابن باديس هنا من منهج قرآني في إثبات عقيدة البعث والنشور، معنى صحيح يدل عليه منهج القرآن في الدعوة إلى الإيمان بالبعث بعد الموت، وهو الاستدلال على الإعادة بالبُداءة، وهو كذلك مبني على تفسير صحيح، وهو أن المراد بقوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ بعثهم بعد الموت ،كما هو قول جمهور

(١) مجالس التذكير (٢/٣٠٠).

المفسرين[١]، ويدل عليه ظاهر القرآن، خلافا لمن قال إن إحياءَهم إخراجهُم من الشرك إلى الإيمان، كما نُقل عن الحسن البصري والضحاك من السلف.

قال القرطبي: (أخبرنا تعالى بإحيائه الموتى ردّا على الكفرة، وقال الضحاك والحسن: أي نحييهم بالإيمان بعد الجهل، والأول أظهر أي نحييهم بالبعث للجزاء)[٢].

وقال أبو حيان: (﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ أي بعد مماتهم، وأبعد الحسن والضحاك في قوله إحياؤهم: إخراجهم من الشرك إلى الإيمان)[٣].

وقد ذكر الله عز وجل في كتابه هذا الدليل كثيرا، وهو الاستدلال بالإحياء الأول على الإحياء الثاني بعد الموت الذي هو المعاد، أو بالشاهد الذي هو الإحياء عموما في الحيوان أو في النبات، على الغائب الذي هو المعاد، أو بالبُداءة على الإعادة.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴾ (الحج: ٥).

قال ابن كثير في هذه الآية: (لما ذكر تعالى المخالف للبعث المنكر للمعاد ذكر تعالى الدليل على قدرته تعالى على المعاد بما يشاهد من بدئه للخلق)[٤].

---

(١) ينظر: الكشاف (٧/٤)، تفسير الماوردي (٩/٥)، تفسير السمعاني (٣٦٩/٤)، تفسير العز بن عبد السلام (٥٣/٣)، تفسير البيضاوي (٢٦٤/٤)، تفسير أبي السعود (٦١/٧)، تفسير ابن كثير (٩/١-١٠).

(٢) تفسير القرطبي (١١/١٥).

(٣) البحر المحيط (٥٢/٩).

(٤) تفسير ابن كثير (٣٩٥/٥).

وقال في قوله تعالى: (﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴾، هذا دليل آخر على قدرته تعالى على إحياء الموتى كما يحيي الأرض الميتة الهامدة وهي المقحلة التي لا ينبت فيها شيء)[١].

وقال في قوله تعالى: ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴾ (الطارق: ٥): (تنبيهٌ للإنسان على ضعف أصله الذي خُلق منه وإرشادٌ له إلى الاعتراف بالمعاد، لأن من قدر على البداءة فهو قادر على الإعادة بطريق الأولى) [٢].

وقال في قوله تعالى: ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴾ (عبس: ٢٤): (فيه امتنان وفيه استدلال بإحياء النبات من الأرض الهامدة على إحياء الأجسام بعدما كانت عظاما بالية وترابا متمزقا)[٣].

ومن الآيات الدالة كذلك على هذا الاستنباط قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (الروم: ٢٧)، والآيات في هذا المعنى كثيرة. والله تعالى أعلم.

---

(١) تفسير ابن كثير (٣٩٨/٥).

(٢) المرجع السابق (٣١٦/١٤).

(٣) المرجع السابق (٢٥١/١٤).

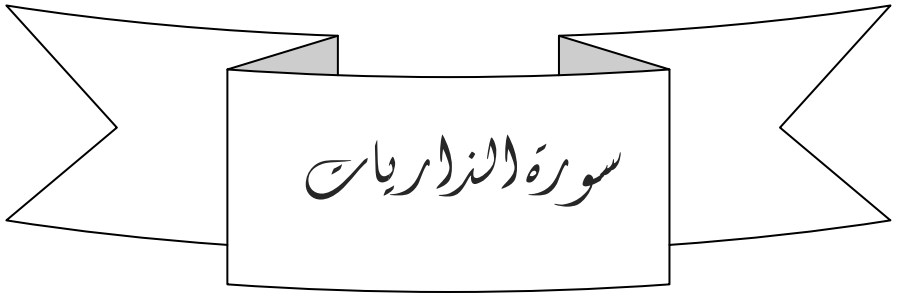
سورة الذاريات

❖ **الاستنباط الرابع والخمسون:**

● **من إعجاز القرآن البياني اختياره الألفاظ في المقام الذي يناسبها.**

قال تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱلۡأَرۡضَ فَرَشۡنَٰهَا فَنِعۡمَ ٱلۡمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ (الذاريات: ٤٧ - ٤٩).

قال ابن باديس-رحمه الله: (لما كانت السماء متلاحمة الأجزاء في العلاء، ثابتة على حالة مستمرة في هذه الدنيا على البقاء، ناسبها لفظ البناء ،ولما كانت مظهر العظمة والجلال، ناسبها لفظ القوة ، ولما كانت الأرض يطرأ عليها التبديل والتغيير بما ينقص البحر من أطرافها، وبما قد يتحول من سهولها وجبالها، وبما يتعاقب عليها من حرث وغراسة وخصب وجدب، ناسبها لفظ الفراش الذي يبسط ويطوى، ويبدل ويغير، ولما كانت أسباب الانتفاع بها الميسرة ضرورية للحياة عليها وكلها مهيأة، وكثير منها مشاهد، وغيره معد يتوصل إليه بالبحث والاستنباط ناسب ذكر التمهيد ، ولما كانت الأزواج مكونا بعضها من بعض ناسبها لفظ الخلق ، ولما كان النظر في الزوجين هو نظر في أساس التكوين لتلك المذكورات السابقة-وهو محصل للعلم الذي يحصل من النظر فيها- قرن بلفظ التذكر)[1].

◆ **الدراسة:**

استنبط ابن باديس رحمه الله من هذه الآيات معاني بلاغية قرآنية، والتي تكمن في انتقاء القرآن لألفاظه وعباراته وأسلوبه في مواضعها المناسبة، فتؤدي معنى لا يؤديه غير تلك اللفظة وغير تلك العبارة وغير ذلك الأسلوب، وتلك هي معجزة القرآن في البيان التي أعجزت فحول وفرسان الكلام آنذاك.

وطريق هذا الاستنباط، هو الدلالة البلاغية المتمثلة في اختيار الألفاظ المناسبة في التعبير والبيان، بحيث استعملت كل لفظة في المقام الذي يليق بها، والحال التي اقتضتها في اقترانها بغيرها لمناسبتها لها.

---

(١) مجالس التذكير (٢/٣٠٧).

وقد أشار إلى بعض هذا الاستنباط النيسابوري.

قال –رحمه الله: (وإنما أطلق الفرش على الأرض ولم يطلق البناء لأنها محل التغييرات كالبساط يفرش ويطوى)[١].

وقد أشار الرازي كذلك إلى بعض هذا الاستنباط بعبارة أخرى.

قال: (كرّر ذكر البناء في السموات، قال تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴾ (الشمس: ٥)، وقال تعالى: ﴿ أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا ﴾ (النازعات: ٢٧)، وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً ﴾ (غافر: ٦٤)، فما الحكمة فيه؟

نقول فيه وجوه أحدها: أن البناء باق إلى قيام القيامة لم يسقط منه شيء ولم يعدم منه جزء، وأما الأرض فهي في التبدل والتغير فهي كالفرش الذي يبسط ويطوى وينقل، والسماء كالبناء المبني الثابت، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴾ (النبأ: ١٢)، وأما الأراضي فكم منها ما صار بحرا وعاد أرضا من وقت حدوثها ثانيها: أن السماء ترى كالقبة المبنية فوق الرؤوس، والأرض مبسوطة مدحوة والبناء بالمرفوع أليق، كما قال تعالى: ﴿ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴾ (النازعات: ٢٨)).[٢] والله تعالى أعلم.

❖ الاستنباط الخامس والخمسون:

● قول الرسول ﷺ مثل قول الله تعالى في وجوب الإيمان والامتثال.

قال تعالى: ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ (الذاريات: ٥٠).

قال ابن باديس: (جاءت الثلاث آيات الأول كما يكون قولها من الله، وجاءت هذه الآية كما يكون قولها من النبي ﷺ تنويعاً للخطاب وتفنناً، فإنه لما كان في هذه الآية هو المقصود حُوِّل أسلوبُ الكلام من الإخبار إلى الأمر، تجديداً لنشاط السامع، وبعثاً لاهتمام المخاطبين، وحثاً لهم وتوكيداً عليهم.

---

(١) تفسير النيسابوري غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٦/١٩٠).

(٢) مفاتيح الغيب (٢٨/١٨٧).

وفيه تنبيه على أن ما يقوله النبي ﷺ مثل ما يقوله الله في وجوب الإيمان والامتثال)[1].

◆ **الدراسة:**

استنبط الشيخ ابن باديس من هذه الآيات سرًّا وحكمة من هذا الالتفات والتنويع في الخطاب، فزيادة على فائدته العامة من تجديد نشاط السامع والاستدرار لإصغائه، فقد اختص هذا الموقع هنا في هذه الآيات بنكتة ولطيفة، وهي أن ما يقوله النبي ﷺ مثل ما يقوله الله عز وجل في وجوب الإيمان والامتثال.

وقول ابن باديس هنا في آخر استنباطه: (وفيه تنبيه على أن ما يقوله النبي ﷺ مثل ما يقوله الله...)، هي الفائدة الخاصة بهذا الالتفات في هذا الموضع، وأما ما ذكره في أول الاستنباط، فتلك نكتة وفائدة عامة لكل التفات في الكلام.

و**طريق هذا الاستنباط،** هو الدلالة البلاغية المتمثلة في هذه المخالفة لمقتضى الظاهر في أسلوب الكلام من تلوين الخطاب، وذلك بتنويع المخاطِبين.

ووجه هذا الاستنباط، هو أنه لما كان الكلام في الآيات الأولى من الله عز وجل في بيانه وإخباره عن عظيم خلقه الذي ذكره، وكلها أفضال ونعم على عبيده، من بناءه السماء وفرشه الأرض وتمهيدها لهم للعيش والاستقرار عليها، وجعله جميع خلقه صادرا عن الزوجية التي من شأنها أن يكمل كل طرق منها الطريق الآخر ليتم نظام الحياة، ففي ظل هذه النعم يتقلب العباد، فهم في نعمة الربوبية يتقلبون ، وفضلُها وحدها يستلزم منهم شكرٌ من منعمها وحده، وليس لهم طريقٌ لمعرفة شكره التي هي عبادته وطاعته ومعرفته والإيمان به بتفاصيل كل ذلك إلا بالرسل، فانتقل الكلام إذاً من الإخبار عن مظاهر الربوبية إلى الأمر بالعبودية والألوهية المتمثلة في الفرار إلى الله، وذلك بتوحيده وطاعته والحذر من سخطه التي لا يتم بيانها إلا عن طريق الرسول، فكان البيان لمظاهر الربوبية من الله تعالى في آيات الأولى، والبيان للألوهية والعبودية من الرسول ﷺ في الآية الأخيرة.

---

(١) مجالس التذكير (٣١٩/٢).

والعبد مأمور بأن يطيع الله تعالى في هذا البيان للربوبية، ويؤمن ويعتقد وأن يطيع الرسول ﷺ في هذا البيان للألوهية ويمتثل.

فكان إذاً ما يقوله الرسول ﷺ مثل ما يقوله الله تعالى في وجوب الإيمان والامتثال، فهذا ما أفاده هذا التلوين في الخطاب، وهذا وجه استنباط ابن باديس. والله أعلم.

ووجه آخر، وهو أنه لما كان القرآن وحي من عند الله عزّ وجل، وكانت السنة كذلك وحي منه تعالى، لأنّ جبريل عليه السلام كان ينزل على النبي ﷺ بالسنة كما ينزل عليه بالقرآن، يعلمه إياها كما يعلمه القرآن لقوله صلوات الله وسلامه عليه: ((والذي نفسي بيده بعثت بالقرآن ومثله معه)) [1]، ولقوله تعالى: ﴿ **وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤** ﴾ (النجم: ٣-٤).

فلما كانت السنة النبوية إذًا بهذا الوصف، فلا جرم أن تكون مساويةً للقرآن في الإيمان بها و الاستدلال والاحتجاج، فيكون إذًا ما يقوله الرسول مثل ما يقوله الله عز وجل في وجوب الإيمان والطاعة والامتثال.

وما استنبطه ابن باديس معنى صحيح، تدل عليه شواهد من الشرع، وفيه ردّ قويّ على الذين اتخذوا لأنفسهم شعار "القرآنيون"، فالقرآن الكريم عندهم، هو مصدر التشريع الوحيد، فلا يستدلون إلا به وحده فقط دون السنة النبوية، فتعلقوا بشبه ووجهوا سهام طعونهم إلى السنة النبوية، وزعموا أنّ نسبةَ أيِّ شيء غيرِ القرآن للنبيّ ﷺ طعنٌ في أمانة الرسول ﷺ، فزعموا -افتراء وكذبا وجهلا منهم- أن مهمة الرسول ﷺ تبليغُ القرآن فقط بدون الإفتاء والتشريع، وقالوا ليست لرسول الله ﷺ سنّةٌ، وأنّ سنته الحقيقية هي القرآن فقط، وأيّ قول بأنّ للرسول سنةً، تشويهٌ لسيرته وتجعله ﷺ مشرِّعا مستقلا، فلهذا فهم

(١) أخرجه أبو داوود في سننه (٤/٢٠٠ رقم ٤٦٠٤) في كتاب السنة، باب في لزوم السنة، وأحمد في مسنده (٢٨/٤١٠ رقم ١٧١٧٤) وغيرهما، كلاهما عن المقدام بن معدي كرب بلفظ: ((ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه...))، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (١/٥١٦ رقم ٢٦٤٣)، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريجه لمسند أحمد (٢٨/٤١١): إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الصحيح.

يردون كل ما جاء به النبي ﷺ مما هو ليس في القرآن، ولا يرفعون به رأسا، كحدّ الرجم، وحدّ الردّة، وغيرها من الأحكام والأخبار.

وهذه بعض أقوالهم من كتبهم[١].

قال رشاد خليفة[٢]: (إن مهمة الرسول الوحيدة: هي تبليغ القرآن بدون أي تغيير، أو إضافة، أو اختزال، أو شرح، وقال في موضع آخر: (أمر محمد بتبليغ القرآن فقط بدون أي تغيير، وألا يختلق أي شيء آخر)، ويقول: (محمد ممنوع من التفوه بأي تعاليم دينية سوى القرآن)[٣].

ويقول محمد نجيب[٤]: (نسبة أي شيء للرسول غير القرآن طعن في أمانة الرسول ﷺ)[٥] . وغيرهُم كثير[٦].

---

(١) نقلا من كتاب ردّ شبهات حول عصمة النبي ﷺ في ضوء السنة النبوية الشريفة لعماد السيد محمد إسماعيل الشربيني (رسالة دكتواره من جامعة الأزهر، كلية أصول الدين بالقاهرة، قسم الحديث وعلومه).

(٢) هو رشاد عبد الحليم محمد خليفة، حصل على بكالوريوس الزراعة من جامعة عين شمس، بمصر، عمل خبيراً زراعياً بالولايات المتحدة الأمريكية، وكان عميلاً للبهائية ويدعوا إليها، وينكر حجية السنة النبوية، ادعى النبوة، ومات مقتولاً داخل مسجد قريب من جامعة أريزونا، حيث كان يقوم بتدريس أفكاره البهائية التي تشكك في الإسلام، وفى حجية السنة المطهرة. ينظر: كتاب ردّ شبهات حول عصمة النبي ﷺ في ضوء السنة النبوية الشريفة لعماد السيد محمد إسماعيل الشربيني (رسالة دكتواره، جامعة الأزهر، كلية أصول الدين بالقاهرة، قسم الحديث وعلومه) (ص٤٨٧).

(٣) نفس المرجع السابق والصفحة.

(٤) كاتب مصري معاصر، من مؤلفاته "الصلاة" أنكر فيه السنة المطهرة، وزعم أن تفاصيل الصلاة واردة في القرآن الكريم، وكتابه صادر عن ندوة أنصار القرآن، نشر دائرة المعارف العلمية الإسلامية.

(٥) نفس المرجع السابق والصفحة.

(٦) كأحمد صبحى منصور، وله مؤلفات في هذا "مشروع التعليم والتسامح" وغيره (ص٢٨٢)، وينظر من نفس المصدر (ص٢٨٧، ٢٩٣)، وينظر له: "الأنبياء في القرآن" (ص ٢٦)، "ولماذا القرآن" (ص٤٣ – ٥٢)، و"لا ناسخ ولا منسوخ في القرآن" (ص١٩)، و"المسلم العاصي" (ص١٣)، وإسماعيل منصور جودة الذي تخرج من جامعة الأزهر، وحصل على العالمية في الطب البيطري من الجامعة، تبرأ من السنة وزعم أنها أكذوبة كبيرة وخطيرة وداهية كبرى، أريد بها التشويش على كلام الله تعالى، من آثاره: "تبصير الأمة بحقيقة السنة"، و"شفاء الصدر بنفي عذاب القبر"، و"بلوغ اليقين بتصحيح مفهوم ملك اليمين" وغير ذلك، الذي يقول في كتابه "الخدعة رحلتي من السنة إلى الشيعة"(ص٤٠، ٤١): (وإذا ما تبين لنا أن مهمة الرسول ﷺ، هي تبليغ ما يوحى إليه من ربه، فلا يجوز للرسول أن يضيف أحكاماً فوق =أحكام القرآن، فمهمته تنحصر في

وهذه أدلة من القرآن والسنّة وأقوال العلماء مؤيدة لاستنباط ابن باديس، من أنّ ما يقوله الرسول ﷺ مثل ما يقوله الله عز وجلّ في وجوب الإيمان و الطاعة والامتثال، وأنّ طاعة الرسول ﷺ طاعة لله عز وجلّ، و فيها جواب وردّ ونسف لشبه "القرآنيون".

قال تعالى: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ﴾ (النساء: ٨٠).

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾ (النساء: ٥٩)

﴿ قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيۡكُم مَّا حُمِّلۡتُمۡۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴾ (النور: ٥٤).

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ ﴾ (محمد: ٣٣).

﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾ (الحشر: ٧).

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه "إعلام الموقعين" في تفسير قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ ﴾ (النساء: ٥٩): (﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ ﴾ فأمر تعالى بطاعته وطاعة رسوله وأعاد الفعل – أي قوله: وأطيعوا الرسول– إعلاماً بأن طاعة الرسول تجب استقلالاً من غير عرض ما أمر به على الكتاب، بل إذا أمر وجبت طاعته مطلقاً سواء كان ما أمر به في الكتاب أولم يكن فيه... فإنه ﷺ أوتي الكتاب ومثله معه... ولم يأمر بطاعة أولي الأمر استقلالاً بل حذف الفعل –أي وأطيعوا... ولم يقل: وأطيعوا أولي الأمر منكم–

تبليغ القرآن وتبيينه للناس، وتنتهي هذه المهمة بوفاته)، ويقول أيضاً في كتابه "دفاع عن الرسول ضد الفقهاء والمحدثين" (ص١٢٩): (الروايات المنسوبة للرسول، والتي تضيف على لسانه أحكاماً جديدة، وتخترع أحكاماً لا وجود لها في القرآن تضع الرسول في دائرة المشرع). ينظر: كتاب رد شبهات حول عصمة النبي ﷺ في ضوء السنة النبوية الشريفة لعماد السيد محمد إسماعيل الشربيني، رسالة دكتواره من جامعة الأزهر، كلية أصول الدين بالقاهرة، قسم الحديث وعلومه (ص٥٠٣–٥٠٤).

وجعل طاعتهم في ضمن طاعة الرسول إيذاناً بأنهم يطاعون تبعاً لطاعة الرسول، فمن أمر منهم بطاعة رسول الله وجبت طاعته ومن أمر بخلاف ما جاء به الرسول فلا سمع ولا طاعة ،كما صح عنه ﷺ أنه قال: ((لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق[١])) [٢].

وقال الشوكاني رحمه الله في قوله تعالى ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾: (فهذه الآية فيها الإيجاب على العباد بالائتمار بما أمر به الرسول ﷺ والأخذ به، والانتهاء عما نهى عنه ﷺ وتركه...وقال في قوله تعالى ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾: (ففي هذه الآية أنَّ طاعةَ الرسول طاعةٌ لله، ويُستفاد من جميع ما ذكرناه: أنَّ ما أمر به رسول الله ﷺ ونهى عنه كان الأخذ به واتباعه واجباً بأمر الله سبحانه، وكانت الطاعة لرسول الله في ذلك طاعة لله، وكان الأمر من رسول الله أمراً من الله)[٣].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله: (وقد أمر الله بطاعة رسوله ﷺ في أكثر من ثلاثين موضعا من القرآن، وقرن طاعته بطاعته، وقرن بين مخالفته ومخالفته، كما قرن بين اسمه واسمه فلا يذكر الله إلا ذكر معه)[٤].

وهذه أدلة من السنّة النبوية على هذا الاستنباط.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله))[٥].

---

(١) مسند الإمام أحمد (٣٣٣/٢ رقم١٠٩٤)، وسنن الترمذي (٢٦١/٣ رقم١٧٠٧)، والمعجم الكبير للطبراني (١٧٠/١٨ رقم٣٨١)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير وزياداته (١٢٥٠/٢ رقم٧٥٢٠).

(٢) إعلام الموقعين (٣٩/١).

(٣) شرح الصدور بتجريم رفع القبور (ص١٠).

(٤) مجموع الفتاوى (١٠٣/١٩).

(٥) البخاري في كتاب الأحكام، باب قول الله تعالى: {وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم} [النساء: ٥٩] (٦١/٩ رقم٧١٣٧)، وفي كتاب الجهاد والسير، باب يقاتل من وراء الإمام ويتقى به (٥٠/٤رقم٢٩٥٧)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية (٤٦٦/٣ رقم١٨٣٥) وغيرهما.

وقال أمية بن عبد الله بن خالد[١] -رحمه الله- لعبد الله بن عمر رضي الله عنهما: ((إنا نجد صلاة الحضر وصلاة الخوف في القرآن، ولا نجد صلاة السفر في القرآن؟، فقال عبد الله: يا ابن أخي، إن الله عز وجل بعث إلينا محمداً ﷺ ولا نعلم شيئاً، فإنما نفعل كما رأينا محمداً ﷺ يفعل))[٢].

وفي كتاب أبي بكر الصديق ﷺ إلى أنس ﷺ لما بعثه إلى البحرين -وهو كتاب طويل في بيان فرائض الزكاة- وفي مقدمته: ((بسم الله الرحمن الرحيم هذه فريضة الصدقة التي فرض رسول الله ﷺ على المسلمين، والتي أمر الله بها رسوله... الحديث))[٣].

فهذه أدلة الكتاب والسنة وأقوال أهل العلم، دالة على أنّ سنّة النبيّ ﷺ مصدر من مصادر التشريع، وأنّه يجب الإيمان بها والامتثال لها والعمل بها.

وقد أشار أبو السعود إلى أن في الآية التفات و تلوين خطاب، كما ذكر ابن باديس، ولكنّه لم يبيّن نكتته وفائدته البلاغية.

قال رحمه الله في قوله تعالى ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ (الذاريات: ٥٠): (مقدر لقول خوطب به النبي ﷺ بطريق التلوين)[٤].

وأشار كذلك الإمام الرازي -رحمه الله- إلى أن في الكلام تنويع وتحويل، ولكن لم يستنبط فائدته الخاصة في هذا الموضع، فقد أشار إشارة فقط إلى فائدته العامة، وهو أن لتحويل الكلام واختلافه تأثير على السامعين.

---

(١) هو أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد ابن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس القرشي الأموي، أحد الأشراف، ولي إمرة خراسان لعبد الملك بن مروان، وحدّث عن ابن عمر، توفي سنة ٨٧هـ. سير أعلام النبلاء (٢٧٢/٤).

(٢) مسند الإمام أحمد (٤٩٥/٩ رقم ٥٦٨٣)، سنن ابن ماجه كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب تقصير الصلاة في السفر (٣٣٩/١ رقم ١٠٦٦)، سنن النسائي كتاب تقصير الصلاة في السفر (١١٧/٣ رقم ١٤٣٤)، صحيح ابن حبان (٣٠١/٤ رقم ١٤٥١)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح وضعيف ابن ماجه (٦٦/٣رقم ١٠٦٦)، وفي صحيح وضعيف النسائي (٧٨/٤ رقم ١٤٣٤).

(٣) البخاري في كتاب الزكاة، باب زكاة الغنم (١١٨/٢ رقم ١٤٥٤)، سنن ابن ماجه كتاب الزكاة، باب إذا أخذ المصدق سنا دون سن أو فوق سن (٥٧٥/١ رقم١٨٠٠)، وصحيح ابن حبان (٥٧/٨ رقم ٣٢٦٦) وغيرهم.

(٤) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (١٤٣/٨).

قال –رحمه الله: (في تنوع الكلام فائدة وبيانها هو أن الله تعالى قال: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱلۡأَرۡضَ فَرَشۡنَٰهَا فَنِعۡمَ ٱلۡمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ (الذاريات: ٤٧ – ٤٩) ثم جعل الكلام للنبي عليه السلام وقال: ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴾ ولم يقل ففروا إلينا، وذلك لأن لاختلاف الكلام تأثيرا، وكذلك لاختلاف المتكلمين تأثيرا، ولهذا يكثر الإنسان من النصائح مع ولده الذي حاد عن الجادة، ويجعل الكلام مختلفا، نوعا ترغيبا ونوعا ترهيبا، وتنبيها بالحكاية، ثم يقول لغيره تكلم معه لعل كلامك ينفع، لما في أذهان الناس أن اختلاف المتكلمين واختلاف الكلام كلاهما مؤثر، والله تعالى ذكر أنواعا من الكلام وكثيرا من الاستدلالات والآيات وذكر طرفا صالحا من الحكايات، ثم ذكر كلاما من متكلم آخر هو النبي ﷺ، ومن المفسرين من يقول تقديره فقل لهم ففروا)[1].

والذي ذكره الرازي هنا هو الفائدة العامة التي تذكر لكل التفات ولكل تنويع وتلوين خطاب في أي موضع كان، ولكن البلاغيين ذكروا أن كل التفات يختص بلطائف ونكات وأسرار وحكم في الموضع الذي وقع فيه، زيادة على الفائدة العامة التي تشترك فيها جميع الالتفاتات.

وقد أشار كذلك ابن عاشور إلى هذه الفائدة العامة لهذا التلوين في الخطاب والتغيير في الأسلوب ، فذكر قريبا ممّا ذكر ابن باديس مع تغيير في العبارة، إلا أنه لم يشر إلى فائدته الخاصة في هذا الموضع الذي ورد فيه.

قال—رحمه الله: (وقد غير أسلوب الموعظة إلى توجيه الخطاب للنبي ﷺ بأن يقول لهم هذه الموعظة لأن لتعدد الواعظين تأثيرا على نفوس المخاطبين بالموعظة)[2]. والله تعالى أعلم.

---

(١) مفاتيح الغيب (١٨٩/٢٨).

(٢) التحرير والتنوير (٢٧/١٩).

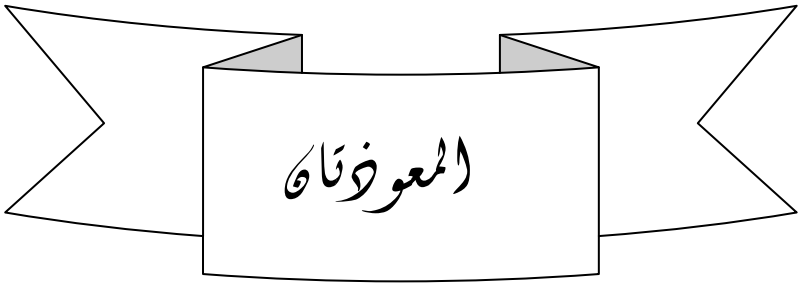
المعوذتان

❖ **الاستنباط السادس والخمسون:**

● **مناسبة ختم القرآن بالمعوذتين (المعوذتان مع القرآن كله).**

قال تعالى: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ (الفلق: ١ – ٥).

وقال تعالى: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴾ (الناس: ١ – ٦).

قال ابن باديس –رحمه الله: (ولهاتين السورتين خصوصية غير المناسبات التي يذكرونها في ارتباط بعض السور بالبعض، ويستخرجون منها بالتدبر ما لا يحصى من الأنواع، وهذه الخصوصية هي ختم القرآن بهما.

فما هي الحكمة في ختم القرآن بهما ؟ وترتيب السور توقيفي، ليس من صنيع جامعي المصحف كما ذكره السيوطي في الإتقان[1] وجماعة.

يستطيع دارس القرآن ومتدبره ومتقلبه، بالذهن المشرق والقريحة الصافية، أن يستخرج من الحكم في هذا الختم بهما أنواعاً.

ولكن أجلاها وأوضحها: أنهما ختم على كنوز القرآن في نفس المؤمن، وتحصين لهذه النعم المنشالة من القرآن عليه أن يكدرها عليه كيد كائد، أو حسد حاسد، فإن من أوتي الشيء الكريم، ورزق النعمة الهنية، هو الذي تمتد إليه أيدي الأشرار وألسنتهم بالسوء، وتقذفه عيونهم بالشرر، وتتطلع إليه نفوسهم بالحسد والبغضاء، ويشتد عليه تكالبهم، سعياً في سلبه منه، أو تكديره عليه.

وبقدر النعمة يكون الحسد، وعلى مقدار نفاسة ما تملك، تكون هدفاً لمكائد الكائدين، وتأتيك البلايا من حيث تدري ولا تدري.

---

(١) الإتقان في علوم القرآن (٢١٩/١).

ومن أوتي القرآن فقد طوي الوحي بين جنبيه، وأتي الخير الكثير، فهو لذلك مرمى أعين الحاسدين، ومهوى أفئدة الكائدين؛ فكان حقيقاً، وقد ختم القرآن حفظاً أو مدارسة أو تلاوة، أن يلتجئ إلى الله طالباً منه الحفظ والتحصين من شر كل كيد وحسد يصيبه على هذا الخير العظيم، الذي كمل له هذه النعمة الشاملة التي تمت عليه، **هذه حكمة**.

والأخرى: هي أن من أوتي القرآن وتفقه فيه، فقد أوتي الحكمة وفصل الخطاب، وأحاط بالعلم من أطرافه، وملك كنزه الذي لا ينفد.

وأن من آفات العلم اغترار صاحبه به، وقد يتمادى به الغرور حتى يسول له أن ما أوتيه من العلم كافٍ في وقايته من الأضرار، ونجاته من الأشرار، فكان من رحمة الله بصاحب القرآن، ولطف تأديبه له، وحسن عنايته به، أن ختم بهاتين السورتين كتابه، لتكونا آخر ما يستوقف القارئ المتفقه، وينبهه إلى أن في العلم والحكمة مسألة لم يتعلمها إلا الآن، وهي: أنه مهما امتد في العلم باعه، واشتد بالحكمة اطلاعه: فإنه لا يستغني عن الله، ولا بد له من الالتجاء إليه والاعتصام به، يستدفع به شر الأشرار وحسد الحاسد، وكفى بهذه التربية قامعاً للغرور، وإنه لشر الشرور.

هذه هي المناسبة العامة بين جميع القرآن مرتباً ترتيبه التوقيفي، وبين هاتين السورتين في اتحاد موضوعهما)[1].

◆ **الدراسة:**

استنبط ابن باديس حكمتين لطيفتين في ختم القرآن بالمعوذتين.

الحكمة الأولى: أنّ من أوتي القرآن فقد أوتي خيرا كثيرا،فهو إذا مرمى أعين الحاسدين، فيدفع هذا الشر عنه بالتعوذ بالله من شرّ كل حاسد.

الحكمة الثانية: أنّ من أوتي القرآن فقد أوتي الحكمة، وأحاط بأصول العلم، فقد يغتر بهذا ويرى نفسه قد استغنى بما عنده من العلم عن اللجاءة إلى الله، فيستغني عن الدعاء واللجاءة إليه في دفع شرّ نفسه وشر كل ذي شر.

---

(١) مجالس التذكير (٢/٣٤٣-٣٤٤-٣٤٥).

وطريق هذا الاستنباط، هو دلالة الإشارة.

وما استنبطه ابن باديس، معنى صحيح، يؤيّده أنّ النبيّ ﷺ استقبلهما فارحا بهما معظما لهما، عاملا بهما، وقد أوصى بعض الصحابة بقراءتهما في دبر كلّ صلاة، فعن عقبة بن عامر قال: ((أمرني رسول الله ﷺ أن أقرأ بالمعوذات في دبر كل صلاة)) (١).

ويتأيد كذلك بما جاء من أحاديث في خصائص وفضل هاتين السورتين.

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((ألم تر آيات أنزلت الليلة لم ير مثلهن قط، قل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس)) (٢).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((كان رسول الله ﷺ إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه فنفث فيهما، فقرأ فيهما: "قل هو الله أحد"، و"قل أعوذ برب الفلق"، و"قل أعوذ برب الناس"، ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات)) (٣).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ ((كان يتعوذ من أعين الجان وعين الإنسان، فلما نزلت المعوذتان أخذ بهما، وترك ما سواهما)) (٤).

---

(١) مسند الإمام أحمد (٦٣٤/٢٨ رقم ١٧٤١٨)، سنن أبي داوود، باب تفريع أبواب الوتر (٨٦/٢ رقم ١٥٢٣)، عمل اليوم والليلة لابن السني، باب ما يقول في دبر صلاة الصبح (١٠٨/١ رقم ١٢٢)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح أبي داوود (٢٥٤/٥ رقم ١٣٦٣).

(٢) مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة المعوذتين (٥٥٨/١ رقم ٨١٤)، والترمذي في كتاب أبواب فضائل القرآن، باب ما جاء في المعوذتين (١٧٠/٥ رقم ٢٩٠٢).

(٣) البخاري في كتاب الطب، باب النفث في الرقية (١٣٣/٧ رقم ٥٧٤٨)، وفي كتاب الدعوات، باب النوم على الشق الأيمن (٦٩/٨ رقم ٦٣١٥)، وأبو داوود في كتاب الأدب، باب ما يقال عند النوم (٣١٣/٤ رقم ٥٠٥٦)، والترمذي في كتاب الدعوات، باب ما جاء فيمن يقرأ القرآن عند المنام (٤٧٣/٥ رقم ٣٤٠٢).

(٤) ابن ماجه في كتاب الطب، باب العين (٢م١١٦٢ رقم ٣٥١١)، والترمذي في كتاب الطب، باب ما جاء في الرقية بالمعوذتين (٤٧٣/٣ رقم ٢٠٥٨) وقال: حديث حسن غريب، والنسائي في كتاب الاستعاذة، باب الاستعاذة من عين الجان (٢٧١/٨ رقم ٥٤٩٤)، وشعب الإيمان فصل في فضائل السور والآيات (١٥٨/٤ رقم ٢٤٢٧)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح وضعيف سنن النسائي (٤٩٩/١١).

ووجه الدلالة من هذه الأحاديث في فضل المعوذتين على شهادتها للاستنباط، هو لِما فيها من اندفاع شر الحسد وشر وسوسة الإنس والجن، وذلك باللجاءة إلى الله عزّ وجل والتعوذ به من هذه الشرور، لمّا كان مرمى لها هذا الذي أوتي هذا الخير العظيم والنعمة الشاملة التي تمت عليه بحفظه وختمه وتفقهه في القرآن العظيم. والله تعالى أعلم

وقد أشار ابن جزي[١] إلى مناسبة ختم القرآن بالمعوذتين، وذكر طرفا مما ذكره ابن باديس.

قال –رحمه الله: (فإن قيل: لم ختم القرآن بالمعوذتين وما الحكمة في ذلك؟ فالجواب من ثلاثة أوجه:

الأول: قال شيخنا الأستاذ أبو جعفر بن الزبير[٢]: "لما كان القرآن من أعظم النعم على عباده، والنعم مظنة الحسد فختم بما يطفئ الحسد من الاستعاذة بالله".

الثاني: يظهر لي أن المعوذتين ختم بهما لأن رسول الله ﷺ قال فيهما: ((أنزلت عليّ آيات لم ير مثلهن قط))، كما قال في فاتحة الكتاب: ((لم ينزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الفرقان مثلها))[٣]، فافتتح القرآن بسورة لم ينزل مثلها، واختتم بسورتين لم

---

(١) هو محمد بن أحمد بن محمد بن جزي الكلبي، من أهل غرناطة، كان فقيها حافظا، مشاركا في فنون كثيرة، توفي سنة ٧٥٣هـ، من كتبه: "القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية"، "تقريب الوصول إلى علم الأصول"، "التسهيل لعلوم التنزيل" وغير ذلك. ينظر ترجمته في: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لابن فرحون (٢٧٤/٢)، الأعلام للزركلي (٣٢٥/٥).

(٢) هو أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير بن الحسن الثقفي العاصمي الغرناطي، كان محدِّث الأندلس والمغرب في زمانه، قال عنه ابن الخطيب: "كان خاتمة المحدِّثين، وصدور العلماء المقرئين..."، إليه انتهت الرياسة بالأندلس في صناعة العربية، وتجويد القرآن، ورواية الحديث، له تصانيف كثيرة منها: "البرهان في تناسب سور القرآن"، و"صلة الصلة" لابن بشكوال، و"ملاك التأويل في المتشابه اللفظ في التنزيل"، و"شرح الإشارة للباجي" في أصول الفقه وغيرها، توفي بغرناطة سنة ٧٠٨هـ. انظر ترجمته في: "الإحاطة في أخبار غرناطة" لابن الخطيب (ت ٧٧٦هـ) (٧٢/١)، و"الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب" لابن فرحون اليعمري (ت ٧٩٩هـ) (١٨٨/١)، و"ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد" لمحمد بن أحمد بن علي الحسني الفاسي (ت ٨٣٢هـ) (٢٨٩/١).

(٣) رواه الإمام أحمد (٣١٣/١٤ رقم ٨٦٨٣)، ونصه عنده: عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: ((ألا أعلمك سورة ما أنزل في التوراة، ولا في الزبور، ولا في الإنجيل، ولا في القرآن مثلها؟، قلت: بلى قال: فإني أرجو أن لا أخرج من ذلك الباب حتى تعلمها، ثم قام رسول الله، فقمت معه، فأخذ بيدي فجعل يحدثني

ير مثلهما، ليجمع حسن الافتتاح والاختتام، ألا ترى أن الخطب والرسائل والقصائد وغير ذلك من أنواع الكلام إنما ينظر فيها إلى حسن افتتاحها واختتامها.

الوجه الثالث: يظهر لي أيضا أنه لما أمر القارئ أن يفتتح قراءته بالتعوذ من الشيطان الرجيم، ختم القرآن بالمعوذتين ليحصل الاستعاذة بالله عند أول القراءة وعند آخر ما يقرأ من القراءة، فتكون الاستعاذة قد اشتملت على طرفي الابتداء والانتهاء، وليكون القارئ محفوظا بحفظ الله الذي استعاذ به من أول أمره إلى آخره)[1].

والوجه الأول – الذي نقله عن شيخه أبي جعفر– هو الذي توافق فيه مع ابن باديس. والله تعالى أعلم.

حتى بلغ قرب الباب، قال: فذكرته، فقلت: يا رسول الله، السورة التي قلت لي؟ قال: فكيف تقرأ إذا قمت تصلي؟ فقرأ بفاتحة الكتاب، قال: هي، هي، وهي السبع المثاني، والقرآن العظيم الذي أوتيت بعد))، قال محققه شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح، وأخرجه الدارمي في سننه (٢١٢٤/٤ رقم ٣٤١٦)، والنسائي في السنن الكبرى (١٠٨/١٠ رقم ١١١٤١)، وابن خزيمه في صحيحه (٢٥٢/١ رقم ٥٠٠)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (١١٩١/٢ رقم ٧٠٧٨٩).

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٥٣٠/٢).

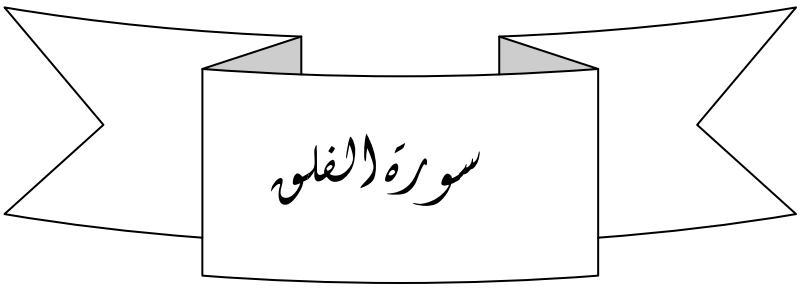
سورة الفلق

❖ **الاستنباط السابع والخمسون:**

● **السرُّ والنكتة البلاغية في إضافة لفظة الفلق إلى اسم الله تعالى "ربّ".**

قال تعالى: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾ (سورة الفلق: ١).

قال ابن باديس رحمه الله: (ومواقع هذه الألفاظ التي تضاف إلى كلمة "ربّ" في القرآن، كمواقع أسماء المخلوقات التي أقسم بها الله، كلاهما عجيب معجز، فكل لفظة تستعمل في المقام الذي يناسبها وتناسبه، وكل لفظة تبعث في الأسلوب الذي وقعت فيه متانة وقوة، وفي معناها وضوحاً وجلاء، وسرُّ إضافة الفلق إلى "رب" هنا: أن الفجر بمعناه العرفي هو تشقق الظلمة عن النور، فإن الليل يكون مجتمع الظلمات مسدول الأوراق، فإذا جاء الصبح حصل الانفراق، والذي يبقى بعد ذلك الانفلاق هو النور الذي نفى الظلمة، ولا ينفي ظلمات الشر والضلال والباطل إلاّ أنوار الخير والهدى والحق من خالقها وفالق أنوارها)[١].

◆ **الدراسة:**

استنبط ابن باديس رحمه الله من هذه الآية،سرّا ومناسبة بلاغية في إضافة لفظة الفلق إلى "الربّ" هنا في هذا المقام، بعثت متانة وقوة في الأسلوب التي وقعت فيه، ووضوحا وجلاء للمعنى الذي أدّته، حتى عُدّ هذا من إعجاز القرآن البياني.

وطريق هذا الاستنباط، هي الدلالة اللغوية المتمثلة في اقتران لفظة "الفلق" وإضافتها إلى كلمة "ربّ" في هذا الموطن، فبعثت هذا السرّ البياني والإعجاز البلاغي.

ووجه هذا الاستنباط، هو أنّ رَبّ الناس ومربيهم وسائقهم إلى ما يكمل وجودهم، هو الذي تنكشف لعلمه سرائرُهم، والفلق نور يكشف للعيان كل المبصرات فترى على حقائقها ومقاديرها، لا يزيغ البصر في شيء منها ولا يطغى، والإنسان مهما يكن عالما فقد تخفى عليه حقائق من المعقولات فيزيغ فكره ويطغى)[٢].

---

(١) مجالس التذكير (٢/٣٥٠).

(٢) نفس المرجع (٢/٣٥٢).

وما استنبطه ابن باديس هنا معنى صحيح لأمور:

- أن مسلك انتزاعه سليم، ووجهه بيّن واضح.
- أنه استنباط مبني على تفسير صحيح راجح، وهو أن الفلق هنا في الآية معناه "الصبح".
- أن الأكثرين من المفسرين[١] فسروا "الفلق" بالصبح، كما قال الرازي: (ذكروا في الفلق وجوها: أحدها أنه الصبح وهو قول الأكثرين)[٢].
- أن تفسيره عليه ما يدل من كلام العرب كما في مسائل نافع ابن الأزرق[٣] لابن عباس قال: ((أخبرني عن قوله تعالى: ﴿ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾ قال: الصبح إذا انفلق من ظلمة الليل، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت قول لبيد بن ربيعة [٤]:

الفَارِجُ الهَمَّ مَبْذُولٌ عَسَاكِرُهُ كَمَا يُفَرِّجُ ضَوْءَ الظُّلْمَةِ الفَلَقُ[٥]

---

(١) ينظر: تفسير عبد الرزاق الصنعاني (٤٠٨/٣)، معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣٧٩/٥)، تفسير الطبري (٢٤/٧٠٢)، تفسير السمعاني (٣٠٥/٦)، مفاتيح الغيب (٣٧١/٣٢)، ابن عباس ومسائل ابن الأزرق لمنير عرفة (ص٤٤).

(٢) مفاتيح الغيب (٣٧١/٣٢).

(٣) هو نافع بن الأزرق الحروري، من رؤوس الخوارج وإليه تنسب طائفة الأزارقة، وكان قد خرج في أواخر دولة يزيد بن معاوية، وكان يطلب العلم وله أسئلة عن ابن عباس مجموعة في جزء، أخرج الطبراني بعضها في مسند بن عباس من المعجم الكبير، قتل في جمادى الآخرة سنة ٦٥هـ. لسان الميزان (٢٤٦/٨ رقم ٨٠٨٨).

(٤) هو لبيد بن ربيعة بن مالك، أبو عقيل الهوازني العامري، الشاعر المشهور، وفد على النبي ﷺ فأسلم وحسن إسلامه، قال النبي ﷺ: ((أصدق كلمة قالها الشاعر، كلمة لبيد: ألا كل شيء ما خلا الله باطل، يقال: إن لبيدا عاش مائة وخمسين سنة، وقيل: إنه لم يقل شعرا بعد إسلامه، وقال: أبدلني الله به القرآن، توفي سنة ٤١هـ. تاريخ الإسلام للذهبي (٤٣٦/٢).

(٥) أخرج هذا الأثر الطبراني في معجمه الكبير (٢٤٨/١٠ رقم ١٠٥٩٧)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٨٤/٩ رقم ١٥٥٢٦): رواه الطبراني، وفيه جويبر وهو ضعيف.

- أنّ عليه ما يدلّ من السنة، كما جاء في حديث عائشة رضي الله عنها في وصف رؤيا النبي ﷺ [١].
- أنه موافق لطريقة الشيخ ابن باديس ومنهجه في تفسير مفردات القرآن وألفاظه بأرجح معانيها اللغوية كما بيّن هو ذلك في مقدمة تفسيره[٢].

وقد أشار ابن القيم إلى معنى هذا الاستنباط.

فقال –رحمه الله: (ويسمى الصبح المتصدع عن الظلمة: فلقا وفرقا، يقال: هو أبيض من فرق الصبح وفلقه، وكما أن في خلقه فلقا وفرقا، فكذلك أمره كله فرقان، يفرق بين الحق والباطل، فيفرق ظلام الباطل بالحق، كما يفرق ظلام الليل بالإصباح، ولهذا سمى كتابه "الفرقان" ونصره فرقانا، لتضمنه الفرق بين أوليائه وأعدائه، ومنه فلقه البحر لموسى وسماه فلقا، فظهرت حكمة الاستعاذة برب الفلق في هذه المواضع، وظهر بهذا إعجاز القرآن وعظمته وجلالته، وأن العباد لا يقدرون قدره، وأنه ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ فصلت:٤٢)[٣].والله تعالى أعلم.

---

(١) عن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: ((كان أول ما بدئ به رسول الله ﷺ الرؤيا الصادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح...))، وهذا طرف من حديث طويل رواه البخاري في كتاب بدء الحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ (١/٤ رقم ٣)، وفي أبواب متفرقة من صحيحه برقم (٣٢١٢، ٤٦٧٠، ٤٦٧٢، ٤٦٧٤، ٦٥٨١)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ (١/١٣٩ رقم ١٦٠) وغيرهما.

(٢) انظر: (ص٥٩).

(٣) التفسير القيم لابن القيم (١/٦٢٧).

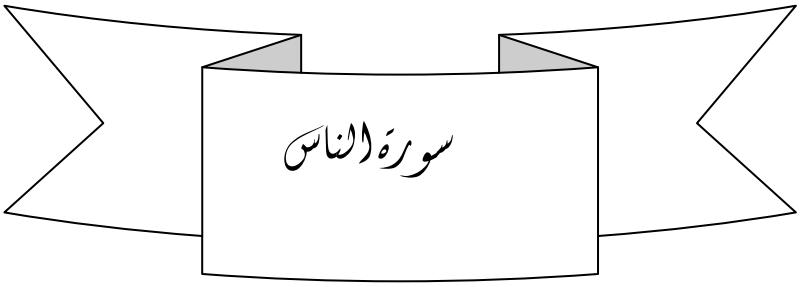
سورة الناس

❖ **الاستنباط الثامن والخمسون:**

• **مناسبة تخصيص الناس بالذكر في "سورة الناس" دون غيرهم من المربوبين.**

قوله تعالى: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ .. ﴾ (الناس: ١).

قال ابن باديس –رحمه الله: (و "الربّ" ربّ الناس وغيرهم، بل ربّ العالمين، وإنما خص الناس بالذكر:

–لأنهم هم هدفه ومرمى وسوسته، ولأنهم هم المأمورون بالاستعاذة منه، ولأن عالم التكليف أشرف، فإليهم يوجه الخطاب، وإليهم يساق التحذير، وهذه الوسوسة نتيجة للعداوة بين أصليهما، فأمْرُ الله بالاستعاذة منها هو تصليح إلهي لبني آدم، لتثبيت سنّة التعمير التي هي حكمة الله من وجودهم.

– ونكتة أخرى في تخصيص الناس بالذكر دون بقية أفراد المربوبين، وهي أنهم هم الذين ينطبق عليهم ناموس الهداية والضلال، وقد ضلوا بالفعل في ربوبية الله وفي ألوهيته، ضلوا في الربوبية باتخاذ المشرعين، ليشرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله، ويصدونهم بذلك عما شرع الله، وضلوا في الألوهية بعبادة غير الله بما لا يعبد به أحد غيره كالدعاء) [1].

◆ **الدراسة:**

استنبط ابن باديس رحمه الله من إضافة "الناس" إلى "ربّ"، دون غيرهم من المربوبين، مناسبتين لطيفتين.

وطريق هذا الاستنباط هو الدلالة اللغوية المتمثلة في إضافة لفظة الناس إلى "ربّ".

(١) مجالس التذكير (٢/٣٧٠).

ووجه دلالة الآية على هذا الاستنباط، هو أنه لمّا اختص الناس بهذه الإضافة إلى "الرب" في هذا الموطن، دون غيرهم من المربوبين،أفادت هذه الإضافة هذه المعاني والنكت اللطيفة التي ذكرت في الاستنباط.

وما استنبطه ابن باديس معنى صحيح، قد اعتضد بموافقته لبعض العلماء.

فقد أشار إلى طرف من هذا الاستنباط ابن جزي.

قال رحمه الله: (إن قيل لم أضاف الرب إلى الناس خاصة وهو رب كل شيء؟ فالجواب أن الاستعاذة وقعت من شر الموسوس في صدور الناس، فخصهم بالذكر لأنهم المعوذين بهذا التعويذ والمقصودون هنا دون غيرهم) (١).

وكذلك الشوكاني، قال: (وإنما قال: "رب الناس" مع أنه رب جميع مخلوقاته للدلالة على شرفهم، ولكون الاستعاذة وقعت من شر ما يوسوس في صدورهم) (٢).

وأشار ابن عاشور إلى طرف من هذه المناسبة.

قال –رحمه الله: (وعرّف "رب" بإضافته إلى الناس دون غيرهم من المربوبين لأن الاستعاذة من شر يلقيه الشيطان في قلوب الناس فيضلون ويضلون، فالشر المستعاذ منه مصبه إلى الناس، فناسب أن يستحضر المستعاذ إليه بعنوان أنه رب من يلقون الشر ومن يلقى إليهم ليصرف هؤلاء ويدفع عن الآخرين كما يقال لمولى العبد: "يا مولى فلان كف عني عبدك") (٣).

❖ **الاستنباط التاسع والخمسون:**

- **النكتة البلاغية في ترتيب أوصاف المُستعاذ به سبحانه وتعالى في النظم القرآني.**

قال تعالى: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦ ﴾ (الناس: ١ – ٦).

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٥٢٩/٢).

(٢) تفسير الشوكاني (٦٤٢/٥).

(٣) التحرير والتنوير (٦٣٢/٣٠).

قال ابن باديس –رحمه الله: (وبلاغة الترتيب، إنما تظهر جلية عند استعراض أطوار الوجود الإنساني.

فالأول: طور التربية والإعداد وهما من مظاهر الربوبية.

والثاني: طور القوة والتدبير وهما من مظاهر الملك.

والثالث: طور الكمال والقيام بوظائف العبودية، وهو من مظاهر الألوهية.

والمستعاذ منه تارة يوسوس للإنسان بما يفسد عليه صلته بربه، وتارة بما يفسد عليه تدبيره وما شرع له لمنفعته وصلاحه، وتارة بما يفسد عليه عبوديته له وهي أشرف علائقه به وأقوى صلاته.

وجماع ذلك أن يبعده عن الله بالوسوسة بواحدة من هذه، أو بكلها وبما يتفرع عنها، فهو جاهد في أن يبعد الناس عن الله، بإفساد العقيدة الصحيحة فيه، أو بالصرف عن شرع الله، أو بالحمل على عبادة غيره، فلذلك كله جاء الترتيب على هذا النمط المذكور بتلك العلائق القوية التي يريد الشيطان أن يقطعها)[1].

◆ **الدراسة:**

استنبط الإمام ابن باديس –رحمه الله– مناسبة لطيفة في ترتيب هذه الألفاظ، "ربّ النّاس، ملك النّاس، إله النّاس" في الذكر، وذلك مراعاة لواقع حال أطوار الوجود الإنساني.

ووجه هذا الاستنباط، هو أن (المستعاذ منه تارة يوسوس للإنسان بما يفسد عليه صلته بربه، وتارة بما يفسد عليه تدبيره وما شرع له لمنفعته وصلاحه، وتارة بما يفسد عليه عبوديته له وهي أشرف علائقه به وأقوى صلاته.

وجماع ذلك أن يبعده عن الله بالوسوسة بواحدة من هذه أو بكلها، وبما يتفرع عنها مما تضمنته الآيات المبينة لأفعال أصل هذه القوة الموسوسة... فهو جاهد في أن يبعد الناس عن الله، بإفساد العقيدة الصحيحة فيه، أو بالصرف عن شرع الله، أو

(١) مجالس التذكير (٢/٣٦٩).

بالحمل على عبادة غيره، فلذلك كله جاء الترتيب على هذا النمط المذكور بتلك العلائق القوية التي يريد الشيطان أن يقطعها)[١].

وقد أشار ابن القيم إلى مناسبة هذا الترتيب في المستعاذ به، وأجاب بمعنى إجابة ابن باديس مع تغير في الصياغة.

قال –رحمه الله: (وأما المستعاذ به فهو الله: "برب الناس، ملك الناس، إله الناس"، فذكر ربوبيته للناس، وملكه إياهم، وإلهيته لهم، ولا بد من مناسبة في ذكر ذلك في الاستعاذة من الشيطان كما تقدم، فذكر أولا معنى هذه الإضافات الثلاث ثم وجّه مناسبتها لهذه الاستعاذة، فنقول:

الإضافة الأولى: إضافة الربوبية المتضمنة لحقهم وتدبيرهم وتربيتهم وإصلاحهم، وجلب مصالحهم وما يحتاجون إليه، ودفع الشر عنهم، وحفظهم مما يفسدهم، هذا معنى ربوبيته لهم، وذلك يتضمن قدرته التامة ورحمته الواسعة، وإحسانه وعلمه بتفاصيل أحوالهم، وإجابة دعواتهم، وكشف كرباتهم.

الإضافة الثانية: إضافة الملك، فهو ملكهم المتصرف فيهم وهم عبيده ومماليكه، وهو المتصرف لهم المدبر لهم كما يشاء، النافذ القدرة فيهم، الذي له السلطان التام عليهم، فهو ملكهم الحق الذي إليه مفزعهم عند الشدائد والنوائب، وهو مستغاثهم ومعاذهم وملجأهم، فلا صلاح لهم ولا قيام إلا به وبتدبيره، فليس لهم ملك غيره يهربون إليه إذا دهمهم العدو، ويستصرخون به إذا نزل العدو بساحتهم.

الإضافة الثالثة: إضافة الإلهية فهو إلههم الحق، ومعبودهم الذي لا إله لهم سواه ولا معبود لهم غيره، فكما أنه وحده هو ربهم ومليكهم لم يشركه في ربوبيته ولا في ملكه أحد، فكذلك هو وحده إلههم ومعبودهم، فلا ينبغي أن يجعلوا معه شريكا في إلهيته، كما لا شريك معه في ربوبيته وملكه، فمن كان ربهم وملكهم وإلههم فهم جديرون أن لا يستعيذوا بغيره، ولا يستنصروا بسواه ولا يلجئوا إلى غير حماه، فهو كافيهم وحسبهم

(١) نفس المرجع السابق والصفحة.

وناصرهم ووليهم، ومتولي أمورهم جميعا بربوبيته وملكه وإلهيته لهم، فكيف لا يلتجئ العبد عند النوازل ونزول عدوه به إلى ربه ومالكه وإلهه؟

فظهرت مناسبة هذه الإضافات الثلاث للاستعاذة من أعدى الأعداء، وأعظمهم عداوة، وأشدهم ضررا، وأبلغهم كيدا)[١].

وقد أشار الرازي إلى طرف من هذه المناسبة.

قال -رحمه الله: (وأيضا بدأ بذكر الرب وهو اسم لمن قام بتدبيره وإصلاحه، وهو من أوائل نعمه إلى أن رباه وأعطاه العقل فحينئذ عرف بالدليل أنه عبد مملوك وهو ملكه، فثنى بذكر الملك، ثم لما علم أن العبادة لازمة له واجبة عليه، وعرف أن معبوده مستحق لتلك العبادة، عرف أنه إله فلهذا ختم به)[٢].

وقد أشار المراغي إلى قريب مما ذكره ابن باديس قال: (وإنما قدم الربوبية لأنها من أوائل نعم الله على عباده، ثم ثنى بذكر المالكية لأن العبد إنما يدرك ذلك بعد أن يصير عاقلا مفكرا، ثم ثلّث بذكر الألوهية لأن المرء بعد أن يدرك ويعقل يعلم أنه هو المستوجب للخضوع والعزة والمستحق للعبادة)[٣].

وقد أشار ابن عاشور إلى مناسبة هذا الترتيب، ولكنه لم يربطه بالاستعاذة من الشيطان كما ربطه ابن باديس، فإن الشيطان يريد أن يقطع على الإنسان هذه العلاقة القوية التي جاءت بهذا الترتيب في السورة كما بيّناه في وجه الاستنباط.

قال -رحمه الله: (وقد رتبت أوصاف الله بالنسبة إلى الناس ترتيبا مدرجا، فإن الله خالقهم، ثم هم غير خارجين عن حكمه إذا شاء أن يتصرف في شؤونهم، ثم زيد بيانا بوصف إلهيته لهم، ليتبين أن ربوبيته لهم وحاكميته فيهم، ليست كربوبية بعضهم بعضا، وحاكمية بعضهم في بعض)[٤].

---

(١) التفسير القيم (٦٥٩/١) وما بعدها.

(٢) تفسير الرازي (٣٧٦/٣٢).

(٣) تفسير المراغي (٢٧٠/٣٠).

(٤) التحرير والتنوير (٦٣٣/٦٣٢/٣٠).

وقد يقال إنّ هناك مناسبة أخرى لطيفة لهذا الترتيب، وهي أن سورة الناس آخر سورة في المصحف، كما أن سورة الفاتحة أول سورة فيه، فرُتبت هذه الأوصاف في آخره كما رُتبت في أوله، فكانت المناسبة أن القرآن الكريم اختتم بما افتتح به من صفات الله عز وجل.

وبيانها أن سورة الناس ذُكر فيها من أسماء الله الحسنى وصفاته العُلا على الترتيب: "الرب" ﴿ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾، ثم "الملك" ﴿ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴾، ثم "الإله" ﴿ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴾.

وسورة الفاتحة مِثلها في هذا الترتيب، فذكر فيها من أسماء الله تعالى وصفاته أولا: "الرب" ﴿ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾، ثم "الملك" ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾، ثم "الإله"، وهو ما اشتمل عليه قوله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾، فكان هذا الترتيب موافقا اختتامه لافتتاحه، فاجتمع للقرآن الكريم حسن الاختتام مع حسن الافتتاح.

و مناسبة هذا الترتيب في النظم الكريم، مراعاة لمعناه في واقع الحال، معجزة من إعجاز القرآن الخالدة. والله تعالى أعلم.

❖ الاستنباط الستون:

- **الأسرار البلاغية في التقديم والتأخير بين الأسماء المتلازمة "الإنس والجن" في القرآن الكريم.**

قال تعالى: ﴿ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴾ (الناس: ٦).

قال ابن باديس –رحمه الله: (ومن دقائق القرآن ولطائفه في البلاغة، أنه يقدم أحد الاسمين المتلازمين في آية، لسرّ من أسرار البلاغة يقتضيها ذلك المقام، ثم يؤخر ذلك المقدَّم في آية أخرى، لسرّ آخر، فيقدم السماء على الأرض في مقام، ويؤخرها عليها في مقام آخر.

ومن هذا الباب تقديم الإنس على الجن في آية الأنعام، لأن معرض الكلام في عداوتهم للأنبياء، وهي من الإنس أظهر، ودواعيها من التكذيب والإيذاء أوضح، وفي آية "الناس" قدم الجِنّة على الناس، لأن الحديث عن الوسوسة، وهي من شياطين الجن أخفى

وأدق، وإن كانت من شياطين الإنس أعظم وأخطر وأدهى وأمر، فشيطان الجن يستخدم شيطان الإنس للشر والإفساد، فيربى عليه ويكون شرا منه، لأنه بمثابة السلاح الذي يفتك به، ورُبّ كلمة واحدة صغيرة يوحيها جنيٌّ لإنسي، ويوسوس إليه بتنفيذها، فتتولد منها فتن، ويتمادى شرها من قرن إلى قرن ومن جيل إلى جيل...)[1].

◆ **الدراسة:**

وطريق هذا الاستنباط، هو الدلالة البلاغية المتمثلة في تقديم الجن على الإنس في هذه السورة.

واعلم أنه ليس في التقديم والتأخير لهذه الأسماء المتلازمة في القرآن قاعدة منضبطة[2]، بحيث نقول: إن هذا الاسم أصل رتبته التقديم على مقابله أو تأخيره عنه، كما هو الحال في أجزاء الجملة، فإن لكل جزء منها له رتبته معروفة في نظام تلك الجملة، حتى إذا تقدم أو تأخر عن مرتبته، قلنا هناك غرض وداع دعا لهذا التغيير في الرتبة، بخلاف هذه الأسماء المتلازمة، فليس لتقديم مثلا الإنس على الجن أو العكس مزية في أصل الوضع، وإنما تتحدّد هذه المزية في الاستعمال في أشباهها ونظائرها من الآيات، فإذا وجدنا أنها تقدمت عنها في موطن وتأخرت في موطن آخر، فهنا ننتبّه لهذا الاستعمال، وأكيد أن لهذا التنويع في الترتيب نكتة بلاغية وسرّا وحكمة.

فإذا كان من سنة العرب في كلامها تقديم ما له الأهمية والعناية، فكذلك القرآن فإنه جارٍ على هذه السنة، لأنه عربي مبين، وأكيد أنّ تقديم الجن على الإنس في سورة الناس وتأخيرها عنها في سورة الأنعام مثلا، لا يخلو من فائدة لطيفة ونكتة بلاغية بديعة اقتضاها ذلك المقام.

وللعلماء في التماس اللطائف والدقائق والمناسبات من تقديم الإنس على الجن وعكسه في القرآن وقفات يحسن إيرادها في هذا الموطن.

---

(١) مجالس التذكير (٢/٣٧٦).

(٢) وقد يقال: إنّ لهذا قاعدة وأصلا، وهو أن المقدم في الوجود، كالأرض والجن، مقدم في الذكر والنظم، هذا هو مقتضى الظاهر، فمتى جاء على خلاف هذا الأصل نظرنا إلى نكتته.

قال الخازن في قوله تعالى ﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ﴾ (الرحمن: ٣٣): (وقدم الجن على الإنس في هذه الآية، لأنهم أقدر على النفوذ والهرب من الإنس وأقوى على ذلك)[١].

وقال أبو حيان في قوله تعالى ﴿ قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِۖ كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعٗا قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ لِأُولَىٰهُمۡ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابٗا ضِعۡفٗا مِّنَ ٱلنَّارِۖ قَالَ لِكُلّٖ ضِعۡفٞ وَلَٰكِن لَّا تَعۡلَمُونَ ﴾ (الأعراف: ٣٨): (وقدم الجن لأنهم الأصل في الإغواء والإضلال)[٢].

وقال الآلوسي في نفس الآية: (وقدم الجن لمزيد شرّهم)[٣].

وقال النيسابوري في نفس الآية: (وقدم الجن لأن الله تعالى خلق أولا بني الجان منهم مؤمن ومنهم كافر، فلما استولى أهل الكفر منهم بعث إليهم جندا من الملائكة –وقيل: رئيسهم إبليس– فاستأصلوهم ثم خلق آدم وذريته منهم مؤمن ومنهم كافر)[٤].

وقال الشيخ رشيد رضا في نفس الآية: (وقدم الجن لأن شياطينهم مبتدئو الإضلال والإغواء لأبناء جنسهم وللإنس كما تقدم)[٥].

وقال أبو زهرة في قوله تعالى ﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ ﴾ (الأنعام: ١٣٠): (وقدم الجن لأنهم الذين كان منهم الاستغواء، والإنس استجابوا لاستغوائهم، فهم أساس الشر، إذ هم الذين وسوسوا بالشر، وهم الذين دعوا إليه وأغووا به، ولذا قدموا عند اللّوم على إهمال دعوة الرسل أولا، والإنس كان لومهم لأنهم أطاعوهم، فالمضل منزلته في الضلال أقوى من منزلة من استجاب للتضليل اختيارا)[٦].

---

(١) لباب التأويل في معاني التنزيل (٢٢٨/٤).

(٢) البحر المحيط (٤٨/٥).

(٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٣٥٦/٤).

(٤) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٢٣٦/٣).

(٥) تفسير المنار (٣٦٧/٨).

(٦) زهرة التفاسير (٢٦٧٢/١).

وقال في فتح البيان في قوله تعالى ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾(السجدة: ١٣): (وقدم الجن لأن المقام مقام تحقير، ولأن الجهنميين منهم أكثر فيما قيل)[١].

الطريقة الناجعة في الوقوف على النكتة البلاغية، وسرّ هذه الظاهرة الأسلوبية في القرآن.

وفي القرآن الشيء الكثير من هذا القبيل ،كتقديم السموات على الأرض في موطن وتأخيرها عنها في موطن آخر[٢]، وكتقديم الذكور على الإناث والعكس، وغير ذلك من الأسماء المتلازمة والمتقابلة.

يقول ابن الأثير[٣] – مرشدا إلى الطريقة الناجعة في فقه وإدراك نكتة و سرّ هذه الظاهرة الأسلوبية في القرآن: (وإذا رأيت في القرآن شيئًا من هذا القبيل، وما يجري مجراه فتأمله، وأمعن نظرك فيه حتى يتبين لك مكان الصواب منه.

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن لصديق حسن خان (٢٢/١١).

(٢) كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (البقرة: ١٦٤)، وقوله تعالى: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴾ (إبراهيم: ٣٢)، وقوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (الحديد: ٤)، وقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾ (إبراهيم: ٤٨)، وقوله تعالى: ﴿ تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى ﴾ (طه: ٤).

(٣) هو المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، ثم الموصلي، الكاتب، ابن الأثير،كان إماماً في حفظ الحديث ومعرفته وما يتعلق به، وحافظاً للتواريخ المتقدمة والمتأخرة، وخبيراً =بأنساب العرب وأخبارهم وأيامهم ووقائعهم، من كتبه: "الكامل في التاريخ"، و "غريب الحديث"، و"المثل

واعلم أنه إذا كان مطلع الكلام في معنى من المعاني، ثم يجيء بعده ذكر شيئين أحدهما أفضل من الآخر، وكان المعنى المفضول مناسبا لمطلع الكلام، فأنت بالخيار في تقديم أيهما شئت، لأنك إن قدمت الأفضل فهو من التقديم، وإن قدمت المفضول فلأن مطلع الكلام يناسبه.

وذكر الشيء مع ما يناسبه أيضًا واردٌ في موضعه، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ (الشورى: ٤٩ - ٥٠) فإنه إنما قدم الإناث على الذكور من تقدمهم عليهن، لأنه ذكر البلاء في آخر الآية الأولى، وكفران الإنسان بنسيانه للرحمة السابقة عنده، ثم عقب ذلك بذكر ملكه، ومشيئته وذكر قسمة الأولاد فقدم الإناث، لأن سياق الكلام أنه فاعل ما يشاء لا ما يشاؤه الإنسان، فكان ذكر الإناث اللاتي هن من جملة ما لا يشاؤه الإنسان ولا يختاره أهمَّ، والأهمُّ واجب التقديم، وليَلِيَ الجنس الذي كانت العرب تعدُّه بلاءً، ذَكَرَ البلاء، ولما أخّر ذِكر الذكور وهم أحقّاء بالتقديم، تدارك ذلك بتعريفه إيّاهم، لأن التعريف تنويه بالذكر، كأنه قال: "يهب لمن يشاء الفرسان الأعلام المذكورين الذين لا يخفون عليكم"، ثم أعطى بعد ذلك كلا الجنسين حقه من التقديم والتأخير، وعُرف أن تقديم الإناث لم يكن لتقدمهنّ، ولكن لمقتضٍ آخر، فقال: ﴿ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ﴾ وهذه دقائق لطيفة قلّ من ينتبه لها، أو يعثر على رموزها)[1].

وهذا الذي ذكره ابن الأثير-رحمه الله-هو ضابط وقاعدة لطيفة دقيقة، يعرف بها وجه التقديم والتأخير بين الأسماء المتلازمة والمتقابلة في نظم القرآن الكريم.

والله تعالى أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه تسليما كثيرا.

السائر في أدب الكاتب والشاعر" وغيرها. ينظر ترجمته في: وفيات الأعيان (٣٤٨/٣)، وسير أعلام النبلاء (٤٨٨/٢١)، وطبقات الشافعية الكبرى (٣٦٦/٨).

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير (٤٥/٢).

الخاتمة

الخاتمة

❑ النتائج:

الحمد لله الذي وفقني على إتمام هذا البحث بمنّه وفضله وتوفيقه.

وهذا عرض مجمل في نقاط، لنتائج ما اجتنته هذه السفرة المباركة والتجوال في رحاب «**مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير**» لابن باديس رحمه الله:

◆ تنوعت استنباطات ابن باديس لتنوع علومه وثقافته، فشملت مجالات عدّة: عقدية، وأصولية، وفقهية، وتربوية تعليمية، ودعوية، وسياسة شرعية، وإعجازية، وعلوم قرآن، ومناهج قرآنية.

◆ تنوعت دلالات الاستنباط وطرقه عند ابن باديس في تفسيره، فكانت ما بين دلالات بلاغية، وأصولية، وسياقية، واقتران.

◆ تنوعت أقسام استنباطات ابن باديس من حيث الإفراد والتركيب، ومن حيث الظهور والخفاء، فكانت منها: الاستنباطات من آية واحدة، والاستنباطات من آيتين فأكثر، وكان منها: الاستنباطات الظاهرة، والاستنباطات الخفية.

◆ سلك ابن باديس – رحمه الله – طريقة مميّزة في عرضه الاستنباط، نستطيع أن نلخصها في النقاط التالية:

-يصرّح في بعض المواطن بالاستنباط، فيأتي بالمعنى المستنبَط تحت عنوان "استنباط"، وهذا في ستة مواطن من تفسيره.

-يوجه-أحيانا- القول الذي بنى عليه استنباطه.

-يُعَنْوِن للاستنباط الذي يذكره، وذلك في غالب استنباطاته.

-يورد-أحيانا-الاستنباط على شكل سؤال وجواب، أو إيراد وجوابه، أو إشكال وجوابه.

-يذكر-أحيانا- طريق ووجه دلالة الاستنباط.

-يردُّ الإشكالات والإيرادات على الاستنباط، في بعض الأحيان .

-ينزّل الاستنباط- غالبا- على الواقع، وذلك بتطبيقه على أحوال المسلمين اليوم.

◆ لم تتعرض استنباطات ابن باديس إلى انتقادات إلا في موطن واحد، وكان الحق فيها مع ابن باديس[١].

◆ يعتبر ابن باديس – رحمه الله – بمنهجه وطريقته في الاستنباط، من أعظم المفسرين المعاصرين الذين كشفوا عن مضامين الآية وأسرارها.

◆ تُعدّ استنباطات ابن باديس علاجا لأمراض المجتمعات المسلمة وغير المسلمة، وتصحيحا لمفاهيم خاطئة، وردّا لطعون واعتراضات وشبهات حول القرآن، وتربيةً على حسن فهم القرآن، ودعوةً إلى تدبره والعمل به.

◆ إن الظاهرة الواضحة التي تميزت بها شخصية ابن باديس من خلال تفسيره، هي النقد المنهجي لكل الأساليب والمناهج والطرق العلمية والعملية التي تخالف أسلوب القرآن ومنهجه وطريقته وتعليمه.

◆ عَدّ ابن باديس رَدّ الشبهات والطعون ودفع الاعتراضات والإشكالات، وسوء الفهم عن آي القرآن، نوعا وقسما من علوم القرآن، قال –رحمه الله: (وهذا قسم عظيم جليل من علوم القرآن يتحتم على رجال الدعوة والإرشاد أن يكون لهم به فضل عناية، ومزيد دراية وخبرة) [٢]، وهو بهذا يضيف علما جديدا إلى علوم القرآن.

◆ إن استنباطات ابن باديس في تفسيره، موافقة لشروط الاستنباط، وأنها تهدف إلى مقصد عام واحد، وهو الاهتداء والاقتداء بالقرآن وبمنهج القرآن في كل شيء، وأن كثيرا منها موافق عليه مع غيره، أو قريب منه، أو في طرف منه.

◆ إن الاستنباط الصحيح ما كان مبنيًّا على تفسير صحيح وفهم صحيح.

---

(١) ينظر (ص١٣٩)

(٢) مجالس التذكير (٦٢/٢).

◆ إنه قد يطلق التفسير ويراد به بيان معاني ظاهر الألفاظ وباطنها معا، أي يشمل الاستنباط كذلك، وهذا مما لمسته من كلام المفسرين والذين تكلموا في علوم القرآن، فإنهم يعرّفون التفسير تعريفا لم يتقيّدوا فيه بحدود المناطقة، فلا يمنع من دخول معنى الاستنباط فيه.

◆ إن لفظ الاستنباط لم يكن شائعا في كلام المتقدمين كمصطلح له تعريفه واصطلاحه الذي يميّزه عن التفسير، وإنما يستعملون مصطلح التأويل، لهذا تجدهم يقولون الفرق بين التفسير والتأويل، والمقصود به هنا الاستنباط، لأنه هو الذي يقابل التفسير.

◆ إن هناك علاقة بين التفسير والاستنباط، وهي العموم والخصوص الوجهي بأن يجتمعان معا في مادة وهي البيان والإظهار لمعاني القرآن، ويفترق كل واحد منهما بمادة، وهو أن التفسير ينفرد ببيان المعاني الظاهرة من منطوق اللفظ، والاستنباط ينفرد ببيان المعاني من باطن اللفظ، وأن كلاهما من ثمرة علوم القرآن.

◆ إن الاستنباط ضروري في الأمة، لأن النصوص الشرعية ألفاظها متناهية، والحوادث غير متناهية، ولابد من معرفة حكم الله في كل حادثة، ومحال أن يخلو القرآن عن بيان، فكان في الاستنباط بيان.

◆ إن الاستنباط من القرآن له أصل في الشرع، من الكتاب والسنة وأئمة السلف، وأنه ليس من الرأي المنهيّ عنه في الحديث ((من قال في القرآن برأيه، وأصاب فقد أخطأ))[1]، وأن أهله ممدوحون.

◆ إن المعاني المستنبطة من الآية لا حدّ لها، وأنها لا تتزاحم إلا إذا تعارضت.

◆ إن العلماء – رحمهم الله – وضعوا شروطا للاستنباط، يعرف بها المقبول من المردود.

◆ إن العلاقة بين المستنبِط والمعنى المستنبَط وعملية الاستنباط، علاقة متداخلة متكاملة، يمزج فيها إخلاص العبد وتوفيق الله له، وصحة الطريق والفهم الحسن، مع الشروط التي يجب توفرها في المستنبِط والمعنى المستنبَط.

---

(١) تقدم تخريجه: ينظر ملخص الرسالة (ص٤).

التوصيات:

◆يوصي الباحث بقراءة تفسير ابن باديس«**مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير**» والاعتناء به، فإنه وإن كان تفسيرا لآيات متفرقات، من سور متفرقات من القرآن، إلا أنّه يعطي لقارئه منهجا فريدا، وطريقة بديعة في فهم القرآن وتفسيره والاهتداء به، مع تحبيبه للنفس، وزيادة اليقين به، واكتساب ملكة الاستدلال به، وتصويب النظر فيه.

◆ يوصي كذلك بتنقيح كتب التفسير من الاستنباطات الباطلة التي لم تتوفر فيها شروط الاستنباط.

◆ إذا كان قد قال الأوائل: (إن علوم القرآن خمسون علماً وأربعمائة علم، وسبعة آلاف، وسبعون ألف علم على عدد كلم القرآن، مضروبة في أربعة، إذ لكل كلمة منها ظاهر وباطن، وحد ومطلع) [1]، ومعلوم أنّ هذه العلوم ليست كلها مدوّنة، فعلى المتخصص في التفسير وعلوم القرآن أن يرفع همّته ويشوّق نفسه، ويخلص في طلبه، ويطلب من ربّه التوفيق، فيقبل على دراسة كتب التفسير لاستخراج بعض علوم القرآن منها، ويقبل على تدبّر القرآن، بعد أن يحكم ظاهر تفسيره، عسى الله أن يفتح عليه، فإنّ الفهم في القرآن عطاء من الله تعالى، فيستنبط بعضا من هذه العلوم ما ينفع به أهل تخصصه، ويكون له عملا موصولا بعد موته.

◆ على جامعة أم القرى المباركة، ممثلة في كلية الدعوة وأصول الدين – ويكون لها شرف السبق – أن تكلّف أو ترغّب جماعة بجمع كل ما كتب في موضوع الاستنباط من رسائل علمية وأبحاث حرّة، جمعا تُستخلص فيه زبدة فوائد هذه الأبحاث في هذا العلم، من قواعد وشروط وضوابط، وطرق دلالات... الخ، لكي يكون مَعْلما واضحا لهذا العلم الجليل، ومقرَّرا مرشدا لطلبة السنة المنهجية.

والله تعالى أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب، وصلى الله على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيراً.

(١) قانون التأويل لابن العربي (ص ٥٤٠).

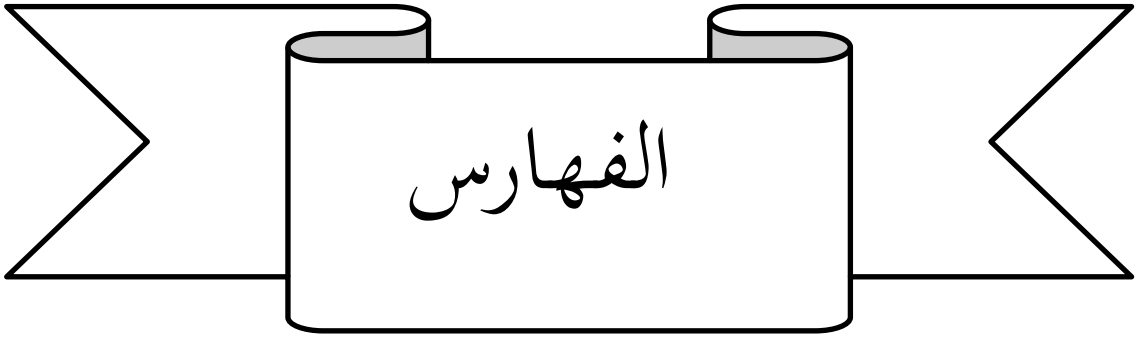
الفهارس

الفهارس العلمية

وتشتمل على:

- ❖ فهرس الآيات القرآنية
- ❖ فهرس الأحاديث النبوية
- ❖ فهرس الآثار
- ❖ فهرس الاستنباطات
- ❖ فهرس الشعر
- ❖ فهرس الغريب
- ❖ فهرس الفرق والمذاهب
- ❖ فهرس الأعلام
- ❖ فهرس المصادر والمراجع
- ❖ فهرس الموضوعات

الآية	السورة و الرقم	الصفحة
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾	(البقرة: ٢١)	٣٠٨
﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٤٠﴾ ﴾	(البقرة: ٤٠)	١٣٥
﴿ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَانٗا ﴾	(البقرة:٨٣)	١٧٦
﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآ ﴾	(البقرة: ١١٤)	٢٦٠
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾	(البقرة: ١٥٣)	٢٥٣
﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾	(البقرة: ١٥٥)	٢٥٣
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ ﴾	(البقرة: ١٧٢)	١٢٨، ٢٣٩
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾	(البقرة: ١٨٣)	١٣٥، ٢٧١
﴿ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِ ﴾	(البقرة: ١٨٧)	٣٠٣
﴿ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡ ﴾	(البقرة: ١٩٨)	٢٧٠
﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡيَتَٰمَىٰۖ قُلۡ إِصۡلَاحٞ لَّهُمۡ خَيۡرٞۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡۚ ﴾	(البقرة: ٢٢٠)	١٩١
﴿ وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِۖ لِمَنۡ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ﴾	(البقرة: ٢٣٣)	٢٨٠، ٢٣٠
﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا عَرَّضۡتُم بِهِۦ مِنۡ خِطۡبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوۡ أَكۡنَنتُمۡ فِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ ﴾	(البقرة: ٢٣٥)	٢٧٢

الآية	السورة و الرقم	الصفحة
﴿ حَـٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ ﴾	(البقرة: ٢٣٨)	٢١١
﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى ﴾	(البقرة: ٢٤٩)	٢٥٣
﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ ﴾	(البقرة: ٢٥١)	١٦١
﴿ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ﴾	(آل عمران: ٣٨)	١٨٩
﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾	(آلعمران: ٢٠٠)	٢٥٤
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾	(النساء: ١٠)	١٩١
﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾	(النساء: ١٧)	٢٧٤
﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ﴾	(النساء: ٣٦)	١٧٣، ١٧٦
﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا ﴾	(النساء: ٦٥)	٢٤٩
﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴾	(النساء: ٨٢)	٩٩، ٢٩٠
﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾	(النساء: ٨٣)	٧٣، ٧٤
﴿ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى	(النساء: ١٠٠)	٢٩١

الآية	السورة و الرقم	الصفحة
ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾		
﴿ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ ﴾	(المائدة: ١٥)	٨٧، ١٣٤، ١٣٦
﴿ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾	(المائدة: ١٩)	١٠٦، ٣١٨
﴿ قَالَ يَـٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَـٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّـٰدِمِينَ ﴾	(المائدة: ٣١)	٢٨٨
﴿ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾	(المائدة: ٩١)	٢٥٢
﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَـٰهُم بَغْتَةً ﴾	(الأنعام: ٤٤)	١٦١
﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا ﴾	(الأنعام: ٥٩)	٣٠١
﴿ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾	(الأنعام: ٧٣)	٣٠١
﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَـٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْـَٔـٰفِلِينَ ﴾	(الأنعام: ٧٦)	٣٠٦
﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَـٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَـٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾	(الأنعام: ٨٣)	٣٠٦
﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَـٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ ﴾	(الأنعام: ١١٢)	٢٥٩
﴿ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾	(الأعراف: ٣٢)	١٦٨

الآية	السورة و الرقم	الصفحة
﴿ قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِۖ كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ ﴾	(الأعراف: ٣٨)	٣٥٨
﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ ﴾	(الأعراف: ١٢٨)	٢٢٧، ٢٣٠
﴿ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖ ﴾	(الأعراف: ١٥٦)	١٦٨
﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ ﴾	(الأعراف: ١٨٨)	٢٠٧
﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ ﴾	(الأنفال: ٥٣)	١٦١
﴿ إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ ﴾	(التوبة: ١٨)	٢٦٠
﴿ وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَمَّا ظَلَمُواْ ﴾	(يونس: ١٣)	١٦١
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾	(يونس: ٥٧)	١٨٧
﴿ تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَاۖ فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾	(هود: ٤٩)	٣٠٠
﴿ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ﴾	(هود: ٧١)	١٨٩
﴿ وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ ﴾	(يوسف: ٢٤)	٢٦٨
﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾	(يوسف: ٥٦)	٢٣٢
﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ وَلَنَصۡبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ	(إبراهيم: ١٢)	٢٥٤

الآية	السورة و الرقم	الصفحة
ءَاذَيْتُمُونَا ﴾		
﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ﴾	(إبراهيم:١٣-١٤)	٢٣٠
﴿ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾	(إبراهيم: ٢٥)	١٧٧
﴿ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾	(النحل: ٣٢)	٩٩، ٢٨٩
﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾	(النحل: ٤٤)	٧٤، ٨٧، ١٣٨
﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾	(النحل: ١٢٥)	١٢، ١٤٨
﴿ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً ﴾	(الإسراء: ١٢)	٩٤، ١٥٢
﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾	(الإسراء: ١٥)	١٠٦
﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴾	(الإسراء: ١٨)	٩٥، ١٥٨
﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْأَخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴾	(الإسراء: ١٩)	١٠٨، ١٦٤
﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾	(الإسراء: ٢٠)	١١٧، ١٥٩
﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾	(الإسراء: ٢٣)	١٧٢

الآية	السورة و الرقم	الصفحة
﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ ﴾	(الإسراء: ٢٣)	١٢١
﴿ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ﴾	الاسراء:٢٤	٢١، ١٧٧
﴿ رَّبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمۡۚ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلۡأَوَّٰبِينَ غَفُورٗا ﴾	(الإسراء: ٢٥)	٩٨، ١٨٣
وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ خَشۡيَةَ إِمۡلَٰقٖۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُهُمۡ وَإِيَّاكُمۡۚ إِنَّ قَتۡلَهُمۡ كَانَ خِطۡـٔٗا كَبِيرٗا ﴾	(الإسراء: ٣١)	١٨٨
﴿ وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۚ وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا ﴾	(الإسراء: ٣٤)	١٩٠
﴿ وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ﴾	(الإسراء: ٣٦)	٤٦، ١٩٣
﴿ رَّبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِكُمۡۖ إِن يَشَأۡ يَرۡحَمۡكُمۡ أَوۡ إِن يَشَأۡ يُعَذِّبۡكُمۡۚ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ وَكِيلٗا ﴾	(الإسراء: ٥٤)	٨٦، ١٩٥
﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا ﴾	(الإسراء: ٥٦)	١٢٤، ١٣٠، ٢٠٤، ٢٠٦
﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا ﴾	(الإسراء: ٧٨)	٨٧، ٢٠٨
﴿ وَقُل رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ صِدۡقٖ وَأَخۡرِجۡنِي مُخۡرَجَ صِدۡقٖ وَٱجۡعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا ﴾	(الإسراء: ٨٠)	٢١٣

الآية	السورة و الرقم	الصفحة
﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾	(الإسراء: ٨١)	٢١٧
﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾	(الكهف: ٧)	١٦١
﴿ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ﴾	(مريم: ٤٩)	١٨٩
﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾	(مريم: ٥٩)	٢٦٨
﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾	(طه: ١١٤)	٢٢١
﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾	(الأنبياء: ١٨)	٢١٨
﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ..... ﴾	(الأنبياء: ٨٣-٨٦)	٢٥٤
﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴾	(الأنبياء: ١٠٥)	٢٢٧، ٢٣١
﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾	(الأنبياء: ١٠٧)	٢٣٣، ٣١٨
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ﴾ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴾	(الحج: ٥)	٣٢٧
﴿ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ ﴾	(الحج: ٢٨)	٢٧٠
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾	(المؤمنون: ٥١)	٩٠،

الآية	السورة و الرقم	الصفحة
		١٢٨، ٢٣٦
﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾	(النور:٥٥)	٢٣٠
﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُواْ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ ﴾	النور:٦٢	٩١، ١٢٣، ٢٤٢
﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾	(الفرقان: ١)	٢٤١، ٢٥٠
﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴾	(الفرقان: ٢٠)	١١٦، ٢٥١
﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾	(الفرقان: ٣١)	٤٦، ٢٥٥
﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾	(الفرقان:٣٠)	٤٦، ٢٥٦
﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴾	(الفرقان: ٣٢)	٩٠، ٢٥٦
﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾	(الفرقان: ٣٣)	١٠٠، ٢٢٢
﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴾	(الفرقان: ٥١)	٢٦٢
﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾	(الفرقان: ٥٢)	١٢٣، ٢٦٤

الآية	السورة و الرقم	الصفحة
﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾	(الفرقان: ٦٨)	٨٩، ٢٦٧
﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ ﴾	(الفرقان: ٦٨ —٦٩)	١٠٢، ١١٨، ٢٦٩
﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾	(الفرقان: ٧٠)	٩٨، ٢٧٢
﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴾	(الفرقان: ٧٣)	١٢١، ١٧٥
﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ﴾	(الفرقان: ٧٤)	٢٥٠
﴿ قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴾	(الفرقان: ٧٧)	١٢٢، ١٦٨
﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴾	(النمل: ١٦)	١٢٢، ٢٦٨
﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ ﴾	(النمل: ١٨)	٢٨٣
﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ ﴾	(النمل: ١٨)	٢٨٣
﴿ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾	(النمل: ١٩)	٩٩، ٢٨٩
﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴾	(النمل: ٢٠)	١٠٥، ٢٩٤
﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴾	(النمل: ٢١)	١٢٧،

الآية	السورة و الرقم	الصفحة
		٢٩٦
﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾	(النمل: ٢٢)	٢٩٨، ٣٠١
﴿ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾	(النمل: ٢٣)	١٢٥
﴿ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾	(النمل: ٢٥)	١٠٢، ٣٠٤، ٣١٠
﴿ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ﴾	(النمل: ٦١)	٣٠٧
﴿ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾	(النمل: ٨٦)	١٢٥
﴿ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾	(القصص: ٥٥)	٢٥٦
﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ﴾	(العنكبوت: ٨)	١٧٣
﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾	(العنكبوت: ٤٦)	٢٢٢
﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾	(العنكبوت: ٦١)	٣٠٨
﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾	(العنكبوت: ٦٩)	٢٦٨
﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ ﴾	(الروم: ٢٧)	٣٢٨
﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ	(لقمان: ١٣)	١٧٣

الآية	السورة و الرقم	الصفحة
﴿ أَشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ ﴾		
﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾	(السجدة: ١٣)	٣٥٩
﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾	(الأحزاب: ٢١)	٢٣٨
وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴾	(الأحزاب:٢٧)	٢٣٠
﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ	(الأحزاب: ٣٦)	٢٤٩
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ ﴾	الأحزاب: ٤٥	١٣٥
﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾	(سبأ: ٢٢ – ٢٣)	٢٠٦
﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾	(٢٨: سبأ)	١٥٠
﴿ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴾	(يس: ٥)	٣١٦
﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴾	(يس: ٦)	١٠٦، ٣١٨
﴿ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾	(يس: ١٠)	٩٧
﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ ﴾	(يس: ١١)	٩٧
﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾	(يس: ١٢)	٣٢٦
﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا	(الصافات:	٢٥٤

الآية	السورة و الرقم	الصفحة
﴿ تَرَىٰ ﴾	(١٠٢	
﴿ ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴾	(ص: ١٧)	٢٥٤
﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾	(الزمر: ٢)	٢٠٤
﴿ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ ﴾	(الزمر: ٩)	١١٩
﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾	(الزمر: ١٠)	٢٥٤
﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾	(الزمر: ٣٨)	٢٠٧، ٣٠٨
﴿ فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾	(غافر:١٤)	٢٠٥
﴿ تَدۡعُونَنِي لِأَكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشۡرِكَ بِهِۦ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞ وَأَنَا۠ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡغَفَّٰرِ ﴾	(غافر:٤٢)	٢٠٥
﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ ﴾	(غافر: ٦٤)	٣٣١
﴿ قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًى ﴾	(فصلت: ٤٤)	١٨٧
﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾	(الشورى: ١١)	٤٥
﴿ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴾	(الشورى:٣٠)	٢٣٠
﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡبَغۡيُ هُمۡ يَنتَصِرُونَ ﴾	(الشورى: ٩)	٣١٧
﴿ لِّلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثٗا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ٤٩ يُزَوِّجُهُمۡ ذُكۡرَانٗا وَإِنَٰثٗاۖ وَيَجۡعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًاۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٞ قَدِيرٞ ٥٠ ﴾	(الشورى: ٤٩-٥٠)	٣٦٠
﴿ وَتِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾	(الزخرف: ٧٢)	٢٩٣

الآية	السورة و الرقم	الصفحة
﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾	(الأحقاف: ٩)	٢٠٠
﴿ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ﴾	(الأحقاف:١٥)	٢٨٠، ٣٢٠
﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ﴾	(الأحقاف:٣٥)	٢٥٤
﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾	(محمد: ٢٤)	٢٥٦
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾	(محمد: ٣٣)	٣٣٥
: ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴾	(محمد: ٣٨)	١٦٢
﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْىدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾	(الذاريات: ٤٧ – ٤٨)	٩٣، ٣٣٠
﴿ وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾	(الذاريات:٤٩)	١١٤
﴿ فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾	(الذاريات:٥٠)	٣٣١
﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾	(الطور: ٢١)	٢٠٢
﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾	(النجم: ٣-٤)	١١٩، ٣٣٣
﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴾	(النجم: ٤٨)	١٢٠
﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴾	(الرحمن: ٣٣)	٣٥٨
﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾	(الحشر: ٩)	٣١٧

الآية	السورة و الرقم	الصفحة
﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ﴾	(الممتحنة: ٨)	١٧١
﴿ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾	(التغابن: ٨)	١٣٨
﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾	(الملك: ٢)	٢٥٢
﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾	(الجن: ١٨)	٢٠٤
فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾	(المدثر: ٤٩-٥١)	٢٥٦
﴿ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴾	(النبأ: ١٢)	٣٣١
﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴾	(عبس: ٢٤)	٣٢٨
﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾	(الفلق:١-٥)	٣٤١
﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾ ﴾	(الناس:١-٦)	٣٤١، ٣٥٢

ت	طرف الحديث	الصفحة
١-	أبي وأبوك في النار	٣٢١
٢-	اجتنبوا السبع الموبقات	١٩٣
٣-	أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم	٢٦٩
٤-	الإسلام يجب ما قبله	٢٧٥
٥-	ألا أخبركم بأكبر الكبائر قلنا بلى يا رسول الله	١٧٦
٦-	ألا وإن في الجسد مضغة	١٨٧
٧-	ألم تر آيات أنزلت الليلة لم ير مثلهن قط	٣٤٣
٨-	أمرني رسول الله ﷺ أن أقرأ بالمعوذات	٣٤٢
٩-	إن أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوما، نطفة	١٩٨
١٠-	إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنه فيما يبدو للناس وإنه من أهل النار	١٩٨
١١-	إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبا	٢٣٩
١٢-	إن الله عز وجل خلق للجنة أهلا،، وخلقهم لها، وهم في أصلاب آبائهم	٢٠٢
١٣-	إن الله قسم بينكم أخلاقكم، كما قسم بينكم أرزاقكم	١٦٩
١٤-	أن رسول الله ﷺ كان يتعوذ من أعين الجان	٣٤٢
١٥-	إن شئت صبرت ولك الجنة	٢٥٥
١٦-	إن له مرضعا فى الجنة	٢٠٢
١٧-	أنا محمد، وأحمد، والمقفي، والحاشر، ونبي الرحمة	٣١٧

١٨-	أنت ومالك لأبيك	١٧٨
١٩-	إنما ذلك سواد الليل وبياض النهار	٣٠٤
٢٠-	إني لأعلم شجرة مثلها كمثل الرجل المسلم	٧٦
٢١-	أي العمل أحب إلى الله ؟ قال: ((الصلاة على وقتها))	١٧٦
٢٢-	تزوجوا الودود الولود	١٩٠
٢٣-	تفضل صلاة الجميع صلاة أحدكم وحده بخمس وعشرين جزءا	٢١٣
٢٤-	حيثما مررت بقبر كافر فبشره بالنار	١٩٩
٢٥-	خلق الله التربة يوم السبت	١٤٥
٢٦-	الذي تفوته صلاة العصر كأنما وتر أهله وماله	٢١١
٢٧-	السواد الذي رأيت من المحو	١٥٨
٢٨-	صدقك وهو كذوب	٢٧٦
٢٩-	صلاة الوسطى صلاة العصر	٢١١
٣٠-	عجبا لأمر المؤمن	٢٥٤
٣١-	كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآن	١٣٨
٣٢-	كان رسول الله ﷺ إذا أوى إلى فراشه	٣٤٢
٣٣-	كان ينفث عن نفسه بالمعوذات	٩٦
٣٤-	كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته	٢٩٥

٣٥-	لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق	٣٣٦
٣٦-	لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه	١٨٨
٣٧-	اللهم أكثر ماله وولده	١٩٠
٣٨-	اللهم املأ قبورهم وبيوتهم نارا	٢١١
٣٩-	اللهم إنا نستعينك ونستغفرك ونؤمن بك	٢٧١
٤٠-	ما بال أقوام يشترطون شروطا، ليس في كتاب الله	٢٦١
٤١-	ما تعوذ بمثلهن أحد	٩٧
٤٢-	ما حملك يا حاطب على ما صنعت	٣٠٣
٤٣-	من أطاعني فقد أطاع الله	٣٣٦
٤٤-	من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله	٢١١
٤٥-	من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها	١٨٣
٤٦-	من رأى منكم منكراً فليغيره	٢٦٥
٤٧-	نرجو رحمتك، ونخشى عذابك	٢٧١
٤٨-	نزل نبي من الأنبياء تحت شجرة، فلدغته نملة	٢٨٩
٤٩-	نضّر الله امرأ سمع منّا حديثا فحفظه	٧٧
٥٠-	نعم، صلي أمك	١٧١
٥١-	هذه فريضة الصدقة التي فرض رسول الله ﷺ	٣٣٧

٥٢-	والله إني أرجو أن أكون أخشاكم لله	٢٧٨
٥٣-	وبعثت إلى الناس عامة	١٤٩
٥٤-	ورجل ارتبط فرسا ليستنبطها	٦٦
٥٥-	ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمة منه	٢٩٣
٥٦-	وما يدريك أن الله أكرمه؟!	٢٠١
٥٧-	يا أبا بكر ما منعك أن تثبت إذ أمرتك	٣٠٣
٥٨-	يا عمر وما يدريك لعل الله قد اطلع على أهل بدر	٣٠٣
٥٩-	يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار،	٢١١
٦٠-	يكفيكَ من ذلك الآيةُ التي أنزلت في الصيف	٧٦
٦١-	من قال في القرآن برأيه، وأصاب فقد أخطأ	٤

ت	طرف الأثر	القائل	الصفحة
١-	إذا كان يوم القيامة، جمع الله تبارك وتعالى نسم الذين ماتوا في الفترة والمعتوه والأصم والأبكم	أبو هريرة	٣٢٣
٢-	أقل الحمل ستة أشهر	ابن عباس	٣٢٠
٣-	إن الله تعالى خلق الشمس والقمر مضيئين نيرين كل واحد منهما مثل الآخر في الضياء	ابن عباس	١٥٦
٤-	جعل الله الشمس سبعين جزءا والقمر سبعين جزءا	ابن عباس	١٥٥
٥-	كان القمر يضيء كما تضيء الشمس، والقمر آية الليل، والشمس آية النهار	ابن عباس	١٥٥
٦-	كان في الزمان الأول لا يعرف الليل من النهار، فبعث الله جبريل، فمسح جناحه بالقمر	ابن عباس	١٥٦
٧-	لو أن سخلة بشاطئ الفرات يأخذها الذئب ليسأل عنها عمر	عمر بن الخطاب	١٠٥
٨-	والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، إلا أن يعطي الله، عز وجل، عبدا فهما في كتابه	علي بن أبي طالب	٨١
٩-	يا سارية الجبل	عمر بن الخطاب	٣٠١

ت	الاستنباط	الصفحة
١-	إذا علمنا الله تعالى دعاء، ففي ذلك التعليم تعليم آخر لنا كيف نسلك الطريق الذي يكون مظنة لاستجابة ذلك الدعاء	٢١٢
٢-	الأسباب الكونية التي وضعها الله العليم الخبير لنظام هذه الحياة، موصلة لمسبباتها بإذن الله وتقديره الكوني، وهي متاحة لجميع الخلق	١٥٨
٣-	الاستدلال بالبداءة على الإعادة في إثبات عقيدة البعث بعد الموت، منهج قرآني مطّرد.	٣٢٥
٤-	الاستدلال بالربوبية على الألوهية، طريقة القرآن ومنهجه في الاحتجاج على الكفار والمشركين.	٣٠٤
٥-	الأسرار البلاغية في التقديم والتأخير بين الاسماء المتلازمة (الإنس والجن)في القرآن الكريم.	٣٥٤
٦-	الاسلام دين عزة ورحمة.	٣١٥
٧-	أصول العقائد والأحكام لا تثبت بالحديث الضعيف	١٩٣
٨-	أفضلية صلاة الفجر على غيرها من الصلوات	٢٠٧
٩-	الأكل الحلال يثمر العمل الصالح.	٢٣٧
١٠-	الأنبياء أعظم الناس قدرا ومنزلة عند الله تعالى.	٢٧٧
١١-	برّ الوالدين واجب على أيّة حالة كانا، من كفر أو إيمان، أو برّ أو فجور، محسنين لولدهما أم مسيئين له	١٧٠
١٢-	بيان الحكمة في اقتران وذكر حق الله تعالى مع حق الوالدين في النظم القرآني الحكيم	١٧٢
١٣-	تجنب ذكر العيوب والمثالب عند الدعوة إلى الله عز وجل	١٣٦

ت	الاستنباط	الصفحة
١٤-	تحريم التعدي على مال اليتيم خصوصا وعلى أموال الناس عموما	١٨٩
١٥-	تخصيص النبي-صلى الله عليه وسلم- وحده بأمر الدعوة للناس كافة تشريف وتبشير له بعظم الجزاء.	٢٦١
١٦-	التذكير بصورة الطير مع فراخه لقياسها على صورة الوالدين مع ابنائهما في حال صغرهما للاعتبار على -الأقل- في ردّ جميلهما	١٧٧
١٧-	ترغيب الشارع الحكيم في تكثير النسل	١٨٨
١٨-	تصوير القرآن لحالة ونفسية العاصي التائب حسب وقوعها في الخارج و الواقع.	٢٧١
١٩-	توعّد الله عز وجل وتخويفه لهاجر القرآن.	٢٥٤
٢٠-	حثّ القرآن على الصبر والأمر به،عند الابتلاءات والفتن.	٢٥٠
٢١-	حرمان الإنسان من العلم اسقاط له عن درجة الانسانية،فهو مسخ له.	٢٩٥
٢٢-	حسن الاستماع وأدب الانصات وتجنب المقاطعة، أدب وخلق قرآني عظيم في كل حوار ومناظرة	٢٢٠
٢٣-	خطب المساجد يجب أن تكون جارية على مقتضى أحوال الناس وهمومهم ووقائعهم المعاصرة.	٢٥٨
٢٤-	دخول الجنّة لا يُستحق بالعمل استحقاق المبيعات بأثمانها، ولكن بفضل الله ورحمته	٢٨٩
٢٥-	دعوة النبي-صلى الله عليه وسلم- عامة لجميع الناس، برهم وفاجرهم، مؤمنهم وكافرهم.	١٤٨
٢٦-	دلالة الصنعة على الصانع نظرية عقلية قطعية.	٣١٠

ت	الاستنباط	الصفحة
٢٧-	ذكر الأوامر والنواهي التكليفية، مشفوعة بفوائدها ومضارها في الدارين،منهج تربوي قرآني.	٢٦٨
٢٨-	ردّ خبر الواحد إذا خالف القطعي من القرآن	١٣٨
٢٩-	السرّ والنكتة البلاغية في إضافة لفظة الفلق إلى اسم الله تعالى "ربّ".	٣٤٥
٣٠-	صلاح النفوس أصل ومحور في القيام بالتكاليف الشرعية	١٨٦
٣١-	الصلاح شرط في التمكن من سنّة الله القدرية الشرعية في وراثة أرض الدنيا	٢٣١
٣٢-	العبد مهما كان صلاحه مطالب كغيره من الناس بالأوبة والرجوع إلى الله، إذا وقعت منه المعصية لتحصل له المغفرة	١٨٣
٣٣-	العرب الذين أرسل فيهم النبي —صلى الله عليه وسلم – أهل فترة ناجون، عدا من جاء نص خاص بعذابهم.	٣١٧
٣٤-	عطاء الله في هذه الدنيا متاح للجميع لا يُمنع منه أحد	١٦٧
٣٥-	القائد للأمة وللجماعة لابد أن يمتاز على غيره ببعد النظر وقوة الإدراك وسرعة الإنذار بما يحس ويتوقع.	٢٨٦
٣٦-	القمر جرم مظلم يأتيه نوره من الشمس	١٥٢
٣٧-	قول الرسول —صلى الله عليه وسلم– مثل قول الله تعالى في وجوب الإيمان والامتثال.	٣٣٠
٣٨-	كثرة الرجوع إلى الله يقابلها كثرة المغفرة منه سبحانه	١٨١
٣٩-	لا يجوز دعاء غير الله تعالى	٢٠٣

ت	الاستنباط	الصفحة
٤٠-	لا يقطع لمعيّن بجنة أو نار إلا من جاء النص من الشارع بتعيينهم	١٩٥
٤١-	لا يكمل إيماننا بأنّ القرآن فرقان إلا إذا علمنا أنّه فارق بنفسه، وعملنا بالفرق به في كل شيء.	٢٤٧
٤٢-	ليس لأحد —مهما كان صلاحه- كشف عما غاب عنه إلا من اطلعه الله عزّ وجل عليه.	٢٩٧
٤٣-	المحافظة على الأبدان بإعطائها حقها من الأكل واجب شرعي	٢٣٥
٤٤-	المخالف للأمر من غير انتهاك لحرمته لا يؤاخذ بتلك المخالفة.	٣٠١
٤٥-	المداومة على الطاعة بإخلاص تضعف المعصية في النفس وتزيلها.	٢٦٥
٤٦-	المسلم على حق مهما كان حاله، وغيره على باطل، عقدية قرآنية	٢١٦
٤٧-	المصلحة العامة للأمة تقدم وترجّح على المصلحة الخاصة للفرد.	٢٤٣
٤٨-	المعبود الحق هو الذي يملك كشف الضر وتحويله وجلب النفع وإيصاله	٢٠٥
٤٩-	من أدب الدعوة إلى الله، اختيار أحسن ما يُدعَى ويسمَّى به المدعو	١٣٤
٥٠-	من إعجاز القرآن البياني، اختياره الألفاظَ في المقام الذي يناسبها.	٣٢٩
٥١-	من الواجب الشرعي للجماعة لإمامها أن إذا دعاها إلى اجتماع لصالح عام أجابت، وأن لا تنصرف لغرضها إلا باستئذان.	٢٤١
٥٢-	من حق الرعية على راعيها تفقدها والتعرف على أحوالها.	٢٩٣
٥٣-	من ذكرنا بالقرآن يجب قبول تذكيره، كائنا من كان.	٢٧٤

ت	الاستنباط	الصفحة
٥٤-	من لم يرد الآخرة بعمله لم يكن عمله هذا مشكورا عند الله تعالى	١٦٤
٥٥-	مناسبة تخصيص الناس بالذكر في (سورة الناس) دون غيرهم من المربوبين.	٣٤٩
٥٦-	مناسبة ختم القرآن بالمعوذتين.	٣٣٩
٥٧-	النبي سليمان عليه السلام عُلّم منطق الحيوانات كلها.	٢٨٢
٥٨-	النكتة البلاغية في ترتيب أوصاف المستعاذ به سبحانه وتعالى في النظم القرآني.	٣٥٠
٥٩-	وجوب مجاهدة العصاة المخالفين بالقرآن.	٢٦٣
٦٠-	وعد الله للمتقين لوراثة الأرض يكون في أرض الدنيا قبل يوم القيامة	٢٢٦

ت	الأبيات	الصفحة
١-	بمثلك تعتز البلاد وتفتخر وتزهر بالعلم المنير وتزخر طبعت على العلم النفوس نواشئا بمخبر صدق لا يدانيه مخبر نهجت لها في العلم "نهج بلاغة" ونهج مفاداة كأنك "حيدر" حبتك عمالات الجزائر حرمة مشرفة عظمى بها أنت أجدر	٥١
٢-	الفَارِجُ الهَمَّ مَبْذُولٌ عَسَاكِرُهُ كَمَا يُفَرِّجُ ضَوْءَ الظُّلْمَةِ الفَلَقُ	٣٤٧
٣-	فَعَّالٌ أو مِفْعَالٌ أو فَعُولُ فِي كَثْرَةٍ عن فَاعِلٍ بَدِيلُ فَيَسْتَحِقُ مَالَهُ مِنْ عَمَلٍ وفِي فَعِيلٍ قَلَّ ذَا وفَعِلٍ	١٨٢
٤-	وألقت عصاها واستقرت بها النّوى كما قرّ عينا بالإياب المسافر	٢١
٥-	يا قبر طبت وطاب فيك عبير هل أنت بالضيف العزيز خبير هذا "ابن باديس" الإمام المرتضى "عبد الحميد" إلى حماك يصير العالم الفذ الذي لعلومه صيت بأطراف البلاد كبير بعث الجزائر بعد طول سباتها فالشعب فيها بالحياة بصير	٥١

ت	الغريب	الصفحة
١-	استقرت نواهم	٢١
٢-	ألقى عصاه	٢١
٣-	البربر	٢٥
٤-	جمّار	٧٦
٥-	الحثّ	١٨٠
٦-	الخبء	١٠٢
٧-	راشني	٥٣
٨-	رعاية الأصلح	٢٩٢
٩-	رفع فلان عصا السير	٢١
١٠-	رنّق الطائر	١٨٠
١١-	زفرة	١٧٨
١٢-	الشعف	١٨٠
١٣-	نبي الملحمة	٣١٧
١٤-	النوى	٢١

ت	الفرقة	الصفحة
١-	الأشعريـة	٣٢٢
٢-	أهل السنة والجماعة	٢٩١
٣-	الجبريـة	٢٩٣
٤-	الخـوارج	٢٠٠
٥-	الرافضـة	٣٠٠
٦-	الصـوفية	٢٩
٧-	القدريـة	٢٩١
٨-	المعتـزلة	١٤٠

ت	العلـم	الصفحة
١-	**الإبراهيمي**: محمد بن بشير بن عمر الإبراهيمي (ت١٣٨٥هـ).	٣٠
٢-	**ابن أبي حاتم**: عبد الرحمن بن محمد أبي حاتم (ت٣٢٧هـ).	٢٩٧
٣-	**ابن الأثير**: المبارك بن محمد بن محمد الشيباني (ت٦٠٦هـ).	٣٥٧
٤-	**ابن الأزرق**: نافع بن الأزرق بن قيس الحنفي (ت٦٥هـ).	٣٤٦
٥-	**ابن الجوزي**: عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت٥٩٧هـ).	١٥٣
٦-	**ابن العربي**: محمد بن عبد الله بن محمد المعافري المالكي (ت٥٤٢هـ).	٢٠١
٧-	**ابن باز**: عبد العزيز بن عبد الله بن عبدالرحمن (ت١٤١٩هـ).	٣٢٢
٨-	**ابن تيمية**: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام (ت٧٢٧هـ).	١٩٥
٩-	**ابن جزي**: محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله (ت٧٥٣هـ).	٣٤٢
١٠-	**ابن حجر**: هو أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني(ت ٨٥٢ هـ).	٢١١
١١-	**ابن رجب الحنبلي**: عبد الرحمن بن أحمد بن حسن (ت٧٩٥هـ).	١٤٥
١٢-	**ابن زيد**: عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (ت١٨٢هـ).	٣١١
١٣-	**ابن سراقة**: محمد بن أحمد بن محمد أبو بكر(ت٦٣٣هـ).	٧٨
١٤-	**ابن عبد البر**: أبو عمر يوسف بن عبد الله القرطبي (ت٤٩٣هـ).	١٤١
١٥-	**ابن عجيبة**: أحمد بن محمد بن المهدي (ت١٢٢٤هـ).	٢٥٧
١٦-	**ابن عطية**: أبو بكر غالب بن عبد الرحمن بن غالب بن تمام (ت٥١٨ هـ).	٢١٨

١٧-	**ابن قتيبة:** أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت٢٧٦هـ).	٧٣
١٨-	**ابن كثير:** إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي(ت٧٧٤هـ).	١٥٨
١٩-	**أبو السعود:** محمد بن محمد بن مصطفى العمادي (ت٩٨٢هـ).	١٣٥
٢٠-	**أبو العالية:** رفيع بن مهران الرياحي البصري (ت٩٠هـ).	٢٢٧
٢١-	**أبو القاسم:** الضرير المقري: هبة الله بن سلامة (ت٤١٠هـ).	١٧١
٢٢-	**أبو بكر جابر الجزائري.**	١٦٤
٢٣-	**أبو جحيفة:** وهب بن عبد الله (ت٧٤هـ).	٨١
٢٤-	**أبو جعفر بن الزبير** بن الحسن الغرناطي (ت٧٠٨هـ).	٣٤٢
٢٥-	**أبو حيان:** محمد بن يوسف بن علي(ت٧٤٥هـ).	٢٠٨
٢٦-	**أبو زهرة:** محمد بن أحمد (ت١٣٩٤هـ).	١٣٦
٢٧-	**أبو عبد الرحمن محمود الجزائري** (محقق مجالس التذكير).	١٤١
٢٨-	**الأسنوي:** عبد الرحيم بن الحسن بن علي(ت٧٧٢هـ)	١٢٣
٢٩-	**ألبرت أينشتاين**(ت١٩٥٥م).	٣١٣
٣٠-	**الألوسي:** محمود بن عبد الله الحسيني (ت١٢٧٠هـ).	٢٨٤
٣١-	**البشير صفر** (ت١٩١٧م).	٣٨
٣٢-	**البغوي:** الحسين بن مسعود الفراء الشيخ أبو محمد(ت٥١٠هـ)	٢٩٧
٣٣-	**البقاعي:** إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط (ت٨٨٥هـ).	١٣٧

٣٤-	**البيضاوي:** عبد الله بن عمر بن محمد بن علي أبو الخير(ت٦٨٥هـ).	٣٠٩
٣٥-	تقي الدين الهلالي محمد (ت١٤٠٧هـ).	٥٠
٣٦-	**الجاحظ:** عمرو بن بحر بن محبوب (ت٢٥٥هـ).	١٨٠
٣٧-	**الجرجاني:** علي بن محمد بن علي(ت٨١٦هـ).	٦٩
٣٨-	**الجصاص:** أحمد بن علي الرازي، أبو بكر (ت٣٧٠هـ).	٧٥
٣٩-	**الجنرال بيجو:** توماس روبير بيجو (ت١٨٤٩م).	٢٧
٤٠-	**الجيزاوي:** محمد أبو الفضل الوراقي(ت١٣٤٦هـ).	٤٠
٤١-	**الحسن البصري:** الحسن بن أبي الحسن(ت١١٠هـ).	١٦٨
٤٢-	**الحسن بن علي بن أبي طالب** (ت٥٠هـ).	٢٢٣
٤٣-	**حقي:** إسماعيل حقي بن مصطفى الإسلامبولي(ت١١٢٧هـ).	١٨٥
٤٤-	**حمدان لونيسي:** محمد بن أحمد بن محمد حمدان (ت١٣٣٨هـ).	٣٦
٤٥-	**الخازن:** علي بن محمد بن إبراهيم (ت٧٠٣هـ).	١٦٦
٤٦-	**الخطيب البغدادي** أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت(ت٤٦٣هـ).	١٤٠
٤٧-	**الراغب الأصفهاني:** الحسين بن محمد (ت٥٠٢هـ).	٨٨
٤٨-	**رشاد خليفة.**	٣٣٣
٤٩-	**رشيد رضا:** محمد رشيد بن علي رضا (ت١٣٥٤هـ).	٢٣٣
٥٠-	**الزرقاني:** محمد عبد العظيم (ت١٣٦٧هـ).	٦٩

٥١-	**الزركشي**: محمد بن بهادر بن عبد الله (ت٧٩٤هـ).	٦٨
٥٢-	**الزمخشري**: أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد (ت٥٣٨هـ).	١٧٤
٥٣-	**زيد بن أسلم**: أبو عبد الله العدوي العمري (ت١٣٦هـ).	٧٦
٥٤-	**السدي**: إسماعيل بن عبد الرحمن (ت١٢٨هـ).	١٦٨
٥٥-	**السعدي**: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله (ت١٣٧٦هـ).	٢٠٩
٥٦-	**سعيد بن المسيب** بن حزن بن أبي وهب (ت٩٥هـ).	١٨٤
٥٧-	**سعيد بن جبير** بن هشام الأسدي (ت٩٥هـ).	٢٢٧
٥٨-	**السكاكي**: يوسف بن أبي بكر بن محمد (ت٦٢٦هـ).	١١٣
٥٩-	**السلمي**: ابو عبد الرحمن السلمي (ت٤١٢هـ).	٨١
٦٠-	**السمرقندي**: نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم (ت ٣٧٣هـ).	١٥٥
٦١-	**السمعاني**: منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد (ت٤٨٩هـ).	١٥٦
٦٢-	**السندي**: محمد بن عبد الهادي التتوي (ت ١١٣٨هـ).	٢٠٢
٦٣-	**سيد قطب** بن إبراهيم (ت ١٣٢٤هـ).	١٦٢
٦٤-	**الشاطبي**: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي (ت ٧٩٠ هـ).	٧٧
٦٥-	**الشعراوي**: محمد متولي الشعراوي (ت١٩٩٨م).	١٦٣
٦٦-	**الشنقيطي**: محمد الأمين بن محمد المختار الجكني (ت١٩٩٣هـ).	١٢٢
٦٧-	**الشوكاني**: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله (ت ١٢٥٠هـ).	٢٠٧

٦٨-	**الضحاك:** بن مزاحم الهلالي (ت ١٠٥هـ).	١٦٨
٦٩-	**الطاهر بن عاشور** (ت١٣٩٣هـ).	٣٨
٧٠-	**الطبري:** محمد بن جرير بن يزيد (ت٣١٠هـ).	١٥٥
٧١-	**الطحاوي:** أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة الأزدي (ت٣٢١هـ).	١٩٩
٧٢-	**الطيب العُقبي** بن محمد بن إبراهيم (ت١٣٧٩هـ).	٤٢
٧٣-	**عبد الرزاق عفيفي:** محمد بن أحمد سيد (ت١٤١٥هـ).	٣٠٦
٧٤-	**عبد القاهر الجرجاني**(ت٤٧١هـ).	١١٩
٧٥-	**عبد الكريم يونس الخطيب** (ت١٣٩٠هـ).	١٨٧
٧٦-	**عبد الملك بن مروان** بن الحكم بن أبي العاص القرشالأموى (ت٨٦هـ).	٢٢٤
٧٧-	**العثيمين:** محمد الصالح ابن عثيمين (ت١٤٢١هـ).	٧٠
٧٨-	**العربي التَّبَسِّي:** بلقاسم بن، مبارك بن فرحات (ت١٣٧٦هـ).	٤٢
٧٩-	**عطاء بن أبي رباح** (ت١١٤هـ).	٢٥٣
٨٠-	**العلوي:** يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم (ت٧٤٥هـ).	١١٤
٨١-	**علي بن المَدِيني** (ت ٢٣٤هـ).	١٤٥
٨٢-	**عمرو بن لحي** بن عامر الأزدي.	١٠٦
٨٣-	**فخر الدين الرازي:** محمد بن عمر بن الحسن التيمي (ت٦٠٦هـ).	٧٥
٨٤-	**الفضيل الورثيلاني** (ت ١٩٥٩ م).	٤٨

٨٥-	**القاسمي**: جمال الدين محمد سعيد بن قاسم الحلاق (ت١٣٣٢هـ).	٧٥
٨٦-	**القاضي عبد الجبار الهمذاني** (ت٤١٥هـ).	٢٢٨
٨٧-	**القاضي عياض**: أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض (ت٥٤٤هـ).	٣٩
٨٨-	**القائم بأمر الله**: عبد الله بن القادر بالله العباسي (ت٤٦٧هـ).	٣٤
٨٩-	**قتادة** بن دعامة بن قتادة بن عزيز، أبو الخطاب السدوسي(ت١١٨هـ).	١٥٦
٩٠-	**القرطبي**: محمد بن أحمد بن أبي بكر الاندلسي(ت٦٧١هـ).	٣٠٠
٩١-	**القشيري**: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك (ت ٤٦٥هـ).	١٣٧
٩٢-	**الكيا الهراسي**: أبو الحسن علي بن محمد بن عليظ (ت٥٠٤هـ).	١٧٤
٩٣-	**لا فيجري**: شارل مارسياللافيجر(ت١٨٩٢م).	٢٨
٩٤-	**لبيد** بن ربيعة العامري (ت٤١هـ).	٣٤٦
٩٥-	**الماتريدي**: أبو منصور الماتريدي محمد بن محمد بن محمود (ت٣٣٣هـ).	٢٨٨
٩٦-	**مبارك الميلي**: مبارك بن محمد إبراهيمي (ت١٣٦٤هـ).	٤٨
٩٧-	**مجاهد بن جبر المكي** (ت١٠٢أو١٠٣هـ).	١٨٤
٩٨-	**محمد العيد** بن محمد علي آل خليفة (ت ١٩٧٩م).	٥١
٩٩-	**محمد النخلي القيرواني**: محمد بن محمد بن حمودة(ت١٩٧٠ م).	٣٨
١٠٠-	**محمد بن عبد الوهاب** بن سليمان التميمي (ت١٢٠٦هـ).	٣٠٨
١٠١-	**محمد بن كعب القرظي** (ت١٠١أو١١٠هـ).	١٥٥

١٠٢-	**محمد بن مسلمة بن سلمة الأنصاري** (ت٤٣هـ).	٢٩٥
١٠٣-	**محمد حاج عيسى**.	١٤٣
١٠٤-	**محمد صالح رمضان** (ت١٩٨٦م).	٤٨
١٠٥-	**محمد عبده** بن حسن خير الله (ت١٣٢٣هـ).	٥٤
١٠٦-	**محمد عزة دروزة** (ت ١٤٠٤ هـ).	١٣٥
١٠٧-	**محمد علي فركوس**.	١٤٢
١٠٨-	**محمد نجيب**.	٣٣٣
١٠٩-	**المراغي**: أحمد بن مصطف (ت١٣٧١هـ).	١٧٩
١١٠-	**المطيعي**: محمد بخيت بن حسين (ت١٣٣٩هـ).	٤٠
١١١-	**المعز بن باديس** بن منصور بن بلكين بن زيري (ت٤٥٤هـ).	٣٣
١١٢-	**مقاتل**: مقاتل بن سليمان البلخي (ت١٥٠هـ).	١٥٥
١١٣-	**النحاس**: أبو جعفر ابن النحاس أحمد بن محمد بن إسماعيل(ت٣٣٨هـ).	٢٢٧
١١٤-	**النووي**: يحي بن شرف بن مري بن حسن بن حسين (ت٦٧٦هـ).	٢٠٢
١١٥-	**النيسابوري**: الحسن بن محمد بن الحسين القمي (ت٨٥٠هـ).	١٦٦
١١٦-	**النيفر** محمد الصادق بن محمد الطاهر النيفر (ت١٣٥٦هـ).	٣٨

ت	المصدر والمرجع
١-	القرآن الكريم
٢-	ابن باديس حياته وآثاره لعمار طالبي، مكتبة الشركة الجزائرية للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة ١٤١٧هـ.
٣-	ابن باديس وعروبة الجزائر" لمبارك الميلي، الشركة الجزائرية للنشر والتوزيع(الجزائر)، الطبعة الثانية١٩٧٣م.
٤-	أبو الحسن الأشعري وعقيدته للشيخ حماد الأنصاري،الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة الطبعة السنة السادسة العدد الثالث رجب ١٣٩٤هـ - فبراير ١٩٧٤م.
٥-	إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل لصالح آل الشيخ، دار المودة(جدة)، الطبعة الأولى١٤٣٢هـ
٦-	الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، مركز الدراسات القرآنية،مجمع الملك فهد(المدينة المنورة) الطبعة الأولى.
٧-	آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي لأحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي(بيروت)،الطبعة الأولى ١٩٩٧م
٨-	الأحاديث المختارة لضياء الدين المقدسي، تحقيق معالي الأستاذ الدكتور عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع (بيروت) الطبعة الثالثة ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
٩-	الأحاديث المشكلة الواردة في تفسير القرآن لأحمد بن عبد العزيز القُصَيِّر،دار ابن الجوزي(الرياض)، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ.
١٠-	الإحاطة في أخبار غرناطة لابن الخطيب،دار الكتب العلمية (بيروت)، الطبعة الأولى.
١١-	أحكام القرآن لابن العربي، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية (بيروت)، الطبعة الثالثة ١٤٢٤هـ.
١٢-	أحكام القرآن للجصاص تحقيق محمد الصادق قمحاوي، دار إحياء التراث العربي (بيروت)، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.
١٣-	أحكام القرآن للشافعي جمع البيهقي،مكتبة الخانجي(القاهرة)، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ.

١٤-	أحكام القرآن للكيا الهراسي، تحقيق موسى محمد علي وعزت عبده عطية، دار الكتب العلمية (بيروت) ١٤٠٥هـ
١٥-	إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي، دار المعرفة (بيروت).
١٦-	آداب البحث والمناظرة لمحمد الأمين الشنقيطي، دار عالم الفوائد،مجمع الفقه الإسلامي (جدة)،الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ.
١٧-	آداب الشافعي ومناقبه لابن أبي حاتم، تحقيق عبد الغني عبد الخالق، دار الكتب العلمية (بيروت)، الطبعة الأولى١٤٢٤هـ.
١٨-	الأدب المفرد للبخاري، تحقيق سمير زهيري، مكتبة المعارف(الرياض)، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.
١٩-	أرشيف ملتقى أهل الحديث.
٢٠-	أرشيف منتدى الألوكة.
٢١-	أرشيف منتدى الألوكة.
٢٢-	إرواء الغليل المكتب الإسلامي (بيروت)، الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م.
٢٣-	إسعاف ذوي الوَطَر بشرح نظم الدُّرَر في علم الأثر لمحمد علي آدم،مكتبة الغرباء الأثرية (المدينة المنورة)، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣م.
٢٤-	الأسماء والصفات للبيهقي، تحقيق عبد الله بن محمد الحاشدي، مكتبة السوادي(جدة)،الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.
٢٥-	الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية(بيروت)، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.
٢٦-	أصول البزدوي مطبعة جاويد بريس (كراتشي).
٢٧-	أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة لعبد الرحمن النحلاوي،دارالفكر، الخامسة والعشرون ١٤٢٨هـ

٢٨-	أصول السرخسي دار المعرفة(بيروت).
٢٩-	أصول الشاشي دار الكتاب العربي (بيروت).
٣٠-	اعتقادات فرق المسلمين والمشركين لفخر الدين الرازي، تحقيق علي سامي النشار، دار الكتب العلمية (بيروت).
٣١-	الإعجاز البلاغي دراسة تحليلية لتراث أهل العلم، للدكتور محمد محمد أبو موسى مكتبةوهبة(القاهرة) الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.
٣٢-	إعراب القرآن للنحاس، تحقيق زهير غازي زاهد، عالم الكتب (بيروت) ١٤٠٩هـ.
٣٣-	الأعلام للزركلي، دار العلم للملايين(بيروت)، الطبعة الخامسة عشر ٢٠٠٢ م.
٣٤-	إعلام الموقعين عن ربّ العالمين لابن القيم الجوزية، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية(القاهرة ١٣٨٨هـ.
٣٥-	الاقتصاد في الاعتقاد لأبي حامد الغزالي، تحقيق عبد الله محمد الخليلي، دار الكتب العلمية (بيروت) الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م.
٣٦-	ألفية ابن مالك في النحو والصرف، دار التعاون (القاهرة).
٣٧-	الأمالي لأبي علي القالي، دار الكتب العلمية (بيروت) ١٣٩٨هـ.
٣٨-	الإمام عبد الحميد ابن باديس الزعيم الروحي لحرب التحرير الجزائرية لمحمود قاسم، دار المعارف (مصر) ١٩٦٨م.
٣٩-	الإمام في بيان أدلة الأحكام للعز بن عبد السلام، تحقيق رضوان بن غربية، دار البشائر(القصيم)، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.
٤٠-	إنباه الرواة على أنباه النحاة لجمال الدين القفطي، المكتبة العصرية(بيروت)، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.
٤١-	الانتصار في الردّ على المعتزلة القدرية الأشرار ليحيى اليمني الشافعي، تحقيق سعود بن عبد العزيز الخلف،أضواء السلف (الرياض) المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

٤٢-	الانتصارات الاسلامية في كشف شبه النصرانية لنجم الدين الطوفي، تحقيق سالم بن محمد القرني، مكتبة العبيكان (الرياض)، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.
٤٣-	أنوار الربيع في أنواع البديع لابن معصوم، بدون طبعة.
٤٤-	أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لابن هشام، تحقيق يوسف الشيخ محمد البقاعي،دارالفكر(بيروت).
٤٥-	الإيضاح في علوم البلاغة للقزويني، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل (بيروت) الطبعة الثالثة.
٤٦-	الإيمان بالله جلّ جلاله لعلي محمد الصَّلاَّبي، دار ابن كثير (سوريا)، الطبعة الأولى.
٤٧-	البحر المحيط في الأصول للزركشي، تحقيق محمد محمد تامر، دار الكتب العلمية (بيروت)١٤٢١هـ
٤٨-	البداية والنهاية لابن كثير، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر(القاهرة)، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.
٤٩-	بدائع الفوائد لابن القيم، تحقيق علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد(جدة).
٥٠-	البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن التاسع للشوكاني، دار المعرفة (بيروت).
٥١-	البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير لابن الملقن، تحقيق مصطفى أبو الغيط وعبد الله بن سليمان وياسر بن كمال، دار الهجرة (الخُبر)، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ.
٥٢-	البر والصلة للحسين ابن حرب، تحقيق د. محمد سعيد بخاري، دار الوطن (الرياض)، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.
٥٣-	البر والصلة لابن الجوزي، تحقيق عادل عبد الموجود و علي معوض، مؤسسة الكتب الثقافية(بيروت) الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ.
٥٤-	البرهان في علوم القرآن للزركشي، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية(مصر)،الطبعة الأولى ١٣٧٦ هـ.
٥٥-	بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة لعبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب (القاهرة)الطبعة السابعة عشر١٤٢٦هـ.

٥٦-	البلاغة الواضحة لعلي الجارم ومصطفى أمين، تحقيق علي بن نايف الشحود.
٥٧-	البيان والتبيين للجاحظ، دار ومكتبة الهلال(بيروت) ١٤٢٣ هـ.
٥٨-	تاج العروس للمرتضى الزبيدي، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية(الكويت).
٥٩-	تاريخ ابن خلدون "ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر تحقيق خليل شحادة، دار الفكر (بيروت)، الطبعة الثانية ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.
٦٠-	تاريخ أصبهان لأبي نعيم الأصبهاني، تحقيق سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية (بيروت) الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ-١٩٩٠م.
٦١-	تاريخ الإسلام للذهبي، تحقيق بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي(بيروت)، الطبعة الأولى٢٠٠٣م.
٦٢-	تاريخ الجزائر العام لعبد الرحمن الجيلالي، دار الثقافة (بيروت)، الطبعة السادسة ١٤٠٣هـ.
٦٣-	تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، دار التراث (بيروت)، الطبعة الثانية ١٣٨٧ هـ.
٦٤-	تاريخ المدينة لابن شبة، تحقيق فهيم محمد شلتوت، طبع على نفقة: السيد حبيب محمود أحمد – جدة ١٣٩٩ هـ.
٦٥-	تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، دار الثقافة (بيروت)، الطبعة السادسة ١٤٠٣هـ.
٦٦-	تاريخ بغداد وذيوله لابن النجار، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا دار الكتب العلمية (بيروت)، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ.
٦٧-	تاريخ دمشق لابن عساكر، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.
٦٨-	تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة الدينوري، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية (بيروت).
٦٩-	التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين للأسفراييني، تحقيق كمال يوسف الحوت، عالم الكتب (لبنان)، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٧٠-	التبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء العكبري، تحقيق علي محمد البجاوي،دار نشر عيسى البابي الحلبي وشركاه(القاهرة).
٧١-	التبيان في أقسام القرآن لابن القيم الجوزية، تحقيق محمد حامد الفقي، دار المعرفة (بيروت)،الطبعة الأولى.
٧٢-	تثبيت دلائل النبوة للقاضي عبد الجبار المعتزلي، دار المصطفى، شبرا (القاهرة).
٧٣-	الترغيب والترهيب للمنذري، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية (بيروت)، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ.
٧٤-	التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي، تحقيق عبد الله الخالدي، دار الأرقم بن أبي الأرقم (القاهرة)، الأولى ١٤١٦هـ.
٧٥-	التعريفات للجرجاني، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتب العربي(بيروت) الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.
٧٦-	التعليقات على متن لمعة الاعتقاد لابن جبرين، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ
٧٧-	تفسير رشيد رضا (تفسير المنار)، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠ م.
٧٨-	تفسير ابن أبي حاتم، تحقيق أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز(مكة المكرمة)الطبعة الثالثة ١٤١٩هـ.
٧٩-	تفسير ابن القيم (التفسير القيم)، تحقيق إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثالثة.
٨٠-	تفسير ابن عاشور (التحرير والتنوير)، دار سحنون(تونس)، الطبعة الأولى ١٩٩٧م.
٨١-	تفسير ابن عثيمين، دار ابن الجوزي (الرياض)، الطبعة الأولى١٤٢٣هـ.
٨٢-	تفسير ابن عطية (المحرر الوجيزفي تفسير الكتاب العزيز)،تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية (بيروت)، الطبعةالأولى ١٤٢٢ هـ.
٨٣-	تفسير ابن كثير(تفسير القرآن العظيم)، تحقيق سامي سلامة، دار طيبة(الرياض)، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ .
٨٤-	تفسير أبي السعود(إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، دار إحياء التراث العربي(بيروت).

٨٥-	تفسير أبي بكر الجزائري (أيسر التفاسيرلكلام العلي الكبير)، مكتبة العلوم والحكم(المدينة المنورة) الطبعة الخامسة ١٤٢٤هـ.
٨٦-	تفسير أبي حيان (البحر المحيط في التفسير)، تحقيق صدقي محمد جميل،دارالفكر (بيروت) ١٤٢٠هـ
٨٧-	تفسير البغوي (معالم التنزيل في تفسير القرآن)، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي (بيروت)، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.
٨٨-	تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)، محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي (بيروت)، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.
٨٩-	تفسير الثعلبي (الكشف والبيان عن تفسير القرآن) تحقيق الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي (بيروت)،الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.
٩٠-	التفسير الحديث لمحمد عزت دروزة، دار إحياء الكتب العربية (القاهرة)، ١٣٨٣ هـ.
٩١-	تفسير الخازن (لباب التأويل في معاني التنزيل)، تحقيق محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية (بيروت) الأولى ١٤١٥ هـ.
٩٢-	تفسير الرازي (مفاتيح الغيب)، دار الكتب العلمية (بيروت)، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.
٩٣-	تفسير الزجاج (معاني القرآن وإعرابه)، عالم الكتب(بيروت)، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.
٩٤-	تفسير السعدي (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان)، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق- مؤسسة الرسالة (بيروت)، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.
٩٥-	تفسير السلمي (حقائق التفسير)،تحقيق سيد عمران، دار الكتب العلمية(بيروت)، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.
٩٦-	تفسير السمرقندي (بحر العلوم)، تحقيق محمود مطرجي، دار الفكر(بيروت).
٩٧-	تفسير السمعاني، تحقيق ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن(الرياض)، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ

-٩٨	تفسير الشعراوي، مطابع أخبار اليوم (القاهرة) ١٩٩٧م.
-٩٩	تفسير الشنقيطي (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) لمحمد الامين الشنقيطي، دار الفكر (بيروت)١٤١٥هـ.
-١٠٠	تفسيرالشوكاني (فتح القدير)، دار ابن كثير (بيروت)، الطبعة الأولى١٤١٤هـ.
-١٠١	تفسير الطبري (جامع البيان في تأويل القرآن)، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسةالرسالة (بيروت)، الأولى ١٤٢٠هـ.
-١٠٢	تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية (القاهرة)، الطبعة الثانية ١٣٨٤هـ.
-١٠٣	تفسير القشيري (لطائف الإشارات)، تحقيق إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة الثالثة.
-١٠٤	تفسير الماتريدي، تحقيق د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية (بيروت)، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ.
-١٠٥	تفسير الماوردي (النكت والعيون)، تحقيق السيد عبد المقصود، دار الكتب العلمية(بيروت) الطبعة الأولى ٢٠٠٧م
-١٠٦	تفسير المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي (القاهرة)، الطبعة الأولى ١٣٦٥هـ.
-١٠٧	تفسير النيسابوري (غرائب القرآن ورغائب الفرقان)، تحقيق الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية (بيروت)، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.
-١٠٨	تفسير حقي (روح البيان)، دار الفكر (بيروت).
-١٠٩	تفسير سيد طنطاوي (التفسير الوسيط)، دار نهضة مصر (القاهرة)، الطبعة الأولى ١٩٩٧م.
-١١٠	تفسير عبد الرزاق الصنعاني، تحقيق مصطفى مسلم، مكتبة الرشد (الرياض)، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.
-١١١	تفسير عبد القادر بن ملّا حويش السيد محمود آل غازي العاني (بيان المعاني)، مطبعة الترقي(دمشق) الطبعة الأولى ١٣٨٢هـ.

١١٢-	تفسير عبد الكريم الخطيب (التفسير القرآني للقرآن)، دار الفكر العربي(بيروت).
١١٣-	تفسير مقاتل، تحقيق عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث(بيروت)، الطبعة الأولى١٤٢٣هـ.
١١٤-	تفسيرابن عجيبة(البحر المديد)، دار الكتب العلمية (بيروت)، الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ.
١١٥-	تقويم النظر في مسائل خلافية ذائعة ونبذ مذهبية نافعة لأبي شجاع ابن الدَّهَّان، تحقيق صالح الخزيم مكتبة الرشد (الرياض)، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.
١١٦-	تكملة معجم المؤلفين لمحمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع (بيروت)، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.
١١٧-	التلخيص الحبيرلابن حجر العسقلاني، تحقيق حسن عباس قطب، مؤسسة قرطبة (مصر)،الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.
١١٨-	تلوين الخطاب لابن كما باشا، تحقيق عبد الخالق الزهراني،الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة الطبعة الأولى١٤٢١هـ.
١١٩-	التمهيد في تخريج الفروع على الأصول للأسنوي،تحقيق محمد حسين هيتو،مؤسسة الرسالة (بيروت)، الطبعة الأولى١٤٠٠ هـ.
١٢٠-	التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع لأبي الحسين الملَطي العسقلاني، تحقيق محمد زاهد بن الحسن الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث (مصر).
١٢١-	تهذيب الكمال في أسماء الرجال للحافظ المزي، تحقيق د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة(بيروت) الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ — ١٩٨٠م.
١٢٢-	تهذيب اللغة للأزهري، تحقيق محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي (بيروت)الطبعة الأولى ٢٠٠١م.
١٢٣-	توجيه النظر إلى أصول الأثر لطاهر الجزائري، تحقيق عبد الفتاح أبي غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية (حلب)، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
١٢٤-	تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد لسليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، تحقيق زهير الشاويش

	المكتب الاسلامي (بيروت)،الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.
١٢٥-	جامع الأصول في أحاديث الرسول لابن الأثير، تحقيق عبد القادر الأرنؤوط – التتمة تحقيق بشير عيون، مكتبة الحلواني (بيروت)، الطبعة الأولى ١٣٩٢هـ.
١٢٦-	جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة (بيروت)، الطبعة السابعة ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.
١٢٧-	جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البرتحقيق: أبي الأشبال الزهيري الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٤م.
١٢٨-	جمهرة اللغة لأبي بكر بن دريد، تحقيق رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين (بيروت)، الطبعة الأولى ١٩٨٧م.
١٢٩-	حاشية السندي على سنن ابن ماجه للسندي، دار الجيل(بيروت).
١٣٠-	الحاوي في فقه الشافعي للماوردي، تحقيق الشيخ علي محمد معوض و الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية (بيروت)، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.
١٣١-	حسن المحاضرة في أخبار مصر و القاهرة للسيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار إحياء الكتب العربية – عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الأولى ١٣٨٧ هـ.
١٣٢-	حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني، دار السعادة (مصر)، الطبعة الأولى ١٣٩٤هـ.
١٣٣-	خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني لمحمد محمد أبو موسى،مكتبة وهبة (القاهرة)
١٣٤-	خطبة الجمعة ودورها في تربية الأمة لعبد الغني أحمد جبر مزهر، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد (المملكة العربية السعودية)، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.
١٣٥-	الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، مركز هجر للبحوث، دار هجر(القاهرة) ١٤٢٤هـ.
١٣٦-	درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية، تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم،جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الثانية ١٤١١هـ.

١٣٧-	الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني، تحقيق محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية، صيدر اباد/ الهند، الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.
١٣٨-	الدعاء للطبراني، تحقيق مصطفى عطا، دار الكتب العلمية (بيروت)، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.
١٣٩-	دلالة السياقلردة الله بن ردة الطلحي، رسالة ماجستير جامعة أم القرى ١٤٢٤هـ.
١٤٠-	دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمود محمد شاكر أبي فهر، مطبعة المدني (القاهرة)، الطبعة الثالثة.
١٤١-	دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني، تحقيق محمد رواس قلعه جي، عبد البر عباس، دار النفائس (بيروت)، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ.
١٤٢-	دلائل النبوةللبيهقي،دار الكتب العلمية (بيروت)، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.
١٤٣-	الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لابن فرحون اليعمري، تحقيق وتعليق الدكتور محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث للطبع والنشر (القاهرة).
١٤٤-	ديوان محمد العيد آل خليفة لمحمد العيد آل خليفة، مطبعة البعث (الجزائر) ١٩٦٧م.
١٤٥-	ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد لتقي الدين الفاسي، تحقيق كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية (بيروت)، لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.
١٤٦-	ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب الحنبلي، تحقيق د عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة لعبيكان (الرياض)، الطبعة الأولى ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م.
١٤٧-	ردّ شبهات حول عصمة النبى- صلى الله عليه وسلم- فى ضوء السنة النبوية الشريفة عماد السيد محمد إسماعيل الشربينىالسيد محمد إسماعيل الشربينى (رسالة دكتواره . جامعة الأزهر .كلية أصول الدين بالقاهرة.
١٤٨-	الرسالة للشافعي، تحقيق أحمد شاكر، مكتبة البابي والحلبي (القاهرة)،الطبعة الأولى ١٣٥٨هـ.
١٤٩-	رسائل الشيخ محمد بن إبراهيم الحمد في العقيدة.

١٥٠-	رواة التهذيبين، بدون طبعة.
١٥١-	روح المعاني (تفسير الألوسي) لشهاب الدين الألوسي،تحقيق علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية (بيروت)، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.
١٥٢-	روضة الناظر وجنة المناظر لابن قدامة المقدسي، مؤسسة الريّان، الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ.
١٥٣-	زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي، تحقيقعبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي (مصر) الطبعة الأولى١٤٢٢هـ.
١٥٤-	الزهد لأبي داوود، تحقيق أبي تميم ياسر بن ابراهيم بن محمد، وأبي بلال غنيم بن عباس بن غنيم، قدم له وراجعه فضيلة الشيخ محمد عمرو بن عبد اللطيف، دار المشكاة للنشر والتوزيع (حلوان) الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ.
١٥٥-	زهرة التفاسير لأبي زهرة، دار الفكر العربي (بيروت)، الطبعة الأولى ١٩٨٧م.
١٥٦-	سرّ العقل (للدكتورة لمارتا هيات)،مكتبة جرير(الرياض)، الطبعة الثالثة ٢٠٠٩م.
١٥٧-	السلسلة الصحيحة للألباني، مكتبة المعارف الرياض.
١٥٨-	سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر لمحمد خليل الحسيني، دار البشائر الإسلامية، دار ابن حزم الطبعة الثالثة ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.
١٥٩-	السنة لابن أبي عاصم، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي (بيروت)، الطبعة الأولى ١٤٠٠ هـ.
١٦٠-	السنة لأبي بكر الخلال، تحقيق د. عطية الزهراني، دار الراية (الرياض)، الطبعةالأولى ١٤١٠هـ ١٩٨٩م.
١٦١-	سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر (بيروت).
١٦٢-	سنن أبي داود السجستاني، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا(بيروت).
١٦٣-	السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد، عبد الكريم زيدان،مؤسسة الرسالة (بيروت)، الطبعة الأولى ١٩٩٣م.

١٦٤-	سنن الترمذيللترمذي، تحقيقبشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي (بيروت)١٩٩٨ م.
١٦٥-	السنن الكبرى للبيهقي،تحقيق محمد عطا، دار الكتب العلمية (بيروت)،الطبعة الثالثة ١٤٢٤هـ.
١٦٦-	السنن الكبرى للنسائي، تحقيق حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه شعيب الأرناؤوط، قدم له عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة (بيروت)، الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
١٦٧-	سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية السندي،مكتب تحقيق التراث،دار المعرفة (بيروت)،الخامسة١٤٢٠هـ.
١٦٨-	سنن سعيد ابن منصور، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، الدار السلفية (الهند)، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.
١٦٩-	السياسة الشرعية، المؤلف: مناهج جامعة المدينة العالمية (جامعة المدينة العالمية).
١٧٠-	السياسة الشرعية في الشئون الدستورية والخارجية والمالية لعبد الوهاب خلاف، دار القلم، الطبعة ١٤٠٨ هـ.
١٧١-	سير أعلام النبلاء للذهبي، تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة (بيروت)، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ.
١٧٢-	سير السلف الصالحينلإسماعيل بن محمد الأصبهاني،تحقيق كرم بن حلمي، دار الراية (الرياض).
١٧٣-	شذا العرف في فن الصرف لأحمد بن محمد الحملاوي، تحقيق نصر الله،مكتبة الرشد (الرياض).
١٧٤-	شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث (مصر)،الطبعةالعشرون١٤٠٠هـ.
١٧٥-	شرح الصدور بتحريم رفع القبور للشوكاني،الجامعة الإسلامية ال(مدينة المنورة)، الطبعة الرابعة ١٤٠٨هـ.
١٧٦-	شرح الطحاوية في العقيدة السلفية لابن أبي العز الحنفي،تحقيق أحمد شاكر، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف (السعودية)، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.
١٧٧-	شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين، تحقيق سعد فواز الصميل، دار ابن الجوزي (الرياض) المملكة العربية السعودية، الطبعة الخامسة ١٤١٩هـ.

١٧٨-	شرح الكوكب المنير(مختصر التحرير).لابن النجار، تحقيق محمد الزحيلي ونزيه حماد، (الرياض) الثانية ١٤١٨هـ.
١٧٩-	شرح تنقيح الفصول لشهاب الدين القرافي، طه عبد الرؤوف سعد، شركة الطباعة الفنية المتحدة الطبعة الأولى١٣٩٣هـ.
١٨٠-	شرح صحيح البخاري لابن بطال، تحقيق أبي تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد (السعودية)،الرياض الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ.
١٨١-	شرح علل الترمذي لابن رجب، تحقيق نور الدين عتر، دار الملاح، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ.
١٨٢-	شرح لمعة الاعتقاد" لناصر عبد الكريم العقل، بدون طبعة.
١٨٣-	شرح مختصر الروضةلنجم الدين الطوفي، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة (بيروت)، ١الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.
١٨٤-	شرح مشكل الآثار للطحاوي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة (بيروت)، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.
١٨٥-	شعب الإيماناللبيهقي، تحقيق عبد العلي حامد، مكتبة الرشد (الرياض)،الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.
١٨٦-	الشيخ عبد الحميد ابن باديس باعث النهضة الإسلامية العربية في الجزائر الحديثة لتركي رابح، دار العلوم للطباعة والنشر (الرياض)،الطبعة الأولى ١٩٨٣م.
١٨٧-	الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها لابن فارس، تحقيق محمد علي بيضون، الطبعة الأولى١٤١٨هـ.
١٨٨-	الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين (بيروت)، الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ.
١٨٩-	صحيح ابن حبان، تحقيق شعيب الأرنؤوط،مؤسسة الرسالة(بيروت)، الطبعة الثانية ١٤١٤ هـ.
١٩٠-	صحيح ابن خزيمة، تحقيق د. محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي (بيروت).

١٩١-	صحيح الأدب المفرد للبخاري، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، دار الصديق للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة ١٤١٨ هـ.
١٩٢-	صحيح البخاري للإمام البخاري، تعليق د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير،اليمامة (بيروت)، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ.
١٩٣-	صحيح الترغيب والترهيب لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف (الرياض)، الطبعة الخامسة.
١٩٤-	صحيح الجامع الصغيرللألباني،المكتب الإسلامي.
١٩٥-	صحيح سنن أبي داودللألباني،مؤسسة غراس لنشر والتوزيع (الكويت)، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.
١٩٦-	صحيح مسلم للإمام مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي،دار إحياء التراث العربي.
١٩٧-	صحيح وضعيف ابن ماجهلمحمد ناصر الدين الألباني – مصدر الكتاب: برنامج منظومة التحقيقات الحديثية – المجاني – من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية.
١٩٨-	صحيح وضعيف النسائي لمحمد ناصر الدين الألباني، مصدر الكتاب: برنامج منظومة التحقيقات الحديثية – المجاني – من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية.
١٩٩-	الضوء اللامع لأهل القرن التاسع للسخاوي،منشورات دار مكتبة الحياة (بيروت).
٢٠٠-	طبقات الشافعية الكبرى للسبكي، تحقيق / د. محمود محمد الطناحي / د. عبد الفتاح محمد الحلو، دار هجر (القاهرة)، الطبعةالثانية ١٤١٣هـ.
٢٠١-	طبقات الشافعيين لابن كثير، تحقيق أحمد عمر هاشم، محمد زينهم محمد عزب، مكتبة الثقافة الدينية (القاهرة ١٤١٣هـ.
٢٠٢-	الطبقات الكبرى لابن سعد، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية (بيروت)،الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.
٢٠٣-	الطراز لأسرار البلاغةللعلوي،المكتبة العصرية (بيروت)،الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.

٢٠٤-	عبد الحميد ابن باديس وجهوده التربوي لمصطفى حميداتو، وزارة الأوقاف القطرية، الطبع الأولى ١٤١٨هـ.
٢٠٥-	عبد الحميد بن باديس العالم الرباني والزعيم السياسي لمازن مطبقاني، دار القلم للطباعة والنشر (دمشق) الطبعة الأولى١٤١٠هـ.
٢٠٦-	العبودية لابن تيمية، تحقيق محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي (بيروت)، الطبعة السابعة ١٤٢٦هـ.
٢٠٧-	عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين لابن قيم الجوزية، دار ابن كثير، دمشق، مكتبة دار التراث (المدينة المنورة)، الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.
٢٠٨-	العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية لعبد الحميد بن باديس،مكتبة الشركة للنشروالتوزيع، الطبعة الثانية.
٢٠٩-	العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي، دار الكتب العلمية (بيروت)، الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ.
٢١٠-	عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها من الشرك الأكبر والأصغر والتعطيل والبدع وغير ذلك لصالح بن فوزان الفوزان، بدون طبعة.
٢١١-	العقيدة الطحاوية للإمام الطحاوي،أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة الأزدي،شرح وتعليق محمد ناصر الدين الألباني،المكتب الإسلامي (بيروت)، ١٤١٤هـ.
٢١٢-	عقيدة محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي لصالح بن عبد الله العبود،الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة الثانية ١٤٢٤هـ.
٢١٣-	علوم البلاغة البيان المعاني، البديع لأحمد المراغي، دار الكتب العلمية (بيروت)، الطبعة الثانية ١٤١٧هـ.
٢١٤-	العواصم من القواصم لابن العربي، تحقيق محب الدين الخطيب،وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف(السعودية)، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.
٢١٥-	غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري، تحقيق الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية (بيروت)الطبعة الأولى١٤١٦هـ.

٢١٦-	غريب الحديث لابن الجوزي،تحقيق عبد المعطي أمين القلعجي، دار الكتب العلمية (بيروت)، الأولى ١٤٠٥هـ.
٢١٧-	غريب الحديث للخطابي،تحقيق عبد الكريم إبراهيم الغرباوي،دار الفكر(بيروت) ١٤٠٥ هـ
٢١٨-	الفائق في غريب الحديث للزمخشري، تحقيق علي محمد البجاوي و محمد أبي الفضل إبراهيم،دار المعرفة (بيروت)،الطبعة الثانية.
٢١٩-	فتاوى نور على الدربلعبد العزيز بن عبد الله بن باز، جمع عبد الله بن محمد الطيار ومحمد بن موسى الموسر، مؤسسة الشيخ عبد العزيز بن باز الخيرية.
٢٢٠-	فتاوى نور على الدربلعبد العزيز بن عبد الله بن باز، جمع محمد بن سعد الشويعر، رئاسة البحوث العلمية والإفتاء، الطبعة الأولى١٤٣١هـ.
٢٢١-	فتاوى ورسائل عبد الرزاق عفيفي، بدون طبعة.
٢٢٢-	فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر، دار المعرفة (بيروت) ١٣٧٩هـ.
٢٢٣-	فتح البيان في مقاصد القرآن لصديق فتح خان القنوجي، تحقيق عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاريالمكتبة العصريَّة (بيروت) ١٤١٢هـ.
٢٢٤-	فتح المجيد شرح كتاب التوحيد لعبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، تحقيق حمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية (القاهرة)، الطبعة السابعة ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م.
٢٢٥-	فتح المغيث شرح ألفية العراقي في الحديث للسخاوي، تحقيق علي حسين علي، مكتبة السنة (مصر) الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.
٢٢٦-	الفرق بين الفرق لأبي منصور الإسفراييني، دار الآفاق الجديدة(بيروت)، الطبعة الثانية ١٩٧٧م.
٢٢٧-	فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها للدكتور غالب بن علي عواجي، المكتبة العصرية الذهبية للطباعة والنشر والتسويق (جدة)، الطبعة الرابعة ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

٢٢٨-	الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم الأندلسي، مكتبة الخانجي (القاهرة).
٢٢٩-	فقه التمكين عند دولة المرابطين لعلي محمد الصَّلاَّبي، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة (القاهرة) الطبعة الأولى ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م.
٢٣٠-	الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي لعادل بن يوسف العزازي،دار ابن الجوزي(الرياض)، الطبعة الثانية ١٤٢١هـ.
٢٣١-	الفلاح شرح مراح الأرواح في علم الصرف لابن الكمال باشا، تحقيق مصطفى البابي الحلبي (القاهرة)الطبعة الثالثة ١٣٧٩هـ.
٢٣٢-	فهرس الفهارس لعبد الحي الكتاني، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي (بيروت)، الطبعة الثانية ١٩٨٢م.
٢٣٣-	فوات الوفيات لابن شاكر،تحقيق إحسان عباس، دار صادر (بيروت)، الطبعة الأولى ١٩٧٣م.
٢٣٤-	الفوائد لابن القيم، دار الكتب العلمية (بيروت)، الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ.
٢٣٥-	في ظلال القرآن لسيد قطب، دار الشروق (القاهرة)،الطبعة السابعة عشر ١٤١٢هـ.
٢٣٦-	فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي،المكتبة التجارية الكبرى(مصر)، الطبعة الأول ١٣٥٦هـ.
٢٣٧-	القاموس المحيط للفيروزآبادي،مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة(بيروت)، الثامنة ١٤٢٦هـ.
٢٣٨-	قَانون التَّأويْل للقاضي أبي بكر بن العربي، تحقيق محمّد السّليماني، دار القبلة للثقافة الإسلاميَّة، (جَدّة) مؤسَسَة عُلوم القرآن، بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.
٢٣٩-	قواطع الأدلة في الأصول لأبي المظفر السمعاني، تحقيق محمد حسن الشافعي، دار الكتب العلمية (بيروت)، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.
٢٤٠-	كتاب الأفعال لابن القطاع الصقلي، عالم الكتب (بيروت)، الطبعة الأولى ١٩٨٣م.
٢٤١-	كتاب الحيوان للجاحظ، دار الكتب العلمية(بيروت)، الطبعة الثانية ١٤٢٤ هـ.

٢٤٢-	كرامات الأولياء لأبي القاسم اللالكائي، تحقيق أحمد بن حمدان الغامدي، دار طيبة (الرياض)،الطبعة الثامنة ١٤٢٣هـ.
٢٤٣-	الكشاف للزمخشري، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي (بيروت)، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ.
٢٤٤-	كيف تصبح داعية لشوقي عبد اللطيف –نقلا عن موسوعة البحوث والمقالات العلمية –اعداد علي بن نايف الشحود.
٢٤٥-	اللباب في علل البناء والإعراب لأبي البقاء العبكري، تحقيق غازي مختار طليمات، دار الفكر (بيروت)، الطبعة الأولى ١٩٩٥م.
٢٤٦-	اللباب في علوم الكتاب لابن عادل، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية (بيروت)، الطبعة الاولى١٤١٩هـ.
٢٤٧-	لسان العرب لابن منظور، دار صادر (بيروت)، الطبعة الأولى.
٢٤٨-	لسان الميزان لابن حجلر العسقلاني، تحقيق عبد الفتاح أبي غدة، دار البشائر الإسلامية الطبعة الأولى ٢٠٠٢ م.
٢٤٩-	اللمع في أصول الفقه للشيرازي لأبي اسحاق الشيرازي، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية ١٤٢٤ هـ.
٢٥٠-	المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد،المكتبة العصرية (بيروت) ١٤٢٠هـ.
٢٥١-	مجلة البحوث الإسلامية، مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد – المؤلف: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.
٢٥٢-	مجلة البيان، تصدر عن المنتدى الإسلامي.
٢٥٣-	مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية.
٢٥٤-	مجلة الرسالة أحمد حسن الزيات باشا.

٢٥٥-	مجلة المنار، لمجموعة من المؤلفين، تحت إشراف محمد رشيد بن علي رضا – وغيره من كتاب المجلة.
٢٥٦-	مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي، تحقيق حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي (القاهرة) ١٤١٤هـ.
٢٥٧-	مجموع الفتاوى لابن تيمية، تحقيق أنور الباز و عامر الجزار، دار الوفاء(الإسكندرية)، الطبعة الثالثة ١٤٢٦ هـ.
٢٥٨-	مجموعة الفوائد البهية على منظومة القواعد الفقهية لصالح القحطاني، دار الصميعي (الرياض)،الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.
٢٥٩-	محاسن التأويل لجمال الدين القاسمي، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية (بيروت)، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.
٢٦٠-	محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء للراغب الأصفهانى، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم (بيروت)، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ.
٢٦١-	مختصر المعاني لسعد الدين التفتازاني، دار الفكر (بيروت)، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.
٢٦٢-	المخصص لابن جني، تحقيق خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي (بيروت)، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.
٢٦٣-	مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن القيم، دار الكتاب العربي(مصر)،الطبعة الثالثة ١٤١٦هـ.
٢٦٤-	مذكرة أصول الفقه للأمين الشنقيطي،مجمع الفقه الإسلامي بجدة،دار عالم الفوائد(جدة)،الطبعة الأول٦ ١٤٢٦هـ.
٢٦٥-	مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح لعلي ملا القاري، دار الفكر(بيروت)، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.
٢٦٦-	المسالك في شرح موطأ مالك لابن العربي، تحقيقمحمد بن الحسين السليماني و عائشة بنت الحسين السليماني، دار الغرب الإسلامي (بيروت)، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ.
٢٦٧-	المستدرك للحاكم النيسابوري، تحقيق أبي عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي، دار الحرمين (القاهرة) الطبعة

	الأولى.
٢٦٨-	المستصفى لأبي حامد لغزالي، تحقيق محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية (بيروت)،الطبعة الأولى١٤١٣هـ.
٢٦٩-	المسجد وأثره في تربية الأجيال ومؤامرة أعداء الإسلام عليه لعبد الله قاسم الوشلي، مؤسسة الرسالة،الطبعة الأولى ١٩٨٨م.
٢٧٠-	مسند أحمد للإمام أحمد، تحقيق شعيب الأرنؤوط و عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة (بيروت)، الطبعة الأولى١٤٢١هـ.
٢٧١-	مسند البزار المسمى" البحر الزخار" لأبي بكر البزار، تحقيق محفوظ الرحمن زين الله و عادل بن سعدو صبري عبد الخالق الشافعي، مكتبة العلوم والحكم (المدينة المنورة)، الطبعة الأولى ١٩٨٨هـ.
٢٧٢-	مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي) لأبي محمد عبد الله الدارمي، تحقيقحسين سليم أسد الداراني، دار المغني (الرياض)، الطبعةالأولى ١٤١٢هـ.
٢٧٣-	مشاهير علماء الأمصار لأبي حاتم البستي، تحقيق مرزوق على ابراهيم، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع (المنصورة)، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م.
٢٧٤-	مشاهير علماء نجد وغيرهم لعبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر (الرياض)، الطبعة الأولى ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م.
٢٧٥-	المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للفيومي، المكتبة العلمية (بيروت).
٢٧٦-	مصنف ابن أبي شيبة لأبي بكر بن أبي شيبة، تحقيق كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد(الرياض)،الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.
٢٧٧-	مصنف عبد الرزاق الصنعاني لعبد الرزاق الصنعاني، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي (بيروت)، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ.
٢٧٨-	معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصوللحافظ الحكمي، تحقيق عمر بن محمود أبو عمر دار ابن القيم

	(الدمام)، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.
-٢٧٩	معالم السنن للخطابي، المطبعة العلمية (بيروت)، الطبعة الأولى ١٣٥١هـ.
-٢٨٠	معالم السنن للخطابي، المطبعة العلمية (بيروت)، الطبعة الأولى ١٣٥١هـ.
-٢٨١	معاني القرآن وإعرابه للزجاج، عالم الكتب (بيروت)، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.
-٢٨٢	المعتمد في أصول الفقه لأبي الحسين البصري المعتزلي، تحقيق خليل الميس، دار الكتب العلمية (بيروت)، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.
-٢٨٣	معجم أعلام الجزائر لعادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية (بيروت)، الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ.
-٢٨٤	معجم الأدباء لياقوت الحموي، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي (بيروت)، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.
-٢٨٥	المعجم الأوسط للطبراني، تحقيق طارق بن عوض الحسيني، دار الحرمين (القاهرة).
-٢٨٦	معجم الشيوخ للسبكي، تحقيق الدكتور بشار عواد و رائد يوسف العنبكي و مصطفى إسماعيل الأعظمي، دار الغرب الإسلام (بيروت)، الطبعة الأولى ٢٠٠٤م.
-٢٨٧	المعجم الكبير للطبراني، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية (القاهرة)، الطبعة الثانية.
-٢٨٨	معجم اللغة العربية المعاصرة للدكتور أحمد مختار وآخرون، عالم الكتب (بيروت)، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ.
-٢٨٩	معجم المفسرين لعادل نويهض، مؤسسة النويهض الثقافية(بيروت)، الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ.
-٢٩٠	معجم المؤلفين لرضا كحالة، دار إحياء التراث العربي (بيروت).
-٢٩١	المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، مجمع اللغة العربية، دار الدعوة.
-٢٩٢	مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي، دار الكتب العلمية (بيروت)، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.
-٢٩٣	مفتاح العلوملسكاكي،تحقيق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية (بيروت)، الطبعة الثانية١٤٠٧هـ.

٢٩٤-	المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني،تحقيق صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.
٢٩٥-	مفهوم التفسير لمساعد الطيار، دار ابن الجوزي (الرياض)،الطبعة الثانية ١٤٢٧هـ.
٢٩٦-	مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين لأبي الحسن الأشعري، تحقيق نعيم زرزور، المكتبة العصرية الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
٢٩٧-	مقاييس اللغةلابن فارس، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، الطبعة الأولى١٣٩٩هـ.
٢٩٨-	مقدمة ابن الصلاح (معرفة أنواع علوم الحديث)، تحقيق نور الدين عتر، دار الفكر المعاصر (بيروت) ١٤٠٦ هـ.
٢٩٩-	مقدمة في أصول الحديث لعبد الحق الدهلوي، تحقيق سلمان الحسيني الندوي، دار البشائر الإسلامية (بيروت)، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
٣٠٠-	المقنع في علوم الحديث لابن الملقن، تحقيق عبد الله بن يوسف الجديع، دار فواز للنشر (السعودية) الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.
٣٠١-	الملل والنحل للشهرستاني،مؤسسة الحلبي.
٣٠٢-	منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري لحمزة محمد قاسم، مكتبة دار البيان دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ.
٣٠٣-	المناظرات وآداب الحوار لصالح ابن حميد، بدون طبعة.
٣٠٤-	مناهل العرفان لمحمد عبدالعظيم الزرقاني،مكتب البحوث والدراسات، دارالفكر (بيروت)، الطبعة الأولى ١٩٩٦م.
٣٠٥-	منتدى نبع الجزائر.
٣٠٦-	منهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات داود بن جرجيس عبد اللطيف آل الشيخ، دار الهداية.
٣٠٧-	منهاج السنة النبوية في نقد كلام الشيعة القدرية لابن تيمية، تحقيق محمد رشاد شالم، جامعة الإمام محمد بن سعود، الطبعة الأولى١٤٠٦هـ.

٣٠٨-	منهج الإستنباط من القرآن الكريم رسالة ماجستير لفهد الوهبي، جامعة الإمام محمد بن سعود ١٤٢٨هـ
٣٠٩-	المهذب في علم أصول الفقه لعبد الكريم النملة مكتبة الرشد(الرياض)، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.
٣١٠-	الموافقات للشاطبي لمشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.
٣١١-	موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة لمحمد راتب النابلسي، دار المكتبي، الطبعة الثانية١٤٢٦هـ
٣١٢-	الموضوعات لابن الجوزي، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية، الطبعة الأولى جـ١،٢: ١٣٨٦هـ جـ ٣: ١٣٨٨هـ.
٣١٣-	الموطأ للإمام مالك بن أنس، تحقيق محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ.
٣١٤-	موقع الآجري.
٣١٥-	موقع منار الجزائر.
٣١٦-	موقع منتديات البيضاء العلمية.
٣١٧-	الناسخ والمنسوخ لأبي القاسم البغدادي المقري، تحقيق زهير الشاويش و محمد كنعان، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.
٣١٨-	نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي، تحقيق عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية (بيروت)، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.
٣١٩-	النكت على مقدمة ابن الصلاح لبدر الدين الزركشي، تحقيق د. زين العابدين بن محمد بلا فريج،أضواء السلف (الرياض)، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
٣٢٠-	نهاية الأرب في فنون الأدب لشهاب الدين النويري، دار الكتب والوثائق القومية، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.
٣٢١-	نهاية السول شرح منهاج الوصول إلى علم الأصول للإسنوي، دار الكتب العلمية (بيروت)، الطبعة الأولى

	١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.
-٣٢٢	النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، تحقيق طاهر أحمد الزاوى و محمود محمد الطناحيالمكتبة العلمية (بيروت)، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ.
-٣٢٣	نهضة الجزائر الحديثة لعلي دبوز و المطبعة التعاونية (الجزائر)، الطبعة الأولى ١٩٦٥م.
-٣٢٤	الورقات للجويني، تحقيق عبد اللطيف محمد العبد، دار الصميعي (الرياض)، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ
-٣٢٥	وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان، تحقيق إحسان عباس،دار صادر (بيروت)، الطبعة الأولى ١٩٩٤م.
-٣٢٦	ويكيبيديا، الموسوعة الحرة.

الموضوع	الصفحة
ملخص الرسالة	٣
Abstract	٥
المقـــــدمـة	٧
أهمية الموضوع	٩
أسباب اختيار الموضوع	٩
أهداف البحث	١٠
الدراسات السابقة	١٠
الرسائل العلمية	١٢
المؤلفات الحرة	١٣
منهج البحث	١٤
المنهج العام للبحث	١٤
المنهج والطريقة التفصلية لدراسة الاستنباطات	١٤
طريقة توثيق المادة العلمية في الرسالة	١٥
خطة البحث	١٦
كلمة شكر وتقدير	٢٠
الفـصــل الأول التعريف: بالإمام ابن باديس ومنهجه في تفسيره "مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير"	٢٣
تمـهـــــيد	٢٤
حالة المجتمع الجزائري الذي نشأ وترعرع فيه ابن باديس	٢٤
الحالة السياسية والثقافية	٢٤
الحالة الاجتماعية والدينية	٢٨
المبحث الأول: ترجمة ابن باديس وحياته العلمية ووفاته	٣٢
المطلب الأول: نشأته من الولادة إلى رحلته إلى الزيتونة بتونس وشيوخه في هذه المرحلة(١٨٨٩-١٩٠٨م)	٣٣
المطلب الثاني: رحلته إلى جامع الزيتونة واعتماده طالبا فيها إلى أن تخرج منها وشيوخه	٣٧

في هذه المرحلة (١٩٠٨م -١٩١٣م)	
المطلب الثالث: من عودته إلى الوطن إلى رحلته إلى المشرق والأعمال التي قام بها في هذه المرحلة (١٩١٣م ١٩١٣م)	٣٩
المطلب الرابع: من رحلته إلى المشرق واتصاله بمجموعة من العلماء والمفكرين المصلحين إلى عودته إلى الوطن وشيوخه في هذه المرحلة (١٩١٣م ١٩١٣م)	٣٩
المطلب الخامس: من عودته إلى الوطن واستقراره بمسقط رأسه، قسنطينة إلى وفاته وأعماله في هذه المرحلة(١٩١٣م١٩٤٠م)	٤١
المطلب السادس: عقيدته ومذهبه الفقهي	٤٤
المطلب السابع: وفاته	٤٧
المطلب الثامن: آثاره وثناء العلماء عليه	٤٧
المبحث الثاني: العوامل التي أثرت في تكوين شخصيته العلمية والعملية	٥٢
المطلب الأول: تربية والديه الصالحة وتوجيههما له الوجهة الصحيحة	٥٣
المطلب الثاني: بيئة الدراسة وتأثير المربين من المعلمين والشيوخ	٥٣
المطلب الثالث: تعاون الشعب الجزائري معه ومساندته له	٥٥
المطلب الرابع: مؤازرة زملاءه من العلماء الفضلاء من الجمعية وغيرهم	٥٥
المطلب الخامس: القرآن الكريم	٥٦
المبحث الثالث: التعريف بتفسير الإمام ابن باديس " مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير" وبيان منهجه فيه.	٥٧
المطلب الأول: التعريف بالتفسير (مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير)	٥٨
المطلب الثاني: مصادر ابن باديس في تفسيره	٦٠
المطلب الثالث: منهج ابن باديس في تفسيره	٦٠
الفصل الثاني: الاستنباط، تعريفه وأهميته وشروطه	٦٤
المبحث الأول: تعريف الاستنباط	٦٥
المطلب الأول: تعريف الاستنباط لغة	٦٦
المطلب الثاني: تعريف الاستنباط اصطلاحا	٦٦
المطلب الثالث: الفرق بين الاستنباط والتفسير وبيان العلاقة بينهما	٦٨
التفسير لغة	٦٨
التفسير اصطلاحا	٦٨

الفرق بين التفسير والاستنباط	٧٠
العلاقة بين التفسير والاستنباط	٧٠
المبحث الثاني: أهمية الاستنباط	٧٢
المبحث الثالث: شروط الاستنباط	٧٩
المطلب الأول: شروط المستنبط	٨٠
المطلب الثاني: شروط المعنى المستنبط	٨٢
الفصل الثالث: أقسام الاستنباط عند ابن باديس في تفسيره "مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير"	٨٣
المبحث الاول: أقسامه باعتبار الموضوع	٨٤
المطلب الاول: الاستنباطات العقدية	٨٥
المطلب الثاني: الاستنباطات الفقهية والأصولية	٨٦
القسم الأول: الفقه	٨٧
القسم الثاني: أصول الفقه	٨٧
المطلب الثالث: الاستنباطات التربوية التعليمية.	٨٨
التربية الروحية	٨٩
التربية البدنية	٩٠
المطلب الرابع: الاستنباطات الدعوية	٩٠
المطلب الخامس: الاستنباطات في السياسة الشرعية.	٩١
المطلب السادس: الاستنباطات في الاعجاز البياني	٩٢
المطلب السابع: الاستنباطات في الاعجاز العلمي	٩٣
المطلب الثامن: الاستنباطات في السنن الكونية	٩٤
المطلب التاسع: الاستنباطات في علوم القرآن	٩٥
النوع الأول من علوم القرآن: علم المناسبات	٩٥
القسم الأول: المناسبات بين السور	٩٦
القسم الثاني: المناسبة بين الآيات في السورة الواحدة	٩٧
القسم الثالث: المناسبة بين كلمات الآية الواحدة	٩٧
أولا: مناسبة الفاصلة القرآنية	٩٧
ثانيا: مناسبة ترتيب الألفاظ في النظم القرآني مراعاة لموافقة ترتيب معانيها في الحال والواقع	٩٨

القسم الرابع: مناسبة تخلل آية بين آيات في الموضوع الواحد	٩٩
النوع الثاني من علوم القرآن: موهم الاختلاف والتعارض	٩٩
النوع الثالث من علوم القرآن: رد الشبهات والطعون ودفع الاعتراضات وسوء الفهم عن آي القرآن	١٠٠
المطلب العاشر: الاستنباطات في المناهج والآداب القرآنية	١٠١
المبحث الثاني: أقسامه باعتبار الإفراد والتركيب	١٠٤
المطلب الأول: الاستنباط من آية واحدة	١٠٥
المطلب الثاني: الاستنباط من آيتين فأكثر	١٠٦
المبحث الثالث: أقسامه باعتبار الظهور والخفاء	١٠٧
المطلب الأول: الاستنباط الظاهر	١٠٨
المطلب الثاني: الاستنباط الخفي	١٠٨
الفصل الرابع: منهج ابن باديس في الاستنباط	١١٠
المبحث الأول: منهجه في طريق دلالة الاستنباط	١١٢
المطلب الأول: الدلالات البلاغية	١١٢
دلالة المخالفة لمقتضى الظاهر	١١٢
الأسلوب الأول: دلالة المخالفة لمقتضى الظاهر في تنويع وتلوين الخطاب أو بما يسمى عند بعضهم: "بالالتفات"	١١٣
الأسلوب الثاني: دلالة المخالفة لمقتضى الظاهر بوضع المظهر موضع المضمر	١١٥
دلالة الاستفهام	١١٥
دلالة التقديم والتأخير	١١٦
أنواع وأقسام التقديم والتأخير في تفسير ابن باديس	١١٦
التقديم والتأخير بين أجزاء الجملة "متعلقات الفعل" تقديم المفعول على العامل	١١٧
التقديم والتأخير بين بعض الأسماء المتلازمة "كالجن والإنس مثلا"	١١٧
التقديم والتأخير في ترتيب المعاني في النظم القرآني	١١٨
دلالات الحذف	١١٨
حذف المفعول به	١١٩
حذف الفاعل	١٢٠
المطلب الثاني: الدلالات الأصولية	١٢١

دلالة الإيماء والتنبيه	١٢١
دلالة الإشارة	١٢٢
دلالة مفهوم الموافقة	١٢٢
المطلب الثالث: دلالة الاقتران	١٢٣
المطلب الرابع: دلالة السياق	١٢٤
سياق المقال	١٢٤
سياق المقام	١٢٥
المبحث الثاني: منهجه في طريقة وأسلوب عرض الاستنباط	١٢٦
الفصل الخامس: دراسة استنباطات ابن باديس	١٣٢
الاستنباط الأول: من أدب الدعوة إلى الله، اختيار أحسن ما يُدعَى ويسمَّى به المدعو	١٣٤
الاستنباط الثاني: تجنب ذكر العيوب والمثالب عند الدعوة إلى الله عز وجل	١٣٦
الاستنباط الثالث: ردّ خبر الواحد إذا خالف القطعي من القرآن	١٣٨
الاستنباط الرابع: دعوة النبي-صلى الله عليه وسلم- عامة لجميع الناس، برهم وفاجرهم، مؤمنهم وكافرهم.	١٤٨
الاستنباط الخامس: القمر جرم مظلم يأتيه نوره من الشمس	١٥٢
الاستنباط السادس: الأسباب الكونية التي وضعها الله العليم الخبير لنظام هذه الحياة، موصلة لمسبباتها بإذن الله وتقديره الكوني، وهي متاحة لجميع الخلق	١٥٨
الاستنباط السابع: من لم يرد الآخرة بعمله لم يكن عمله هذا مشكورا عند الله تعالى	١٦٤
الاستنباط الثامن: عطاء الله في هذه الدنيا متاح للجميع لا يُمنع منه أحد	١٦٧
الاستنباط التاسع: برّ الوالدين واجب على أيّة حالة كانا، من كفر أو إيمان، أو برّ أو فجور، محسنين لولدهما أم مسيئين له	١٧٠
الاستنباط العاشر: بيان الحكمة في اقتران وذكر حق الله تعالى مع حق الوالدين في النظم القرآني الحكيم	١٧٢
الاستنباط الحادي عشر: التذكير بصورة الطير مع فراخه لقياسها على صورة الوالدين مع ابنائهما في حال صغرهما للاعتبار على -الأقل- في ردّ جميلهما	١٧٧
الاستنباط الثاني عشر: كثرة الرجوع إلى الله يقابلها كثرة المغفرة منه سبحانه	١٨١
الاستنباط الثالث عشر: العبد مهما كان صلاحه مطالب كغيره من الناس بالأوبة والرجوع إلى الله، إذا وقعت منه المعصية لتحصل له المغفرة	١٨٣
الاستنباط الرابع عشر: صلاح النفوس أصل ومحور في القيام بالتكاليف الشرعية	١٨٦

الاستنباط الخامس عشر: ترغيب الشارع الحكيم في تكثير النسل	١٨٨
الاستنباط السادس عشر: تحريم التعدي على مال اليتيم خصوصا وعلى أموال الناس عموما	١٨٩
الاستنباط السابع عشر: أصول العقائد والأحكام لا تثبت بالحديث الضعيف	١٩٣
الاستنباط الثامن عشر: لا يقطع لمعيّن بجنة أو نار إلا من جاء النص من الشارع بتعيينهم	١٩٥
الاستنباط التاسع عشر: لا يجوز دعاء غير الله تعالى	٢٠٣
الاستنباط العشرون: المعبود الحق هو الذي يملك كشف الضر وتحويله وجلب النفع وإيصاله	٢٠٥
الاستنباط الحادي والعشرون: أفضلية صلاة الفجر على غيرها من الصلوات	٢٠٧
الاستنباط الثاني والعشرون: إذا علمنا الله تعالى دعاء، ففي ذلك التعليم تعليم آخر لنا كيف نسلك الطريق الذي يكون مظنة لاستجابة ذلك الدعاء	٢١٢
الاستنباط الثالث والعشرون: المسلم على حق مهما كان حاله، وغيره على باطل، عقدية قرآنية	٢١٦
الاستنباط الرابع والعشرون: حسن الاستماع وأدب الانصات وتجنب المقاطعة، أدب وخلق قرآني عظيم في كل حوار ومناظرة	٢٢٠
الاستنباط الخامس والعشرون: وعد الله للمتقين لوراثة الأرض يكون في أرض الدنيا قبل يوم القيامة	٢٢٦
الاستنباط السادس والعشرون: الصلاح شرط في التمكن من سنّة الله القدرية الشرعية في وراثة أرض الدنيا	٢٣١
الاستنباط السابع والعشرون: المحافظة على الأبدان بإعطائها حقها من الأكل واجب شرعي	٢٣٥
الاستنباط الثامن والعشرون: الأكل الحلال يثمر العمل الصالح.	٢٣٧
الاستنباط التاسع والعشرون: من الواجب الشرعي للجماعة لإمامها أن إذا دعاها إلى اجتماع لصالح عام أجابت، وأن لا تنصرف لغرضها إلا باستئذان.	٢٤١
الاستنباط الثلاثون: المصلحة العامة للأمة تقدم وترجّح على المصلحة الخاصة للفرد.	٢٤٣
الاستنباط الحادي والثلاثون: لا يكمل إيماننا بأنّ القرآن فرقان إلا إذا علمنا أنّه فارق بنفسه، وعملنا بالفرق به في كل شيء.	٢٤٧
الاستنباط الثاني والثلاثون: حثّ القرآن على الصبر والأمر به،عند الابتلاءات والفتن.	٢٥٠
الاستنباط الثالث والثلاثون: توعّد الله عز وجل وتخويفه لهاجر القرآن.	٢٥٤
الاستنباط الرابع والثلاثون: خطب المساجد يجب أن تكون جارية على مقتضى أحوال الناس وهمومهم ووقائعهم المعاصرة.	٢٥٨
الاستنباط الخامس والثلاثون: تخصيص النبي-صلى الله عليه وسلم- وحده بأمر الدعوة للناس كافة تشريف وتبشير له بعظم الجزاء.	٢٦١

الاستنباط السادس والثلاثون: وجوب مجاهدة العصاة المخالفين بالقرآن.	٢٦٣
الاستنباط السابع والثلاثون: المداومة على الطاعة بإخلاص تضعف المعصية في النفس وتزيلها.	٢٦٥
الاستنباط الثامن والثلاثون: ذكر الأوامر والنواهي التكليفية، مشفوعة بفوائدها ومضارها في الدارين،منهج تربوي قرآني.	٢٦٨
الاستنباط التاسع والثلاثون: تصوير القرآن لحالة ونفسية العاصي التائب حسب وقوعها في الخارج و الواقع.	٢٧١
الاستنباط الأربعون: من ذكرنا بالقرآن يجب قبول تذكيره، كائنا من كان.	٢٧٤
الاستنباط الحادي والأربعون: الأنبياء أعظم الناس قدرا ومنزلة عند الله تعالى.	٢٧٧
الاستنباط الثاني والأربعون: النبي سليمان عليه السلام عُلّم منطق الحيوانات كلها.	٢٨٢
الاستنباط الثالث والأربعون: القائد للأمة وللجماعة لابد أن يمتاز على غيره ببعد النظر وقوة الإدراك وسرعة الإنذار بما يحس ويتوقع.	٢٨٦
الاستنباط الرابع والأربعون: دخول الجنّة لا يُستحق بالعمل استحقاق المبيعات بأثمانها، ولكن بفضل الله ورحمته	٢٨٩
الاستنباط الخامس والأربعون: من حق الرعية على راعيها تفقدها والتعرف على أحوالها.	٢٩٣
الاستنباط السادس والأربعون: حرمان الإنسان من العلم اسقاط له عن درجة الانسانية،فهو مسخ له.	٢٩٥
الاستنباط السابع والأربعون: ليس لأحد –مهما كان صلاحه– كشف عما غاب عنه إلا من اطلعه الله عزّ وجل عليه.	٢٩٧
الاستنباط الثامن والأربعون: المخالف للأمر من غير انتهاك لحرمته لا يؤاخذ بتلك المخالفة.	٣٠١
الاستنباط التاسع والأربعون: الاستدلال بالربوبية على الألوهية، طريقة القرآن ومنهجه في الاحتجاج على الكفار والمشركين.	٣٠٤
الاستنباط الخمسون: دلالة الصنعة على الصانع نظرية عقلية قطعية.	٣١٠
الاستنباط الحادي والخمسون: الاسلام دين عزة ورحمة.	٣١٥
الاستنباط الثاني والخمسون: العرب الذين أرسل فيهم النبي –صلى الله عليه وسلم – أهل فترة ناجون، عدا من جاء نص خاص بعذابهم.	٣١٧
الاستنباط الثالث والخمسون: الاستدلال بالبداءة على الإعادة في إثبات عقيدة البعث بعد الموت، منهج قرآني مطّرد.	٣٢٥
الاستنباط الرابع والخمسون: من إعجاز القرآن البياني، اختياره الألفاظَ في المقام الذي يناسبها.	٣٢٩
الاستنباط الخامس والخمسون: قول الرسول –صلى الله عليه وسلم– مثل قول الله تعالى في وجوب الإيمان	٣٣٠

والامتثال.	
الاستنباط السادس والخمسون: مناسبة ختم القرآن بالمعوذتين.	٣٣٩
الاستنباط السابع والخمسون: السرّ والنكتة البلاغية في إضافة لفظة الفلق إلى اسم الله تعالى "ربّ".	٣٤٥
الاستنباط الثامن والخمسون: مناسبة تخصيص الناس بالذكر في (سورة الناس) دون غيرهم من المربوبين.	٣٤٩
الاستنباط التاسع والخمسون: النكتة البلاغية في ترتيب أوصاف المستعاذ به سبحانه وتعالى في النظم القرآني.	٣٥٠
الاستنباط الستون: الأسرار البلاغية في التقديم والتأخير بين الاسماء المتلازمة (الإنس والجن)في القرآن الكريم.	٣٥٤
الخاتمة	٣٥٩
الفـــهـــــارس	٣٦٤
فهرس الآيات	٣٦٦
فهرس الأحاديث	٣٨٠
فهرس الآثار	٣٨٤
فهرس الاستنباطات	٣٨٥
فهرس الشعر	٣٨٩
فهرس الغريب	٣٩٠
فهرس الفرق والمذاهب	٣٩١
فهرس الأعلام	٣٩٢
فهرس المصادر والمراجع	٣٩٩
فهرس الموضوعات	٤٢٤